جامعـــــــه الجزائـــــــر

معهد العلوم السياسية
و العلاقات الدولية



٢٢٦

دور القوى الاقليمية (إسرائيل، سوريا ، م. ت. ف) في الحرب الاهلية اللبنانية و موقف الدولتين العظميين 1975 - 1982

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية فرع العلاقات الدولية

٧
٥٠٩

إعداد :
حسين قادري

إشراف :
د. عبد العزيز جراد

جانفي 1990

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دور القوى الإقليمية (إسرائيل - سوريا - م.ت.ف) في الحرب الإقليمية اللبنانية وموقف الدولتين العظميين 1975-1982

مذكرة تقدم بها

حسين قادري

إلى

معهد العلوم السياسية بجامعة الجزائر

لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية

فرع العلاقات الدولية

جانفي 1990

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعضاء لجنة المناقشة

-1 .... رئيسا

-2 د. عبد العزيز جراد.................................. مقررا

-3 .... عضوا

-4 .... عضوا



جانفي 1990

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

بعد إنهاء هذا البحث بعون الله :

أتوجه بشكري وتقديري إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد العزيز جرادات لما بذله معي من جهد وتوجيه علمي كان له الأثر الواضح في إنجاز هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد - كل حسب تخصصه وإمكانياته - الشيء الذي أدى بهذا البحث إلى الخروج بالشكل الذي هو عليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى روح والدتي رحمها الله ،

والى والدي ، وابنائي :

طارق وسهام ..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محتويات البحث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن لبنان قبل نهاية الحرب العالمية الأولى على ما هو عليه حاليا (1)، سواء بحدوده أو بنظامه السياسي، بل كان كباقي أقاليم المنطقة تابعا للإمبراطورية العثمانية (2) مع إستقلال ذاتي للجبل منذ 1861، ومن بين مميزات لبنان أنه لظروف تاريخية وحضارية إستقرت عليه أقليات عديدة وصلت إلى أكثر من 17 طائفة دينية (3) مما أدى به في كثير من الأحيان إلى إحتضان نزاعات داخلية (4) شكلت الفرصة المناسبة للقوى الأجنبية للتدخل (5) (6) فيه ورسم معالمه الجغرافية والسياسية لم تكن لتقرب بين سكانه بقدر

---

(1) في 1920/9/1 أعلنت سلطات الإنتداب الفرنسي عن إنشاء دولة لبنان الكبير وذلك بضم الأقضية الأربعة وهي (صيدا ـ بيروت ـ طرابلس ـ البقاع) إلى جبل لبنان وهذا بعد إلحاح شديد من قبل المسيحيين خاصة، الشيء الذي قوبل بمعارضة الغالبية الإسلامية التي تطالب بالإنضمام إلى سوريا. أنظر: ماثيو زامير، "الكيان المسيحي ـ وجهة نظر صهيونية في نشوء لبنان الحديث"، ترجمة: سليم فارس، دار المروج، بيروت، 1986، ص 57-132.

(2) أنظر: ملحم قربان، "تاريخ لبنان السياسي ـ الجزء الأول ـ الإستقلال السياسي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 83-87.

(3) فيما يتعلق بهذه الطوائف أنظر: الفصل الأول من هذه الدراسة، أما فيما يتعلق بتعريف الطائفة الدينية فقد إختلفت الكتابات في تعريفها، على أنها تولي في مجملها أهمية خاصة للعامل الديني، ففي هذا السياق نورد تعريفين الأول يعتبرها (جماعة منظمة من الناس يمارسون معتقدا دينيا بوسائل وطرق وفنون معينة، إنها إذا تجمع ديني في الأصل والممارسة والغاية). أما التعريف الثاني فقد إعتبرها (إهتمام مجموعة دينية بممارسة عقائدها وشعائرها وتنظيم كيانها العائلي والإجتماعي، بل والإنساني، على أسس الدين أي علاقاتها بها مفهومة بشكل ومظاهر تختلف عن الآخرين بدون تنافس وبعيدا عن الأحقاد والمطامع). نقلا عن: ناصيف نصار، "نحو مجتمع جديد، مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي" دار الطليعة، بيروت، 1977، ص 135.

وعلى ذلك فإن للجماعة الطائفية مقومات وخصائص أهمها: إمكانية حصرها عدديا والمعتقد الديني المشترك بما يتضمنه من مؤسسات وكذا التنظيم الداخلي للطائفة، فضلا على أنها تهتم ليس بالجانب الديني فحسب بل وبالجانب التربوي، كما أنها تتحول مع تطور الزمن إلى قوة سياسية فاعلة لها ولاءات في الخارج حيث تحتك بمشايدتها خارج البلد الذي تتواجد فيه. نفس المرجع، ص 138.

(4) أهم هذه النزاعات حدثت في القرن الماضي في منطقة جبل لبنان، لمزيد من التفاصيل راجع: مسعود ضاهر، "الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية 1697-1861"، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981، ص531.

(5) كان الموارنة لفرنسا والروم الكاثوليك للنمسا والأرثوذكس لروسيا والدروز للانجليز، حيث وصف القنصل الفرنسي سنة 1041 هذا الوضع بأن ((القناصل في بيروت قد تبنوا ذهنية الطوائف في لبنان وسوريا، وأصبح كل منهم مصدر الوحي والتوجيه والإرشاد والحماية لطائفة معينة..)) نقلا عن: خالد قباني، "اللامركزية ومسألة تطبيقها في لبنان"، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 266.

(6) التدخل في القانون الدولي يعني تدخل من طرف دولة في شؤون دولة أخرى وذلك في سياستها الداخلية أو الخارجية على حد سواء من أجل التأثير في مسار هذه السياسة أو تلك. SCRUTON (Roger) "A Dictionary of poli- = tical thought", hill and wang new york, 1982, P.233.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ساهمت في وضع حواجز بينهم .

مع إندلاع الحرب العالمية الأولى ومشاركة الإمبراطورية العثمانية فيها ضد الحلفاء (1)، تمكن هؤلاء من إلحاق هزيمة بها ومن ثم الإستيلاء على الأراضي العربية التابعة لها ليفرض الإنتداب الفرنسي على لبنان، وهو الوضع الذي إستمر إلى غاية الحرب العالمية الثانية حيث كرس الإنتداب الفرنسي الفوارق الموجودة ودعمها في شكل نظام سياسي طائفي (2) لا يخدم إطلاقا المصلحة الوطنية اللبنانية وعموم المواطنين اللبنانيين .

مثل ما تميز لبنان بظاهرة التدخلات الأجنبية فقد كان إستقلاله إلى حد كبير نتيجة للتنافس الخارجي المتمثل خاصة في مساندة بريطانيا للتيار القومي العربي (3) من واقع مصالحها ضد الإمتيازات الفرنسية في المنطقة ، فكانت النتيجة الأولى لذلك أن إنتزع لبنان إستقلاله سنة 1943 ، على أن عدم تبنيه لتحولات سياسية وإجتماعية جذرية أبقاه بإستمرار محافظا على طابعه الطائفي وما يجلبه ذلك من تدخلات أجنبية بأشكال عديدة وعلى فترات مختلفة (4) ، هذه التركيبة التي أضحت من بين مميزاته في المنطقة .

= بتعبير آخر فالتدخل عبارة عن إقدام دولة على مساعدة أحد فريقين متصارعين في حرب أهلية دون أن يعتبر عملها دخولا في حالة حرب ، وهو بذلك يأخذ أشكالا عديدة قد يكون في صيغة إقتصادية أو عسكرية أو غيرها ، وعلى هذا فالقانون الدولي يدعو إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وفي ذلك صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1970.10 على قرار يعتبر عدم التدخل مبدء أساسي من مبادئ القانون الدولي ، وبالرغم من ذلك فإن الدول المتدخلة تحاول دائما إيجاد المبررات لتدخلها بالإستناد إلى مبادئ إنسانية أو لكون تدخلها تم بطلب من الدولة المتدخل فيها أو لتأمين إحترام القانون . عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، "موسوعة السياسة" ، الجزء الثالث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1983 ، ص 705 .

(1) الحلفاء : مصطلح أطلق على التحالف العسكري - السياسي بين فرنسا وبريطانيا وروسيا (والولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة لاحقة) في الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا والنمسا وهو الحلف الذي تكرر في الحرب العالمية الثانية في وجه دول المحور بقيادة ألمانيا .

(2) الطائفية بالشكل الأقرب إلى الوضع اللبناني هي ((نظام سياسي وإجتماعي متخلف يرتكز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية ، وتشكل مع غيرها من الطوائف الجسم السياسي للدولة أو الكيان السياسي وهو لاشك كيان ضعيف لأنه مكون من مجتمع تحكمه الإنقسامات العمودية التي تشق وحدته وتماسكه)) ، وما يتبع ذلك من حرمان الفرد لحقه في المساواة ، لأن الطائفية تتحكم في حياته الشخصية ووفقا لقوانينها وشرائعها الدينية حيث يقوم فيها رجال الدين بوظيفة الحكم والوسيط معا . نفس المرجع ، ص 745 .

(3) حول فترة الإنتداب الفرنسي على لبنان ومساهمة بريطانيا في إستقلاله أنظر : منير تقي الدين ، "لبنان ! .. ماذا هناك ؟" ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979 ، ص359 .

(4) راجع حول وضع لبنان الخاص : ملحم قربان ، مرجع سابق ، ص 48 ، 53 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع بداية الصراع العربي — الإسرائيلي أصبح لبنان جزءاً من هذا الصراع بحكم الموقع الجغرافي خاصة، فكان بذلك سباقاً إلى عقد هدنة مع إسرائيل بما يكفل له أمنه وسيادته (1)، على أن طبيعة الكفاح الفلسطيني وضرورة إستخدام كل الإمكانيات المتوفرة جعلت من لبنان مركزاً مهماً لهذا الكفاح خاصة بعد 1967، وهو ما شكل المبرر لدى إسرائيل لشن إعتداءاتها ضد لبنان (2) وفتحت لنفسها بذلك المجال للتدخل في هذا البلد بإستمرار.

من خلال ذلك فقد كان لبنان متأثراً إلى درجة كبيرة بما يجري حوله لينعكس نتاج الصراع العربي — الإسرائيلي بكل مراحله على أوضاعه الداخلية فأصبح الوجود العسكري الفلسطيني فيه يحظى بالشرعية بعد إتفاقية القاهرة لسنة 1969 (3)، كما أضحى محل الأطماع التوسعية الإسرائيلية وعامل جذب لسوريا.

هذا على الصعيد الإقليمي (4)، أما الدولي فبالإضافة إلى إهتمام بعض الدول العربية والأوروبية الغربية بلبنان من واقع قومي أو تاريخي أو ثقافي أو ديني، فإن الدولتين العظميين — في إطار التنافس الجاري بينهما كما

---

(1) درجت الكتابات العربية خاصة على تسمية إسرائيل (الكيان الإسرائيلي) أو (الكيان الصهيوني) كدليل منها على عدم الإعتراف بهذه الدولة العدوانية التوسعية وعلى إستمرار الصراع معها، على أن الإعتراف المصري بها ثم بداية التنازلي في مواقف بعض الدول العربية والحصار المضروب على الثورة الفلسطينية، هذه العوامل وغيرها مع مرور الوقت جعلت من إسرائيل حقيقة من الصعب إنكارها كدولة في المنطقة وهو ما تؤكده التحولات الحاصلة في الموقف الفلسطيني المجسدة في خطاب ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف يوم 13-12-1988. راجع النص الكامل لهذا الخطاب في: (شؤون فلسطينية)، العدد 190، جانفي 1989، ص 133-141.
وإذ يستخدم الباحث عبارة (إسرائيل) فليس بالضرورة إعترافاً بها كدولة تحترم القانون الدولي وحقوق الآخرين، بل لإنها واقع يجب التعامل معه كما هو، مع التطلع كي تستجيب للحقوق العربية والفلسطينية خاصة، وأن تتخلى عن أسلوب العدوان وإرهاب الدولة. أنظر حول الإرهاب: نبيل هادي "أمراء الإرهاب في الشرق الأوسط"، دار الفارابي، بيروت، 1985.

(2) نقصد بالعدوان هنا أن إسرائيل تستخدم القوة ضد شعب وأرض لبنان أي بما يمس السلامة الإقليمية وإستقلال هذا البلد، وهي مع ذلك تبرر أعمالها العدوانية بأنها دفاعاً عن النفس ضد الهجومات الفلسطينية المنطلقة من لبنان، دون أن تعطي أهمية لحقوق هذا الشعب أي مع تجاهل تام لحقه في تقرير مصيره والعودة إلى وطنه فلسطين. أنظر حول العدوان بالتفصيل: عدنان نشابة، "مسألة تعريف العدوان في نطاق الأمم المتحدة"، المعرفة، العدد 88، جوان 1969، ص 157-168.

(3) عقدت هذه الإتفاقية بمبادرة من جمال عبد الناصر، وهي تنظم الوجود العسكري ل م.ت.ف في هذا البلد للعمل من هناك ضد إسرائيل. أنظر نص هذه الإتفاقية في الملحق رقم 1 من هذه الدراسة.

(4) يستخدم الباحث هذا المصطلح للدلالة على التأثير الذي يأتي للبنان من المناطق المحاذية له مباشرة وبالتحديد التأثير الإسرائيلي والسوري والفلسطيني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو الشأن في أغلب مناطق العالم ـ لديهما إهتمام كبير بمنطقة الشرق الأوسط [1] ومن ثم بلبنان، إذ أن و.م.أ [2] تعمل بما يبعد الإتحاد السوفيتي من المنطقة بينما هذا الأخير يقوم بسياسة مضادة عبر أصدقائه .

في هذه الظروف إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في 1975 نتيجة حادثة عين الرمانة [3] بين أفراد من المقاومة الفلسطينية وحزب الكتائب اللبناني [4]، كي تتوسع بالتدريج إلى أغلب القوى اللبنانية ، و أصبحت بذلك القوى الخارجية تمتلك الفرصة للتدخل و التأثير في لبنان أكثر من السابق.

من ذلك فإن لهذه الدراسة أهمية بالغة لإعتبارات عديدة أهمها سياسية و أكاديمية ، فمن الناحية السياسية تعد الحرب الأهلية اللبنانية ومازالت (بحكم إستمرارها ولو لفترات متقطعة إلى يومنا هذا) إضافة إلى نتائجها المدمرة على الصعيد الداخلي و الخارجي بشريا وماديا، تعد إحدى المشاكل التي إستقطبت إهتمام قوى دولية عديدة دون التمكن من إيجاد الحل المناسب لها، بل طغت في كثير من الحالات على لب الصراع التقليدي الدائر في الشرق الأوسط ـ المشكل الفلسطيني ـ وهذا يوحي في مجمله بأن هذه الحرب في غاية من التعقيد وفي حاجة إلى تحليل وفهم ولو لجزء من مضامينها الحقيقية ، لما يشكله إستمرارها من تهديد ليس لوحدة لبنان و أمنه فحسب بل ولإستقرار المنطقة كلها.

---

(1) الشرق الأوسط مصطلح جغرافي وسياسي شاع إستعماله حديثا، سمي بذلك بحسب بعده وقربه عن أوروبا، على أنه في نفس الوقت يتوسط خريطة العالم بين مشرقها ومغربها جنوبها وشمالها، وبالرغم من ذيوع هذا المصطلح إلا أن الشرق الأوسط يظل ذلك الإقليم الصعب التحديد بصورة واضحة من حيث البداية و النهاية ؛ ونحن في إستعمالنا لهذا المصطلح إنما نقصد المنطقة الواقعة بين أطراف مصر وشرق المتوسط غربا وإيران شرقا وتركيا شمالا وشبه الجزيرة العربية جنوبا. حول مصطلح وحدود الشرق الأوسط و أهميته الإستراتيجية ، أنظر على سبيل المثال:
- محمد رياض، "الأصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط"، دار النهضة العربية ، بيروت، 1979، ص 291-435.
- LAMNOIS(Philippe),"le moyen-orient au xx°siecle-l orient désorienté",office des publications universitaire,Alger, 198?,PP.27.

(2) نقصد بذلك (الولايات المتحدة الأمريكية).

(3) راجع تفاصيل هذه الحادثة في: مركز الأبحاث و الدراسات و المحفوظات في دار الصياد، "وثيقة حرب لبنان"، الجزء الأول، دار الصياد، بيروت، 1977، ص 14.

(4) تأسس هذا الحزب في 1936، و إعترفت به الحكومة اللبنانية كتنظيم قانوني يحق له العمل في 1-12-1943، ليمر بثلاث مراحل أساسية من حيث أيديولوجيته وتنظيمه وهذا بحسب الأحداث السياسية التي مر بها لبنان. أنظر نفس المرجع، ص 498-501.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ناحية أخرى فإن هذه الدراسة لها أهمية أكاديمية ، بحيث ستساهم وبشكل واضح في تزويد المكتبة الجزائرية خاصة ببحث ميدانه لبنان وموضوعه دور القوى المجاورة له في حربه ، هذه الحرب التي في الواقع لم تنته بعد نتائج أخبارها يوميا حيث تدور في منطقة جغرافية إتسمت بالصراع ولازالت محل تنافس القوى العظمى، وهي بذلك تؤثر في العلاقات العربية والدولية إما سلبا أو إيجابا .

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على عدة أسئلة فرعية هي حصيلة الحرب الأهلية اللبنانية وتطورها ، فإندلاعها حدث بعد فترة وجيزة إتسمت فيها منطقة الشرق الأوسط بتحركات عسكرية ونشاط سياسي حثيث[1]، كما أنها جاءت عقب تغيير واضح في موازين القوى المحلية وبين الدولتين العظميين في المنطقة ، أما عن تطورها وإزدياد حدتها فقد صاحبها إهتمام كبير من قوى أجنبية جديدة عربية كانت أم غيرها ، الشيء الذي يثير تساؤلا رئيسيا[2] حول مكانة هذه القوى ليس في إندلاع الحرب اللبنانية فحسب بل الأهم هو دورها في تطور هذه الحرب، وهو ما نعتمده كإشكالية لبحثنا هذا .

ولما كان من الصعب الإلمام بكل المؤثرات الخارجية على الساحة اللبنانية لتعدد مصادرها وتفاوت درجة تأثيرها وإختلاف وسائلها فقد وقع إختيارنا على القوى الإقليمية ، أي إسرائيل وسوريا و م.ت.ف، وهي القوى التي تشترك في أن لها مؤيدين داخل لبنان زيادة على تأثيرها المباشر بوسائطها العسكرية في الحرب اللبنانية ، بحيث أن أي تسوية من الصعب تحقيقها دون إشراكها أو أخذ مصالحها في عين الإعتبار داخل لبنان، هذا مع دراسة لمواقف الدولتين العظميين، بعد التحليم بإنقسام العالم إلى معسكرين وتأثر أغلب النزاعات الدولية بذلك، وإن كانت درجات التأثير تتفاوت من نزاع لآخر ، إلا أن نزاع الشرق الأوسط يتأثر بدرجة كبيرة الأهمية.

---

(1) نعني بذلك حرب أكتوبر 1973 ، وما تلاها من مبادرات سياسية وخاصة أمريكية أدت إلى إتفاق سيناء في 1975 . راجع حول هذا الموضوع ما يلي :
- سعد الدين الشاذلي، "مذكرات حرب أكتوبر" ، الجزء الأول ، "68-1973" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 1983 .
- طاهر عبد الحكيم ، "حول حرب تشرين والتسوية الأمريكية " ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1976 .
- الهيثم الأيوبي ، "إتفاق فصل القوات الثاني في سيناء 1975 - دراسة تحليلية " ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1975 .
(2) آخرها تجلى في مساعي اللجنة الثلاثية العربية (المغرب — الجزائر — السعودية) ، المنبثقة عن القمة العربية بالمغرب في ماي 1989 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنطقة إستراتيجيا بالنسبة للدولتين العظميين.[1]

من خلال ذلك فإن المشكلة المطروحة تعد ظاهرة سياسية شائكة تستدعي من كل باحث فيها والمتعامل معها أن يحدد وفقا لأهدافه وقدراته أساليب التعامل والمعالجة التي سيتبعها وهذا في إطار ضوابط العلاقات الدولية المعمول بها.[2] فتأثير القوى الأجنبية في الحرب الأهلية اللبنانية يعد جوهر هذه الدراسة التي يمكن أن يكون التأثير الأجنبي هو سبب الحرب كما يمكن أن تكون هذه الحرب سببا في جلب الإهتمامات الأجنبية إليها.

لهذا فإن طبيعة وتنوع الدراسة هذه تستدعي منا للوصول إلى هدفنا إستخدام عدة مناهج،[3] في مقدمتها المنهج التاريخي نظرا إلى أننا في حاجة إلى العودة من حين لآخر للماضي الذي ساهم بدرجة كبيرة في صنع لبنان، وبالتالي يساهم في فهم واقعه الحالي نظرا لإرتباط الأحداث بعضها ببعض، كما أننا سنستخدم المنهج التحليلي الذي سيساعدنا على تفسير مواقف كل من القوى المؤثرة في الحرب اللبنانية في إطار المدة الزمنية المحددة في هذه الدراسة.

---

(1) تنبع هذه الأهمية مما تمتاز به المنطقة من إحتياطي ضخم من النفط، وما تشكله من ميدان تنافس لكسب ود وصداقة الأنظمة المحلية بعدما إكتسبت نفوذها المستقل في الشؤون الدولية، حيث أسلوب إخضاعها وإستغلالها كماضي السابق لم يعد يجدي. أنظر: بيتر مانغولد، "تدخل الدول العظمى في الشرق الأوسط"، ترجمة: أديب يوسف شيش، دار طلاس، دمشق، 1985، ص 33-44.

(2) تتميز العلاقات الدولية - التي تتحكم فيها الدول العظمى بدرجة كبيرة - بالتنافس والتسابق من أجل كسب مواقع إقتصادية وسياسية على حساب بعضها البعض، والضحية دائما الدول الضعيفة وشعوبها، ولقد لازم ذلك أن إمتلكت هذه الدول القوة العسكرية والإقتصادية فحتى وإن كانت غير مستعملة (كالسلاح النووي) فإن إمتلاكها له يظل ضروريا لردع الطرف الآخر بعدم اللجوء إلى الوسيلة التدميرية لحسم الخلافات المطروحة، كما يعد ذلك ضمانا لتبعية الدول الفقيرة أو الضعيفة لها وتخويفها للبعض الآخر، وهذا كله في ظل عدم إحترام القانون الدولي في أغلب الحالات، وبالتالي فما مراحل الإنفراج الدولي من حين لآخر سوى مراجعة لأوراق اللعبة الدولية وإعادة ترتيبها من جديد، فالسلام (ونعني به السلام الدائم أو شبه الدائم والذي يعتمد فيه على حل الخلافات الدولية بالطرق السياسية بعيدا عن أشكال العنف الإجتماعي أو التهديد بالعنف) فهذا السلام في سياق العلاقات الدولية الحالية إذا كان في غير صالح الدول العظمى وخاصة و.م.أ فإنه لايستقر طويلا لأنه وبكل بساطة سلام غير مرغوب فيه. أنظر في هذا المعنى: ج. ك. غالبرث، "سلام غير مرغوب فيه؟ تقرير عن فوائد الحروب"، ترجمة: محمد سميح السيد، دار طلاس، دمشق، 1984، ص151.

(3) حول مناهج العلاقات السياسية الدولية راجع: إسماعيل صبري مقلد، "العلاقات السياسية الدولية - دراسة في الأصول والنظريات"، منشورات دار السلاسل، الكويت، الطبعة الرابعة، 1985، ص 13-37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1)
مع ذلك تاتي أهمية المنهج السلوكي بإعتباره الأنسب لمساعدتنا على معرفة الدوافع التي أدت بالقوى المتدخلة في الحرب الأهلية اللبنانيسة للتدخل، بل ولمعرفة كيفية قيامها بذلك والوسائل المستخدمة سواء أكانت عسكرية أو سياسية أو إقتصادية، وعلى هذا فإن إتباع سلوك هذه القوى عبر سياستها الخارجية يجعلنا أقرب إلى فهم الواقع من إتباع المنهج القانوني مثلا وخاصة إذا تعلق الأمر بدراسة التدخل الإسرائيلي وهي الدولة التي لا تعطي أي أهمية للقانون الدولي أو للإعتبارات الإنسانية (2).

مع تطبيقنا لهذه المناهج إعتمدنا على مصادر هي على درجتين من الأهمية، فهناك المصادر الرئيسية والمصادر الثانوية، حيث تتمثل الأولى في الوثائق الرسمية من إتفاقيات وبيانات وخطب وتصريحات وهي كثيرة حاولنا التركيز على أهمها، أما الثانية فتتمثل في الكتب ومختلف الدراسات والمقالات، وهي في مجملها مصادر عملنا من خلالها على على معالجة دوافع القوى الإقليمية المتدخلة في لبنان ومدى مساهمتها في حربه الأهلية ضمن إطار المدة الزمنية كما هي محددة.

في سياق إعداد هذه الدراسة حاولنا الإلمام بأكبر قدر ممكن بموضوعها إعتمادا على ماجمعناه من مصادر ومعلومات كما إستفدنا من الزيارة التي قمنا بها إلى مركز التوثيق والمعلومات التابع لمقر الجامعة العربية في تونس، على أن ذلك بدوره لا يلغي وجود بعض الصعوبات التي إعترضتنا ونحن ننجز هذا البحث.

من الناحية الظاهرية تبدو الإشكالية اللبنانية معروفة بحكم تعايشنا معها من خلال سماع أخبارها يوميا منذ إندلاعها، على أن الواقع

---

(1) راجع حول المنهج السلوكي مايلي:

MERLE (marcel), "sociologie des relations internationales", Ed.dalloz, Paris, 1974, PP.71-92.

Michael (P.sullivan), "international relations; théories and evidence", prentice-hall inc engle wood clif, New jersey, 1976, P.252.

(2) أنظر في هذا الشأن: ي.ب.بلشنكو و كودريافيتسيف، "العدوان الإسرائيلي والقانون الدولي"، ترجمة: حكمت شبر، سلسلة دراسات فلسطينية، مطبعة الشعب، بغداد، 1972.

- تيسير النابلسي، "الإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية: دراسة لواقع الإحتلال الإسرائيلي في ضوء القانون الدولي العام"، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، الطبعة الثانية، 1981.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكاديمي يخالف ذلك بكثير، فضلاً على أن أغلب ما يصلنا من أخبار لا يعطي أهمية بالقدر الكافي للتأثيرات الخارجية فإن جل الكتابات التي إطلعنا عليها منحازة إما لطرف من أطراف الصراع الداخلي وإما لطرف من الأطراف الخارجية المتدخلة بشكل أو بآخر أو لكليهما .

أمام هذا الواقع فإنه من الصعب على الباحث أن يصل إلى نتيجة مؤكدة بل إن هذه الأخيرة تبقى شيئاً نسبياً يخضع ثبوتها أو زوالها لأدلة معلومة جديدة تكون أكثر صدقاً من تلك الموظفة في البحث مع بداية الأمر وهذا لسبب رئيسي يعود إلى حداثة الموضوع من الناحية الزمنية وإلى إستمرار الحرب إلى يومنا هذا، فإذا كانت فترة الدراسة (1975-1982) أصبحت ماضياً لواقعنا فإن إنعكاساتها ونتائجها مازالت إلى هذه الساعة تفرض نفسها .

هذه العوامل أعطت لموضوع دراستنا حساسية خاصة صعب من مهمة إتصالنا ببعض المؤسسات المعنية وفي حين إمتنعت السفارة اللبنانية بالجزائر من إستقبالنا، فإن الإتصال بالمراسلة ببعض المؤسسات الثقافية في لبنان تعذر في أغلب الأحيان.(1)

رغم هذه الصعوبات فقد صمم الباحث على إنجاز هذا البحث وإخراجه إلى الوجود بالشكل الذي هو عليه بعد سنوات من العمل المستمر، علّه يقدم بذلك مساهمة متواضعة وجديدة في ميدان البحث العلمي ببلادنا، فاتحاً بذلك المجال أمام بحوث أخرى تكون أكثر تفصيلاً وتحليلاً للتأثيرات الخارجية على لبنان وهو يمر بحرب أهلية .

إن خطة هذا البحث الذي هو تحت عنوان دور القوى الإقليمية (إسرائيل، سوريا، م.ت.ف) في الحرب الأهلية اللبنانية وموقف الدولتين العظميين 1975-1982، تشتمل على خمسة فصول مع مقدمة وخاتمة، وهي كما يلي:

بحكم أن لبنان يشكل ميدان الدراسة في إطار زمني معين فإن فهم دور القوى الإقليمية في حربه الأهلية يقتضي التعريف به من نواحي عديدة ليس لأن عوامله ومكوناته الذاتية لها دور في إندلاع حربه الأهلية فحسب ولكن لما تقدمه لنا هذه العوامل من فرصة لفهم المؤثرات الخارجية ،

---

(1) في هذا السياق إستغرقت مراسلة لنا من الجزائر إلى جامعة الكسليك في جونية بلبنان سنة تقريباً بين الذهاب والإياب، بدون فائدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه فإن التعرف لأهم خصائص لبنان ليس بهدف معرفتها في حد ذاتها بل بالقدر الذي يفيدنا في الإجابة على إشكالية هذا البحث، وذلك عبر تبيان موقعه الجغرافي وتركيبته السكانية وكذا تطوره الإقتصادي والسياسي. وهذا مايؤكده الفصل الأول من هذه الدراسة.

من أولى القوى الإقليمية المتدخلة بشكل مباشر وبقوة في لبنان نجد إسرائيل، فهي بإنتهاجها لسياسة عدوانية توسعية إنما لها نظرة خاصة إلى لبنان ولجنوبه بالذات، ومع تدخل سوريا في هذا الأخير وقوة نشاط الثورة الفلسطينية في هذا البلد رأت إسرائيل أن ذلك يشكل تهديدا لأمنها مما شكل مبررا لها للتدخل والتأثير في الأزمة اللبنانية ومساندة فريق مقسم في الأحداث الداخلية واضعة أمامها أهدافا هي في غاية من الأهمية يتعدى تأثيرها الساحة اللبنانية إلى المنطقة كلها، كما يتبين من الفصل الثاني من هذه الدراسة.

٤٠٦٥٤٠

إن السياسة الإسرائيلية في المنطقة والعوامل المشتركة التي جمعت وتجمع لبنان وسوريا جعلت هذه الأخيرة تهتم بما يجري في لبنان بإستمرار ومع إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية كانت سوريا السباقة من بين كل الأطراف الخارجية سواء أكانت عربية أم غيرها للقيام بمساعي حميدة لإنهاء النزاع اللبناني الداخلي، على أن إستفحال هذا النزاع وإعتماد أطرافه على قوى خارجية للحصول على المساعدات بما فيها إسرائيل، كان من بين الدوافع لها للتدخل عسكريا لحسم الموقف حتى وإن كان ذلك على حساب حلفائها التقليديين من منطلق قومي، وإتضح بذلك أن لها أهدافا ذاتية، فهي وإن واجهت إسرائيل عسكريا إلا أن ممارساتها كثيرا ما برهنت على تناقضاتها مع منطلقاتها النظرية، وتحولت مع ذلك في فترة من فترات الحرب الأهلية اللبنانية كخصم أول للحركة الوطنية اللبنانية المتحالفة مع الثورة الفلسطينية، وهذا هو موضوع الفصل الثالث من هذه الدراسة.

لقد تمكنت الثورة الفلسطينية من الإحراز على وجود شرعي لها في لبنان من خلال إتفاقية القاهرة لسنة 1969، ومع إستمرار معارضة فريق لبناني مهم لهذه الإتفاقية والمشكل في غالبيته من المسيحيين تمكنت م.ت.ف بالمقابل من كسب تأييد وعطف القوى الوطنية والتقدمية وأضحت بذلك عنصر إختلاف داخل لبنان، وبذلك وجدت م.ت.ف مع إندلاع الحرب اللبنانية،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأنها أمام خيارين: إما الخروج من لبنان وما يعنيه ذلك من تنازل وإضعاف للعمل العسكري تجاه عدوها، وإما البقاء في لبنان وما يعنيه ذلك من خطر داخلي عليها، وإذ هي إختارت وتمسكت بالخيار الثاني في ظل وجود أعداء، فإنما حكمت على نفسها بالمشاركة في النزاع اللبناني وهي المشاركة التي مرت بعدة فترات قبل أن تخرج من بيروت سنة 1982. كما يوضح ذلك الفصل الرابع من هذه الدراسة.

إن ماجرى في لبنان والدور الذي لعبته القوى المحلية في حربه الأهلية لم يكن بمعزل عن إهتمامات الدولتين العظميين، وعليه فإن موقف هاتين القوتين يؤخذ ضمن سياق سياستهما في المنطقة ككل وبالخصوص تجاه النزاع العربي - الإسرائيلي على أساس إختلاف إستراتيجيتهما وأهدافهما وكان بذلك لبنان ميدانا مصغرا لمنطقة الشرق الأوسط، ومن هنا لعب موقفهما من هذه الحرب وتطورها دورا لايستهان به، كما شكل موقفهما عاملا مهما في تحديد دور القوى الإقليمية في الحرب اللبنانية بين 1975-1982. أنظر الفصل الخامس من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كان فهم الحرب الأهلية اللبنانية المندلعة في سنة 1975 وتطورها يتوقف بدرجة كبيرة على معرفة الأسباب الحقيقية لإندلاعها فإن رصد دور القوى الإقليمية وتأثيرها في مجريات هذه الحرب يحتم التعريف بهذا البلد من نواحي عديدة بدءا بموقعه الجغرافي وتركيبته البشرية إلى نظاميه الإقتصادي والسياسي .

الملاحظ في هذه العناصر أنه يصعب الفصل بينها لأن كل واحد منها مكمل للآخر، فحتى وإن كان هناك تفاوت فيما بينهما في القوة فإنها تظل مجتمعة ضرورية ومهمة في الحياة الداخلية والخارجية للدولة .

بتعبير آخر فإن قوة لبنان أوضعفه يعود إلى مدى الترابط الإيجابي أو السلبي بين مجمل العناصر الإستراتيجية المكونة له ، فإذا كان موقعه الجغرافي ممتازا ويمتلك قوة بشرية متماسكة وفعالة وإقتصادا قويا متحررا ونظاما سياسيا متطورا ، فإن ذلك يبعد عنه الأخطار بنسبة أكبر على الصعيدين الداخلي والخارجي، أما إذا كان هناك ضعف أوخلل في هذه العناصر أو بعضها - بحسب أهميتها - فإن ذلك يؤدي إلى صعوبات داخلية وإزدياد الأطماع الخارجية من واقع إستغلال الضعف الحاصل في إمكانياته ونظمه لغرض الهيمنة والوصاية عليه لدوافع قد تكون إقتصادية أو سياسية أوغيرها سواء من قبل المحاذين لحدوده أو البعيدين عنه جغرافيا .

المبحث الأول : الموقع الجغرافي والتركيبة السكانية والإقتصادية .

المطلب الأول : الموقع الجغرافي .

يحظى الموقع الجغرافي لدى كثير من علماء الجيوبولتيك (1) بأهمية كبيرة لكونه يمثل عندهم الركيزة الأولى في تكوين قوة الدولة (2) ، وإذا كان هذا الإعتقاد مبالغا فيه نظرا لأهمية وضرورة توفر عناصر أخرى لتستكمل الدولة

(1) الجيوبولتيك هو علم تحليل العلاقات السياسية الدولية على ضوء التركيبة الجغرافية . محمد رياض، مرجع سابق، ص 65 . حيث إستعمل هذا اللفظ ز.ب.كيلين معتقدا بأن الأمم وحدات تتصارع للسيطرة على مواقع جغرافية جديدة ،ومن هنا جاء الألماني كارل هاوس هوفر بتعبير (المجال الحيوي) الذي إستعمله هتلر كمبرر لغزو أوروبا. أنظر : SCRUTON(roger),op.cit,P.187.

(2) أنظر : إسماعيل صبري مقلد ، مرجع سابق، ص 174-175 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوتها فإن الموقع الجغرافي يبقى على درجة كبيرة من الأهمية سواء في فترة السلم أو الحرب بالرغم من تقدم وسائل الإتصال في وقتنا هذا.

في هذا السياق فإن لبنان يقع في قلب منطقة الشرق الأوسط[1]، هذه المنطقة التي تتوسط قارات ثلاث آسيا وافريقيا وأوروبا فكان لها بذلك الشأن الأكبر في الحضارة الإنسانية قديما ولتلعب دورا رائدا في الوقت الحاضر سواء سياسيا أو إقتصاديا، فهي قبل كل شيء تزخر بإمكانيات طبيعية متنوعة وهائلة وتشرف على نقاط عبور التجارة الدولية خاصة البحرية منها، فأصبحت بذلك محل أطماع وتنافس القوى العظمى على الدوام[2].

من خلال ذلك إكتسب لبنان موقعا إستراتيجيا ممتازا حيث يحده من الجنوب إسرائيل بحدود يبلغ طولها حوالي 72 كلم بينما يحده من الشمال والشرق سوريا بطول يقدر ب 278 كلم، ليشكل البحر الأبيض المتوسط من الناحية الغربية المنفذ البحري الوحيد له، إذ يقدر طول ساحله بحوالي 220 كلم[3]، ونظرا لديمومة النشاط والحركة في هذا البحر من قبل مختلف الأساطيل على مدار السنة بكاملها في وقت السلم أو الحرب مما أعطى إيجابيات للبلدان المطلة عليه ومنها لبنان، فإن هذا الأخير توفر على إمكانية الإتصال بالعالم الخارجي بسهولة وخاصة بأوروبا وشمال افريقيا لقربهما منه بحرا.

تبلغ مساحة لبنان 10400 كلم مربع[4]، يتميز نصفها تقريبا بالطابع الجبلي، وهي تنقسم إلى أربعة أقاليم رئيسية متوازية مع الساحل، فمن الشرق إلى الغرب نجد أولا جبال لبنان الشرقية وهي تفصل لبنان عن سوريا، يليها سهل البقاع الخصيب وطوله يقدر بنحو 120 كلم وعرضه يتراوح بين 8 و15 كلم حيث يجري في شماله نهر العاصي متجها إلى سوريا كما يجري في جنوبه أكبر نهر في لبنان وهو الليطاني ليصب في البحر المتوسط

---

(1) أنظر: محمد رياض، مرجع سابق، ص 299.

(2) DJERAD(abdelaziz,Géostrategie du monde Arabe,"Revue Algerienne des sciences politiques et des relations internationales",N°0,1984,P.37.

(3) أنظر: أحمد عطية الله، "القاموس السياسي"، دار النهضة العربية القاهرة الطبعة الثالثة، 1969، ص 1047.

(4) يقدر البعض مساحة لبنان ب 10450 كلم مربع وهو في الحالتين يعد من أصغر بلدان العالم. Institut français de polémologie;"les crises du liban1958-1982,"Notes et études documentaire,N°4694-4695, 20-12-1982,P.13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مابين صور وصيدا، ويلي هذا السهل جبال لبنان الغربية حيث يصل إرتفاعها إلى نحو ثلاثة آلاف متر (1) وفيه تتواجد مصايف لبنان الشهيرة لتتجه منحدراته الغربية إلى السهل الساحلي وهو ضيق ولكنه خصب تزرع فيه الحمضيات والفواكه وتقع عليه عدة موانئ أهمها ميناء بيروت، طرابلس، البترون، صيدا وصور. (2)

بهذا الموقع ظل لبنان بوابة أساسية للبلدان العربية الواقعة في المناطق الداخلية كالأردن والعراق وسوريا قبل أن تطور هذه الأخيرة موانئها، كما إنعكست إيجابيات ذلك في مرور أنابيب البترول الآتية من بعض البلدان العربية النفطية لتنتهي على شواطئه، وأضحت العاصمة بيروت قاعدة جوية نشيطة وميناء عربيا كبيرا لمنطقة الشرق الخصيب (3) لتزداد أهميتها مع التسهيلات والإمتيازات الإقتصادية والثقافية الممنوحة لبعض الدول الغربية، فكان بذلك لبنان بلدا فريدا من نوعه في المنطقة.

مع مرور الوقت وظهور مستجدات في الشرق الأوسط أهمها قيام إسرائيل وإنتهاجها لسياسة عدوانية توسعية إزداد موقع لبنان أهمية حيث إستقر فيه عدد كبير من المهاجرين الفلسطينيين، كما إستفاد إقتصاديا حيث أن بيروت أضحت ثاني مركز تجاري عربي بعد الإسكندرية على إثر فقدان حيفا لأهميتها نهائيا كميناء عربي، لتصبح في المرتبة الأولى بعد إغلاق قناة السويس في حرب 1967، وتحولت بذلك بيروت إلى باب الشرق كبديل للدوران حول القارة الإفريقية. (4)

إذا كان الموقع الجغرافي قد أهل لبنان ويؤهله للمشاركة والتأثير إقليميا ودوليا، حيث يتوسط الكرة الأرضية أفقيا وعموديا في منطقة معتدلة مناخيا فإن ذلك من ناحية أخرى جلب إليه أنظار قوى دولية عديدة خاصة في فترات الحروب التقليدية أين تزداد أهمية السيطرة على المواقع الإستراتيجية والطرق الرئيسية للمرور، ذلك ماكشفت عنه الحربان

---

(1) أنظر: الخريطة "1" في الملحق رقم 7 من هذه الدراسة.
(2) أنظر: أحمد عطية الله، مرجع سابق، ص 1047.
(3) نقصد بها كل من سوريا والأردن والعراق.
(4) دافيد غليمور، "دروب الإنفجار- تاريخ سياسي للأزمة اللبنانية 1975-1985"، ترجمة: حسان يوسف، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص 20-21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعالميتان بين القوى الإستعمارية الأوروبية حيث إتضحت أطماع هذه القوى في الحصول على مواقع في منطقة الشرق الأوسط بما فيها لبنان[1]، بل وفي وقتنا الحالي أصبح بموقعه هذا يشكل مفتاح السلم والحرب في المنطقة بصفته المجال الحيوي لكل من سوريا وإسرائيل[2].

مما سبق يتبين بأن موقع لبنان إستراتيجي للغاية الشيء الذي دفع البعض للإعتقاد بأن ليس في لبنان من الخصائص الإستراتيجية سوى ما يتعلق بموقعه الجغرافي[3]، على أن ذلك وحده يظل غير كاف للحكم على قوته أو ضعفه فمن بين ما يجب أخذه في الحسبان تركيبته السكانية ومدى إنسجامها وتفاعلها.

المطلب الثاني: التركيبة السكانية.

تأتي أهمية دراسة السكان في لبنان ليس لمعرفة عددهم فحسب ولكن الأهم من ذلك مدى تماسكهم أو تفككهم، فكما قد يكون عددهم القليل عنصر قوة من خلال تلاحمهم وتجانسهم، فإن عددهم الكثير قد يكون بدون فائدة إذا هم كانوا منقسمين وغير متجانسين، والنتيجة التي نريدها في النهاية هو مدى مساهمة القوة البشرية والتركيبة السكانية اللبنانية في الحرب الأهلية الأخيرة ومن ثم في جلب التدخلات الخارجية إلى هذا البلد.

تجمع المصادر على أن آخر إحصاء رسمي للسكان اللبنانيين أجرى في عهد الإنتداب الفرنسي سنة 1932، وبعدها لم تقدم السلطات اللبنانية بأي إحصاء دقيق للسكان لأسباب سياسية[4]، فالإحصاء على أساس طائفي من شأنه أن يزيل الستار عن التناقض الموجود في توزيع المناصب السياسية والإدارية في مقابل الصورة الديموغرافية الحقيقية للبلد[5]، كما أنه في ظل إنعدام الثقة بين الطوائف فإن كل واحدة ستسعى للظهور بمظهر الأكثرية العددية مما يفسح المجال أمام التزويرات مادامت كثرة العدد قد تؤدي إلى مزايا

---

(1) ملحم قربان، مرجع سابق، ص 40-43.
(2) ملحم قربان، "تاريخ لبنان السياسي الحديث" الجزء الثالث (القسم الأول)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1979، ص 116.
(3) محمد كمال عبد الحميد "الشرق الأوسط في الميزان الإستراتيجي" دار القاهرة للطباعة، الطبعة الثانية، 1959، ص 227.
(4) أنظر: Institut Français de polémologie,op.cit,P.14.
(5) ESSIVA(Paul),chroniques du Tiers Monde,Rwanda,Jérusalem, Gaza,Liban,Jourdanie",éditions universitaires fribourg, Suisse,1981,P.248.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسية وإدارية ومن ثم إقتصادية وإجتماعية .

إن القول بذلك لاينفي وجود بعض المحاولات المعتمدة أساسا على المسح بالعينة أومن خلال توزيع الإعانة والضرائب وهي كلها مبنية على التقديرات النظرية ،من ذلك ماقام به الخبير الإقتصادي جيب الذي كلفته الحكومة اللبنانية للقيام بإحصاء لتحديد ركائز الإقتصاد اللبناني[1]،حيث توصل في تقريره النهائي سنة 1948 إلى أن عدد سكان لبنان يبلغ 1064000 نسمة ،وهو ما إعتبره البعض قريب من الدقة العلمية لأنه يقارب الإحصاء الصادر عن كتاب المؤتمر الثقافي العربي الأول لسنة 1944 إذ ينقص إحصاء هذا الأخير عن إحصاء بعثة جيب بحوالي ثلاثة آلاف نسمة[2] .

مع مرور الوقت والزيادة الطبيعية لسكان لبنان ودخول اللاجئين الفلسطينيين وكثير من الأجانب،ظل الإحصاء يشمل كثير من المهاجرين اللبنانيين الذين إستقروا في الخارج وكسبوا جنسيات هناك كما ظل يشمل آلاف اللبنانيين الذين توفوا ولم تسجل أسماؤهم في سجلات الوفيات، مما يعني أن الإحصاء في لبنان يحتوي على عنصر كبير من الريبة والشك[3] بحيث يصبح من غير المجدي تقديم تعديل دقيق للإحصاء السابق للحصول على إحصاء جديد[4] .

من خلال ذلك فقد إختلفت التقديرات وتباينت حول عدد سكان لبنان مع إندلاع حربه الأهلية سنة 1975[5]،فهناك من قدرها ب 2720000 نسمة وهناك من قدرها ب 2550000 نسمة[6] ، ليصبح العدد في 1980 حوالي 3360000 نسمة[7] .
نستخلص من هذه الإحصائيات المتباينة وفي ظل غياب إحصاء رسمي ودقيق[8]

---

(1)خبير إقتصادي كلفته الحكومة اللبنانية الأولى بمهمة تحديد ركائز الإقتصاد اللبناني وإقتراح الحلول المناسبة له ،حيث قدمت البعثة التي ترأسها تقريرها سنة 1948 ، معتمدة في إحصائها على إحصاء الميرة وتوزيع الإعاشة والضرائب لسنة (1943-1944)حيث توصلت إلى نتائج أقرب ماتكون إلى الدقة . أنظر: مسعود ضاهر: "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة "، معهد الإنماء العربي، بيروت،1977، ص 9 .
(2) نفس المرجع، ص 9-10 .
(3)على سبيل المثال دل إحصاء مبني على المسح بالعينة في أواخر سنة 1964 بأن عدد سكان لبنان يبلغ 2179634 نسمة ، مع التسليم بأن هناك خطأ لايقل عن 8٪ . أنظر: يوسف عبد الله صايغ، "إقتصادات العالم العربي - التنمية منذ العام 1945" الجزء الأول "البلدان العربية الآسيوية "، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 451 .
(4)(5)نفس المرجع، ص 451-452 .
(6) Institut français de polémologie,op.cit,P.14.
(7) أنظر: LANNOIS(Philippe),op.cit,P.21.
(8)سنأتي لذكر أسباب ذلك عند التطرق للتوزيع الطائفي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأن المجالات مفتوحة أمام كل التقديرات والإجتهادات الفردية، بما يعني أن الإحصاء لايأتي مطابقا للواقع الحقيقي بل كما أريد له أن يكون، ومن هنا تطرح عدة صعوبات أهمها عدم المعرفة الحقيقية للدخل السنوي للفرد ومن ثم التقسيم الحقيقي للسكان من ناحية السن والجنس بل وتوزيعهم على التراب الوطني.

إن ذلك يدفعنا إلى الإعتماد على تقرير بعثة جيب، خاصة وأن لبنان وباستثناء دخول الفلسطينيين لم يشهد أحداثا من شأنها أن تقلب موازينه الديموغرافية، هذا مع الإفتراض بأن الزيادة السكانية تراوحت مابين 2،5 و 2،7 خلال فترة 1950-1975 (1)، وعليه تورد توزيع سكان لبنان حسب السن ضمن الجدول التالي: (2)

أقسام السن	عدد السكان	النسبة %
حتى سن الرابعة	148000	%14
من 5 - 11 سنة	170000	%16
من 12-20 سنة	213000	%20
من 21-50 سنة	393000	%37
من 51-65 سنة	096000	%09
من 66 سنة ومافوق	043000	%04

هذا فيما يتعلق بالتوزيع حسب السن، أما فيما يتعلق بتوزيعهم على التراب اللبناني فإن المتحكم في ذلك هو جملة من العوامل منها الطبيعية والإقتصادية والتاريخية وكذا الحضارية والثقافية (3)، بمعنى أن الشخص لايختار دائما بمحض رغبته وإرادته مركز سكونه ونشاطه، بل إن الظروف والحاجة في كثير من الأحيان تملي عليه السكون في منطقة ما على حساب منطقة أخرى هو ربما يتمنى العيش فيها، ولكونه لايستطيع تحقيق أهدافه فيها أو لأسباب أخرى فإنه يظل بعيدا عنها، الشيء الذي يفسر الإنتقال الدائم للسكان جماعات أو أفرادا من منطقة لأخرى.

---

(1) يوسف عبد الله صايغ، مرجع سابق، ص 454.

(2) الجدول مأخوذ عن تقرير بعثة جيب، أنظر: مسعود ضاهر، "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة"، مرجع سابق، ص 11.

(3) راجع في هذا الشأن: يسري الجوهري، "جغرافية السكان"، دار المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1976، ص 563.

- فتحي محمد أبو عيانة، "جغرافية السكان- أساسها الديموغرافية العامة"، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1977، ص 73.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذا المنطلق نتطرق إلى توزيع السكان في لبنان من زاويتين التوزيع على المناطق الجغرافية ثم التوزيع على أساس طائفي لأهمية التركيبة الطائفية في المجتمع اللبناني.

أولا : توزيع السكان على أهم المناطق اللبنانية.

حسب تقرير بعثة (جيب) فإن سكان لبنان يتوزعون على المحافظات الخمس بالشكل التالي (1) :—

المحافظات اللبنانية	عدد سكان كل محافظة	نسبة عدد السكان في كل محافظة لمجموع السكان	عدد السكان في كلم في كل محافظة
بيروت	237000	%22	13000 في كلم2
جبل لبنان	272000	%26	00139
شمال لبنان	227000	%21	" " 00116
جنوب لبنان	170000	%16	" " 00083
البقاع	158000	%15	" " 00036

من هذا الجدول وبالنظر إلى مساحة لبنان نستخلص بأن عدد السكان في كلم2 يبلغ 102 شخص في سنة 1944، وإذا ما علمنا بأن عدد سكان لبنان في سنة 1975 هو 2،5 مليون نسمة كرقم وسط للإحصائيات المتباينة السابقة الذكر فإن نسبة الكثافة السكانية في الكلم2 في السنة الأولى للحرب هي 239 شخص.

أما فيما يتعلق بتوزيعهم بين المدن والريف فقد دلت نتائج نفس البعثة السابقة الذكر على أنها كما يلي (2) :—

المحافظات	المدن وعدد سكانها	النسبة المئوية	عدد سكان الريف	النسبة المئوية
بيروت	بيروت 237000	%100	—	—
جبل لبنان	ليس فيه مدن كبرى		272000	%100
لبنان الشمالي	طرابلس 72000	%32	155000	%68
لبنان الجنوبي	صيدا 18000 صور 9000	%16	143000	%84
البقاع	زحلة 21000	%13	137000	%87

(1) (2) نقلا عن : مسعود ضاهر، "لبنان - الإستقلال، الميثاق والصيغة"، مرجع سابق، ص 9 - 11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالرغم من أن المطالبة بإجراء إحصاء جديد على أساس طائفي قبل حصول إنقسام كل الطوائف الإسلامية بالخصوص نظرا لتزايد عددهم، فإن الحكومات اللبنانية المتعاقبة إمتنعت عن القيام بذلك وهو ما سارت عليه حكومة جيب مع بداية الإستقلال للهروب من الواقع المستجد، كما قد يكون ذلك بدافع إلغاء الطائفية مستقبلا كما يفهم من الوعود التي أطلقتها حكومة الإستقلال الأولى[1]، على أن البعض يرجع سبب الإمتناع عن إجراء إحصاء طائفي إلى ما يشكله ذلك من (ساحة مناهضة لأصحاب الإمتيازات الطائفية، فمن ضمن المقدسات اللبنانية التي لا تمس الإحصائيات القديمة وخاصة عن تعداد السكان والأوضاع الإجتماعية للطوائف)[2]، أي لتفادي وضع جديد يكون فيه الحكم عاجزا عن مسايرة متطلباته السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

سرعان ما دلت المراحل اللاحقة عن سلبية الإحصائيات القائمة على التقسيم الطائفي في لبنان، حيث أن كل طائفة وخاصة أهمها تجتهد للظهور بمظهر الأكثرية العددية وليس أدل على ذلك من الأرقام التي برزت إبان إنعقاد لجنة الحوار الوطني من أجل إحداث إصلاح سياسي وإجتماعي وإقتصادي في لبنان سنة 1975، أين قدمت ورقة قيل أن مصدرها الإمام موسى الصدر[3]، جاء فيها بأن عدد اللبنانيين يبلغ 2087000 نسمة مع إعتبار أن الشيعة يشكلون الأغلبية وعددهم 970000 نسمة بينما الموارنة يبلغ تعدادهم 442000 نسمة، وهو ما أثار رد فعل حزب الكتائب الذي قدم إحصاء مضادا حدد فيه سكان لبنان بـ 2223000 نسمة مع إعتبار بأن الموارنة في المرتبة الأولى

---

(1) من بين ما جاء في هذا السياق: (أن الساعة التي يمكن فيها إلغاء الطائفية هي ساعة وطنية شاملة مباركة في تاريخ لبنان وسنسعى لكي تكون هذه الساعة قريبة بإذن الله). نقلا عن: ملحم قربان، "تاريخ لبنان السياسي الحديث" الجزء الثاني "بناء دولة الإستقلال" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ص 311.

(2) نقلا عن: سليمان تقي الدين، "التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية 1920 - 1970، مقدمات الحرب الأهلية"، دار ابن خلدون، بيروت، 1977، ص 27.

(3) الإمام موسى الصدر من مواليد 1928، تخرج من كلية الحقوق في طهران وتابع دراسته الدينية كذلك في إيران، إنتقل إلى صور بجنوب لبنان سنة 1960 أين أسس عدة جمعيات للعمل الديني والإجتماعي، إنتخب رئيسا لأول مجلس للطائفة الشيعية سنة 1969 ليتم فيما بعد مبايعته كرئيس دائم لهذا المجلس، ومن أهم نشاطاته تكوين (حركة المحرومين) إذ تتكفل بالدفاع عن حقوق أبناء الطائفة الشيعية في لبنان، بحكم أنها بقيت محرومة سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا، وفي ظل تطور الحرب الأهلية أعلن الإمام موسى الصدر عن إنشاء حركة (أمل) في 29-3-1975، وكوسيلة للدفاع عن طائفته أعلن في 6 جويلية عن ولادة تنظيم عسكري عرف بـ (أفواج المقاومة اللبنانية - أمل). فكان له بذلك دور بارز في الحرب الأهلية اللبنانية سياسيا وعسكريا قبل أن يختفي في ظروف غامضة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـ 557000 نسمة والشيعة في المرتبة الثانية والسنة في المرتبة الثالثة.(1)

مما يستخلص من هذا التباين أن الإحصائيات تنطلق من التحيز الطائفي لغرض سياسي، فإذا كان الإحصاء الذي نسب إلى الإمام موسى الصدر يهدف إلى التأكيد بأن الموارنة لم يعودوا يشكلون الأغلبية مما يحتم إعادة النظر في قانون الإنتخاب ومن ثم في توزيع المناصب السياسية والإدارية العليا، فإن إحصاء الكتائب يهدف إلى التأكيد بأن الموارنة مازالوا عدديا في مقدمة كل الطوائف وبالتالي المحافظة على الأمر الواقع، كما يعني ذلك أن الخلل الحاصل هو بين الشيعة والسنة، وبالتالي إذا قدر إعادة النظر في توزيع المناصب فإنه يبقى محصورا في الإطار الإسلامي بمعنى من حق الشيعة أخذ منصب رئاسة الوزراء لتعطى رئاسة المجلس النيابي للطائفة السنية التي أصبحت تحتل المرتبة الثالثة بخلاف العهد الأول للإستقلال.(2)

بعيدا عن هذا التباين فقد دلت تقديرات مرحلة الحرب اللبنانية الأخيرة(3) بأنه يتواجد في لبنان مالا يقل عن 17 طائفة، واحدة يهودية وهي صغيرة الحجم والباقي موزع بين المسيحيين بإحدى عشر طائفة والمسلمين بخمسة طوائف موزعة بالشكل التالي:(4)

(1) الطوائف المسيحية:

(أ) الطائفة المارونية: وتمثل 23% من السكان، وهي الأهم في الطوائف المسيحية من ناحية العدد والنفوذ، إذ تتمركز خاصة في جبل لبنان.

(ب) طائفة الروم الأرثوذكس: وتمثل 12% من السكان وهي في غالبيتها متمدنة، أي تقطن المدن.

(ج) طائفة الروم الكاثوليك: وتمثل 06% من السكان، تتوزع في غالبيتها على بيروت وزحلة وضواحي صيدا.

---

(1) مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص345.

(2) الملاحظ في هذا السياق أنه ليس في الأدبيات السياسية للبنان أي إلتزام من هذا القبيل أي إحتلال المناصب بحسب حجم السكان وإنما تم ذلك في عهد الإنتداب الفرنسي مع بداية تشكيل لبنان وتكريس ذلك في بداية الإستقلال، ليبقى ذلك عرفا بين اللبنانيين دون أن يعني هذا بالضرورة أن النسبة السكانية لتلك الفترة ستبقى نفسها في الفترات اللاحقة وإلا كنا بصدد التغيير في كل مرة وهو مالم يتم بحيث الرئاسة ظلت تمنح للموارنة ورئاسة الوزراء للسنة ورئاسة البرلمان للشيعة.

(3) نقصد بها الحرب الأهلية المندلعة سنة 1975، وما الأوضاع التي يمر بها لبنان حاليا إلا إستمرار لهذه الحرب التي لم تنتهي بعد وإن كانت مرت بفترات مختلفة إلا أن دلائل الأزمة ظلت مستمرة.

(4) Institut français de polémologie, op.cit, P.19-20.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(د) الطائفتان الأرمينية الأرثوذوكسية والأرمينية الكاثوليكية : تمثلان 6% من السكان وهما نتيجتا الهجرة بسبب الحرب العالمية الأولى إذ تتمركزان في بيروت وضواحيها.

(و) الطوائف المسيحية المتبقية وهي قليلة في حجمها وتأثيرها كالبروتيستانتية والسريانية الكاثوليكية واللاتينية ... الخ .

(2) الطوائف الإسلامية :

(أ) الطائفة الشيعية : تمثل 24% من مجموع السكان، تتوزع بين جنوب لبنان وسهل البقاع.

(ب) الطائفة السنية : تمثل 21% من مجموع السكان، وهي عريقة التحضر يتمركز غالبية أفرادها في بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبعلبك.

(ج) الطائفة الدرزية :تمثل 6% من مجموع السكان وتتمركز بالخصوص في منطقتي الشوف ووسط جبل لبنان.

(د) الطائفتان العلوية والإسماعيلية :قليلتا العدد والنفوذ .

مايلاحظ في توزيع الطوائف على التراب اللبناني أنه ليس هناك من منطقة أومدينة حكرا بالكامل على طائفة واحدة فحسب وهذا منذ القديم، فإذا كان الطابع المميز لمنطقة ما هو أكثرية طائفية معينة فهذا لا يلغي وجود أقليات من بعض أو كل الطوائف الأخرى كما هو الشأن في جبل لبنان، حيث الموارنة يشكلون الأغلبية مع أنه يشتمل على الدروز وأقليات من كل الطوائف الأخرى.(1)

لم يكن توزيع الطوائف اللبنانية بالشكل المذكور نتيجة مرحلة زمنية معينة ولانتاج تأثير عامل من العوامل على حدة، بل يعود ذلك إلى فترات تاريخية عديدة كما يعود إلى جملة من العوامل هي في غاية من التعقيد،(2)

---

(1) حول مقارنة نسبة الطوائف بين جبل لبنان ولبنان الكبير لسنوات 1911، 1921، 1932. أنظر: ماشير زامير، مرجع سابق، ص 135.

(2) أهم هذه العوامل المؤثرة تتمثل في إختلاف أصول الطوائف، فمنها ما يعود إلى المسيحية الأولى ذات الطابع الشرقي المميز أو إلى العناصر الأولى والجذع الروماني البيزنطي، ومنها مايعود إلى التراث الفارسي والحركات الباطنية الإسلامية أو المتفتحة على التيارات الفكرية والحضارية، بل فيها ما هو مزيج بين التيارات السابقة كالصوفية الإسلامية المتفاعلة مع التراث الإيراني واليوناني والروماني. أنظر: سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص 15. بالإضافة إلى ذلك هناك مؤثرات

ونتيجتها أنها جعلت الطوائف اللبنانية تعيش في صراع مستمر ليس على حفظ مصالحها فحسب بل وعلى مميزاتها الخاصة التي تميزكل واحدة عن الأخرى كطريقة لحفظ ذاتها من الذوبان، وهو ماكان يعطل عملية الإندماج الكلي فيما بينها لتظل شبه أجسام غريبة بعضها عن البعض جعلت كمال جنبلاط (1) يعتقد بأن هذه التعددية الدينية والطائفية والسياسية جعلت لبنان عبارة عن تجمع فسيفسائي. (2)

يؤدي التوزيع السكاني القائم على أساس طائفي مثل ما هو في لبنان إلى القول بأن هذا الأخير بلد غير متجانس في تركيبته البشرية (3)، فهو وإن أدى تنوعه من الناحية السكانية وما يحملونه من مميزات إلى إزدهاره في مجالات عديدة وخاصة في مراحل التماسك الداخلي والوحدة بسبب تكاثر مصادر ثروته الروحية والفكرية وتعدد قيمه، فإنه في مراحل النزاع والفتنة سرعان مايتحول هذا التعدد إلى مصدر للبؤس والإنحلال بسبب تصادم مركباته الكثيرة وسرعة تداعي مقومات تكوينه وليس أدل على ذلك من

= تعود إلى فترة الحكم العثماني والخوف الذي لازم المسيحيين، الموارنة بالخصوص حيث إندلعت الحروب الأهلية وتدخلت قوى خارجية ليؤثر بعدها الإنتداب الفرنسي على توزيع الطوائف من خلال تأسيس لبنان الكبير وخروج المسيحيين بأعداد كبيرة من الجبل الضيق إلى المناطق الساحلية حيث العاصمة بيروت بينما تمسك المسلمون بمناطقهم الأهلية. أنظر: ماكيير زامير، مرجع سابق، ص 160-162.

(1) شخصية لبنانية بارزة، أسس الحزب التقدمي الإشتراكي في مطلع مـارس 1949، من مبادئه الوقوف بجانب العمال والدعوة لحرية الصحافة وتعميم التعليم وإلغاء الألقاب الطبقية، كما نادى بالحياد ووقف ضد حلف بغداد وطد علاقاته ب جمال عبد الناصر وحزب البعث ودعى إلى مساندة المغرب العربي ضد الإستعمار الفرنسي، شارك في حكومة رشيد كرامي سنة 1970 كما إنتخب أمينا عاما للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية، ورئيسا للحركة الوطنية اللبنانية، فكان له بذلك دورا بارزا في الحرب الأهلية في بدايتها (75-1976) قبل أن يغتال في 16-3-1977، ليخلفه إبنه وليد جنبلاط في قيادة الحزب الإشتراكي. حول أفكار وفلسفة كمال جنبلاط، أنظر: نبيل هادي، "كمال جنبلاط- التحدي الكبير"، دار الفرابي، بيروت، الطبعة الثانية، بدون سنة.

— عفيف فراج، "كمال جنبلاط- جدلية المثالي والواقعي"، دار إبن خلدون، بيروت، 1977.

(2) نقلا عن: سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص 15.

(3) يعني ذلك عدم إنسجام الطوائف فيما بينها ومن ثم السكان ليس نتيجة إختلاف الطقوس الدينية بين المسلمين والمسيحيين فحسب بل يرجع إلى داخل كل فريق ومايعنيه ذلك من إختلاف في مظاهر السلوك الإجتماعي للطوائف وفي إتجاهاتها الأيديولوجية التي كرستها تعدد الثقافات والأديان والرواسب القبلية إلى الحد الذي إعتقد معه البعض بوجود تعددية حضارية وأن لكل مجموعة دينية شخصيتها وتاريخها وبالتالي لها كل الحق في المحافظة على هذه المميزات. أنظر: النص الكامل لمشروع الجبهة اللبنانية في: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، "وثائق الحرب اللبنانية (1982-1983-1984) سنوات في ظل الإحتلال الإسرائيلي"، بيروت، 1984، ص 241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب الأهلية الدائرة فيه منذ سنوات.

يتعلق ذلك بالصعيد الداخلي، أما إنعكاس ذلك على الصعيد الخارجي فقد شكلت التعددية الطائفية في لبنان مبررا مناسبا لقوى خارجية بإسم حماية الأقليات الدينية مهما كان حجمها، مكنها من التدخل في لبنان، وظل هذا الأخير أسير التبعية الأجنبية الصانعة لأحداثه المبارزة على مر الفترات التاريخية.(1)

مما سبق يتضح بأن التعدد الطائفي يوحي بأن الشعب اللبناني لم يكن في السابق أمة واعية لكياناتها موحدة في أهدافها وإنما مجموعة من الطوائف جمع بينها حلف هو أقرب ما يكون إلى العقد الإجتماعي،(2) وفي ظل الإختلاف المستمر بين الطوائف يتأكد هذا الإعتقاد ليس على الماضي فحسب بل ومستقبلا الشيء الذي يجعل الفرصة قائمة بإستمرار أمام القوى الخارجية لإستغلال الأزمة المزمنة والتدخل بما يخدم مصالحها وخاصة في فترة أضحت فيها الطوائف اللبنانية مشكلة ضمن قوى وأحزاب سياسية لها برامج متباينة بل ومتناقضة وتحتكم إلى وسيلة السلاح لحسم إختلافاتها.

إن القول بأن للتركيبة البشرية الطائفية دور في الحرب الأهلية الأخيرة لايعني إنعدام مؤشرات أخرى، فمن بين هذه المؤشرات نجد الوضعية الإقتصادية التي مر بها لبنان منذ الإستقلال إلى اليوم وهي لاتقل أهمية في توضيح الظروف التي إندلعت فيها الحرب اللبنانية لتستمر لسنوات.

المطلب الثالث: الوضع الإقتصادي للبنان قبيل 1975.

شكل البلدان المستعمرة ورث لبنان عن الإنتداب الفرنسي وضعا إقتصاديا ايجابيا في كل القطاعات، حيث حرصت سلطات الإنتداب كأولوية لاتقبل التأخير على إلحاق الإقتصاد اللبناني وربطه بالإقتصاد الفرنسي بتشجيعها للقطاعات التي تعود عليها بالفائدة بالدرجة الأولى، ففي ما

---

(1) في القرن الماضي أثرت فيه الدول الأوروبية، وفي 1920 فرنسا، وفي 1943 بريطانيا فبعض البلدان العربية، وفي 1958 و.م.أ. ثم أطراف عديدية في الحرب الأخيرة، ليتأكد بأن ((معضلة لبنان الأولى هي غياب الوحدة العضوية ... التي تتجاوز بمفهومها ونتائجها الوضع الفسيفسائي الراهن بكل مايضج به من طوائف وفئات.)). عصام نعمان، في: نخبة من رجال الفكر، "النظام السياسي الأفضل للإنماء في العالم الثالث (لبنان والدول العربية)"، ندوة الدراسات الإنمائية، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، 1971، ص 40.

(2) كمال الصليبي، "تاريخ لبنان الحديث"، دار النهار للنشر، بيروت، 1967، ص 27-28.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتعلق بالقطاع الفلاحي تم التركيز على الإنتاج السلعي الذي وإن كان قديما في جبل لبنان إلا أنه إزدهر أكثر ليبلغ 90% من الإنتاج الزراعي، بمعنى أن الزراعة اللبنانية أصبحت تابعة للسوق الرأسمالية وهي بذلك تزدهر حسبما لحاجات هذه السوق، فسرعان ما تضمحل إذا قل عليها الطلب دون مراعاة بأن القطاع الفلاحي يؤمن المعيشة لثلثي سكان هذا البلد.(1)

سارت الفلاحة اللبنانية في تدهور مستمر إبان عهد الإنتداب ليزداد تأخرها إبان الحرب العالمية الثانية(2)، أما فيما يتعلق بالقطاع الصناعي فبالإضافة إلى وجود بعض الصناعات الصغيرة في السابق فقد شهد هذا القطاع نموا نسبيا في عهد الإنتداب نتيجة توظيف رساميل جديدة من قبل اللبنانيين لبناء صناعة متطورة تتجاوز الأشكال القديمة، على أن هذا القطاع ظل بدوره يشكو من عدم الحماية يتعرض لمضايقة ومنافسة شديدة من قبل السلع الأجنبية، بمعنى أن سياسة الإنتداب ما كانت لتسمح بتطور صناعة لبنانية إلا في حيز تبعيتها للرساميل والأسواق الفرنسية بالذات، وبذلك أصابها الركود والإفلاسات المتكررة أرغم كثيرا من المؤسسات الصناعية على غلق أبوابها مع مطلع سنة 1939، مع الإشارة إلى أنها عادت إلى النشاط بقوة مستغلة ظروف الحرب العالمية الثانية.(3)

في ظل عدم تشجيع سلطات الإنتداب للقطاعات الإنتاجية في لبنان أعطيت أهمية كبيرة لقطاع الخدمات وخاصة للتجارة بما يتماشى والسياسة الليبرالية في إزالة كل العراقيل وإفساح المجال أمام تحرك منتوجاته ورساميلـــه

---

(1) مسعود ضاهر، "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة" مرجع سابق، ص 14-17.

(2) فضلا على تحكم الإقطاعيين في غالبية الأراضي الفلاحية مما يعني وجود إنقسام حاد في الريف اللبناني، فإن الإنتاج الزراعي لم يكن بحالة كافية من النمو تسمح لها بالإستفادة من ظروف الحرب حيث كثر الطلب على المواد الغذائية بالخصوص، وما زاد من ذلك هو مصادرة المحبوب من المزارعين لغرض إرسالها إلى جبهات القتال، وهذا في ظل إرتفاع الضرائب وتوظيف الأرباح في قطاعات تجارية وهجرة الفلاحين بعد أن كان هذا القطاع قبل الحرب العالمية الثانية يعيل أكثر من مليون نسمة. أنظر نفس المرجع، ص 89-91.

(3) لم تتمكن الصناعة اللبنانية التحرر من سلبيات السوق الرأسمالية إلا في فترة الحرب العالمية الثانية نظرا لإغلاق الطرق التجارية البحرية وندرة صادرات الدول الصناعية الكبرى حيث الأولوية تستند على توجيه مواردها المنتجة إلى القوات العسكرية المرابطة، وهي الظروف التي منحت الفرصة للصناعة اللبنانية كي تنشط فتطورت الصناعات القديمة ونشأت صناعات جديدة وتمكن هذا القطاع من جني أرباح هائلة خلال سنوات 1940-1945 بعد تراجع مكانة قطاع الخدمات. أنظر نفس المرجع، ص 33-34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في لبنان، فقد كانت تتحرك بما يحقق لها المزيد من الثراء على حساب المنتوجات المحلية فكان من مصلحتها تطوير مطار ومرفأ بيروت لإستقبال السلع من كافة الجنسيات وتبعث إلى كافة المناطق[1]، ومع إنتهاء الحرب العالمية الثانية وفتح الطرق التجارية أصبح لبنان مهيئا أكثر من السابق للقيام بدور الوسيط بين المنتوجات الغربية المتقدمة والأسواق العربية الواسعة نسبيا.

إذا كانت فترة الإنتداب الفرنسي على لبنان لم تسمح بنمو القطاعات الإنتاجية فإنها أعطت الفرصة للأقلية للتحكم في فروع الإقتصاد بجميع أنواعه على حساب الأغلبية مما مهد لتعميق التناقض بين الفئتين ليتحكم ذلك في الإختلاف حول مفهوم الإستقلال، فالبرجوازية والإقطاعية تريده على الشكل الذي يوسع من مصالحها وإمتيازاتها وبالتالي رفضها للسيطرة الأجنبية إنما لإنهاء حالة المنافسة الإقتصادية الغربية[2]، بينما غالبية الشعب يريد الإستقلال من أجل إنهاء السيطرة والإستغلال والدخول في مرحلة التحولات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية التي تؤهله للرفع من مستواه في جميع الميادين.

هكذا كانت الأوضاع الإقتصادية اللبنانية بشكل عام إبان إنتزاعه الإستقلال سنة 1943 مما دفع حكومة الإستقلال الأولى إلى الإلتزام بالعمل على تشجيع الصناعة الوطنية وتأمين المواد الأولية لها بحيث يتم الإستغناء عن الصناعات الغربية التي يمكن الإستغناء عنها ونفس الشيء إلتزمت به لتنمية القطاع الفلاحي.

سرعان مادل الواقع الإقتصادي للبنان على صعوبة تحقيق هذه الوعود في ظل إستفحال طبقة برجوازية نشأت وتعززت على هامش فترة الإنتداب وقيامها بمهام الوساطة والسمسرة فكان لها بذلك إمكانية التأثير في

---

(1) نفس المرجع، ص 52.

(2) وصلت شدة هذه المنافسة إلى حد جعلت أولئك اللبنانيين الذين طلبوا أو أيدوا في البداية الإنتداب الفرنسي ينتقدونه في النهاية، ففي هذا السياق أرسل البطريرك الماروني بمذكرة إحتجاج إلى اللجنة البرلمانية في باريس سنة 1936، ومما جاء فيها ((... بينما نجد الشركات الأجنبية تنموا بسرعة وتزدهر بفضل الحماية التي تنالها من المفوضية ... من التجني أن تنسب معاداة فرنسا إلى كل من يشكو من مساوئ الإمتيازات والإعانات لبعض الشركات كأن فرنسا لم تأت إلى الشرق إلا لخدمة هذه الشركات فحسب). نقلا عن: ملحم قربان، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 210-211.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السلطة والتحكم فيها، ومن نتاجات الدعوات الرامية [1] إلى عدم تشجيع الصناعة باعتبار أن الظروف الإقتصادية الدولية المرتكزة على تقسيم العمل الدولي لاتسمح بالإنطلاق في هذا النهج، فذلك حكر فقط على الدول المتقدمة ذات النفوذ الإقتصادي والقاعدة الصناعية الصلبة منذ مدة طويلة، ومايناسب لبنان هو التخصص في التجارة والخدمات لأنه المجال الوحيد الذي يجعله يحصل على حاجاته من الصناعة الغربية [2].

على هذا المنوال سار لبنان في عهد الإستقلال، أي بعدم إعطاء الأهمية الكافية للقطاع الصناعي، بحيث أن الصناعة اللبنانية لم تزد مساهمتها في الدخل الوطني الصافي لمدة ربع قرن إلا بنسبة ضئيلة جدا، ففي سنة 1940 كانت مساهمتها 14،5% لتصل في سنة 1974 إلى 16،7 فقط [3].

لم يحظ القطاع الفلاحي هو الآخر بالإهتمام اللازم فبالرغم من أن 57% من السكان يعتمدون على الزراعة إلا أن حكومات الإستقلال لم توله الأهمية مع أن المياه متوفرة وبكميات كبيرة عبر أنهار ووديان عديدة تنساب إلى البحر بدون إستغلال، وهو ما إعتبر بسياسة إنمائية سيئة تدعم بفرض الضرائب الباهظة وبضعف الوسائل التقنية وهيمنة الإقطاع وكذا الوساطة التجارية المتحكمة في تسويق الإنتاج الفلاحي وهذا كله بتشجيع من الحكومة بطريقة أو أخرى [4]، فكانت النتيجة أن عرقل القطاع الفلاحي، فبعد أن كان يساهم في الدخل الوطني بنسبة 20% سنة 1948، تراجع إلى 9% سنة 1974، ليتضرر بنسبة أكبر مع إندلاع الحرب الأهلية الأخيرة [6].

---

(1) نفحة نصر، "لبنان والنظام الديموقراطي الليبرالي" في: نخبة من رجال الفكر، "النظام السياسي الأفضل للإنماء في العالم الثالث (لبنان والدول العربية)" ندوة الدراسات الإنمائية، منشورات عويدات، بيروت، 1971، ص 180-181.

(2) في هذا الشأن يقول ميشال شيحا وهو من أبرز المفكرين اللبنانيين: (في ظل المنافسة الغربية لم يعد للحماية النظامية من قيمة في وجه الصناعة من النوع الأمريكي وفي وجه إلغاء المسافات، فأمام هذه الوقائع الحاسمة لاحياة ممكنة لما هو إصطناعي)، نقلا عن: مهدي عامل، "القضية الفلسطينية في أيديولوجية البرجوازية اللبنانية - مدخل إلى نقض الفكر الطائفي"، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1980، ص 80.

(3) مسعود ضاهر، "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة"، مرجع سابق، ص 36.

(4) في ذلك يعتقد البعض بأن الحكومات اللبنانية المتعاقبة إنما تعبر بشكل وضوح عن عدم رغبتها في معالجة مشكلة النزوح الريفي، كما يعتمد برهاننا على عدم رغبة هذه الحكومات في تفادي الأزمات الإجتماعية والإقتصادية الناتجة عن هذا النزوح. د. فيد كليموس، مرجع سابق، ص 27.

(5) مسعود ضاهر، "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة"، مرجع سابق، ص 18-19.

(6) أنظر: أحمد بعلبكي، فرج الله محفوظ، "القطاع الزراعي في لبنان- أبرز التغيرات خلال الحرب الأهلية"، دار الفارابي، بيروت، 1985، ص 67.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الضعف الواضح لمساهمة قطاعي الفلاحة والصناعة في الدخل الوطني للبنان كما تبين لنا يوضح بأن الأولوية أعطيت لغيرهما ، وهو ما تمثل في قطاع الخدمات، فالبرجوازية اللبنانية سارعت في توظيف رؤوس أموالها التي جنتها في الحرب العالمية الثانية في إتجاهين: الأول في المتاجرة بالذهب لأن الأرباح ثابتة وأكيدة والثاني في قطاعات ذات الربح السريع كبناء العقارات وتوظيف الرساميل في قطاع الإصطياف ، كما زادت البرجوازية التجارية من نشاطها غير الإنتاجي كالمضاربات التجارية ، وموازاة لذلك فقد إرتفع عدد المصارف من 9 سنة 1945 إلى 94 مصرفا سنة 1965 ؛ مما يوحي بطغيان قطاع الخدمات على حساب القطاعات الإنتاجية.(1) (2)

بإعتماده على قطاع الخدمات إستطاع لبنان أن يحقق دخلا سنويا جعله في صف واحد مع الدول العربية النفطية بل يتقدم على بعضها مما جعله يحقق رفاهية نسبية إنعكست إيجابيا على الخدمات الصحية والتربوية ، على أن تحكم القطاع الخاص في توزيع هذه الخدمات جعلها بعيدة عن متناول أصحاب المداخيل البسيطة ؛ وهي بذلك ظلت حكرا على فئات معينة مما يعبر عن وجه آخر من وجوه التفاوت الإجتماعي ويكشف بأن ما يعتبر بمعجزة لبنان الإقتصادية في ظل النظام الحر إنما لا يعود إلى إمكانيات مجتمعه الإنتاجية بقدر ما يعود إلى جملة من العوامل والمصادر أحسن إستغلالها من حيث تتابعها الزمني وهي عديدة.(3) (4)

من ذلك فإن مصير لبنان إقتصاديا متوقف على إستمرارية هذه المصادر وهي في غالبيتها خارجية من الصعب ضمان إستمرارها في عالم يتميز بعدم

---

(1) مسعود ضاهر، "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة" ؛مرجع سابق،ص95-103.

(2) ساهم قطاع الخدمات في الدخل الوطني لسنة 1970 بنسبة 70٪، مما يعني أن لبنان أسندت له مهمة الوسيط التجاري والمالي بزيادة البنوك الأجنبية فيه ،وهذا كله لخدمة مصالح الرأسمالية الأجنبية مما كان له الأثر السلبي على القطاعات الإنتاجية وما يتبعه من إنعكاس سلبي على مصالح المجتمع ككل. أنظر: مهدي عامل، مرجع سابق، ص 177.

(3) يوسف عبد الله صايغ، مرجع سابق، ص 480.

(4) أهم هذه العوامل تتمثل في التراكمات الحاصلة في الحرب العالمية الثانية والأموال العائدة من قبل المغتربين اللبنانيين ونتائج تقسيم فلسطين وقيام إسرائيل حيث خلف لبنان النشاط الإقتصادي الذي كانت تقوم به فلسطين في السابق، بالإضافة إلى زيادة عائدات النفط وهروب الرساميل إلى لبنان نتيجة التحولات السياسية والإجتماعية الحاصلة في بعض البلدان العربية. جورج حاوي، مرجع سابق، ص 183.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإستقرار وكثرة النزاعات حيث تصبح فيه العلاقات الإقتصادية ضحية الإختلافات السياسية كما دلت تجارب عديدة ، ومن هنا فالخطورة الماثلة على الإقتصاد اللبناني تكمن في إرتباطه بالخارج أكثر من اللازم وهذا من خلال تجارة المرور وخدمات التصدير وإعادة التصدير أي بما يكرس تبعيته إقتصاديا للغرب الرأسمالي.(1)

إذا كانت السياسة الإقتصادية للبنان قد أفرزت سلبيات عديدة على الصعيد الداخلي كتفجر القطاعات الإنتاجية وإنقسام المجتمع في ظل إزدياد(2) صعوبات خارجية فإن الأكثر من ذلك هو تأثير هذا النهج على سياسته(3) الخارجية ، ونقصد بالخصوص موقفه من الحركة التحررية العربية حيث جعلته تبعيته وإرتباط إقتصاده بالرساميل الأجنبية ينتهج سياسة سلبية تجاه كل ما هو تحرري لأن ذلك يهدد مزاياه الإقتصادية المرتبطة بهذه الرساميل.

مثل ما كان ذلك يؤدي إلى إزدياد الوعي القومي في لبنان خاصة مع نشاط الثورة الفلسطينية إنطلاقا من هذا البلد ، فإن التفاوت الإجتماعي الواقع على أكثر من صعيد كان يؤدي إلى نمو الوعي لدى الفئات المحرومة وما ساعدها على ذلك هو إلتقاء أغلب وأهم التيارات في العاصمة بيروت حيث تفاعلت فيما بينها لتطور من وجهات نظرها ومن ثم مطالبها فيما يحقق توزيع الخدمات على كافة المواطنين وإلغاء الإمتيازات الكبيرة للأقلية على حساب الأكثرية ، بمعنى إحداث إصلاح يمس كل القطاعات والنشاطات حسب ما عبر عن ذلك برنامج الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية في أوت

---

(1) هذه التبعية جعلت من لبنان وسيطا ((بين الإحتكارات الرأسمالية الدولية والبلدان العربية ذات الموارد الطبيعية والأسواق الإستهلاكية الواسعة في عملية النهب الإمبريالي لهذه المنطقة المتخلفة)) ، نقلا عن: عصام نعمان ، مرجع سابق ، ص41 . بينما تجلى مظهر آخر من مظاهر التبعية في سيطرة مؤسسات أجنبية على عدد من المصارف إلى حد أنه لم يبقى إلا القليل من المصارف في بالفعل لبنانية فيما يتعلق بإمتلاك رأس المال . يوسف عبد الله صايغ ، مرجع سابق ، ص 474 .

(2) تشير بعض الإحصائيات إلى أن 4 % من اللبنانيين يتحكمون في أكثر من 80 % من الدخل القومي، محمد مجذوب ، "الوحدة والديموقراطية في الوطن العربي" ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1980 ، ص 183-184 .

(3) أهم هذه الصعوبات تمثلت في أن ظروف الخمسينات ليست كظروف ما بعد هذه الفترة ، فمع بداية السبعينات لم يعد لبنان يستقبل الأموال الفارة من البلدان العربية نتيجة حالة الإستقرار النسبي التي عرفتها المنطقة ، إضافة إلى أن العائدات النفطية العربية أصبحت توظف مباشرة في البنوك الأجنبية دون الحاجة إلى مرورها بلبنان ، كما أن قطاع السياحة أصبح مهددا من خلال المنافسة التي ظهرت من قبل بلدان عربية عديدة (سوريا وبلدان المغرب العربي) حيث حسنت من خدماتها الإستقبالية والتي تنافس كل ما هو موجود في لبنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1975 ، أي بعد بداية الحرب الأهلية .(1)

إذاً قبيل إندلاع الحرب الأهلية كانت البنية الإقتصادية اللبنانية تضغط بسلبياتها على حياة هذا البلد لكن بشكل سلمي، على أنه تدريجيا أصبح ذلك عاملا من عوامل الإنفجار في شكل حرب أهلية ، وبذلك فإن هذه الحرب وفي أحد جوانبها هي نتيجة ذلك التناقض المستمر طويلا بين مصالح البرجوازية المدعومة من قبل السلطة الحاكمة وبين مصالح الفئات الفقيرة التي تكد لتأمين معيشة يومها .

نرى بأن أوضح مثال لذلك يتجلى في المواجهات التي إندلعت في فيفري 1975 في صيدا بين صيادي الأسماك من جهة والجيش اللبناني من جهة أخرى حول الإمتياز الممنوح لشركة بروتيين للصيد ،(2) فهذه المواجهة لم تكن بدوافع طائفية وإنما كانت بفعل تناقض المصالح المادية بين برجوازية تريد أن تزداد ثراء بمساعدة الأداة القمعية وبين عمال بسطاء يريدون تأمين معيشتهم .(3)

إذا كان للعامل الإقتصادي كما بينا دور في تبلور تيار معارض واسع ينادي بالتغيير فإن ذلك لم يتوقف عند حد التغيير الإقتصادي فحسب بل تعداه إلى المطالبة بإحداث إصلاح سياسي لإرتباطهما ببعض إلى حد أن الإنماء الإقتصادي لا يمكن أن يتم إلا عند تحقيق الإنماء السياسي لأنه يستحيل على سلطة سياسية مفككة وضع خطط إنمائية في حقول الإقتصاد والإجتماع والثقافة ،(4)

---

(1) أنظر النص الكامل لهذا البرنامج في: مركز الأبحاث والمحفوظات في دار الصياد ، مرجع سابق، ص 539-541 .

(2) تأسست هذه الشركة بموجب مرسوم جمهوري في ديسمبر 1971 ، من بين مؤسسيها : الرئيس السابق كميل شمعون حيث وقع عليه الإختيار في 19 ديسمبر 1974 كي يشغل منصب رئيس مجلس إدارتها لمدة ثلاث سنوات، أما موضوع هذه الشركة فهو صيد الأسماك في المياه الإقليمية اللبنانية وأعالي البحار بواسطة أجهزة حديثة على أن تلتزم بالصيد على بعد كيلومترين من الشواطئ كي لا تزاحم الصيادين اللبنانيين الصغار ، وفي ذلك يرى بعض الخبراء بأن هذه الشركة تشكل خطرا على مستقبل الصيادين فكانت معارضة هؤلاء شديدة ودامية .

(3) من الصعب بمكان الإنطلاق من هذا المثال للتسليم بأن الحرب اللبنانية وعلى طول فترتها هي إنعكاس للصراع الطبقي فحسب وإلا كنا بصدد طمس بعض المؤشرات التي لها تأثير كبير سواء في إندلاع هذه الحرب أو تطورها .

(4) محمد مجذوب ، "الأحزاب السياسية والإنماء" في: مجموعة من الباحثين ، "الحملية الإنتخابية والديموقراطية في لبنان" ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1978 ، ص 51-52 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الوضع السياسي للبنان قبيل 1975.(1)

إن معرفة الحياة السياسية للبنان قبيل سنة 1975 لما قد يكون لها من تأثير في إندلاع الحرب الأهلية وتطورها في هذا البلد يتوقف بدرجة كبيرة على تتبع نظامه السياسي والذي تعود جذوره إلى ما قبل الإستقلال، وبما أن فترة الإنتداب الفرنسي هي مرحلة سيطرة وتسلط بحيث لم يكن في وسع اللبنانيين تحديد نهجهم السياسي بحرية فإننا سنركز على مرحلة الإستقلال منذ بدايتها لأن لبنان ما زال يعيش بذهنية وقوانين العهد السابق إلى الآن.

وكان لحكومة الإستقلال الأولى (بشارة الخوري رئيسا للجمهورية و رياض الصلح رئيسا للوزراء) كان لها الدور الرئيسي في رسم المعالم السياسية للبنان المستقل، ففي تلك الفترة كان بشارة الخوري يمثل البرجوازية المسيحية التي إقتنعت بضرورة التخلص من الإنتداب الفرنسي والتعاون مع العالم العربي(2)(3)، بينما كان رياض الصلح يمثل البرجوازية والمثقفين المسلمين المرتبطين وجدانيا بالعروبة وهم قد أدركوا منذ مدة ضرورة إشراك المسيحيين لتخليص المنطقة العربية ككل من السيطرة الأجنبية(4).

---

(1) نقصد بذلك الحياة السياسية للبنان، دون أن يعني ذلك تتبع تفصيلي لجوانب سياستها الداخلية والخارجية، أي سنبين الجوانب التي نرى بأن لها دور في الحرب الأهلية ومن ثم في جلب أو دفع التدخلات الأجنبية وهذا بدوره لا يتأتى فهمه إلا بإبراز أهم القوى السياسية والتنظيمات اللبنانية ودوافع لجوئها إلى الوسيلة العسكرية.

(2) بالمقابل لذلك هناك الكتلة الوطنية بزعامة أميل أدة، وهي تواقة للعيش في أحضان السيطرة الفرنسية فضلا على إنتمائها الإرستقراطي وتشجيعها للفكرة الفينيقية. أنظر: سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص54-55.

(3) العالم العربي في الإصطلاح الجغرافي والسياسي عبارة عن حزام إقليمي يمتد عبر قارتي آسيا وأفريقيا ما بين خط طول 58 درجة شرقا و10 درجات غربا وهي مسافة تمتد من الخليج إلى المحيط الأطلسي بمسافة تقدر بنحو 7000 كلم، كما يمتد هذا الحزام ما بين خطي عرض 37 درجة و10 درجات شمالا لمسافة تصل إلى حوالي 3000 كلم، يحده من الجنوب الصحراء الكبرى ومن الشمال البحر المتوسط وجبال طوروس في تركيا. وإذ نستخدم مصطلح العالم العربي إنما نريد أن نتجاوز التسميات الأخرى كالوطن العربي والتي لا تعكس الواقع الحقيقي، فهناك ما يزيد عن 20 بلدا عربيا لكل دستوره ونظامه الخاص، بل ويدعي البعض منها أن شعبها يكون أمة مستقلة بذاتها. أنظر حول النظم العربية: حسن الحسن، "الأنظمة السياسية والدستورية في لبنان وسائر البلدان العربية"، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، 1981، 546 ص.

(4) باسم الجسر، "النظام السياسي في لبنان بين الميثاق الوطني والتلاحم الوطني"، في: نخبة من الباحثين، "النظام السياسي الأفضل للإنماء في العالم الثالث (لبنان والدول العربية)"، ندوة الدراسات الإنمائية، منشورات عويدات، بيروت، 1971، ص 130-131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذلك فقد تم تلاقي التيارين السياسيين المسلم والمسيحي عبر ممثليهم (1) فكان بذلك رياض الصلح وكأنه يمثل كل المسلمين وبشارة الخوري يمثل كل المسيحيين، ليتضح لهما أن ما كان يعانيه لبنان في السابق هو إنعدام الثقة بين التيارين مما كان يدفع بهما إلى الإستنجاد بقوى خارجية (2)، ومن هنا إلتزم المسيحيين بعدم الإرتماء في أحضان الغرب وطلب عونهم وحمايتهم كما إلتزم المسلمين بالكف عن مطالبتهم بالإنضمام إلى أي دولة عربية، وهذا كله بزعامة رجلي الإستقلال في غمرة نقاشهما لوضع هذا الإتفاق موضع التنفيذ (3)، أي على أساس حكم الطوائف.

بهذا يتضح بأن لبنان لم يدخل عهد الإستقلال ليعالج سلبية التمثيل الطائفي بل أقرها كنظام للتعايش والمشاركة النسبية في الحكم وهو تعبير صريح عن التمسك بالدستور القديم الموضوع في عهد الإنتداب، وبالفعل لم تعمد الحكومة الأولى للإستقلال على إلغائه بل أدخلت عليه تعديلات (4) لتخليصه من قيود الإنتداب فقط.

فيما يتعلق بتحكم الطائفية في النهج السياسي، فقد نصت المادة 95 من الدستور عن ذلك بوضوح ((بصورة مؤقتة وإلتماسا للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة))؛ وبالرغم من أن هذه المادة بنيت على أساس مؤقت إلا أن ممارسة اللبنانيين لها جعل منها مادة دائمة بل هي الأقوى من مواد الدستور الأخرى، فهي التي تمنع أي محاولة لتعديله (5).

---

(1) الفريق الإسلامي تزعمته الطائفة السنية بينما المسيحي تقوده الطائفة المارونية، وهذا من منطلق الأكثرية العددية بالدرجة الأولى ثم النفوذ الإقتصادي والسياسي.

(2) المقصود هنا بالدرجة الأولى فرنسا، ففي الحرب العالمية الأولى طالب منها الموارنة أن تحتل لبنان وتنهي السيطرة العثمانية وتقيم الدولة المسيحية بعد تعديل الحدود الطبيعية والتاريخية والإقتصادية. ماثير زاميير، مرجع سابق، ص 37-40.

(3) مساجلة في هذا النقاش أن بشارة الخوري قال (أتعتقد أن جميع إخواننا المسلمين... يقبلون بلبنان كوطن نهائي لهم وليس كمرحلة؟ أتعتقد أن زملائهم الأكبر لن يكون سوريا أو العرب) ويجاوبه على ذلك رياض الصلح (إني كفيل لك ليس فقط بالحصول على قبول المسلمين بل أيضا بإقناع الزعماء السوريين والعرب على الإعتراف بإستقلال لبنان وضمان حدوده الحالية) نقلا عن: مسعود ضاهر، "لبنان- الإستقلال، الميثاق والصيغة"، مرجع سابق، ص 239.

(4) من التعديل الأول سنة 1927 إلى التعديل السادس سنة 1947 التي أدخلت على الدستور اللبناني، أنظر: مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 335.

(5) تقي الدين الصلح، "في السياسة والحكم"، دار العودة، بيروت، 1972، ص 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التركيبة الطائفية لمجلس النواب وتنظيم الوظائف الإدارية بحسب نفس المنطق يجعل السلبيات بإستمرار قائمة لأن القضية تتعلق بماهية الوظيفة في الدولة ، فالوظيفة التي أسندت إلى المواطن بسبب إنتمائه الطائفي سرعان ماتنقلب إلى وظيفة تخدم الطائفة قبل أن تخدم الدولة ، فبالإضافة إلى أنها تستغل من قبل الزعامات فإنها تظل وظيفة منفعلة [(1)] أكثر ماهي فاعلة ، وبذلك ينتفي مفعول المادة 12 من الدستور [(2)] التي تنص بأنه ((لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة لاميزة لأحد على الآخر إلا من حيث الإستحقاق والجدارة)) ، وهي بهذا المعنى تعبر عن تناقضها مع المادة 95 السالفة الذكر .

إذا كان إستقلال لبنان قد إرتبط منذ الوهلة الأولى بالتوازن الطائفي فإن المتمسكين بهذا التوازن ظلوا يربطون بقاء لبنان بإستمرار الصيغة الطائفية ، فالإستقلال الكامل حسب هذا الإعتقاد ماكان ليتم لولا الإعتراف بالطائفية كنظام سياسي وإجتماعي إلى درجة أن إلغائها سيؤدي حتماً إلى زوال لبنان وبذلك ((أصبحت الطائفية منذ عهد الإستقلال أيديولوجية الدولة اللبنانية وأساساً عاماً للإستقرار والتوازن ، مرفوضة لكنها مستعملة وهي تتدعم عبر الأزمات الداخلية والخارجية)) [3].

مهما كانت دوافع رجلي الإستقلال من إتفاقهما ، فإن محتوى وفلسفة هذا الإتفاق تعبر على أنه تسوية طائفية جاءت تحت ضغط عدم إضاعة الفرصة لإنهاء الإنتداب ، بمعنى أنه لم يوضع ليبني الإستقلال الحقيقي ولم يكن يتجاوب مع الحاجات الأساسية للأجيال الجديدة [(4)] ، وبالتالي فعدم تدوين هذا الإتفاق الذي يعتبر عند مؤيديه كميثاق وطني للبنان [(5)] إلا لجعله كما يعتقد البعض

---

(1) غالبية الزعامات اللبنانية منحدرة من عائلات معروفة ومسيطرة إقتصادياً وسياسياً . حول ذلك أنظر : خليل أحمد خليل ، " العرب والقيادة - بحث إجتماعي في معنى السلطة ودور القائد " ، دار الحداثة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1985 ، ص 226-256 .

(2) ناصيف نصار ، مرجع سابق ، ص 113-115 .

(3) نقلا عن : محمد حسين دكروب ، " السلطة والقرابة والطائفية عند موارنة لبنان إستناداً إلى دراسة أنثروبولوجية للنموذج الماروني الشمالي في بلدة (تنورين) " ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 ، ص 75 .

(4) أنظر : باسم الجسر ، مرجع سابق ، ص 123-142 .

(5) يقول بشارة الخوري في إتفاق الإستقلال أنه ((لم يكن تسوية بين طائفتين فحسب ، بل كان ولم يزل إنصهار عقيدتين متباينتين متضاربتين ترمي الأولى إلى إذابة لبنان في غيره وتريد الثانية بقاءه محفوظاً =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسطورة تستهوي الناس بإستمرار ، فهو بذلك يقابله ميثاق ثاني وهو الميثاق الوطني لوحدة القوى الديمقراطية اللاطائفية قائما على ضرورة التغيير لبناء الوطن الواحد.(1)

مازاد في تعزيز الطائفية في لبنان كنظام سياسي هو قانون الإنتخاب المعمول به(2) ، فبالرغم من التعديلات التي أدخلت عليه(3) ـ الشيء الذي جعل البعض يعتقد بأن العملية الإنتخابية تحسنت بالمقارنة مع الفترات السابقة(4) ـ إلا أن إستمرارها بطابعها الطائفي جعلها الاقوى على تغطية السلبيات المنجرة عنها(5) ، وبذلك ظلت الإنتخابات في لبنان تتسم بعدم الديموقراطية مع تشابك عوامل مؤثرة عديدة(6) ، ليتضح أن التعديلات الحاصلة مجرد تعديلات

= بحماية أوصاية أجنبية)) . نقلا عن: محمد مجذوب، "الوحدة والديموقراطية في الوطن العربي" ، مرجع سابق، ص 220-221.

(1) جوزيف مغيزل، "لبنان والقضية العربية" ، منشورات عويدات، بيروت، 1959، ص 121.

(2) أنظر مجموعة من الباحثين "العملية الإنتخابية والديموقراطية في لبنان" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1978، 262ص.

(3) كمثال على ذلك: تلك التعديلات التي أدخلت على عدد النواب ففي 1950 نص التعديل على أن يكون عددهم 77 عضوا وفي 1953-44 عضوا وفي 1957-66 عضوا بينما في 1966 إرتفع العدد إلى 99 عضوا ، وتفسير هذه الأعداد المؤلفة دائما من رقمين متماثلين يعود إلى ما إتفق عليه في بداية الإستقلال بحيث يجري التمثيل النيابي على أساس خمسة عن المسلمين وستة عن المسيحيين، ليكون المجموع إحدى عشر، فكان لابد من إنتقاء العدد الذي يكون حصيلة ضرب إحدى عشر بعدد ما للمحافظة على التمثيل المتفق عليه .

(4) نشحة نصر، مرجع سابق، ص 158-168.

(5) مع إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية سنة 1975 كان البرلمان اللبناني يتشكل من 99 نائبا إنتخبوا على أساس طائفي ويتوزعون بالشكل التالي: (30 مقعدا للموارنة ، 20 للسنة ، 19 للشيعة ، 11 للروم الأرثوذوكس، 6 للروم الكاثوليك، 6 للدروز، 4 للأرمن الأرثوذوكس، 1 للأرمن الكاثوليك 1 للبروتيستنت و 1 يمثل بقية الأقليات) .
FAUVEL (Jean jacques) "Liban", les guides bleus, Imprimé en France par berger-levrault, Nancy, 1975, P.40.

(6) أهم هذه المؤشرات تتمثل في إرتفاع النفقات الإنتخابية للمترشح، فبدل أن تخصص هذه النفقات للتعريف بالمترشح وبرنامجه تتحول إلى شراء الأصوات وهذا ليس في متناول الجميع بل هو فقط في أيدي أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة ، فضلا على ذلك فإن إستعمال جداول الشطب بدل أسلوب البطاقة الإنتخابية ينتج عنه إستمرار تسجيل الموتى وإستخدام تذاكر الغائبين، ((وطالما أن المال والطائفية هما سائدان في السياسة اللبنانية فإن الإنتخابات هي أشبه ماتكون (بفلكلور) سياسي، وأن غايتها ونتيجتها هي تكريس حكم أوليغارشي إقطاعي طائفي، وليست الديموقراطية في ظل حكم كهذا سوى وهم كبير)) . باسم الجسر، "الدولة والعملية الإنتخابية في لبنان" ، في: مجموعة من الباحثين، "العملية الإنتخابية والديمقراطية في لبنان" ، ندوة الدراسات الإنمائية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1978، ص 168.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكلية أي ليست جوهرية .

أما عن تكريس الطائفية كنظام إجتماعي وما لذلك من إنعكاسات على الأوضاع السياسية فمرده بدرجة كبيرة إلى قوانين الأحوال الشخصية في لبنان والتي لم تصدر عن الدولة بل ترك أمر وضعها لرؤساء الطوائف تحت حماية الدستور، فضلا على أن ذلك يلزم أي لبناني أن ينتمي إلى طائفة معينة فإنه يعد تكريسا للإنقسامات بين المواطنين، وعليه فعندما يكون إختلاف الدين مانعا من موانع الزواج والإرث وتكون حقوق المرأة المسلمة مختلفة عن حقوق المرأة غير المسلمة ((فكيف يشعر اللبناني أنه إبن الدولة اللبنانية قبل أن يكون إبن هذه الطائفة أو تلك ؟ والواقع أن أبناء الطوائف يشعرون بفواصل فيما بينهم يفوق عمقها وأثرها ما يشعرون به من روابط.. يبقى الشعور بالتمايز الطائفي أقوى من الشعور بالوحدة الوطنية)) .[1]

لقد كان لذلك كله تأثير بليغ على تشكيل وسير المؤسسات السياسية اللبنانية ، فكما أن السلطة التشريعية لا تمثل مصالح الشعب وآماله وإنما تمثل مصالح فئات معينة بحيث لا تظهر الجرأة ولا تقدم على أي مبادرة لإصلاح الأنظمة القائمة وتطويرها - مما جعل عملها يقتصر على إرضاء الحكومات وتلبية رغباتها - فإن السلطة التنفيذية على قاعدة التوازن الطائفي لا تستطيع القيام بمهامها بحيث أنه من المتفق عليه منذ الإستقلال أن الحكومة لا يشكلها إلا مسلم من الطائفة السنية في مقابل رئيس الجمهورية الماروني وأن أي حكومة يجب أن تضم بين أعضائها ممثلا أو أكثر عن الطوائف الكبرى في البلد ولذلك فإن تشكيل الوزراء يخضع لمساومات بين الكتل والأفراد مما كان له أثر على سقوطها بسرعة ومن ثم محدودية نشاطها ،[2] كما أن غياب الثقة والتجانس والعمل تجاه هدف واحد كان له تأثير سلبي حتى على سير السلطة القضائية .

على صعيد آخر فقد كان لإعتماد الطائفية في الحكم أثر سلبي على تبلور وعمل الأحزاب السياسية في لبنان، فبالرغم أن ظاهرة نشأة الأحزاب

---

(1) ناصيف نصار ، مرجع سابق، ص 117-118 .

(2) محمد مجذوب، "الوحدة والديموقراطية في الوطن العربي" ، مرجع سابق، ص 190-199 .

في هذا البلد تعود إلى مطالع هذا القرن واتسعت في مرحلة الإنتداب الفرنسي ثم أكثر في عهد الإستقلال إلا أنه لايوجد نص في الدستور اللبناني يتعلق بالأحزاب السياسية حيث إكتفت المادة الثالثة عشر منه بالتأكيد على حرية تأليف الجمعيات ضمن إطار القانون.(1)

بالإضافة إلى طبيعة النظام السياسي اللبناني الذي يعرقل بروز أحزاب سياسية فعالة فإن هناك جملة من العوامل أثرت سلبا على هذه الأحزاب وهي نابعة من توجهاتها وتركيباتها حيث أن قسما منها طائفي سواء بعقيدته أو بواقعه، فطابعها الطائفي يمنعها من العمل في إتجاه إلغاء الطائفية وسلبياتها، وقسم آخر من هذه الأحزاب يقتصر على المثقفين أو الوجهاء المرموقين ذوي المال والنفوذ؛ بمعنى أنها أحزاب النخبة والصفوة أي فوقية تمثل أرستقراطية الفكر أو المال لايمكنها أن تتحدث بإسم الشعب بل تستثمره، ونوع آخر يخضع لنفوذ زعيم معين لمقدرته السياسية والدبلماسية والعسكرية وهي تنتهي بإنتهائه سواء بموته أو بإنسحابه، وفي هذا وذاك نجد الأحزاب اللبنانية تعاني من ظاهرة الإنفصام بين النظرية والتطبيق، أي بين المبادئ المعلنة في برامجها وبين ممارساتها اليومية، مما كان له أثر في الإنسحابات والإنقسامات وظهور أجنحة عديدة لحزب كان في الأصل واحدا، مما يؤدي في مجمله إلى صعوبة تصنيف هذه الأحزاب وإن كان البعض يعتقد بأن تصنيفها بين اليسار واليمين هو الأسلم لأنه أقرب إلى الواقع الحزبي اللبناني.(2)

إن القول بسلبيات الأحزاب اللبنانية لاينسينا الإيجابيات التي قدمتها بعض الأحزاب وفي مقدمتها الأحزاب التقدمية(3)، ذلك أنها تنظيمات عبر

---

(1) النص الكامل للمادة 13 هو التالي: ((حرية إبداء الرأي قولا وكتابة وحرية الطباعة وحرية الإجتماع وحرية تأليف الجمعيات كلها مكفولة ضمن دائرة القانون)).

(2) محمد مجذوب، "الأحزاب السياسية والإنماء في لبنان"، مرجع سابق، ص79-87.

(3) المقصود بالأحزاب التقدمية هي تلك التي تناضل من أجل تخطي العقبات وتنحية المؤسسات المعادية لإقامة مجتمع تسوده نسبة أعلى من التحرر والعدالة والديموقراطية مما هو قائم في مجتمعاتها، وهي بذلك نقيض الرجعية والتيار المحافظ، ففي لبنان يعد القاسم الرئيسي المشترك للأحزاب التقدمية هو رفضها للطائفية كنظام سياسي وإجتماعي والمطالبة بإقامة مجتمع قائم على المساواة دون الرجوع إلى هوية الأفراد، وهي تتمثل خاصة في الأحزاب والتنظيمات الإشتراكية - الشيوعية لأنها تطالب بتطبيق العلمانية، بمعنى فصل الدين عن الدولة وتوحيد نظام الأحوال الشخصية. أنظر: في هذا الصدد: نخبة من رجال الفكر، "النظام السياسي =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طائفية ومأزقها في وجه الأخطار الخارجية والإنحرافات الداخلية إلا دليلا على أنها تشكل قوة رادعة للنظام الطائفي القائم وتحول دون ركوده بل إن وجودها يجبر النظام على الإعتراف بوجود مطالب للعدالة الإجتماعية والوطنية والإعتراف هو خطوة أولى نحو التجديد السياسي.(1)

يتضح مما سبق أن للنظام السياسي الطائفي في لبنان إنعكاسات سلبية على مختلف القطاعات، وإذا كان ذلك لم يظهر بوضوح في فترة حكم رجلي الإستقلال نظراً لتنسيق أعمالهما ومواقفهما فإنه سرعان ما إتضحت تلك(2) السلبيات مع مرور الوقت فإزدادت بذلك نقمة غالبية المواطنين على(3) حكامهم والمتحكمين فيه فحمل وأن ((كل شيء كان يحمل في ذاته بذور الحرب التي إندلعت))؛ هذه الحرب التي إزدادت حدة وإزدادت معها(4) التناقضات بعد الإحتكام للوسيلة العسكرية والقوى الخارجية.

مع إندلاع هذه الحرب وبتأثير من العوامل الإقتصادية والسياسية والتركيبة السكانية الطائفية والولاء للخارج، تعددت القوات التي حملت السلاح في لبنان متعددة تعدد المبادئ والأهداف التي تؤمن بها وتريد تحقيقها على أنها مع ذلك تمحورت في فريقين رئيسيين.

يتشكل الفريق الأول من القوى التي عرفت بجبهة الحرية والإنسان،(5) أو بإسم الجبهة اللبنانية،(6) وهي تتمثل في القوات اليمينية

= الأفضل للإنماء في العالم الثالث (لبنان والدول العربية)"، منشورات عويدات، بيروت، 1971، 268 ص.

(1) محمد مجذوب، "الأحزاب السياسية والإنماء في لبنان"، مرجع سابق، ص 87.

(2) باسم الجسر، "النظام السياسي في لبنان بين الميثاق الوطني والتلاحم الوطني"، مرجع سابق، ص 123-142.

(3) ما حصل في هذا الشأن هو التحكم، بحيث عمد الرئيس كميل شمعون سنة 1958 إلى إدخال قوات أمريكية إلى لبنان للمحافظة على نظامه والوقوف ضد الإنتفاضة الوطنية الداخلية المتأثرة بظروفها السيئة وبالمد القومي، كما أنه بالرغم ما قيل عن مرحلة حكم فؤاد شهاب التي تلت ذلك ومحاولاتها التوفيقية - بحيث إستجابت للتوازنات السياسية الداخلية والخارجية - إلا أن الواقع ظل طائفي وفي خدمة فئات معينة فقط. سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص 89-110.

(4) داغيد كتيبور، مرجع سابق، ص 29.

(5) تشكلت هذه الجبهة من خلال البيان الصادر في 31-1-1976 والموقع من طرف (الأباتي شربل القسيس، كميل شمعون، بيار الجميل، فؤاد الشمالي، سعيد عقل، شاكر أبو سليمان، شارل مالك)، وهم معروفون كقادة للفريق المسيحي، من بين مبادئ هذه الجبهة أن لبنان غير عربي تاريخيا وواقعا ومصيرا. لمزيد من الإطلاع حول الجبهة اللبنانية أنظر: مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 510-514.

(6) تشكلت هذه الجبهة في 5-6-1975، وهي تضم الرئيسين السابقين سليمان فرنجية وكميل شمعون بالإضافة إلى زعيم حزب الكتائب بيار الجميل =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنعزالية (1) : أما الفريق الثاني المضاد للأول فهو يتكون من القوى التي عرفت بالحركة الوطنية اللبنانية (2)، حيث تشترك فيها الأحزاب والقوى الوطنية والقومية والتقدمية العاملة في لبنان إذ تشكل مع المقاومة الفلسطينية القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية .

من بين مميزات الفريقين التنوع والتعدد في التنظيمات وفي صورة لبنان الذي يتصف بعدم الترابط من خلال تنظيمات وحركات وقوى

= وكذا شربل قسيس رئيس الرهبانيات المارونية بالإضافة إلى عدد من الشخصيات المسيحية الموالية في إتجاهها السياسي لقواد الزعماء . لهذه الجبهة قوات عسكرية وقيادة تضم ممثلين عن كل التنظيمات المسلحة في الجانب المسيحي برأسها بشير الجميل ، وخلال تطورها شهدت هذه الجبهة إنشقاقات عديدة كان أبرزها ذلك الحاصل سنة 1978 بين الكتائب وسليمان فرنجية ، بينما في 1980 حصل إنشقاق مماثل بين الكتائب وحزب الوطنيين الأحرار الذي كان يرأسه كميل شمعون . أنظر : عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، "موسوعة السياسة" ، الجزء الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981 ، ص 43-44 .

(1) تطلق القوات اليمينية الإنعزالية على الفريق المضاد للقوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية ، ومميزتها أنها في أغلبيتها مسيحية تسيطر عليها الطائفة المارونية ، وهي بذلك يمينية بالمقابل لليسار اللبناني كما أنها إنعزالية بالمقابل للتيار القومي العربي ، وبهذا يتأكد بأن لبنان قائم على معادلة ذات شقين فريق يميني إنعزالي وفريق يساري وطني قومي ، ميزة الأول أنه مسيحي (ماروني خاصة) أما الثاني فهو إسلامي ومن هنا جاءت التسميات العديدة لأطراف النزاع اللبناني ، فالبعض يسميه صراعا بين اليسار واليمين والبعض الآخر يعتبره صراعا مسيحيا إسلاميا ، وإذ يستخدم الباحث هذه التسميات فإنما يراعي الظرف الزماني والمكاني فكما قد تتميز فترة معينة بالصراع الديني مترجما في القتل على الهوية فإن فترة أخرى تتميز بالصراع من منطلق إنعزالي وقومي أو يساري ويميني بل قد تشترك كل هذه المؤشرات مع بعضها في فترة واحدة لتتداخل مع التأثيرات الأجنبية التي بدورها تتعدد وتختلف منطلقاتها ، حول الفريقين المتصارعين في لبنان راجع : كمال الصليبي ، "لبنان بين المسألة والحل" ، في : "محاضرات الندوة الدبلوماسية الثامنة لعام 1401هـ/1981م" ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، وزارة الخارجية ، قسم الأبحاث والمعلومات ، ص 103-115 .

(2) يتشكل هذا الفريق من القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية التي إلتزمت بالدفاع عن الثورة الفلسطينية وعروبة لبنان وعن المطالب السياسية والإجتماعية للقطاعات الشعبية ، عرفت بجبهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بين سنوات 1964-1967 وقد ابتدأت بثلاث أحزاب تقدمية لتتوسع في السبعينات أكثر وعرفت بالحركة الوطنية ، فكان لها دور مهم في الحرب الأهلية إلى جانب المقاومة الفلسطينية ، بالرغم مما حققته من إنتصارات فإنها لم تسلم من الإنشقاقات ، فعلى إثر إختلاف المواقف من التدخل السوري إنسحبت بعض القوى لتشكل مع قوى أخرى (الجبهة القومية) فيما واصلت القوى والأحزاب الوطنية والتقدمية عملها تحت قيادة كمال جنبلاط قبل أن يغتال سنة 1977 ، ومع حلول سنة 1979 أظهر المجلس السياسي للحركة الوطنية ميلا واضحا نحو الإعتدال وهذا بمطالبة بعض أطرافه القبول بعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الحرب كما أظهرت فيما بعد نوعا من التخفيف من الإندفاع في تأييد المقاومة الفلسطينية . أنظر : سامي ذبيان ، "الحركة الوطنية اللبنانية - الماضي والحاضر والمستقبل من منظور إستراتيجي" ، دار المسيرة ، بيروت ، 1977 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها تسميات تدل على التشرذم والتخلف وهو ما نجده في الفصلين الآتيين تتساءل من منطلق إختلاف الرؤيا كما سيتضح من تتبعنا لكل فريق بالقدر الذي يساعدنا على حل الإشكالية المطروحة في هذا البحث.

أولا : القوى المسيحية الإنعزالية .

من الصعوبة بمكان تحديد كل التنظيمات السياسية وغيرها التي تدخل ضمن هذا الفريق لأنه يمثل حتى في مواقفه بعض الشخصيات ليست بالضرورة منتمية إلى تنظيم معين بقدر ما هي منتمية إلى الفكرة ككل، ومن بين ما تتبناه أن لها مواصفات ثقافية وتاريخية وحضارية تجعلها متميزة عن الطوائف الأخرى وتعيش في حالة خوف مستمر من العالم العربي والإسلامي، هذا الخوف الذي كان وراء مطالبتها بتشكيل وطن خاص بها.(1)

إن زوال هذا المطلب كان بتأثير صيغة الإستقلال التي إلتزم فيها المسلمون بعدم طلب الوحدة مع المحيط العربي(2)، ومن هنا لم يعد هناك أي مبرر للمسيحيين في إقامة وطن مستقل لهم، على أن ذلك جعلهم يرسمون سياسة إنعزالية للبنان ولم يعودوا يقبلون بأي تغيير لصيغة الإستقلال بالنسبة إليهم آخذا المتغيرين، فمن ناحية كون المطالبة بوطن خاص بهم سيقابل بالرفض من طرف غالبية اللبنانيين ومن المحيط العربي، ومن ناحية أخرى فإن الوضع القائم ضمن لهم المكانة الأولى على الصعيد السياسي والإقتصادي داخليا، أما خارجيا فإن لبنان مرتبط بالسوق الرأسمالية ومعادي المعسكر الإشتراكي ويتعامل مع العالم العربي بحذر.

---

(1) أنظر : سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص 28.
(2) حول ما إعتبر كتنازل المسلمين بزعامة رياض الصلح في مقابل المسيحيين يؤكد الدكتور نسيب البربري (وزير لبناني سابق وعضو التجمع الإسلامي) بأن رياض الصلح حدثه عن التنازل الذي قدمه لصالح المسيحيين من واقع ظروف تلك المرحلة، بحيث أن خروج الجيش الفرنسي من لبنان لم يكن يرغب فيه غالبية المسيحيين الذين يعتقدون بأن عدم تغطيتهم أمنيا يشكل خطرا عليهم وهذا في ظرف إقبال لبنان على تعريب الدواوين الحكومية، ومن هنا كانت الحاجة إلى كسب المسيحيين وإزالة تخوفهم ليس بأن يكون رئيس الجمهورية مسلما ولكن أن يكون مسيحيا وبالذات مارونيا وأن يكون لهم تفوق عددي في المجلس النيابي ويحق أكثر الحماسة لبعض اللبنانيين الإطمئنان على مصير الكيان لوحدة إستقلالية تزول معها هذه المخاوف فيعيش اللبنانيون متساوين مطمئنين وفي ذلك تسقط الإمتيازات. نسيب البربري، مقابلة مع مجلة "الجمهور"، العدد 1235، جانفي، 1979، ص 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال ذلك إنضحت النظرة المسيحية وبالأخص المارونية تجاه القومية العربية وهدفها الوحدوي، وهذا من منطلق التجارب السابقة على حد إعتقاد بيار الجميل بأن ما عانته الطائفة المسيحية تحت الحكم العثماني ولد لديها عقدة الخوف من الإنضواء تحت أنظمة شاملة تفقدها شخصيتها المميزة ولذلك فهي لاتريد أن تخرج من الإمبراطورية العثمانية كي تدخل تحت رعاية الإمبراطورية العربية.(1)

لم يتمكن الفريق الإنعزالي اللبناني إقرار هذا التنسيق بحسب صيغة الإستقلال حتى فرضت الأوضاع المحلية نفسها من خلال التغييرات التي حدثت في المنطقة؛ ومع ذلك وجد نفسه متأثرا بها سواء أراد ذلك أم لم يرد(2) وبوقوع العدوان الإسرائيلي سنة 1967 وجد الفريق الإنعزالي اللبناني بأنه معزولا على مستوى الساحة العربية.(3)

على العكس من ذلك قوبل العدوان الإسرائيلي بإستنكار شديد وتأييد للدول العربية من قبل جمهور عريض من اللبنانيين يغلب عليه الطابع الإسلامي، وهو ما فسرلدى الفريق الإنعزالي كتهديد لصيغة الإستقلال وتعايش الطوائف وأن ما قام به المسلمون إنمايعبر عن تراجعهم صراحة عن هذه الصيغة مادامو يتعاطفون مع المد القومي ويناصرون الثورة الفلسطينية؛ وكمقابل لذلك قام الفريق الإنعزالي بعمل مضاد فـفي البداية إستنجد بـ و.م.أ عبر الرئيس كميل شمعون في 1958 مما يعني أن الفريق الإنعزالي خرج صراحة عن إلتزاماته السابقة بعدم اللجوء للحماية الغربية، ثم إقدامه سنة 1967 على تشكيل (الحلف الثلاثي) بين كميل شمعون و ريمون أدة و بيار الجميل، وهو على حد إعتقاد زهير محسن حلف(4) يهدف إلى عزل لبنان عن محيطه العربي وتحقيق المصالحة مع إسرائيل.(5)

---

(1) بيار الجميل، مقابلة مع: شاهر شحادة و ماجدة صبرا، (الشراع)، العدد 96، 16-1-1984، ص 13.

(2) أهم هذه التغييرات تجلت في قيام دولة إسرائيل وبداية نكبة فلسطين التي أصبحت قضية كل العرب بالإضافة إلى السياسة العدوانية التوسعية الإسرائيلية وصعود التيار القومي العربي مدفوعا بالثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر وتجربته الوحدوية مع سوريا سنة 1958.

(3) أنظر: عصام نعمان، مرجع سابق، ص 33-59.

(4) أمين سر منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة الفلسطينية).

(5) زهير محسن، "موقفنا في الأزمة اللبنانية"، منشورات الطلائع، دمشق، 1977، ص 34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع إستفحال التواجد العسكري الفلسطيني في لبنان أضحى يشكل الخطر الأكبر على القوى الإنعزالية، هذه الأخيرة التي إعتبرت القضية الفلسطينية قضية العرب وعليهم أن يتحملوا وحدهم نتائجها فليس للبنان أي مشكلة مع إسرائيل لأن نزاع هذه الأخيرة مع العرب وليس مع لبنان ذو التوجه المختلف، فإذا فرض عليه إستقبال الفلسطينيين على أرضه فلا يجب أن يكون وجودهم فيه دائم بل لشرح قضيتهم سياسيا دون المساس بسيادته (1).

بتعبير آخر فإن ما يربط لبنان بالعالم العربي لايجب أن يصل إلى حد الوحدة العضوية معه، وهي الفكرة التي عبر عنها المؤتمر السادس عشر لحزب الكتائب سنة 1973 (2)، كما يستخلص ذلك من جل بيانات القوى الإنعزالية (3).

في خضم هذه الرؤيا فإن عضوية لبنان في الجامعة العربية ليست بالضرورة تبني لقضاياها أو وحدة المصير معها (4) بل إن لبنان يجب أن يحافظ على خصائصه المميزة لكون أن الدول العربية إسلامية كلها بينما هو ليس كذلك، ومن هنا يجب المحافظة على ما أقرته صيغته الفريدة للإستقلال بحيث يتوجب على المسلمين اللبنانيين أن يؤكدوا للدول العربية على حد قول بيار الجميل إننا نرحب بمساعدتكم كأصدقاء وأشقاء شرط أن نكون احرارا من أي إحتلال أو أي ضغط سوري أو ليبي أو عراقي أو كما هو الآن إيراني فنحن أولا وأخيرا لبنانيون (5).

ما تجدر ملاحظته في هذا السياق أن كثير من المسيحيين اللبنانيين كانوا من الأوائل الداعين للقومية العربية (6) وعليه فإن موقفهم المذكور

---

(1) حول مواقف القوى اللبنانية من إنتهاك وعدم إنتهاك المقاومة الفلسطينية لسيادة لبنان. أنظر: عصام نعمان، مرجع سابق، ص 48-57.

(2) من بين ما جاء في هذا المؤتمر مخاطبته للعرب: ((تريدون الوحدة... حققوها أولا بين أي بلدين عربيين آخرين عروبتهما غير مختلف عليها.. فهل تم شيء من هذا.. أم هل إتحدت الدول العربية جميعها ولم يبقى سوى لبنان لكي يلتئم الشمل وتكتمل الوحدة ؟!)). نقلا عن: ملحم قربان، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 250.

(3) على سبيل المثال جاء في وثيقة الجبهة اللبنانية المذاعة في 23-12-1980 بأنه يجب التحرر التام من الإحتلالين الفلسطيني والسوري. أنظر: النص الكامل لهذه الوثيقة في: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، مرجع سابق، ص 258-262.

(4) يعتقد البعض بأن مساهمة لبنان في الجامعة العربية هي مساهمة صورية لا أكثر، بمعنى أنه ليس بعضو نشيط بالنظر إلى إمكانياته التي يتوفر عليها وبالخصوص في المجال الثقافي. عصام نعمان، مرجع سابق، ص 43.

(5) بيار الجميل، مرجع سابق، ص 12.

(6) نشأت فكرة القومية العربية كوسيلة للخلاص من الحكم العثماني فكان بذلك المسيحيون في لبنان والمناطق المجاورة أسبق بالدعوة إليها =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعد تناقضا على ماكانوا عليه بالأمس وتفسير ذلك في رأينا يتطلب الأخذ بعين الإعتبار الظروف السابقة والحاضرة ، فعندما نادوا بذلك كانوا تحت حكم يعتقدون أنه خطر عليه وهو الحكم الإسلامي وبالتالي فإن المخرج الوحيد لهم هو رفع شعار القومية العربية لأنها لاتأخذ الدين بعين الإعتبار ، مما يمكنهم من العيش على قدم المساواة مع المسلمين ، بينما في الوقت الحاضر إنتفى لدى غالبيتهم مطلب الوحدة العربية لأن الوضع الجديد أبعد عنهم التخوف السابق بل حقق لهم أكثر ماكانوا ينتظرون ، فغدت وحدتهم مع العالم العربي خطرا يجب إبعاده حتى وإن لم تكن تستند في حكمها إلى الدين الإسلامي لأنها من جهة تشكل نظاما شاملا من شأنه أن يهدد إمتيازاتهم السياسية والإقتصادية في ظل الوضع الراهن ومن جهة أخرى لأن البلدان العربية إسلامية بما يعني إستمرار إحتمال معاملتهم كمسيحيين ، وبالخصوص إذا أخذنا في الإعتبار التيارات الدينية (المتطرفة)[1] التي ظهرت بقوة في الآونة الأخيرة ويعايشونها حتى في لبنان .

مع إشتداد التيار القومي العربي وإستفحال الصراع العربي- الإسرائيلي وتأثر لبنان بذلك بدأ الفريق الإنعزالي يبحث عن الصيغة التي تكفل له النجاة ، فهو أمام الصعوبات التي تعترضه لتحقيق كيان خاص ومستقل به نادى بتحييد لبنان على النموذج السويسري وإبعاده عن المحاور العربية[2] التي تتفاعل حوله ، كما دعى إلى قيام نظام فدرالي من منطلق أن الحرب الدائرة[3] تعبيرا عن إستحالة التعايش الإسلامي- المسيحي في دولة إتحادية[4] .

= وخاصة البروتستانت ثم تبعهم الكاثوليك والأرثوذوكس وهذا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . أنظر : عبادي العبد العبادي ، " المسيحية والقومية العربية " ، مطابع الناشر العربي ، القاهرة ، 1958 ، ص 135-137 .

(1) نقصد بذلك التطرف السلبي الذي تمثله بعض التيارات الدينية دون أن تقدر ظروف مجتمعاتها ومستوى وعيها والمحيط الدولي الدائر بها ، فالأجدر بها أولا نشر الوعي الديني الحقيقي وبناء علاقات حوار وتفاهم تعبر فيها عن تسامح الإسلام وإستخدام الوسيلة السلمية لبلوغ الهدف الأسمى والإبتعاد عن التهديد والقوة إلا في حدود الدفاع عن النفس .

(2) أنظر : محمد المجذوب ، " مصير لبنان في مشاريع " ، منشورات عويدات ، بيروت- باريس ، 1978 ، ص 205-220 .

(3) يستند هذا الفريق إلى المطالبة باللامركزية السياسية ليس فحسب إلى وجود طوائف عديدة في لبنان بل الأهم هو إلتقاء حضارات عديدة فيه ، ولن يستقيم الوضع إلا إذا إنتهج لبنان نظاما فدراليا تتكفل فيه كل منطقة بشؤونها الداخلية . حول المشاريع المطروحة في هذا السياق والرد عليها من قبل معارضيها ، أنظر : خالد قباني ، مرجع سابق ، ص 393-671 .

(4) يذهب فؤاد أفرام البستاني للمطالبة بالنظام الفدرالي إلى ما ينتجه هذا النظام من قيام كيان وطني مسيحي في لبنان يكون ملجأ =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل ما كان للفريق الإنعزالي موقف من الوحدة العربية وعلاقة لبنان بها فقد كان له موقف تجاه الأوضاع اللبنانية الداخلية وهذا من منطلق التمسك بالأوضاع القائمة أي على قاعدة التوازن الطائفي سياسيا ونظاما إقتصاديا ليبراليا، ومن هذا الموقف فكل تغيير كما هو الشأن في تشكيلة الموظفين من الفئة الأولى التي تمت سنة 1974 على قاعدة 5 للمسيحيين و 5 للمسلمين بحجة أن ذلك يلغي قاعدة 6 للمسيحيين و 5 للمسلمين المتفق عليها مع بداية الإستقلال، كما تم تبني الدين في ماي من نفس السنة التأكيد على رفض أي تعديل في الدستور وضرورة مواصلة سياسة التوازن الطائفي القائمة (1) والإعتقاد بأن سلامة لبنان وقوته تكمن في ضعفه الذي يجعل الدول على إحترامه ومساندته لأنه (2) يستحق ذلك (3)، ومع نفس الإعتقاد فإن ما تعرض له لبنان من صعوبات ما هو إلا نتيجة لأوضاع فرضت عليه في مقدمتها الثورة الفلسطينية؛ بمعنى أن الخطر الأساسي يكمن في الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان وليس في إسرائيل بسياستها العدوانية. (4)

وبتمسك الفريق الإنعزالي بالصيغة القديمة للحكم يكون قد عبر عن حرصه على إبقاء البلد في معزل عن الإصلاحات الداخلية والتحولات الخارجية متجاهلا كلية بأن الشعوب التي تظل أسيرة تنظيماتها القديمة تبقى عاجزة على مواكبة تطورات العصر المستجدة.

قبيل إندلاع الحرب الأهلية وإرتفاع الأصوات المطالبة بالتغيير

= لكل مسيحي في الشرق الأوسط عندما يتعرض لإضطهاد بسبب إعتقاده من قبل الإمبريالية الإسلامية والصهيونية. أمين الساعي، "بيروت تستدرج الجبل إلى التوحيد والجبل يستدرجها إلى... التقسيم"، مجلة "الحوادث"، العدد: 1365، 13-12-1982، ص 13.

(1) سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص 134-136.

(2) أنظر: عصام نعمان، مرجع سابق، ص 33-59.

(3) هذا التفسير يعتقد فيه البعض أنه مجرد مبرر لعدم تصدي الجيش اللبناني للإعتداءات الإسرائيلية المنفذة ضد سيادة لبنان. أنظر:
BOURGIT (Albert) et WEISS (Pierre), "les complots libanais: guerre ou paix au proche orient?", Imprimerie chastrusse, Parie, 1978, P.58.

(4) يقصد بها صيغة الإستقلال 1943، والقاضية بالتمثيل الطائفي للسكان بما يضمن التفوق للطائفة المارونية سياسيا وإقتصاديا، وهي الصيغة التي قال عنها بيان لحزب الكتائب في 18-8-1975 ((أن لبنان الوطن في وجدان الكتائب.. صيغة نموذجية فريدة في تعايش الأديان والحضارات وتفاعلها الرائع.. تعتبر الكتائب أن الحوار البناء يجب أن يكون... ضمن مبادئ الصيغة اللبنانية)). نقلا عن: مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 541.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصوصا في الأوساط الإسلامية واليسارية القريبة من الثورة الفلسطينية ، كان أمام الفريق الإنعزالي للمحافظة على مصالحه إحتمالات عديدة ، [1] على أنه فضل إستخدام الوسيلة العسكرية وعنها يقول وليم حاوي رئيس مجلس الأمن لحزب الكتائب سنة 1970 ((مع الأسف الشديد أن بعض الأحداث المفتعلة والحركات المشبوهة التي تقع في البلاد لاتستطيع أن تقف في وجهها قوى الأمن أو أن يتدخل الجيش.. فلما رأى الحزب هذا الواقع المرير قرر العودة إلى التدريب بغية الحفاظ على الكيان اللبناني وعلى جو الحرية في البلاد..)) [2]، لتشكل بذلك مقدمة حقيقة لخوض المعركة المسلحة التي فجرتها هذه القوات في أفريل 1975 [3] ضد المقاومة الفلسطينية ومن ثم حليفتها الحركة الوطنية اللبنانية ، وإذا كان قد تعذر تدخل القوات الغربية لمصالح الفريق الإنعزالي فإنها وجدت في إسرائيل أحسن عون لها ساعدها على إنشاء دويلة في الجنوب وما يعنيه ذلك من مساس لوحدة لبنان للمرة الأولى منذ إنشائه ، ليقابلها في ذلك فريق معارض يتمثل في الحركة الوطنية المتحالفة مع الثورة الفلسطينية .

ثانيا : القوى الوطنية والتقدمية .

يتمثل الفريق الثاني المقابل للقوى الإنعزالية اليمينية في القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، فهي يسارية لإستنادها على عموم الشعب في مقابل اليمين صاحب الإمتيازات الواسعة كما أنها وطنية وقومية في مقابل الإنعزال عن العالم العربي، وهي تتمثل في تنظيمات عديدة يغلب عليها

---

(1) أهم هذه الإحتمالات تلك التي إعتقدها جورج حاوي سنة 1969 وهي ثلاثة : يقضي الأول بتشجيع مبدأ الطائفية وتصعيده إلى درجة الإقتتال مع إعتبار أن العمل الفدائي جزء من التناقضات الطائفية ، ويقضي الثاني بالعمل على تدويل القضية اللبنانية وإرجاع سببها إلى تدخل أطراف عربية وذلك لتبرير إستدعاء قوات إستعمارية لحسم الموضوع نهائيا ويكمن الإحتمال الثالث في إمكانية إستدعاء إسرائيل في حالة إنهيار إنفلات زمام الأمور من أيديهم أي القوى الإنعزالية . نقلا عن : مهدي عامل ، "النظرية في الممارسة السياسية - بحث في أسباب الحرب الأهلية في لبنان" ، القسم الأول ، دار الفارابي ، بيروت ، 1979 ، ص 510 .

(2) نقلا عن : سامي ذبيان ، مرجع سابق ، ص 17 .

(3) فجرتها قوات حزب الكتائب ولكن فيما بعد تنظيمات وأحزاب عديدة شاركت في إطار هذا الفريق أهمها : حزب الكتائب ، حزب الوطنيين الأحرار ، التنظيم التابع للرابطة المارونية والرهبانيات ، حراس الأرز ، جيش التحرير الزغرتاوي ، لواء المردة ، حركة الشبيبة اللبنانية ... الخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطابع الإسلامي ولذلك مبرراته.(1)

متى كانت مبررات المسلمين بواسطة زعمائهم في القبول بصيغة الإستقلال ومنح إمتيازات خاصة للمسيحيين مدافع البعض لإعتقاده بأنهم وافقوا على عزلة لبنان ومناهضتهم بالوحدة العربية إلا تهديدا للمسيحيين كي لا يتورطوا في سوء معاملاتهم وهضم حقوقهم،(2) بالرغم من ذلك فإن المسلمين لم يستطيعوا الصبر طويلا عن الممارسات الداخلية والخارجية لحكوماتهم، وفي مقدمة ذلك العلاقات مع العالم العربي والموقف من الحركة التحريرية العربية على رأسها الثورة الفلسطينية، بحيث مع بداية المشكلة الفلسطينية تجاوب معها اللبنانيين والمسلمين منهم خاصة سواء أكان ذلك وجدانيا أو سياسيا، ليتضح بأن تنازل المسلمين في لبنان تجاه العالم العربي غداة الإستقلال ليس كما يفهمه الفريق المسيحي كمسألة إستمرارية ودائمة بل نتيجة تلك المرحلة وضرورة إنهاء عهد السيطرة الأجنبية وبناء وطن موحد يقف بالدرجة الأولى ضد العالم الغربي الإستعماري.(3)

في سياق هذا الطموح الوطني تورطت السياسة اللبنانية مع المصالح الأجنبية وخاصة الأمريكية فنشأت الجبهة الإشتراكية الوطنية بزعامة كمال جنبلاط سنة 1951 ضد سياسة بشارة الخوري، وحدث التحالف مع كميل شمعون الذي إستطاع بفضل تأييد هذه الجبهة الوصول إلى الرئاسة، على أن موقفه المعادي للعروبة وإستنجاده بالقوات الأمريكية في 1958 وسياسته قبل ذلك برهنت على أنه يمثل البرجوازية المرتبطة بالإمبريالية مما جعل المقاومة اللبنانية الوطنية تزداد في شكل نضال سياسي من أجل تحقيق الإستقلال الحقيقي وربط لبنان بمصير العالم العربي وحركته التحررية.(4)

في هذه الظروف كانت الحركة الوطنية اللبنانية في مقدمتها الحزب

---

(1) المبرر الأساسي يكمن في أن المسلمين كانوا ((يتخبطون في أوضاع إقتصادية وإجتماعية متخلفة بالنسبة للمسيحيين... أحسوا بعد الإستقلال وبعد إندماجهم في الواقع اللبناني بأنهم مواطنون غير متكافئين مع المسيحيين أمام فرص الحياة فنشأت مشكلة طبقية متصلة بالمشكلة الطائفية)). نقلا عن: باسم الجسر، "النظام السياسي في لبنان بين الميثاق الوطني والتلاحم الوطني"، مرجع سابق، ص 133.

(2) جلال السيد، "الحزب أو مشكلة الأمة العربية وعلاجها"، دار اليقظة العربية، بيروت، 1973، ص 144-145.

(3) باسم الجسر، "النظام السياسي في لبنان بين الميثاق الوطني والتلاحم الوطني"، مرجع سابق، ص 133-134.

(4) سليمان تقي الدين الصلح، مرجع سابق، 81-82.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقدمي الإشتراكي تمثلهم عملهما من الإجحاف الحاصل في توزيع الخدمات ومن التعسف والظلم والتحكم الفردي الطائفي في الداخل والإنحياز للغرب على الصعيد الخارجي، فكانت بذلك هذه القوى متأثرة بما يجري على الصعيدين لتزداد التيار القومي الوطني متانة في لبنان مع نهوض حركة التحرر العربي ضد الإستعمار وحلف بغداد وبروز جمال عبد الناصر وتأميم قناة السويس وتجربة الوحدة المصرية - السورية مما يجري في مجمله ظهور تنظيمات ناصرية عديدة في لبنان حيث أصبحت أهداف جمال عبد الناصر حسب إعتقاد البعض هي المرآة لكرامة الإنسان الشخصية والوطنية على الصعيد العربي.(1)

إلى غاية إندلاع الثورة الفلسطينية في جانفي 1965 ظلت القوى الوطنية والتقدمية بتنظيماتها العديدة تعمل بدون تنسيق محكم فيما بينها وغلب عليها التحرك بأشكال مختلفة في ظل السعي لتنسيق مواقفها بقيادة كمال جنبلاط وتوماتوج في نفس السنة إلى ظهورها في شكل جبهة واحدة سميت بجبهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية، وبالرغم من الخلاف إلا أن وحدتها على الصعيد الإستراتيجي وإلتقائها المبدئي ظل قائما حول ثلاثة مرتكزات أساسية: القضية القومية والتحرر العربي وكذا النضال الإجتماعي في لبنان ثم قضية الديموقراطية في معناها العام بما فيها المطالبة بإلغاء التمييز الطائفي وتحقيق الحرية وديموقراطية التعليم، فمثل ما كان ذلك شأن الحزب التقدمي الإشتراكي فقد كان من إهتمامات الحزب الشيوعي اللبناني وحركة القوميين العرب.(2)

بعد العدوان الإسرائيلي لسنة 1967 أين إتضح بأن لبنان لم يقم بالدور اللازم المفروض على أي بلد عربي أن يقوم به ثم إزدياد نشاط الثورة الفلسطينية من هذا البلد ومواجهتها من قبل الجيش اللبناني، بعد هذا حدثت تحولات كبيرة في رؤيا القوى الوطنية والتقدمية وخاصة الماركسية منها وذلك بتبنيها لقضيتي تحرير فلسطين والوحدة العربية كما حدث تطور في موقف الحركة القومية أو بعضها نحو الفهم الإجتماعي والعلمي للصراع الطبقي والسياسي، بما يعني أنها أصبحت تعادي اليمين وتسلك نهجا وطنيا

---

(1) نبيل شادي، "كمال جنبلاط ـ التحدي الكبير"، مرجع سابق، ص 96.
(2) نفس المرجع، ص 97-99.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاديا للنظام الرأسمالي مما يجعلنا نعتقد بأن الثورة الفلسطينية ساهمت[1] بقدر كبير في تمتين الأسس المشتركة للقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية .

بناء على ذلك فقد أضحى الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان قاسما بين القوى اللبنانية الداخلية حيث رفض المسلمون المشاركة في الحكومة بعد الفراغ المسجل في ماي 1969 كأسلوب ضغط لرفع الحصار على المقاومة الفلسطينية وضرورة القبول بإنشطتها ومساعدتها وهو ما تجسد في إتفاقية القاهرة في نفس السنة ، هذه الإتفاقية التي ظلت محل رفض غالبية القوى المسيحية[2] .

بالرغم من هذا الإنجاز في ربط لبنان بالنزاع العربي- الإسرائيلي فإن القوى الوطنية والتقدمية ظلت تمارس ضغوطاتها من أجل أحداث إصلاح سياسي وإقتصادي وإجتماعي بحكم عداءها الإستراتيجي للسلطة الحاكمة والقوى الموالية لها المتمسكة بالصيغة الأولى للإستقلال ، ونتيجة لإنعدام القدرات الذاتية الحربية لهذه القوى لإحداث التغيير المنشود فإن الوسيلة الوحيدة ظلت تتمثل في العمل السياسي وهذا بالإعتماد على الجماهير وتنظيمها للقيام بالإضرابات والتجمعات مما جعلها بعيدة عن سياسة نظرية تقوم على العنف الثوري في الوقت الذي كان فيه الفريق المضاد متقدما إلى حد كبير في بناء أداته العسكرية لحسم الموقف لصالحه نهائيا في ضوء بداية التلاحم الفلسطيني مع القوى الوطنية والتقدمية[3] .

يتضح من ذلك أن القوى الوطنية اللبنانية تركز في عملها بالدرجة الأولى على الأداة السياسية على أن الملاحظ في هدفها ليس إصلاحات إجتماعية وسياسية داخلية فحسب ولكن لصيانة وحماية المقاومة الفلسطينية منعا لتكرار ما حدث لها في الأردن سنة 1970[4] ، وهذا كله في ثمرة المد الذي وصلت إليه الحركة التحررية العربية عقب حرب أكتوبر وما تلاها من سياسة مشبوهة بعد وصول هنري كسنجر للمنطقة لإجهاض هذا المد الثوري وقلب الإنتصار حتى

---

(1) نفس المرجع ، ص 100-105 .
(2) BOURGIT (Albert) et WEISS (Pierre), op.cit, P.58-61.
(3) سامي ذبيان ، مرجع سابق ، ص 18-23 .
(4) ذلك ما عرف بمذابح أيلول الأسود ، ففي 9-9-1970 بدأت القوات الأردنية هجوما على مواقع المقاومة الفلسطينية وعلى الرغم من عدة إتفاقيات لوقف ذلك إلا أن القتال يندلع من جديد حتى تم إخلاء الأردن من التواجد الفلسطيني المسلح في 15-11-1971 ، لينتقل بثقل كبير إلى لبنان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن كان معنويا إلى تزيمة وإستسلام .

في خضم ذلك كانت القوى الإنعزالية والسلطة اللبنانية ترى في تلاقي القوى الوطنية والتقدمية مع الثورة الفلسطينية ليس تهديدا لمصالحها فحسب ولكن لسيادة لبنان، وإن كان ذلك في إعتقادنا ماهو إلا مبررا لضرب هذا التلاقي والتلاحم، حيث أقدمت بالفعل على تفجير الأوضاع عبر إستغلالها لمظاهرة صيادي الأسماك في صيدا في 27-2-1975، فكانت النتيجة أن قوبلت هذه المظاهرة بمجابهة قوية من طرف الجيش اللبناني تسببت في ظروف غامضة — في مقتل الناشب معروف سعد وأفراد من الجيش لينفتح المجال أمام مجابهات أكثر حدة وتحددت المواقف بين من يريد تهدئة الأوضاع وبين من يريد تصعيدها ضد الجيش والحكومة إستغلالا للنقمة الشعبية الواسعة للدخول في مرحلة فرض التغيير المنشود منذ مدة طويلة .(1)

وبعد أكثر من شهر على ذلك وقعت حادثة عين الرمانة، وبدون الدخول في تفاصيل التناقضات الحاصة في بيانات حزب الكتائب و المقاومة الفلسطينية ومن كان البادئ بالقصف، فإن القوى الوطنية والتقدمية أصدرت(2) بيانا ساندت فيه الكفاح الفلسطيني محملة حزب الكتائب مسؤولية المجزرة وطالبت بحل هذا الحزب وطرد وزرائه من الحكم وقطع كل حوار معه وإقتحام المناطق التي تسيطر عليه مليشياته، وفي غمرة الإتهامات(3) المتبادلة بدأت معالم الحرب الأهلية اللبنانية تتخذ طابعا طائفيا مرتبطة أشد الإرتباط بالتناقضات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية .

في هذه الأثناء كانت القوى الوطنية والتقدمية تفتقر إلى القدرة والتجربة في ميدان العمل المسلح ولذلك غلب عليها الحوار السياسي لربح الوقت ولتستعد بشريا وماديا، وهي بذلك في بداية الحرب كانت تعمل في حدود دفاعية مما جعل البعض يحملها قسطا كبيرا من المسؤولية بالزج بالمقاومة الفلسطينية في الحرب اللبنانية، وهو ما كان يتماشى وهدف إسرائيل، كما أن ضعف إمكانيات القوى الوطنية والتقدمية سبب إزعاجا

---

(1) أنظر : مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 6-13 .

(2) أنظر : نفس المرجع، ص 21-25 .

(3) راجع النص الكامل لهذا البيان في: نفس المرجع، ص 386-387 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كبيرا حتى لسوريا والإتحاد السوفييتي.[1]

نتيجة للشعور بالخطر الواقع والمشترك إستطاعت القوى الوطنية والتقدمية من تخطي الإختلافات الموجودة فيما بينها ولو لفترة معينة، فبعد أن كانت مواقف غالبيتها متباينة بحسب تباين منطلقاتها النظرية من وطنية أو يسارية أو قومية فإن ظروف بداية الحرب وإستمرارها حتم عليها أن تتوحد في جبهة واحدة لتصدر في 18-8-1975 مطالب مشتركة عرفت ببرنامج الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية لإصلاح النظام السياسي في لبنان.[2]

بإعتقادنا أن هذا البرنامج يعد بداية حقيقية للعمل المشترك على الصعيدين السياسي والعسكري لهذه القوى ضد الفريق المضاد، ومما يمكن إستنتاجه من ذلك أن ما كان مطلوباً ليس قلب الأوضاع اللبنانية جذرياً بما يعنيه ذلك من الإنتقال من النظام الرأسمالي إلى الإشتراكي، فالمقصود بالعلمنة هو ((إزالة كل أثر للصيغة الطائفية في مختلف مجالات الحياة اللبنانية ... في مجال التمثيل الشعبي وفي الإدارة والقضاء والجيش))[3][4]، مما يعني أن المطلوب هو تحقيق إصلاح يؤدي إلى بناء ((نظام ديموقراطي عصري قادر على مواجهة المشكلات الإقتصادية والإجتماعية الناجمة عن التطور الرأسمالي للبنان))[5].

مما تقدم نستخلص بأن هناك تباعدا كبيرا بين الفريقين اللبنانيين

---

(1) نفس المرجع، ص 23-27.

(2) أهم ما جاء في هذا البرنامج: إلغاء الطائفية السياسية وإحداث إصلاح ديموقراطي للتمثيل الشعبي في مجال التمثيل النيابي والمحلي وإصلاح الإدارة وإعادة تنظيم الجيش وتعزيز الحقوق والحريات الديموقراطية العامة والدعوة إلى إنتخاب جمعية تأسيسية، وهذا كله بعد أن جرى التأكيد على عروبة لبنان ووحدته وضرورة مساندة الثورة الفلسطينية بحيث أن هذه الثورة تقاتل من أجل تحرير وطنها فحسب بل وتقاتل دفاعا عن لبنان أيضا. راجع النص الكامل لبرنامج الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية في: نفس المرجع، ص 539-541.

(3) من بين الحلول المقترحة لتخطي لبنان لأزمته المزمنة نجد من ينادي بتطبيق العلمنة وهي تتمحور حول فصل الدين عن الدولة ليس بالأسلوب الذي حدث في أوروبا في السابق كما أنها لا تعني إلغاء الدين بالشكل الإلحادي ولكن إلغاء الإعتراف بالطوائف ككيانات مستقلة، وهي مع ذلك لها تفسيرات عديدة من بينها من يريدها في شكل توحيد أحكام الأحوال الشخصية، وبذلك فإنها تطرح على الصعيد العملي بعض المشاكل كزواج المسلمة من غير المسلم وكذا مشكلة الميراث وعليه يعتقد البعض إستحالة تطبيق العلمنة في لبنان خصوصا في الظروف الحالية. أنظر: خالد قباني، مرجع سابق، ص 635-648.

(4) (5) مركز الابحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 539-540.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرئيسيين المتصارعين، هذا التباعد النابع من مفاهيمهما المختلفة للوطن ولعلاقاته الخارجية ، فإذا كانت القوى الإنعزالية بزعامة حزب الكتائب تدافع عن صيغة الإستقلال وتحمس للإنفتاح على العالم الغربي بحكم الإرتباطات الحضارية حسب إعتقادها مع التحفظ من العالم العربي ونزاعه مع إسرائيل، فإن القوى الوطنية والتقدمية بزعامة الحزب التقدمي الإشتراكي بخلاف ذلك ترفض الطائفية من الأساس وتنبذ الفوارق الإجتماعية الصارخة وتراعي أولوية لبنان مع محيطه العربي.

ونظرا إلى أن هذا التناقض لم يحسم سياسيا بحكم تصلب الطرفين فإن بداية السبعينات والتحولات التي حدثت في المنطقة وفي داخل لبنان عجلت بإبراز التناقض وتصعيده أكثر من الفترات السابقة ولم يبقى في ضوء ذلك إلا الإحتكام لوسيلة العنف في شكل حرب أهلية ، وحيث إستحال على القوى المتصارعة الإعتماد على إمكانياتها الذاتية خاصة في مجال التسليح فقد كان اللجوء إلى المساعدات الخارجية أمرا طبيعيا ، وعليه فقد أعطيت الفرصة وبكل سهولة للأطراف الخارجية كي تؤثر بدرجات متفاوتة في ما يجري في الساحة اللبنانية ، ليتضح بأن ماجرى في لبنان هو نتيجة عرض سياسي يهدف إصلاح لبنان إلا أن النتيجة أدت بالكيان اللبناني إلى الإنهيار وهذا كله جاء على إثر إختيار الوسائل في بلوغ الأغراض السياسية [1].

في ختام هذا الفصل نخلص إلى مدى ضعف أوقوة الدولة اللبنانية متبعين المقاييس التي وضعها الدكتور إيلي سالم في الحكم لها أوعليها من خلال سياستها الداخلية والخارجية [2].

1 — ممالاشك فيه أن من أسباب تماسك وقوة الدولة أسبقية الرموز الوطنية والوحدوية على الشعارات الطائفية والنظرة الضيقة ، ففي لبنان لايتوفر هذا بحيث أن الولاء للطائفة أسبق من الولاء للوطن مما يؤدي إلى القول بأن [3]

---

(1) أدونيس العكرة ، "من الدبلوماسية إلى الإستراتيجية - أمثولات من الحرب الباردة" ، دار الطليعة ، بيروت، 1981، ص 127.

(2) أنظر : إيلي سالم ، "علم السياسة ونظرية الإنماء والتخلف" ، في: نخبة من رجال الفكر ، "النظام السياسي الأفضل للإنماء في العالم الثالث (لبنان والدول العربية)" ، ندوة الدراسات الإنمائية ، منشورات عويدات ، بيروت، 1971، ص 7-18.

(3) نفس المرجع، ص 14.

اللبنانيين فلبياسي الثقة في الحكم المركزي بل وتنعدم هذه الثقة في[1] كثير من الحالات مثل ما حدث في الحرب الأخيرة سواء خلال إنقسام الجيش سنة 1976 أو من خلال مواجهة بعض القوى للسلطة الحاكمة .

2 - في ما يتعلق بمساهمة الشعب اللبناني في القرارات السياسية فإن لبنان يتوفر على الحريات السياسية أكثر من أي بلد عربي حيث تتواجد فيه أحزاب سياسية وتنظيمات عديدة ، إلا أن سيطرة الطابع الطائفي وزعامات معينة عليها كثيرا ما يجعل مساهمتها سلبية وناقصة وإن كان هذا لم ينفي مع مرور الوقت ظهور فئات واعية بالمصلحة الوطنية تمثلت في تنظيمات رئيسية كان لها دورا بارزا في الحرب الأخيرة وإستطاعت أن تدير الأحداث العسكرية والسياسية ليس فقط أن تؤثر فيها ، إلا أن النتيجة النهائية بإعتقادنا كانت سلبية وما إندلاع هذه الحرب وإستمرارها إلا دليل[2] لعدم تمكن غالبية الشعب من المساهمة في صنع القرارات السياسية بالوسيلة السلمية لأن صنعها ظل حكرا على فئة قليلة صاحبة الإمتيازات الطائفية والسياسية والإقتصادية .

3 - في ما يتعلق بتوزيع الخدمات على سائر أفراد الشعب ومدى القضاء على الفوارق الإجتماعية والإستغلال ، فإن القوانين اللبنانية أقرت بأحقية المواطن في الحصول على الخدمات اللازمة إلا أن إستمرار المعيار الطائفي في الإدارة وفي التعليم ومختلف القطاعات شكلت عائقا كبيرا أمام إستفادة كل اللبنانيين من الخدمات اللازمة[3] ، ومما زاد في تكريس ذلك هو البنية الإقتصادية للبلاد ، ففي مجتمع يقوم إقتصاده على البنية الرأسمالية من الصعب أن يستفيد الشخص العادي من كل إحتياجاته الضرورية .

4 - إمكانية المرونة السياسية ، بمعنى مدى إستعداد الجهاز السياسي على تغيير شخصيات ومؤسسات تغييرا يتماشى مع مقتضيات العصر بما فيها الإبداع التقني والإجتماعي ، حيث متى توفرت المرونة السياسية فإن إدخال أجيال جديدة في الحقل السياسي وتغذية الفاعلية الإدارية تصبح أسهل ، ولبنان في

---

(1) يعتقد البعض أن معضلة لبنان الأولى تتمثل في ضعف ثقة الشعب في الحكم المركزي ومن هنا فالمطلوب على حد تعبير تقي الدين الصلح هو : ((ليس الذكاء ولا الدهاء ... لا البراعة في فنون السياسة ولا الحذق في مسالك الدبلوماسية ... المطلوب أولا وقبل كل شيء هو شيء من الثقة ، الركن الأول لكل حكم هو حد أدنى من النزاهة)) . نقلا عن : تقي الدين الصلح ، مرجع سابق ، ص 106 .

(2) (3) إيلي سالم ، مرجع سابق ، ص 15-17 .

هذا بالرغم من بعض المحاولات الإصلاحية إلا أن إستمرار شكل الحكم الطائفي والعشائري وسيطرة عائلات معينة وأصحاب المصالح حال دون التغيير بما يتماشى والظروف الجديدة، ولذلك قوبلت البرامج الإصلاحية بالرفض سواء أكانت سياسية أم إقتصادية أم إجتماعية.[1] [2]

5- من عوامل قوة الدولة إمكانياتها على الصعيد الخارجي كقدرتها للحفاظ على تأمين إستقلالها بقوة أداتها العسكرية أو بحسن علاقاتها مع المجموعة الدولية والمشاركة في قراراتها متى توفرت الفرصة لذلك، وإذا نظرنا إلى لبنان من هذه الزاوية فهو يتوفر حسب إعتقاد إيليا سالم على عناصر قوة عديدة بإمكانها أن تؤثر إيجابيا في سياسته الخارجية وذلك بالنظر إلى مهاجريه وثقافة أبنائه ومركزه في البلاد العربية، وبالتالي فإن ضعف دوره على الصعيد الدولي ماهو إلا نتيجة النقص في تجنيد وإستغلال هذه الإمكانيات وليس لفقدها.[3]

بالرغم من قبولنا بذلك إلى حد كبير إلا أن النقص في الإمكانيات يبقى واردا فعدم الإنسجام الداخلي على أكثر من صعيد وضعف الإمكانيات العسكرية بشريا وماديا وتنظيميا بجانب دولة توسعية يؤكد لنا بأن العوامل الثقافية والعلاقات مع الدول الغربية مهما تحسنت فإنها لن تكون لوحدها كفيلة بحماية البلاد أو تنشيط سياستها الخارجية في ظل عالم تقوم قواعده على القوة العسكرية والإقتصادية بنسبة كبيرة، وأصبح لبنان بهذا الضعف مضطرا إلى طلب الحماية الخارجية كدولة، ونتيجة الإنقسامات فإن كل فريق يطلبها من المصدر الخارجي الموالي له، فإلى أي مدى كان تأثير القوى الإقليمية أي إسرائيل وسوريا وم.ت.ف في الحرب الأهلية اللبنانية؟ ذلك ماستحاول الفصول القادمة الإجابة عليه مع توضيح لموقف القوتين العظميين ضمن الفترة المحددة.

---

(1) BOURGIT(Albert) et WEISS(Pierre),op.cit,P.26-31.

(2) في ذلك يعتقد إيليا سالم بأن لبنان ((لم يزل متحجرا إلى حد بعيد في بعض رموزه ومبادئه السياسية، وقد يزداد خطر هذا التحجر بإزدياد الهوة بين التطور الحياتي والمعادلة السياسية الجامدة)). إيليا سالم، مرجع سابق، ص 18.

(3) نفس المرجع، ص 14-18.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعد إسرائيل من بين القوى الإقليمية المعادية في حدودها للبنان، وإذا كان من المعروف عنها أنها تنتهج سياسة توسعية عدوانية بمساندة الدول الغربية وخاصة و.م.أ فإن ذلك يميزها عن القوى المجاورة لها ليس في نشأتها فحسب بل وفي مفهومها للأمن القومي.(1)

بناء على ذلك فقد شكل إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية بالنسبة إليها فرصة نادرة من أجل الإستمرار في سياستها والإستفادة من هذه الحرب بما يخدم تطلعاتها ضد الحركة التحررية العربية وفرض الإستسلام عليها، ففي سياق أهدافها المعلنة فإن إسرائيل إعتمدت على إيجاد مبررات للتدخل في لبنان وخلفية ذلك تكمن في أن لها أهدافا منها ما يتعلق بلبنان في حد ذاته لما يشكله من مجال حيوي بالإمكان السيطرة عليه وهذا مرتبط بأهداف إقتصادية وسياسية، ومنها ما يتعلق بأعدائها الإستراتيجيين في المنطقة وخاصة الثورة الفلسطينية التي إتخذت لبنان ساحة نشيطة للعمل العسكري والسياسي في سبيل إسترجاع حقوقها المغتصبة، بالإضافة إلى سوريا التي تتمتع بمكانة خاصة في الحرب اللبنانية.

لتحقيق هذه الأهداف ربطت إسرائيل الحرب الأهلية اللبنانية بما يجري في المنطقة وتمكنت عبر إستراتيجية محكمة من كسب حلفاء لها داخل لبنان، وإعتمادا على قوتها العسكرية وتأييد و.م.أ لها تمكنت من السيطرة على أول عاصمة عربية في صيف 1982 لتكون بذلك قد لعبت دورا أساسيا في الحرب الأهلية اللبنانية.

المبحث الأول: الإستراتيجية الإسرائيلية وموقع لبنان منها قبيل 1975.

من القانون الطبيعي لحياة الأمم أن الحرب ليست مقصودة لذاتها وإنما هناك أهداف تتحداها، وإسرائيل في حروبها مع العالم العربي كانت لها أهداف تعتقد أنها حققت الجانب الأكبر منها ومازال الباقي وهذا كله

---

(1) من بين تعاريف الأمن القومي أنه يعني: ((تأمين سلامة الدولة ضد أخطار خارجية وداخلية قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية نتيجة ضغوط خارجية أو إنهيار داخلي)). عبد الوهاب الكيالي وآخرون، " موسوعة السياسة " الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 331. بما يعني أن تحرك الدولة يكون في حدود الدفاع عن السيادة وهذا بإستخدام الوسائل التي تحقق الهدف الدفاعي وليس القيام بعدوان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سياق إستراتيجية طويلة المدى، وبالتالي فإن دورها في الحرب اللبنانية ما هو إلا فصل من فصول هذه الإستراتيجية الشاملة والتي مهما قيل عن سياسة لبنان الحيادية وموقفه من النزاع العربي - الإسرائيلي فإنه يظل مستهدفاً بشكل أو بآخر طال الزمن أم قصر.

المطلب الأول: الإستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة قبيل 1975.

تتسم الدولة الإسرائيلية بالشذوذ والتناقض على أكثر من صعيد(1)، بدءاً بنشأتها إلى وقتنا الحالي وهو ما طبع إستراتيجيتها بحالة خاصة على الصعيدين الداخلي والخارجي، ضمن بين المبررات التي تطلقها لتنفيذ سياستها العدوانية والتوسعية - سعيها للحفاظ على أمنها القومي المهدد من قبل جيرانها العرب - الذين فقدوا أراضيهم وحقوقهم مما يوحي بأن لها مفهوماً خاصاً للأمن القومي.

إن الطريقة الفريدة التي وجدت بها إسرائيل كدولة غير مرغوب فيها من قبل جيرانها جعلتها تسلك طريقة خاصة ليس لتبقى على قيد الحياة ولكن لتفرض إرادتها على الآخرين بالإكراه، فاقتضى منها ذلك تبني مفهوماً خاصاً للحدود على أساس التحرك الدائم لها(2).

بناء على ذلك فإن مفهوم إسرائيل للأمن القومي ينطلق من تفسيرها الذاتي مما منحها حرية التحرك بحيث في كل مرحلة تضع حدوداً هي بمثابة مواقع إذا تجاوزتها الدول العربية خاصة فمعناه أن أمنها تعرض للخطر مما يتطلب منها شن حرب لمنع ذلك وهي في حقيقة الأمر مجرد مبررات لقيامها بعدوان جديد(3).

إذا كانت إسرائيل شاذة في مفهومها للأمن القومي فإنها كذلك في طريقة

---

(1) أنظر: وليد سليم عبد الحق، "جدلية البناء والمؤسسة في الكيان الصهيوني (المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية) العدد: 8، 1984، ص 16-27.

(2) في هذا الصدد يؤكد الدكتور وليد سليم عبد الحق بأن أي من كتاب قادة الحركة الصهيونية لم يضع حدوداً لمفهومها (المعاصر) للدولة، فكافة الكتابات تتمحور عن حق تاريخي في أرض إسرائيل. نفس المرجع، ص19-20.

(3) كمثال على ذلك فقد شنت إسرائيل عدوانها سنة 1967 بحجة أن الطرف العربي إعتدى على القوات الإسرائيلية من خلال التهديدات المصرية واستمرار الكفاح الفلسطيني وغيرها، وهو ما يؤكده في مجمله أنه من اللازم على البلدان العربية الإستخدام للأمر الواقع والتخلي عن الخيار العسكري. إبراهيم العابد، "مدخل إلى الإستراتيجية الإسرائيلية"، مركز الأبحاث: م.ت.ف، بيروت، 1971، ص 35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسته بحيث إعتمدت ومنذ بروزها في المنطقة على سياسة عدوانية في سبيل البقاء على الشكل الذي تريد وليس حسب قرار التقسيم، على أن ذلك إقتضى توفر عوامل عديدة وإلا تعرضت للتدهور وربما للزوال.

في مقدمة ذلك إرتباط الأمن الإسرائيلي بالدعم الخارجي الإمبريالي (1) فكما أنها الدولة التي ما كانت لتنشأ لولا الدعم الإمبريالي الذي وجدته من قبل الدول الإستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا إنطلاقا من وعد بلفور إلى قرار التقسيم (2)، فإن بقاءها قد إرتبط بإستمرار الدعم الخارجي الذي تعددت مصادره وتتمثل بالخصوص في ما تجمعه الحركة الصهيونية العالمية (3) عبر شبكة محكمة وموزعة على كل القارات وما تقدمه لها الحكومات الأجنبية وفي مقدمتها و.م.أ والمانيا الغربية وكذا بعض المؤسسات الدولية (4).

ما يلفت الإنتباه في إعتماد إسرائيل على الدعم الخارجي هو أن و.م.أ أضحت وخاصة بعد حرب 1967 في مقدمة القوى التي تساند إسرائيل عسكريا وإقتصاديا وسياسيا وإعلاميا، بل وستبقى على ذلك على حد قول الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر: ((إن الولايات المتحدة وقفت إلى جانب إسرائيل خلال الأعوام الثلاثين الماضية وسوف تستمر بهذا الأمر ليس لثلاثين سنة أخرى فقط بل إلى الأبد)) (5).

يستند التأييد الأمريكي إلى إعتبارات في غاية من التعقيد، فمن بين ما ظهر منها أنها تشكل حارسا أمينا لها في المنطقة ضد الإتحاد السوفيتي

---

(1) حول أهم مصادر هذا الدعم أنظر: جودة عبد الخالق، "من يساعد إسرائيل- التمويل الخارجي لإسرائيل منذ إنشائها وأثره في دعم إمكانياتها"، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985، ص146.

(2) أنظر: محمد عبد الرحمن برج، "تحالف الصهيونية والإستعمار- مقدماته ونتائجه"، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص187.

(3) حول نشأة وتطور الحركة الصهيونية وعلاقاتها بإسرائيل راجع ما يلي:
- صبري جريس، "تاريخ الصهيونية 1862-1917" الجزء الأول، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، الطبعة الثانية، 1981.
- عباس محمود العقاد، "الصهيونية وقضية فلسطين"، تحرير: الحساني حسن عبد الله، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون سنة الطبع.
- أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفيتي، "الصهيونية الدولية - تاريخها وسياستها"، (مجموعة مقالات)، ترجمة: محمد الجندي، دار إبن رشد ودار الفارابي، بيروت، 1979.

(4) BENDELAC(Jacques),"les fonds exterieurs dIsrael-la fin de lIsrael connection?"ed,économica,Paris,1982,P.2.

(5) نصار علمية، "سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 265.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحركة التحررية العربية ، وعليه إرتبط أمنهما ببعض، فعن ذلك عبر الجنرال ديفيد جونز رئيس أركان حرب القوات الأمريكية أمام الكونغرس بأن الأسلحة المقدمة لإسرائيل ((ليست من أجل أمن وبقاء إسرائيل فقط وإنما الشيء الذي يجب أن يكون واضحا هو أن قوة وبقاء إسرائيل كقوة غربية مستقلة في الشرق الأوسط تعتبر مسألة بالغة الأهمية هذه الدولة الغربية بالمنطقة عامل حيوي للدفاع عن أوروبا ، وعلى المدى الطويل للدفاع عن أمن الولايات المتحدة)).(1)

العامل الآخر الذي يدفع و.م.أ لمساندة إسرائيل هو الدور الذي يقوم به اللوبي الصهيوني فيها، حيث تذهب بعض الكتابات الإسرائيلية(2) إلى الإعتقاد بأنه مادامت و.م.أ دولة ديموقراطية كبيرة فإنه بإمكان إسرائيل أن تجند الجالية اليهودية وزعمائها وهذا للتأثير في الحكومة الأمريكية وفي الكونغرس عن طريق الزعماء الأمريكيين المناصرين لفلسطينا من أجل كسب مزيد من التأييد والمساندة.(3)

وبفعل عوامل عديدة أهمها الإمكانيات المادية التي تتوفر عليها الأقلية اليهودية ، إستطاع اللوبي الصهيوني أن يتغلغل داخل النظام السياسي ومن ثم التأثير في القرار الأمريكي(4) وجعل و.م.أ سواء أكان الحزب الحاكم جمهوري أم ديموقراطي، جعلها تلتزم بإستمرار على تقديم التأييد والمساندة لإسرائيل على حساب الحق العربي.

بناءا على ذلك فإن كل الدلائل تشير إلى أن إسرائيل لاتستطيع الإستمرار بدون الدعم الخارجي ليس في الوقت الحاضر فحسب بل ومستقبلا ، فإذا كانت كثير من الدول تعيش في حالة سلم وواقعة على الدوام تحت حاجة الدول العظمى، فإن حال إسرائيل -وهي ماتزال ترسم لمخططات توسعية وعدوانية تستنزف طاقاتها البشرية والمادية- يؤكد بأن أمنها القومي

---

(1) محمد السعيد إدريس، "الرؤية الأمريكية لإسرائيل" ، في: السياسة الأمريكية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1982، ص 217.

(2) حول الدور الذي لعبته وتلعبه الأقلية اليهودية في و.م.أ راجع:
- مصطفى عبد العزيز، "الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية"، مركز الأبحاث، م.ت.ف، 1968.
- هنري فورد، "اليهودي العالمي - المشكلة الأولى التي تواجه العالم"، ترجمة: خيري حماد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون سنة الطبع.

(3) لاري ل. فابيان وزئيف شيف، محرران، "إسرائيليون يتكلمون - حوار بين إسرائيليين حول القضية الفلسطينية والصراع العربي-الإسرائيلي"، ترجمة: ولسون ب. بشاي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت، 1977، ص 137.

(4) أنظر: مصطفى عبد العزيز، مرجع سابق، 191ص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمفهومه الشامل مازال في حاجة إلى دعم وعطف القوى الخارجية والأجنبية.

بالإضافة إلى ذلك فإن وجود إسرائيل واستمرارها إرتبط بالإعتماد على بناء إستراتيجية عسكرية قوية لتنفيذ أهدافها، وعليه فإنها حرصت باستمرار على إمتلاك أحدث الأسلحة وتحقيق التفوق العسكري في مقابل الطرف العربي ككل، ودأبت على تحسين أساليب القتال ومحاولة الإعتماد على النفس لإنتاج وتطوير الأداة القتالية بما في ذلك السلاح النووي للتحرر من التبعية الخارجية في هذا الميدان وتموين حلفائها.(1)

على صعيد التفوق العسكري فقد ربطت إسرائيل سلامة أمنها القومي بحصولها على السلاح المتقدم من حلفائها الغربيين وخاصة و.م.أ، إضافة إلى إعتمادها على إمكانياتها الذاتية كما يتجلى ذلك في تجنيد أكبر عدد ممكن من الأشخاص مقارنة بالجيوش العربية ككل، وأصبحت بذلك في وقت لا يتجاوز سكانها 4 ملايين بإمكانها خلال 72 ساعة من التعبئة الشاملة أن تجند 550 ألف شخص حيث يقدر إحتياطها العام بنحو 375 ألف رجل وامرأة.(2)

لم تتوقف إسرائيل عند حد الإمكانيات المادية والبشرية للتفوق على العالم العربي بل إهتمت بتحسين طريقة القتال والتجاوب مع كل الظروف التي قد تتطلب من جيشها أن يتواجد فيها، فتحسين القتال عبر التدريب المكثف والنوعي ليس هدفه إلحاق أكبر هزيمة بالخصم فحسب بل أملته ظروف إسرائيل الخاصة وصغر مساحتها مما يفرض عليها نقل المعركة إلى أرض العدو فضلا على حرصها الشديد على عدم إطالة أمد الحرب لأنها دائما في حاجة إلى إعادة الترتيبات من جديد.

فضلا على ذلك فإن الإستراتيجية الحربية الإسرائيلية تعطي أهمية كبيرة للعامل النفسي الذي تأكد مفعوله حسب إعتقاد شمعون بيريز في حرب 1967،(3) بحيث أنه ليس هناك شك في أن ربح الحرب وليس المعركة يعود إلى تلك الدرجة العالية من التنسيق والتفاعل بين مختلف الأدوات والوسائل.

---

(1) في مقدمة ذلك نجد نظام جنوب أفريقيا العنصري، حيث كانت له علاقات مع الحركة الصهيونية حتى قبل نشأة إسرائيل. أنظر: ريتشارد بي ستيفنس، "وايزمن وسموتس: دراسة حول التعاون الصهيوني الجنوب أفريقي"، ترجمة رفيق إبراهيم جبور، منشورات الطلائع، دمشق، 1975، 209ص.

(2) قاسم محمد جعفر، "ميزان القوى العسكري في منطقة الشرق الأوسط 1984-1985"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985، ص 20.

(3) إبراهيم العابد، مرجع سابق ص 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تركز الدعاية الإسرائيلية على ثلاث مستويات: داخلي وذلك بالرفع من معنويات المواطن الإسرائيلي لتحمل الصعاب والدفاع عن نفسه، وعلى المستوى العربي وهذا بالتأثير في النفس العربية وبالتالي ردعها وشل حركتها ومنعها مسبقا من التفكير في إتخاذ القرار العربي ضد إسرائيل بل والقبول بها كواقع يصعب التغلب عليه، أما المستوى العالمي فلكسب الرأي العام الدولي على أساس أن إسرائيل دولة تعيش بإستمرار في وسط الخطر العربي مما يتطلب مساعدتها ودعمها والتعاطف معها.(1)

إن القول بإعتماد إسرائيل على السلاح الأجنبي لا ينفي قدراتها الذاتية في هذا الميدان، بل إن سعيها لإمتلاك التكنولوجية المتقدمة إنما أريد به تحقيق صناعة حربية ذاتية، وإستطاعت بالفعل أن تصل إلى مرحلة التصدير للخارج بما في ذلك ((الطائرات القتالية والدبابات والعربات المدرعة والمدفعية والصواريخ...)).(2)

ما يثير الإنتباه في الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية هو محاولتها إمتلاك السلاح النووي وهذا عبر النشاط الذي تقوم به معاهد ومؤسسات مختصة في الذرة، فهذا النوع من السلاح يعد السبيل الوحيد لحماية أمنها في المنطقة كما عبر عن ذلك ليفي أشكول: ((... إن الأمن في عصر التفوق التكنولوجي لم يعد يعتمد إعتمادا كليا على الحدود الجغرافية كما كان من قبل، بل يعتمد على الردع الجوي أو الصاروخي أو النووي)).(3)

قد تثار تساؤلات حول مدى جدية إسرائيل في إستخدام السلاح النووي خاصة في الحقبة الأخيرة حيث شهدت العلاقات الدولية إنفراجا وانفتاحا وأظهرت الدولتان العظمتان نيتهما في تدمير ترسانتهما النووية، بالرغم من ذلك فإننا نعتقد – إنطلاقا من أن إسرائيل فريدة في وجودها وفي سياستها التوسعية – فإنها ستكون كذلك فريدة وشاذة في سلوكها مستقبلا، فما دام العالم العربي يمتلك إمكانيات تؤهله إلى أن يكون قويا عسكريا وهو متفوق بشريا فإن إسرائيل لابد وأن تحل هذه المعادلة الغير متجانسة

---

(1) إبراهيم برهوم، "الإعلام الإسرائيلي أثناء حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973" في: أسعد عبد الرحمن وآخرين، الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة – وقائع وتفاعلات"، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1974، ص 399-400.
(2) قاسم محمد جعفر، مرجع سابق، ص 25.
(3) إبراهيم العابد، مرجع سابق، ص 14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالسلاح النووي إذا ما تعرضت إلى خطر حقيقي وفي ذلك يعتقد فريق عريض من الإسرائيليين بأنه ((إذا تطورت الأمور إلى الأسوأ فإن الشرق الأوسط بأجمعه في هذه المرة سوف يذهب معنا إلى اللحد ... إن الطريق سيؤدي بنا في النهاية إلى الإنتحار الجماعي)).(1)

بناء على ذلك فإن الدولة الإسرائيلية عبارة عن مؤسسة عسكرية بالدرجة الأولى وهو ما تؤكده أرقام سنة 1981، بحيث يشتغل في قطاع الصناعة الحربية 28 ألف عامل كما يمثل السلاح ربع صادراتها حيث توجه غالبيته إلى الأنظمة الديكتاتورية في أمريكا اللاتينية، وهي الوضعية التي جعلتها تكون في المرتبة الثالثة عالميا من ناحية الإنفاق العسكري على مجموع السكان بينما تأتي في المرتبة التاسعة عشر فيما يتعلق بالإنفاق على الميدان التربوي.(2)

تكملة لما سبق ذكره وجدت إسرائيل بأنها ضعيفة من الناحية البشرية ونظرا لما للعامل البشري من أهمية في حياة الدولة فإنها ربطت حياة أمنها بضرورة توسيع قاعدتها البشرية ليس عن طريق التزايد الطبيعي في الداخل ولكن بأسلوب تنفرد به عن باقي الدول والمتمثل في تشجيع هجرة يهود العالم إليها، وإذا كانت تستخدم في ذلك المبرر التاريخي والديني القاضي بحق اليهود في العودة إلى أرض الميعاد فإن الهدف هو إيجاد قاعدة بشرية واسعة ونشيطة تدعم بها هياكلها الإقتصادية والعسكرية خاصة لمواجهة التفوق العربي بشريا والذي لا تستطيع الزيادة الطبيعية الداخلية تحقيقه.

إذا نتيجة قلة عدد سكان إسرائيل حيث قدر عددهم في بداية الأمر بحوالي 650 ألف نسمة مع إنخفاض في نسبة الزيادة الطبيعية مقارنة بالعرب الذين بقوا في فلسطين والتي تتراوح نسبة زيادتهم بين 2،3 و3،3 بالمئة(3) فإن إسرائيل بدعم من الحركة الصهيونية والدول المساندة لها إستطاعت بعد وضع قانون العودة سنة 1950 من إستقبال عدد كبير من المهاجرين، ولتكون

---

(1) لاري ل.فابيان و زئيف شيف، مرجع سابق، ص 38-39.

(2) KAPELIOUK(Amnon),"Israel:un pays possédé par son armée", le monde diplomatique,N°337,Avril 1982,P.22.

(3) حسين أحمد محمود،"الجديد في العسكرية الإسرائيلية"،منشورات عويدات، بيروت، 1972، ص 58.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإستفادة منهم أكبر وضعت شروط لهؤلاء بحيث تستقبل الفئات الشابة والنشيطة وذات التخصصات العلمية. (1)

ما يلاحظ في هجرة اليهود إلى إسرائيل أن هذه الهجرة لم تكن عفوية بل خاضعة إلى شبكة معقدة ومدروسة ترعاها مؤسسات صهيونية بدعم من دول عديدة، وهو ما تؤكده الهجرة المضادة خاصة في فترات اليأس وعدم الإستقرار، مثل ما هو الشأن عقب حرب أكتوبر 1973، إلا أنه بالرغم من ذلك فإن سكان إسرائيل وبفضل الهجرة ظلوا في إرتفاع متزايد فمن 650 ألف مواطن وقت قيامها إلى 2،3 مليون سنة 1966، ليصل العدد مع بداية الثمانينات إلى أربعة ملايين بما في ذلك 625 ألف عربي. (2) (3)

إذا كانت الهجرة اليهودية إلى إسرائيل قد أعقبتها أعباء إقتصادية وإجتماعية كبيرة فإن القضاء على هذا المشكل تم التغلب عليه بواسطة ما حصلت عليه من إعانات خارجية متعددة المصادر على طول فترة وجودها، (4) وبذلك فإن إيجابيات المهاجرين إليها سرعان ما برزت خاصة في المجال العسكري بإعتباره العمود الفقري للدولة الإسرائيلية.

أما على الصعيد الإقتصادي فإن هؤلاء المهاجرين شكلوا عنصرا ضاغطا جعل من الضروري توسيع النشاط الإقتصادي لإستيعابهم سواء أكان في المجال الصناعي أو الزراعي مما شكل مبررا دائما لدى إسرائيل للمزيد من التوسع على حساب جيرانها وبناء مستوطنات جديدة مكونة بذلك حلقة مفرغة، بحيث أن الهجرة تعني المزيد من التوسع وهذا الأخير لا فائدة منه إذا لم تعقبه هجرات جديدة لإستغلال المساحات الأرضية، وأصبح واضحا أن الهجرة تعني بالضرورة التوسع وأن التوسع يعني بالضرورة الهجرة، وبعبارة أخرى فإن توقف الهجرة قائم على توقف التوسع وتوقف هذا الأخير قائم على توقف الهجرة، وبذلك يتأكد بأن الإثنين من طبيعة الإستراتيجية الإسرائيلية وبدونهما لا تستطيع الثبات والإستمرار.

---

(1) إلياس سعد، "الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة"، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1969، ص 45.

(2) أحمد حجاج، "سكان إسرائيل - تحليل وتنبؤات"، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1968، ص 10.

(3) قاسم محمد جعفر، مرجع سابق، ص 20.

(4) أنظر: BENDELAC (Jacques), op.cit, 108 P.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنطلاقا من مكونات الإستراتيجية الإسرائيلية فإن إسرائيل قد استغلت كل الظروف لتحقيق التوسع الخارجي وهو خلاصة ممارساتها منذ بروزها في المنطقة ، نظرا لعدم قبولها بحدود التقسيم التي إعتبرها بن غوريون مجرد حدود مؤقتة يستدعي معها الحال الإنتقال إلى حدود جديدة بهدف تحقيق فكرة الإمبراطورية الإسرائيلية من الفرات إلى النيل (1) ، وتطبيقا لذلك وسعت إسرائيل من رقعتها في عدوان 1967 لتستحوذ على 64،488 كلم مربع في حين أن المساحة التي منحت لها لا تتعدى 20،700 كلم مربع (2) .

إستمر الوضع على هذا الحال إلى أن إندلعت حرب أكتوبر 1973 ، هذه الحرب التي أفرزت حقائق جديدة أدت إلى تحطيم نظرية الأمن الإسرائيلي وأصبحت فكرة الحدود الآمنة غير مجدية مما فرض عليها إعادة النظر في مفهومها للأمن القومي بحيث أن الإستمرار في سيطرتها على الأراضي العربية يكلفها مستقبلا أكثر ما كلفها في الماضي (3) .

إن ذلك لا يعني تخلي إسرائيل عن الأراضي العربية المحتلة بدون مقابل بقدر ما يعني تكريس إحتلالها ولكن بأقل مجهود وخسارة وأكثر ربحا وهذا عن طريق بناء سلام دائم يتماشى وتطلعاتها على أساس الأرض أو بعضها زائد السلام ، ليتجلى التطبيق العملي لذلك في إتفاقية كامب ديفيد (4) مع مصر وبرعاية من و.م.أ وما تبعها من إيجابيات لصالح إسرائيل سواء أكانت عسكرية أو سياسية أو إقتصادية ، فهي بتحديدها للجبهة المصرية إستمرت في السيطرة على الأراضي الفلسطينية والجولان السورية وأبقت المجال مفتوحا للإستيلاء على جزء من لبنان بإعتبار أن السيطرة على الأرض من أكبر الوسائل الضاغطة للتنازل في المستويات الأخرى سياسية كانت أم غيرها .

---

(1) أسعد رزوق ، " إسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني " ، مركز الأبحاث ، م.ت.ف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1972 ، ص 543-544 .

(2) حسين عويضة ، "ميزان القوى العربي - الإسرائيلي 1974-1975" ، مركز الأبحاث ، م.ت.ف ، بيروت ، 1975 ، ص 145 .

(3) عادل محمود رياض ، " الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة " ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة 1977 ، ص 129 .

(4) يعني مقر كامب (ديفيد) فوق تلال ماري لاند على بعد سبعين ميلا من واشنطن ليكون منتجعا رئاسيا خلال الحرب العالمية الثانية ، وإسمه الأصلي (شانجريلا) . حول بعض فصول محادثات مؤتمر قمة كامب ديفيد بين الوفود الثلاثة : الأمريكي والمصري والإسرائيلي . أنظر : عايزر وايزمن ، وموشي ديان "ماذا نأخذ بالمفاوضات؟" ، ترجمة : ناهض منير الريس ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية - سوريا ، بدون سنة الطبع ، ص 69-181 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا في الوقت الذي يعني فيه الأمن القومي الدفاع بالوسائل المشروعة لمواجهة الأخطار الخارجية والداخلية والإلتزام بسياسة التعايش السلمي مع الآخرين، نجده عند إسرائيل عبارة عن أنانية ذاتية على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة تتم تحت شعارات الحرب الوقائية والبحث عن المجال الحيوي.

من خلال ماسبق يتضح بأن المفهوم الإسرائيلي للأمن القومي لايقيم أي إعتبار لمفهوم السيادة الوطنية أو الأعراف الدولية وكذا القانون الدولي، فهو أمن مطلق لايحترم إلا منطق القوة، وعلى هذا فإن إسرائيل تقوم بتنفيذ نظرية الأمن بمفهوم شاذ وغريب ومن بين ما ساعدها على ذلك تبعثر المنطقة العربية هذا التبعثر الذي وجدت فيه عاملا إيجابيا لصالحها، حتى ضد تقدم وتقارب العالم العربي لأن ذلك يهدد أمنها القومي، كما تعتقد في الثورة الفلسطينية سواء عملت بالوسيلة العسكرية أو السياسية، وعليه ترفض إسرائيل أن يحتضن أي بلد هذه الثورة، وفي حالة إحتضانها خصوصا إذا كان البلد مجاورا كلبنان فإنه يعد مساسا بأمنها يقتضي معه الحال التدخل وبقوة لإنهاء هذا الوضع، دون أن تقيم أي إعتبار للرأي العام العالمي أو للقرارات الأممية سواء أتت في صيغة التأسف واللوم أو الإدانة والإستنكار. (1)

المطلب الثاني: موقع لبنان في الإستراتيجية الإسرائيلية.

مايميز لبنان عن البلدان العربية أنه البلد الوحيد الذي ظل على الحياد تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي لفترة طويلة، وهو بذلك إلتزم بإتفاقية الهدنة الموقعة مع إسرائيل في مارس 1949 في رأس الناقورة على أساس إحترام الحدود الدولية المرسومة سنة 1923 كحد فاصل بين البلدين (2)، وبذلك ظلت الجبهة اللبنانية الجبهة العربية الوحيدة الهادئة المطلة على إسرائيل حتى خلال عدوان 1967، بإستثناء الإعتداء الإسرائيلي

---

(1) حول أهم القرارات التي أصدرها مجلس الأمن ضد الإعتداءات الإسرائيلية على البلدان المجاورة لها، أنظر: المجلس الوطني الفلسطيني، "العدوان الصهيوني والإسرائيلي- الأيديولوجية والسياسة والممارسة"، مركز الأبحاث م.ت.ف، بيروت، 1975، ص31.

(2) مصطفى طلاس، "آفاق الإستراتيجية الصهيونية"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1985، ص 320-321.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنفذ على جنوب لبنان في نهاية 1965 بعد موافقة لبنان على تدخل قوات عربية إلى أراضيه لحماية عملية تحويل مجرى نهر الحصباني كي لا تستفيد منه إسرائيل.(1)

(2) لقد كان لموقف لبنان من الصراع العربي - الإسرائيلي أن إعتقدت إسرائيل بأنه بالإمكان بناء سلام دائم معه بإعتبار أن الحدود الدولية بينهما قائمة و معروفة حسب قول الكاتب الإسرائيلي آرييه ألياف: ((... وكل ما ننظر إليه نحن واللبنانيون هو فتح الحدود عند رأس الناقورة وعدة نقاط أخرى لإنتقال التجارة والناس بين البلدين)).3

بنظرة تحليلية إلى الممارسات التوسعية والمخططات العسكرية الإسرائيلية نتوصل إلى أن هذا المنطلق المسالم لا يعكس النظرة الحقيقية لإسرائيل تجاه لبنان، فإضافة إلى أن هذا البلد كان محل أطماع الحركة الصهيونية سواء من منطلق تاريخي - ديني أو بهدف إقتصادي للسيطرة على مياه نهر الليطاني كما تثبت من كتابات حاييم وايزمن إلى وزير خارجية بريطانيا سنة 1919، فقد كان ذلك حال إسرائيل بعد قيامها.(4)

ونتيجة لإفتقارها للمياه الكافية فقد وجهت إسرائيل إهتماماتها إلى مياه جنوب لبنان وخاصة نهر الليطاني دون أن تقيم أي إعتبار لإتفاقية الهدنة السارية المفعول، ففي 1954 وضعت مشروعا أعده المهندس الأمريكي جون كوتون يقضي: بإيصال مياه الليطاني إلى فلسطين المحتلة عبر نفق طويل بكمية 400 مليون متر مكعب فيما لا يحصل لبنان إلا على 300 متر مكعب فقط أي تحويل مايعادل 55% من طاقة هذا النهر، وهو مايفسر عدم(5) إرتياح إسرائيل لأي مشروع لبناني من شأنه إستغلال المياه المنسابة إلى البحر، ففي هذا السياق تدخلت لدى و.م.أ ومنظمات التمويل للحيلولة دون تنفيذ لبنان لمشروع بناء سد لري منطقة وادي البقاع

---

(1) نفس المرجع ص 321.

(2) نعني به الموقف الرسمي للحكومات اللبنانية وليس موقف الشعب الذي هو منقسم بين مؤيد ومعارض لمشاركة لبنان في هذا الصراع.

(3) نقلا عن: محمد حسين، "مصرفي المشروع الإسرائيلي للسلام"، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1980، ص 73.

(4) BOURGIT(Albert) et WEISS(Pierre),"Liban:la cinquième guerre du proche-orient",éditions publisud,Paris,1983,P.291.

(5) طارق الموسى، "مياه الجنوب اللبناني في دائرة الأطماع الصهيونية"، (صامد)، العدد 52، نوفمبر- ديسمبر 1984، ص 66-67.

الأدنى والذي خطط له في بداية السبعينات.[1]

بالرغم من أن الإقتصاد المائي الإسرائيلي مستغل بنسبة أكثر من 95% وهي أعلى نسبة في العالم، فإنها ظلت في حاجة إلى البحث عن مصادر مياه خارجية[2] وبذلك تبقى على الدوام المياه اللبنانية تشكل مصدراً متوقعاً وإحتياطياً هائلاً تخطط له لتحويلها إليها متى سمحت الظروف بذلك.

إن الأطماع الإسرائيلية في المياه اللبنانية لم تكن الإهتمام الوحيد لإسرائيل والإتيان الهدف إقتصادياً بحتاً، فموازاة لذلك اختفى أهدافها التوسعية ناحية الشمال للإستيلاء على قسم من لبنان وهو مايستشف من قول مدير دائرة أراضي إسرائيل ((إن أرض إسرائيل ليست صغيرة إطلاقاً إذا ما خرج العرب منها ولاسيما إذا وسعت حدودها بعض الشيء حتى الليطاني في الشمال...))[3].

في هذا السياق التوسعي بإتجاه لبنان يشير موشي شاريت رئيس وزراء إسرائيل سابقاً في يومياته بأن بن غوريون وفي إجتماع بتاريخ 27-2-1954 تحدث عن ضرورة دفع الموارنة لإقامة دولة مسيحية بأي طريقة كانت حتى وإن إقتضى الأمر إنفاق المال وإرسال المبعوثين، لأن إقامة دولة مسيحية في لبنان سيؤدي إلى تبدل حاسم في الشرق الأوسط ليبدأ عهد جديد[4]، وفي ماي من نفس السنة وتحقيقاً لهذا الهدف نقل عن موشي ديان قوله ((كل ما هو مطلوب هو إيجاد ضابط ولو كان برتبة رائد..وإستمالته أو شرائه بالمال لكي يوافق على إعلان نفسه منقذاً للسكان الموارنة، وعندئذ يدخل الجيش الإسرائيلي إلى لبنان ويحتل المساحة التي يستطيع إحتلالها ويقيم سلطة مسيحية متحالفة مع إسرائيل وستضم المساحة الواقعة جنوبي الليطاني بصورة نهائية إلى إسرائيل))[5].

إذا كانت هذه الدلائل تشير بوضوح بأن لبنان لم يكن خارج دائرة

---

(1)(2) إبراهيم أحمد إبراهيم، "الأطماع الإسرائيلية في مياه جنوب لبنان" (السياسة الدولية)، العدد: 70، أكتوبر 1982، ص 167-169.

(3) نقلاً عن: عبد الرحمن أبو عرفة، "الإستيطان: التطبيق العملي للصهيونية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت — دار الجليل للنشر عمان، 1981، ص 111.

(4) سليم الحص، "إحتمالات تطور الموقف في لبنان"، في: مجموعة من المحاضرين، "محاضرات الندوة الدبلوماسية الحادية عشر 1403هـ-1983م"، قسم الدراسات بوزارة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة، 1983، ص 17-18.

(5) عبد الرحمن أبو عرفة، مرجع سابق، ص 111-113.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطماع الإسرائيلية فيه، إنما تعتقد في عدم تنفيذ ذلك كما حصل على الجبهات العربية الأخرى ما هو إلا إجراء تأجيلي، فبالإضافة إلى أن لبنان بلد ضعيف في قدراته العسكرية بحيث يسهل تنفيذ العدوان عليه في أي وقت فإن هناك إمكانية الإستفادة منه بالوسائل السلمية إعتمادا على المسيحيين كما ورد في المخططات السابقة الذكر، وفي أسوء الأحوال فإن هذا البلد لا يشكل خطرا آنيا وعلى هذا فالإمكانيات والإهتمامات الإسرائيلية ظلت متوجهة إلى الجبهات العربية الأخرى حيث الخطر الحقيقي قائم فلا داعي إذا لفتح جبهة جديدة هي في الأصل هادئة ويجب أن تبقى كذلك.

لقد تغيرت النظرة الإسرائيلية هذه إلى لبنان بعد عدوان 1967، ففي الوقت الذي ظل فيه لبنان متمسكا بإتفاق الهدنة مع إسرائيل أعلن وزير خارجية هذه الأخيرة في آوت أي بعد العدوان مباشرة بأن هذه الإتفاقية هي في حكم الملغاة مما يوحي بسياسة جديدة تجاه لبنان إستمدت قوتها من الشعور بالتفوق بعد الإنتصار والمكاسب الكبيرة التي تحققت ضد البلدان العربية، كما وجدت لها المبررات في تكثيف العمليات الفلسطينية إنطلاقا من جنوب لبنان بعد ما أغلقت الجبهات العربية الأخرى في وجهها.(1)

من هنا بدأت بصورة دائمة ومتتالية الإعتداءات الإسرائيلية في شكل أعمال إنتقامية ضد لبنان بحجة أن هذا الأخير يتحمل مسؤولية أعمال الإرهاب الآتية من أراضيه، ليتعزز هذا المبرر مع قبول لبنان بإحتضان الثورة الفلسطينية رسميا كما نصت إتفاقية القاهرة لسنة 1969 وإرتفاع عدد الفلسطينيين فيه بعد مذابح سبتمبر الأسود في الأردن.(2)

مع ذلك صعدت إسرائيل بشكل أكثر من السابق من إعتداءاتها ضد الأراضي اللبنانية، الوضع الذي إستمر إلى أن إندلعت الحرب الأهلية في 1975 لتشكل هذه الحرب وإفرازاتها أحسن فرصة لإسرائيل ليس للإستمرار في إعتداءاتها فحسب لأن هذه الحرب تشكل تهديدا لأمنها من ناحية الشمال كما تعتقد، ولكن لما تمثله من فرصة لتحقيق أهدافها القديمة والحديثة في هذا البلد وهو في أضعف مراحله من جميع النواحي.

في تعاملها مع الحرب الأهلية اللبنانية إنطلقت إسرائيل من عوامل

---

(1)(2) مصطفى طلاس، مرجع سابق، ص 320-322.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عديدة كانت في صالحها سواء على الساحة اللبنانية الداخلية أو خارجها ، كما ساهمت من جانب آخر في تهيئة ظروف جديدة من شأنها أن تدعمها في تحقيق أهدافها .

فعلى الصعيد الداخلي فإن التركيبة الطائفية للبنان ومن ثم نظامه الإقتصادي والإجتماعي والسياسي تلعب أدوارا كما في السابق في تهميش لبنان عن الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، زد على ذلك أن هذه التركيبة تؤدي إلى أن هناك قوى لبنانية يمكن أن تعتمد عليها إسرائيل للتأثير في القرار اللبناني الشيء الذي يصعب من تبلور رأي موحد للطوائف اللبنانية والقوى السياسية ضد الإعتداءات الإسرائيلية وهو ما أكده كمال جنبلاط في إجتماعات هيئة الحوار الوطني في نهاية سبتمبر 1975 بقوله : ((ضمن النظام السياسي القائم لن يقوم الجيش اللبناني بمحاربة إسرائيل في أي يوم من الأيام))[1] ، فالمرجح في فترة الصراع الداخلي هو وجود من يطلب مساعدة إسرائيل لمحاربتها في سياق ماتقتضيه موازين القوى الداخلية مما يؤكد أنه من مصلحة إسرائيل إستمرار الحرب الأهلية اللبنانية وتصعيدها حتى تسقط واقع تعايش الطوائف المختلفة مع بعضها البعض في دولة واحدة ، وهي بذلك تغذي بذور الإنشقاق والإنقسام الذي سيكون في صالحها في النهاية كما نظرت وبإستمرار إلى ما جرى للمقاومة الفلسطينية من حصار وقتل من قبل الجيش اللبناني والمليشيات المسيحية في نهاية الستينات وبداية السبعينات ، نظرت إليه بعين الرضا والإرتياح .

أما على الصعيد الخارجي فإن التطورات الحاصلة في الشرق الأوسط وخاصة بعد مبادرة هنري كيسنجر وأسلوبه المعروف بسياسة الخطوة خطوة فإنها كلها شجعت إسرائيل للإعتداء على لبنان ، فإتفاقية سيناء ألزمت مصر على إسقاط الخيار العسكري مع إسرائيل الشيء الذي ولد إختلافا في الموقف العربي أكثر من السابق وأصبح من المتعذر إيجاد إستراتيجية عربية موحدة من شأنها التصدي للعدو المشترك سواء في لبنان أو خارجه .

فـي خضم الإختلافات العربية وإنشغال غالبية الدول بقضاياها

---

(1) خليل أحمد خليل ، "مضامين النضال الوطني في فكر كمال جنبلاط" ، (دراسات عربية) ، العدد : 1 و 2 ، نوفمبر 1984 ، ص 22 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدفاعية والضمانة والتحول الجذري للموقف المصري [1] إنحسر النفوذ السوفييتي في المنطقة لحساب ازدياد في المقابل نفوذ و.م.أ، ونظرا لموقف هذه الأخيرة المتحيز لإسرائيل عادت فإن الإحتمال الوارد هو تعاونهما في لبنان إلى ما يخدم مصالحهما، بمعنى ما يجعل الساحة اللبنانية خالية من قواعد الثورة الفلسطينية بل ومن تأثير الدول العربية المتمسكة بالخيار العسكري، كما نزيد أنه سلبيا تجاه الصراع العربي- الإسرائيلي ولو المصالحة مع إسرائيل بما يحقق لهذه الأخيرة الإندماج في المنطقة لأنها ظلت معزولة منذ نشأتها، وفي أسوأ الأحوال على حد تعبير الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغن: (... إن إسرائيل ينبغي أن تكون عرضة للعنف من الشمال...)[2]. أي من جنوب لبنان.

من خلال ذلك فإن الظروف السائدة في لبنان والمنطقة تكفل ترشيح إسرائيل إلى لعب أدوار أساسية في الحرب الأهلية اللبنانية باستخدام كل الوسائل المتوفرة وفي مقدمتها الأداة العسكرية وتطبيق أفضل السبل المفضلة لديها وهي إحتلال الأرض لما يشكله ذلك من عامل ضغط هام كما دلت التجربة الطويلة مع البلدان العربية المجاورة لها.

مما سبق نستخلص بأن لبنان كانت له أهمية كبيرة في المخططات الإسرائيلية على مر المراحل، على أن الظروف لم تكن مواتية لتنفيذ ذلك وبالتالي فقد شكلت حربه الأهلية أحسن فرصة للتدخل فيها لتحقيق ما هو قديم وما هو مفروض الظروف الجديدة، بمعنى أن لبنان في حد ذاته شكل هدفا من أهداف التدخل الإسرائيلي إلى جانب أهداف أخرى ضد أطراف أخرى.

مع بداية الحرب الأهلية اللبنانية لم تعمد إسرائيل إلى التدخل وبسرعة في لبنان بالشكل الذي يحقق لها تطلعاتها فيه كإحتلال بعض من أراضيه، على أن ذلك لا يعني تغاضيها عن أهدافها تجاهه، فباعتقادنا كانت في حاجة إلى مراقبة الأوضاع اللبنانية والحد الذي يمكن أن تصل إليه في سياق التناقض الداخلي وهي بذلك تريد أن تفسح المجال

---

(1) محمد ربيع، "إحتمال الحل (السلمي) وموقع المقاومة الفلسطينية منه"، (شؤون فلسطينية)، العدد: 62، جانفي 1977، ص 48.
(2) المركز العربي للمعلومات، "لبنان 1982: يوميات الغزو الإسرائيلي- وثائق وصور"، العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1983، ص 79.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإستفحال إنقسام القوى اللبنانية وبروزها أكثر في شكل تكتلات عسكرية يصعب عليها أن تستمر بدون المعونة الخارجية ، والإحتمال الوارد في هذه الحالة أن تلجأ بعض من القوى إلى طلب معونة بعض الدول العربية في حين سيلجأ البعض إلى النقيض وهو طلب عون إسرائيل كبديل وحيد في المنطقة .

إن القول بذلك لا يعني بالضرورة أن إسرائيل تجاهلت ما يجري في لبنان فمن بين محاولاتها لتصعيد الحرب اللبنانية وتعقيدها سعيها لكسب الفريق المسيحي وذلك بإثارة قضية الأقليات مطالبة الصليب الأحمر الدولي التدخل لحماية المسيحيين ضد ما إعتبرته بالتعصب الإسلامي وهي محاولة تهدف أساسا إلى إثارة الدول الغربية بإعتبار أنها تشاركهم العقيدة ، كما حاولت إسرائيل في دعايتها ربط أحوال المسيحيين كأقلية بأوضاع اليهود في كل من سوريا والعراق.(1)

مع إستفحال الدور السوري سياسيا وعسكريا في لبنان وتحالف الثورة الفلسطينية مع الحركة الوطنية اللبنانية ، كانت إسرائيل وموازاة لذلك تقوم بإتصالات سرية مع بعض القيادات المسيحية ، من ذلك ما تم في بداية سنة 1976 حيث يؤكد شيمون شيفر(2) أنه في هذه الفترة تم وصول أول وفد إسرائيلي إلى لبنان بقيادة العقيد بنيامين (بن. أليعازر) حيث إلتقى مع داني شمعون إبن الرئيس السابق كميل شمعون، ليتوسع اللقاء في أوت من نفس السنة حيث إلتقى كميل شمعون مع إسحق رابين على متن سفينة إسرائيلية رست مقابل ميناء جونية ، وعقب ذلك أعلن شمعون بأن لقاءه مع رابين هو ولادة صداقة دائمة(3) ، ومن هنا فتح المجال للمعونة العسكرية الإسرائيلية للمليشيات المسيحية وبفضلها إستطاعت السيطرة على مخيم تل الزعتر الفلسطيني بعد أن أمطرته بحوالي 16000 قذيفة قبل الإستيلاء عليه.(4)

سارت إسرائيل على هذا النهج مع تنفيذ إعتداءاتها من حين لآخر ضد لبنان

---

(1) إبراهيم كروان، "المآرب الإسرائيلية في الفتنة الطائفية" ، (السياسة الدولية) ، العدد : 43 ، يناير 1976 ، ص 45 .

(2) هو صحافي إسرائيلي مختص في الشؤون السياسية ، تتبع أغلب فصول الحرب الأهلية اللبنانية وعلاقة إسرائيل بالقوى المسيحية اللبنانية .

(3) شيمون شيفر ، "أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان- عملية كرة الثلج" ، ترجمة : غسان يوسف ، دار المروج ، بيروت ، 1985 ، ص 19-20 .

(4) Benassar;"anatomie d une guerre et d une occupation",evenne-ments du Liban de1975à1978";éditions galilée,Paris,1978,P.16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو الوضع الذي ميز موقفها طيلة العامين الأوليين للحرب اللبنانية ، فهي في إعتقادها تمثل دولة غربية قائمة في وسط العالم العربي المتخلف ولم تخف إلتقاءها مع التوجه المسيحي اللبناني الذي يحن للعالم الغربي؛ وعليه تولد بين الطرفين إلتقاء حضاري يتطلب الأمر حسب إعتقادهما التعاون لمواجهة التحديات الحضارية المفروضة عليهما مما يعني أن إسرائيل وجدت مبررا للقيام بما قامت به الدول الغربية في السابق تجاه مسيحي لبنان.

من خلال هذا الطرح إلتزمت إسرائيل بحماية المسيحيين اللبنانيين كواجب أخلاقي وإنساني على حد تعبير مناحيم بيغن بعد ما تخلت عنهم الدول الغربية المسيحية (1)، وهو ما إنعكس في شكل مساعدات للمليشيات المسيحية سواء في شكل خدمات إجتماعية أو معونات عسكرية والتي كانت تتدعم عبر لقاءات متواصلة مع بعض القيادات المسيحية لتنسيق المواقف وتقريب وجهات النظر وهي اللقاءات التي كانت تتم سواء في لبنان أو في إسرائيل (2).

ما يلاحظ في سياق علاقة إسرائيل بالمسيحيين اللبنانيين أنها أولت أهمية في البداية إلى مليشيات الرائد سعد حداد (3) في الجنوب لما تشكله من حارس أمين لحدودها الشمالية ضد الهجمات الفلسطينية خاصة ، ولذلك ساعدتها عبر العدوان المنفذ في مارس 1978 على تكوين ما عرف بجيش جنوب لبنان.

مع هذا الوضع أصبحت المليشيات المسيحية في الجنوب تشكل عنصرا إيجابيا لإسرائيل على الصعيد العسكري ضد م.ت.ف والحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية (4) وكذا سوريا ومواقع القوات الأممية فحسب،

---

(1) إلياس شوفاني وآخرون، "عملية الليطاني: رواية العدو الصهيوني عن حرب الجنوب-مارس 1978"، (المادة جمعت وترجمت عن الصحف العبرية)، دار العودة، بيروت، 1979، ص 215.

(2) زئيف شيف وأهود يعاري، "الحرب المضللة: حرب إسرائيل في لبنان"، ترجمة: حسان يوسف، دار المروج، بيروت، 1985، ص 21-25.

(3) بالصدفة كان سعد حداد برتبة رائد وهو الحد الأدنى المطلوب في المناقشات التي دارت في منتصف الخمسينات بين بعض القيادات الإسرائيلية، وبأن السيطرة على لبنان ستتم بواسطة ضابط مسيحي برتبة رائد. أنظر تفاصيل ذلك في: صبري جريس، "قراءة في يوميات موشي شاريت 1953-1957"، (شؤون فلسطينية)، آوت 1980، ص 58.

(4) المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 104.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل أصبحت تشكل مبررا مناسبا للتدخل الإسرائيلي في لبنان لحمايتهم وهي بذلك كسبت أداة ضغط وتهديد بتقسيم لبنان في أي وقت ترى أن مصالحها في هذا البلد لم تحترم وأن أهدافها فيه بعيدة المنال، فآخر ما تنتظره حسب تأكيد مناحيم بيغن في حزيران 1982 هو إعطاء المكان اللائق لسعد حداد في الحكومة الوطنية المقبلة في لبنان.(1)

موازاة لتدعيم ملشيات الجنوب ومساعدتها في مراقبة الشريط الحدودي دون السماح لأي قوة كانت الوصول إلى المنطقة بما فيها القوات الأممية، عمدت إسرائيل إلى بناء علاقات وثيقة مع القوى المسيحية الأخرى وخاصة ملشيات الكتائب بقيادة بشير الجميل لأنها أكثر قوة وشعبية من ملشيات الجنوب، فضلا على ما تشكله هذه القوات من عامل إيجابي لصالحها على الصعيد العسكري فإن دورها المؤثر في الحياة السياسية اللبنانية وثقلها الكبير بإمكانه أن يحدد مصير لبنان مستقبلا بحيث يكون في خدمة الأمن الإسرائيلي وضد نهج حركة التحرر العربي.(2)

في سياق التحالف الإسرائيلي - المسيحي تطرح عدة تساؤلات تتمحور حول مرحلة العلاقة التي وصلت إلى أعلى درجات التنسيق مع الغزو الإسرائيلي للبنان سنة 1982، ففي ذلك نرى بأن التعاطف الإسرائيلي المعلن تجاههم لا يمكن أن يكون طبيعيا أو نتيجة تخلي الدول الغربية عنهم كما صرح بذلك شمعون بيريز "إن أوروبا فاتت ولسنين عدة تنذر أية جهة تهدد بالخطر الجالية المسيحية في لبنان، ولكن صوت أوروبا لم يعد يعلو في وجه الحرب الأهلية الرهيبة الدائرة في لبنان، وأقول ذلك بكثير من الأسف)(3)، بل إن ذلك راجع لكون إسرائيل تبحث عن المبرر الذي به تجعل مسيحي لبنان يثقون فيها

---

(1) نفس المرجع، ص 104.

(2) حركة التحرر العربية ننظر إليها من زاوية تبنيها للخيار العسكري وعدم المصالحة مع إسرائيل إلا بإعترافها بالحقوق العربية المغتصبة وهي بذلك ليست بالضرورة أن مشكليها (دول أو تنظيمات أو أفراد) يحملون أيديولوجية واحدة بقدر ما هم متحدين في الهدف وهو تحرير الأرض العربية من الإستعمار والممثل حاليا في الإستيطان الإسرائيلي، حول هذا الموضوع راجع: فائق المحمد، "البنية التاريخية للحركة التحررية العربية"، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980.

(3) فرع الدراسات في رابطة صحفي تل أبيب وآخرون، "المظاهر العسكرية للصراع العربي- الإسرائيلي"، (ندوة حول حرب تشرين عقدت في القدس في الفترة بين 12و17 تشرين الأول1975)، ترجمة: جبرائيل بيطار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1980، ص 24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعتمدون عليها ، كما إنها تريد إثارة موضوع الأقليات وهو ما حاولت إثباته مع الشيعة في جنوب لبنان من منطلق أنهم الأكثر تضررا من وجود قواعد الثورة الفلسطينية بين صفوفهم وما جلبه لهم ذلك من مشاكل ودمار .

من الظاهر أن من مصلحة إسرائيل أن تسارع الدول الغربية إلى نجدة مسيحي لبنان ليس نتيجة الدين الواحد أو العلاقات التاريخية والثقافية بينهم فحسب ولكن من مصلحتها بالدرجة الأولى ، لأن التكفل بهم لوحدها يجعلها أمام مسؤولية كبيرة بينما لو ساعدتها بعض دول أوروبا في ذلك فإن إلتزاماتها تكون أقل تماشيا مع أن التدخل إذا كان صادرا من أطراف عديدة ولنفس الغرض فإن شدة الصدمة سواء سياسيا أو عسكريا على كل طرف تكون أقل نظرا لبعثرتها عليهم جميعا .

بنظرة بسيطة إلى واقع الإستراتيجية الإسرائيلية ندرك بأن العكس صحيحا فلو إفترضنا وأن وجد مسيحيو لبنان الدعم الكامل من قبل الدول الأوروبية لأنتفى مبرر إعتمادهم على إسرائيل خصوصا وأنها في صراع تاريخي مع العالم العربي، وبالتالي الإحتمال الأرجح يكمن في إبعاد الدول الأوروبية قدر المستطاع ، ولا نستبعد في هذا الشأن أن يكون هناك إتفاق ضمني بين الحركة الصهيونية والدول الأوروبية حول هذا الموضوع (1) فبالرغم من صعوبة تأكد ذلك إلا أن هذا الإحتمال تعززه التحركات السرية التي يقوم بها اللوبي الصهيوني في و.م.أ وفي دول أوروبا الغربية حول أي قضية تكون في صالح إسرائيل مثل ما تؤكده الوثائق السرية للمخابرات الإسرائيلية (2) .

إذا عزل الدول الأوروبية عن مسيحي لبنان يجعل هؤلاء يبحثون عن منقذ ، وبحكم أنه ليس هناك بديل عن إسرائيل فإنهم سيلجئون إليها بوعي أو بغير وعي لتكون بذلك إسرائيل المستفيد الأكبر بعلم من و.م.أ وأوروبا

---

(1) ننظر إلى إسرائيل كتجسيد عملي للحركة الصهيونية وعليه ففي إستعداد هذه الحركة أن تقوم بكل ما من شأنه أن يعزز ويقوي هذه الدولة مهما كلفها ذلك . حول علاقة إسرائيل بالحركة الصهيونية راجع : عمر رشدي ، " الصهيونية وربيبتها إسرائيل " ، دار العلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، 1976 .

(2) أنظر : وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، قسم مكافحة التجسس ، " المخابرات الإسرائيلية " ، ترجمة : مجدي نصيف ، دار الوطن العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1985 ، 144ص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المغربية وخير مثال على ذلك هو لجوء المسيحيين والموارنة منهم خاصة إلى إسرائيل مع بداية الحرب اللبنانية طلبا للسلاح بحجة ندرته في الأسواق العالمية وإرتفاع ثمنه، حيث يؤكد شيمون شيفر تفاصيل ذلك بأن المسيحيين اللبنانيين كانوا يبحثون في يأس عن معدات القتال ولما أغلقت الأبواب أمامهم ((جاء ممثلوا عائلات ورؤساء كنائس وجمعيات مسيحية من شمال لبنان وجنوبه وبكل بساطة قال هؤلاء: إننا نقاتل عدوا مشتركا الفلسطينيين ساعدونا في الحصول على السلاح وندفع لكم ثمنه، وهكذا بدأت تصل صناديق الأسلحة والذخيرة))[1].

نستنتج من ذلك أن الإلتقاء الإسرائيلي - المسيحي فرضه بالدرجة الأولى حاجة كل طرف للطرف الآخر وهو ما كان يظهر عبر تطور الحرب الأهلية اللبنانية ولقاء زعماء الطرفين، ففي هذا السياق لم يخف إسحق رابين في لقائه مع زعيم حزب الكتائب بيار الجميل المصالح السياسية الإسرائيلية بقوله ((... إننا نشعر بواجب أدبي يقضي بمساعدة أقلية دينية مضطهدة لكونها كذلك، لكن لا أخفي عليك وجود حافز سياسي أيضا في قرارنا بمساعدتكم، إن أعداءكم أعداؤنا ...))[2].

نظرا لأن عنصر المصلحة الذاتية هو العامل المشترك بين الطرفين فإنه سرعان ما ظهرت رغبة كل طرف في توريط الطرف الآخر إلى حد بعيد والإستفادة منه قدر الإمكان، إسرائيل لاتريد أن تتورط أكثر في الأحداث اللبنانية وما يعنيه ذلك من خسائر مادية وبشرية ولذلك تحاول أن توضح للمسيحيين أن المعركة معركتهم بالدرجة الأولى، بينما هؤلاء يسعون إلى العكس من ذلك ليس للإستفادة فقط من العتاد بل الأهم من ذلك هو حمل إسرائيل على المشاركة في العمليات العسكرية خاصة ضد سوريا و م.ت.ف.

كانت تلك سياسة إسرائيل مع المسيحيين اللبنانيين في البداية على أنها مع تطور الأحداث لم تستطع أن تضبط تصرفاتها أمام الضربات المتتالية للثورة الفلسطينية فكانت في كل مرة تتدخل بجانب المسيحيين مما ولد إنتقادات كثيرة صدرت من الدوائر الإسرائيلية نفسها حيث عبر عن

---

(1) شيمون شيفر، مرجع سابق، ص 34.
(2) نفس المرجع، ص 37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك الجنرال المتقاعد حاييم هيرتزوغ في سنة 1981 بقوله ((إن مساعدة شعب آخر في الدفاع عن نفسه كما كنا نفعل طيلة الوقت شيء، وإرسال أبنائنا للقتال دفاعا عن هذا الشعب شيء آخر تماما))[1].

بالرغم من وجهات النظر التي تبدو متناقضة بين إسرائيل والمسيحيين اللبنانيين فإن ما ينبغي تأكيده هو أن الطرفين تعاونا إلى أبعد الحدود ومن هنا فإن كل طرف خدم الآخر بما يملك من إمكانيات وحسب ما إقتضت الحاجة، فإسرائيل وجدت فائدة في المسيحيين من ناحية الإعتماد عليهم كقاعدة متقدمة ومتداخلة في المجتمع اللبناني قامت بمهام لا يستطيع الجيش الإسرائيلي القيام بها، بينما هذا الأخير عمل على التغطية الجوية وتحصين مواقع الميليشيات المسيحية وتزويدها بما تحتاج إليه من عتاد بل والقتال بجانبها وليس أدل على ذلك من التنسيق الذي حدث بين الطرفين خلال غزو بيروت الغربية وإرتكاب مجازر صبرا وشاتيلا[2] وعرقلة الدور السوري وتطويق مراكز م.ت.ف والحركة الوطنية اللبنانية .

مما سبق يتأكد وأن إسرائيل وفي إعتمادها على المسيحيين تمكنت من التأثير في مجريات الحرب اللبنانية بطريق غير مباشر وعندما تدخلت بشكل مباشر لاقت الدعم والمساعدة من قبلهم وغلقت مع ذلك تعاليم الآمال في حمل لبنان على عقد إتفاق سلام معها وإخراج القوى العربية منه بالخصوص، وهيئت الظروف لذلك على إثر تنصيب بشير الجميل رئيسا للجمهورية بقوة السلاح ليحقق بذلك أرييل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي خطوته الأولى الهادفة بإنشاء حكومة في لبنان يستطيع معها إمضاء إتفاق سلام دائم[3].

إلى جانب إعتماد إسرائيل على القوى المسيحية للتأثير في لبنان،

---

(1) حسين آغا وآخرون، "أزمة الصواريخ السورية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 136.

(2) حول نتائج بعض التحقيقات التي أجريت في أعقاب هذه المجازر بما فيها تحقيقات إسرائيلية، راجع ما يلي:
— لجنة كاهان، "تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا"، المركز العربي للمعلومات، بيروت، 1983.
— آمنون كابليوك، "صبرا وشاتيلا: تحقيق حول مجزرة"، ترجمة: المكتب العربي للترجمة، دار طلاس، دمشق، 1983.

(3) KAPELIOUK(Amnon),"la liquidation de lobstacle palestinien", (le monde diplomatique),N°340,juillet 1982,P.3.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد طبقت أسلوبها التقليدي عليه الذي إعتمدته مع البلدان العربية في السابق وما زالت ينتهي به إحتلال الارض، فمن خلال غزو مارس 1978 ثم حزيران 1982 تمكنت إسرائيل من إحتلال مساحة كبيرة من لبنان كأسلوب مباشر للضغط وفرض الأمر الواقع عليه حيث ربطت بذلك إنهاء الإحتلال بضرورة الحصول على مكاسب سياسية كبيرة شأنها في ذلك شأن أي دولة منتصرة تملي شروطها على الدولة المنهزمة .

من خلال هذا الوضع أصبح لبنان أمام خيارين من الصعب إختيار أحدهما في ظل ضعفه وإنقسامه، إما القبول بالشروط الإسرائيلية وإما الإحتلال، والأخطر منهما أن يسود التقسيم لاحقا في الأفق بحيث لم تخف القيادات الإسرائيلية تهديداتها للقيام بذلك، فعلى إثر عدم تحمس بشير الجميل بعد أن أصبح رئيسا للبنان لعقد إتفاق سلام مع إسرائيل كما إتضح من لقائه مع مناحيم بيغن[1] هدده وزير الدفاع أرييل شارون بقوله : ((إذا لم يوقع لبنان معاهدة سلام مع إسرائيل فإن علينا أن نأخذ بعين الإعتبار إلى وضع جنوب لبنان حتى عمق 40-45 كلم تحت كيان خاص يكفل لنا الأمن))[2]. ونفس الإعتقاد عبر عنه زعيم المعارضة شمعون بيريز بقوله : ((إن الحل الأقرب للتحقيق بالنسبة للبنان هو تقسيمه وإعادته مصغرا إلى الحدود التي كان عليها قبل الحرب العالمية الأولى))[3].

وبالرغم من الدور الذي تلعبه البدائل الإسرائيلية السابقة الذكر للتأثير على لبنان وإرغامه للإذعان فإن إسرائيل عبأت كل إمكانياتها الأخرى سواء الإعلامية أو الإقتصادية لتحقيق أهدافها وتطلعاتها في هذا البلد وهو يمر بأضعف مراحله .

ففي هذا السياق أدركت إسرائيل المكانة الإقتصادية للبنان وما يشكله من منافسة لها في المنطقة، ولذلك عملت على الحد من دوره في هذا الجانب ومنعه من المزايا التي كان يتمتع بها في السابق وذلك بتدمير مرافقه الإقتصادية بواسطة القصف العشوائي والمخطط لتسبب في تعطيل دورته الإنتاجية سواء أكانت صناعية أو زراعية أو خدمات.

---

(1) شيمون شيفر، مرجع سابق، ص 133-135.
(2) المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 238.
(3) نفس المرجع، ص 137.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موازاة لذلك قامت إسرائيل بإغراق الأسواق اللبنانية بمنتوجاتها وخاصة في الجنوب معتمدة على تخفيض سعرها عن سعر المنتوجات اللبنانية للمستهلكين وهذا كله يتم تحت ما يسمى بالجدار الطيب الشيء الذي دفع بوزير الإقتصاد جدعون بات يعتقد بأن ((التطبيع الإقتصادي الزاحف بين لبنان وإسرائيل سبق علاقات السلام على عكس ما حصل مع مصر)).(1)

من ذلك يعد القطاع الزراعي من أبرز القطاعات المتضررة في لبنان فعلى إثر الإعتداءات المتخذة والزحف الإسرائيلي المتكرر خاصة على منطقة الجنوب دمرت الجسور والحق الخراب بالحقول وكثيرا ما توقفت عمليات الري وتعطل التيار الكهربائي، فحدثت هناك هجرة كبيرة للفلاحين إلى المدن أعقبها إنخفاض في الإنتاج الزراعي كما عزل الجنوب عن باقي أجزاء الوطن ومنع من تصدير إنتاجه إلى أسواقه التقليدية في البلاد العربية.(2)

من هنا تبرز حقيقة الأهداف الإسرائيلية في الإستيلاء على المياه اللبنانية، فبضرب البنية الفلاحية اللبنانية في الجنوب والسيطرة عسكريا على هذه المنطقة بحيث تصبح المياه غير مستغلة على الوجه الأكمل فإن مبررها لتحويل مياه نهر الليطاني يصدق أكثر من السابق،(3) على أنه قبل الشروع في ذلك من الأفضل أن يتم تطبيع العلاقات مع لبنان لكي يتحقق الأمن لمشروع التحويل حاضرا ويتم إحترامه مستقبلا لكي تصل إلى إسرائيل بالكمية المطلوبة على الدوام.

مع ذلك قامت إسرائيل بكل ما يحقق لها تطبيع علاقاتها الإقتصادية بالقوة مع لبنان، فأولت أهمية للغزو التجاري للسوق اللبنانية وكذا الغزو المصرفي والتطبيع السياحي القهري بل وسرقة الدور السياحي للبنان،(4) وهو ما يؤكد في مجمله أن الغزو الإسرائيلي للبنان لم يقع بدافع العامل الأمني فحسب بل يعود بقدر كبير إلى العامل الإقتصادي وضرورة تحقيق التطبيع الإقتصادي معه والذي سيكون في النهاية لصالحها

---

(1) نفس المرجع، ص 230.
(2) أحمد بعلبكي وفرج الله صفوظ، مرجع سابق، ص 98-107.
(3) نفس المرجع، ص 92-93.
(4) أحمد ثابت، "التطبيع الإقتصادي في ظل العدوان"، (السياسة الدولية)، العدد: 70، أكتوبر 1982، ص 170-173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن خلال لبنان تتمكن إسرائيل من الدخول في الأسواق العربية التي لم تصل إليها في عهده بفضل منتجات التكنولوجيات عن حقول الإنتاج عكس ما كانت متناقضة مع الأسواق الدولية سواء لمنافستها أو لبعدها النسبي عنها.

نستنتج مما سبق أن لبنان يحتل مكانة بارزة في الإستراتيجية التوسعية الإسرائيلية ، فهي أمام أهداف رئيسيين عسكري وإقتصادي وإستغلاله لضربه الأقلية نفذت إسرائيل أعمالها العدوانية ضد منطقة سيادته ووحدته، مما أدى إلى إنفجار الإنقسامات الداخلية وأصبح مع ذلك حل الأزمة اللبنانية يتوقف بدرجة كبيرة على مدى ما يحققه الحل المستخرج من الأهداف الإسرائيلية ليس في لبنان فحسب، بل في المنطقة كلها.

وبعد مرحلة السلم الزاحف الذي إنتهجته إسرائيل ضد لبنان ما بين 1978-1982 (1)، تمكنت من فرض واقع جديد على لبنان أصبح معه الجو الداخلي اللبناني لا يشكل أكثر من السابق في حكومته العاجزة، وفي ظل الإنقسامات العربية والإنحياز الأمريكي فرض على لبنان أن يقبل مبدئيا في نهاية 1982 (2) إجراء مفاوضات مع إسرائيل كثاني بلد عربي بعد مصر، ومن بين ما كان مطروحا بالنسبة لإسرائيل هو ضرورة فتح الحدود مع لبنان بصفة رسمية للتبادل وإنتقال الأشخاص والبضائع وكذا تكوين لجان لتنظيم هذا التبادل ورعايته (3).

بالنسبة لإسرائيل فهذا ما يجب أن يكون ما دامت قد أدمجت الجنوب في دورتها الإقتصادية بتكوين محطات مشتركة للسفر ومصالح للبريد والإستلام والبنوك والتجارة وكذا إنتقال رجال الأعمال والأشخاص العاديين للعلاج والعمل، بل ووجود متطوعين إسرائيليين لإعادة بناء المرافق التربوية

---

(1) أنظر: BOURGIT(Albert) et WEISS(Pierre),"Liban:la cinquième guerre du proche orient",op.cit,P.306-308.

(2) إستمرت هذه المحادثات بحضور وفد و.م.أ على توقيع ما عرف باتفاق 17 ماي 1983، وبالرغم من أنه لم يدخل حيز التطبيق بسبب إلغائه من طرف لبنان إلا أنه اعتبر* إنتصارا لإسرائيل من نواحي عديدة في مقدمتها أنه يعد ثاني أولى مع لبنان في سياق تطبيع العلاقات معه، كما أنه دليل على أن إسرائيل أنجزت في هذا البلد مثل ما للدول العربية أو أكثر. راجع نص الإتفاق وملحقاته في: سليم حداد،"أبعاد الإتفاق اللبناني الإسرائيلي"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 113-134.

(3) أحمد بعلبكي وفرج الله صفوظ، مرجع سابق، ص 77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتمثلة في الشريط الحدودي، وهذا كله لكسب سكان المنطقة وتحييد[1] الحكومة المركزية اللبنانية لحملها على عقد اتفاق وإذا بقي الجنوب على الدوام ورقة ضغط رابحة في يد إسرائيل.

على صعيد آخر فإن إسرائيل حققت نجاحا يتمثل في أنها وصلت إلى التحكم في مصير هذا البلد ليس بالاحتلال فحسب ولكن بتحطيمها لقسم كبير بقليل من القوى اللبنانية الفاعلة والتي في غالبيتها مسيحية، ففي الجنوب هناك مليشيات تهدد بتقسيم لبنان باستمرار وفي الشمال تنظيمات وشخصيات موالية تكن لها على الدوام العطف والمساندة في اعتبار العمل الشامل لأزمة وما دام هنالك دور للقوى الأجنبية، ففي حالة التحدي تبقى إسرائيل كعامل مشجع لهذه القوى الموالية لها بينما تشكل رادعا للقوى المضادة، وفي حالة الحرب الداخلية فإنها تمثل الممول الرئيسي لهم ومصدر تشديد ودمار للخصم الذي يقف ضدهم.

يتأكد من تتبعنا للتعامل الإسرائيلي مع لبنان بأنها حققت بعض أهدافها فيه والبعض الآخر هيأت له الأرضية المناسبة إلى أن تحين الفرصة لتحقيقه بالكامل، على أن ما يثير التساؤل هو عدم إقدام إسرائيل بتقسيم لبنان تقسيما فعليا والعمل على إقامة نظام مسيحي مستقل كالتي أي أكثر مما هو واقع الشريط الحدودي.

للتوضيح ذلك نرى بأن موضوع تقسيم لبنان يختلف حسب الأهداف الإسرائيلية الأخرى تجاه هذا البلد سواء أكان الهدف سياسيا أو اقتصاديا أم كليهما، فبالإضافة إلى أن التقسيم مرفوض من غالبية اللبنانيين بما فيهم القائد المنشق سعد حداد[2] كما صرح بذلك في 19-3-1978، وهذا من الدول العربية وغيرها فإنه ليس في مصلحة إسرائيل تقسيم لبنان، ويعتبر آخر فإن التهديدات بالتقسيم مجرد وسيلة ضغط ضد القوى اللبنانية والعربية الرافضة لإعطاء أي مكانة لها في الحرب اللبنانية ومن ثم في إقرار أي حل يراعي متطلباتها في هذا البلد وفي المنطقة كلها.

من واقع المصلحة القومية الإسرائيلية فإن مساعدة إسرائيل على إعلان

---

(1) BOURGIT (Albert) et WEISS (Pierre), "Liban: la cinquième guerre du proche-orient", op. cit, P.311-315.

(2) أنظر: إلياس شوفاني، مرجع سابق، ص 196.

دولة مسيحية في الجنوب وفي المنطقة التي يغلب عليها الطابع الشيعي سيكون هناك عملياً أساسها في المستقبل يحول دون وصولها إلى الشمال ، فضلاً عما يشكله ذلك من عائق أمام أهدافها الاقتصادية للسيطرة على لبنان فإن ذلك يعني عزلها في المنطقة ويحرمها من إمكانية ارتباط وسط لبنان وشماله بسوريا أكثر من أي وقت مضى .

بالإضافة إلى ذلك فإن إقامة دولة مسيحية في الجنوب يتعارض والاستراتيجية الإسرائيلية القائمة على مبدأ حرية الحركة ، بحيث أن ما يناسبها في هذا السياق هو إقامة حزام أمني بدل كيان له حدود يقتضي منه احترام حدوده وهو ما يستشف من تعليق صحيفة معاريف الإسرائيلية في 16-3-1978 ، ((إن حزام إسرائيل الأمني يكمن في حرية حركتنا ، مثل ما ظهر هذا الأسبوع وليس في الاحتفاظ بشريط بعمق بضع عشرات الكيلومترات ، شريط ليس من شأنه إلا أن يحد من حرية الحركة هذه)) .[1]

إذا انطلقنا من صعوبة تحقيق تقسيم لبنان نظراً للتركيبة البشرية المتداخلة والرفض اللبناني والعربي بل والدولي وانعدام المصلحة الإسرائيلية في ذلك فإن التهديد الإسرائيلي بالتقسيم مجرد ضغط ليس على الفلسطينيين فحسب بل والقوى الخارجية المؤثرة فيه وخاصة العربية ، فهو موجه ضد الفلسطينيين لحملهم على القبول بعقد إتفاق سلام مع إسرائيل لأن ذلك أخف من التقسيم وموجه ضد سوريا و م.ت.ف للخروج من لبنان لأن عمل الفلسطينيين المقاومة بذلك أفضل من تقسيم وتفتيت ، ومن هنا تتضح الأهداف الإسرائيلية الأخرى من التدخل في لبنان ضد سوريا و م.ت.ف ، ولم لا إخراجها منه نهائياً وخلق وضع جديد يؤدي إلى إزالتها من خريطة الشرق الأوسط نهائياً .

---

(1) نقلاً عن : نفس المرجع ، ص 117 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: م.ت.ف وسوريا كهدف للتدخل الإسرائيلي.

إذا كان التدخل الإسرائيلي في لبنان قد جرى تحت غطاء تحقيق الأهداف الاستراتيجية المحركة للحرب والتي تولدت مع ميلاد دولة إسرائيل وتطوراتها (1)
تجاه هذا البلد والتي حددتها الحكومة عبر أريئيل شارون بشكل خاص 1982،
تحول ذلك إلى تدخل شامل تعدت آثاره في ميادين سياسية وعسكرية ، [illegible]
سيناريو فلقد استخدمت الحكومة الإسرائيلية حربا شاملة [illegible]
المنطقة ، ومن هنا تولدت ضرورة تصفيتها [illegible] لبنان [illegible]
العسكري في المنطقة ، كما استهدفت القوات السورية [illegible]
سوريا في إنهاء الصراع الفلسطيني عربيا ، بمعنى الوقوف [illegible]
لا يرى إلا المصالح الإسرائيلية .

المطلب الأول : م.ت.ف هدف للتدخل الإسرائيلي في لبنان.

بعيدا عن الخوض في تفاصيل صراع إسرائيل مع الدول العربية [illegible]
أراضيها سنة 1967 فإنه بإمكاننا اعتبار هذا الصراع [illegible]
وإن تمكنت هذه الدول من استرجاع أراضيها كاملة ، على أن [illegible]
على صعيد التجربة الواقعية [illegible]
على أراضيها كاملة يستدعي بالضرورة زوال دولة إسرائيل [illegible]
[illegible] من انعكاسات خطيرة على السلم والأمن الدوليين [illegible]
[illegible] أن تتحول [illegible] المعنية [illegible] .

ومن منطلق هذه الإشكالية أي الصراع القائم بين [illegible]
[illegible] من إيجاد [illegible]
[illegible] الفلسطيني [illegible] الخطر الأكبر على مصير إسرائيل [illegible]
الذي دفع هذه الأخيرة ومنذ بروزها إلى إتباع كل الأساليب [illegible]
[illegible] إلى أعلى درجات [illegible] [illegible]
[illegible] والدفع به للدخول في صراعات مع الدول العربية [illegible]
[illegible] على حد قول [illegible]

(1) أنظر هذه المراحل بالتفصيل في: BOURGI (Albert) et WEISS (Pierre), "Liban: la cinquième guerre du proche-orient", op.cit, P.291-308.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخيرفي صيف 1969 ((... لست أوافق على إنشاء دولة عربية فلسطينية منفصلة ، هناك أربع عشرة دولة عربية ذات أراضي شاسعة وثروات طبيعية ، فما هو المعنى من إنشاء دولة صغيرة في الضفة الغربية ؟)).[1]

في الوقت الذي قطعت فيه إسرائيل شوطا بعيدا في على مدى عدة عقود لإقرار هذا الوضع إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية في 1975 مشكلة بالنسبة لإسرائيل مرحلة أخرى ما كان لها أن تتركها تضيع دون إستغلالها للإستمرار بشكل أعنف في تنفيذ سياستها ضد الفلسطينيين والذين تجمعوا لأسباب عديدة [2] وإثر أحداث مختلفة في لبنان بنسبة كبيرة وأصبحوا يتمتعون بحقوق واسعة في هذا البلد طبقا لإتفاق القاهرة لم يتمتعوا بها في أي بلد عربي.

في سياق الرؤية الإسرائيلية للشعب الفلسطيني وقضيته فإن وجود قسم كبير من هذا الشعب في لبنان — الذي يعد ميدان إنطلاق لعملهم العسكري والسياسي — لا يشكل تهديدا لأمن إسرائيل حاضرا فحسب بل وعلى مصيرها مستقبلا سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.

فبالشكل المباشر وبعدما أغلقت الجبهات العربية الأخرى في وجه الكفاح المسلح الفلسطيني بقي لبنان الميدان الوحيد الأكثر إستقطابا للعمل العسكري الفلسطيني الذي تعزز في 1969 ، فمن خلال إتفاقية القاهرة كسبت الثورة الفلسطينية مواقع في الجنوب لتهدد بإستمرار المستوطنات الإسرائيلية في الشمال كما أمكن لها من تنفيذ عمليات تسلل إلى داخل إسرائيل سواء برا أو بحرا كما هو الشأن في العملية المنفذة في مارس 1978 ، مما حمل وزير الدفاع الإسرائيلي عيزرا وايزمن إلى القول ((بأن لبنان هو الدولة الوحيدة التي يشن منها المخربون غاراتهم على إسرائيل فسوريا والأردن ومصر تكبح عمليات الإرهاب ولكن الحدود مع لبنان مستباحة)).[3]

موازاة للعمل العسكري الفلسطيني ضد إسرائيل إنطلاقا من لبنان فقد حققت م.ت.ف إنتصارات سياسية كبيرة إنطلاقا من نفس الأرضية عادت عليها

---

(1) نقلا عن: دري ل. فانيبان و زئيفا شيف، محرران، مرجع سابق، ص 14.
(2) حول أسباب هجرة الفلسطينيين إلى لبنان وأهم فترات هذه الهجرة ، أنظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.
(3) نقلا عن: إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 54.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإيجاب بينهما إنعكست سلبيا على إسرائيل ، وإذا كان ذلك قد تحقق بفضل الدبلوماسية الفلسطينية وحلفائها فإن هناك جانبا كبيرا من ذلك يعود إلى ظروف لبنان السياسية والثقافية ، حيث ضمنت لها حرية التحرك وأمنت لها الإتصال بالعالم الخارجي الذي كانت أغلب فروعه بشكل أو بآخر متواجدة في لبنان ، وبذلك إنتزعت م.ت.ف شرعية تمثيلها لكل الشعب الفلسطيني كما حققت من كسب تأييد عدد كبير من الدول وحققت إنتصارات عسكرية ودبلوماسية وإعلامية أفادتها في المراحل اللاحقة .

ومن بين نتائج ذلك أنه أصبح من المسلم به عند غالبية الدول والملاحظين أن حل إشكالية الشرق الأوسط تكمن في ضرورة إسترجاع الشعب الفلسطيني لحقوقه المشروعة وأن أي تجاهل لهذه الحقوق سيؤدي إلى مزيد من الحروب وعدم إستقرار الشرق الأوسط .(1)

ويعتبر إعتبار ما ذكر سابقا ليس بشيء جديد لأن إستخدام المقاومة الفلسطينية لبنان كقاعدة عسكرية وسياسية ضد إسرائيل يمتد إلى فترة ما قبل تواجدها في لبنان كما أن إسرائيل كانت تستخدم ما لديها من إمكانيات لإفشال ذلك ، ومن هنا يبرز الشيء الجديد في الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الثورة الفلسطينية عندما تواجدت بشكل كبير في لبنان وخاصة مع نهاية الستينات والتأثير الذي أحدثته في الحياة اللبنانية وهو ما نعتبره كعمل فلسطيني غير مباشر تطور بالتدريج ليصبح ضد الإستراتيجية الإسرائيلية ليس في لبنان فحسب بل وفي المنطقة كلها .

بتعبير آخر فإن الثورة الفلسطينية التي تستند في عملها إلى قاعدة شعبية فلسطينية متواجدة في لبنان بلغت نسبة 9% من مجموع سكان لبنان في 1973 (2) شكلت حاجزا أمام إسرائيل فإن أرادت هذه الأخيرة التوسع ناحية الشمال فإن ذلك يعني أنها ستجد مقاومة لبنانية شديدة تعلمت جيدا الكثير من هذه الثورة التي عايشتها وتقاسم معها المحن ، وإن أرادت بناء سلام

---

(1) من المعبر في هذا السياق التأكيد بأن م.ت.ف ليست مصدرا للإرهاب ، بل هي تنظيم يعبر عن آمال شعب يريد السلام . وبالتالي فمتى تحقق الحق يصبح العنف لدى الفلسطينيين منعدما ، بمعنى نهاية النزاع والحروب التي دامت طويلا .
ROULEAU(Iric),"Israel dans l engrenage libanais",(le monde diplomatique)N°341,aout 1982,P5.

(2) عبد المنعم المشاط "الفلسطينيون والحرب الأهلية في لبنان" (السياسة الدولية) ، العدد : 43 ، جانفي 1976 ، ص 48 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع لبنان يطرد بالنتيجة الطاقة الزائدة مثلما في نفس الموقف إن لم يكن من المعنى اللبناني ثلثه من اللبنانيين المؤيدين للثورة الفلسطينية بقيادتهم الحركة الوطنية والتقدمية .

وبالنظر إلى الأهداف الإسرائيلية في لبنان والاعتماد على المسيحيين بالدرجة الأولى ومساعدتهم بشكل أو بآخر لتحقيق هذه الأهداف ندرك مدى كم إزعاج إسرائيل من الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان، فإذا عرفنا أن معظم هؤلاء مسلمين سنيين بشكل عام (ومن شأن ذلك قلب التوازن الديموغرافي بين الجماعات الدينية وبالتالي التأثير على مركز المسيحيين) [1] ؛ وهذا يعني مساهمة الفلسطينيين سلبيا في التوازن السكاني القائم بين المسيحيين والمسلمين .

وإذا كان من الناحية المبدئية إخراج الفلسطينيين من بلادهم يشكل شيئا إيجابيا بالنسبة لإسرائيل لأن ذلك يحقق هدفا يؤخر اعتراف الفلسطينيين من العرب وتوزيعهم على البلدان العربية بما فيها لبنان، فإن تحولهم إلى قوة عسكرية وسياسية متحالفة مع قوى لبنانية يشكل خطرا من نوع آخر يجب القضاء عليه بشتى الطرق .

في ذلك تلتقي القوى المسيحية اللبنانية وإسرائيل بحيث أن الطاقة الفلسطينية بوجودها العسكري في لبنان أصبحت غير مقبولة ، وهو ما عبرت عنه صحيفة دافار الإسرائيلية في 19-4-1978 ، حيث اعتبرت أن اللاجئين الفلسطينيين في لبنان هم أساس النزاع الإسرائيلي-العربي وهو ما يتطلب معالجة شاملة تشترك فيها الدول الغربية والبلدان العربية في إطار اتفاق سلام شامل ينفذ على امتداد فترة انتقالية يهدف إلى توزيع الفلسطينيين الموجودين في لبنان على البلدان العربية [2] .

مثل ما هي طبيعة إسرائيل العدوانية [3] تنادي بالسلام مع تجاهل تام للحقوق الفلسطينية المشروعة وإنشاء دولتهم المستقلة فقد رأت في الدور المؤثر للثورة الفلسطينية على توازن القوى اللبنانية والذي يسير في غير

---

(1) نفس المرجع ، ص 40 .
(2) إلياس شوفاني وآخرون ، مرجع سابق ، ص 148 .
(3) حول أهم المشاريع الإسرائيلية بين 1956 و 1982 راجع : منير الهور ، "مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1982" ، دار الجليل للنشر ، عمان ، 1983 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حالتها ، بل أنه صار مناسباً للتدخل في لبنان وفرض الأمر الواقع
لإخراج المقاومة الفلسطينية من هذا البلد الذي يشكل الميدان الأخير لنضالها
المسلحة ، وفي ظروف كانت نشاطاتها تطال المستعمرات الشمالية
الفلسطينية كما كان شأنها في العديد من المرات وإن كان هدف هذه المرة إلى
جهات عربية عديدة ، المهم بالنسبة لإسرائيل أن لا يكون هذا الانتقال إلى
بلد يلتحق بها مباشرة وهي الخطيئة التي أكدتها إسرائيل شارون
إرشاداته بقوله ((حين لبنان كانوا يتطلعون للعمل في السلام ، وفي
لبنان كانت لهم قيادة تكتيكية عسكرية وسياسية ، أما وقد تمزق
اليوم على مسافة بلدان مختلفة ... فلا أمل لهم في أن يعيدوا الكرة لأمل
على الإطلاق))[1]. على أنه قبل أن يتحقق هذا المشروع من التدخل الإسرائيلي
في لبنان لتحقيق ذلك بعدة فترات استخدمت فيها كل الوسائل والأساليب.

من ذلك يتضح بأن التواجد الفلسطيني في لبنان عسكرياً ومدنياً أقلق
إسرائيل وبالتوازي مع ذلك ظلت منشغلة في كيفية وضع نهاية للتأثير
السلبي عليها ، هذا الهدف نرى أنه مر بمرحلتين رئيسيتين خلال الحرب
اللبنانية ، تمثلت المرحلة الأولى في إضعاف العمل الفلسطيني وإبعاده
قواعده من الجنوب اللبناني ، بينما المرحلة الثانية تجلت في العمل من
أجل إخراج م.ت.ف من لبنان نهائياً وهو ما تحقق عقب حصار بيروت الغربية
لأسابيع عديدة في صيف 1982 بعد العدوان الشامل الذي بدأ في 6 جوان.

مع اندلاع الحرب اللبنانية نرى بأن إسرائيل لم تكن عاجزة عن التدخل
لتصفية الثورة الفلسطينية بشكل أو بآخر ، فهي دولة قد تعودت العدوان
والتوسع على حساب الغير وعدم الاكتراث بالرأي العام العالمي
وبالقرارات والتوصيات الصادرة عن الهيئات الدولية بما فيها الأمم
المتحدة ، بالإضافة إلى أنها تمتلك الإمكانيات المادية وتحظى بمساندة
أمريكية و.م.أ ، وفوق كل ذلك تجيز لقواتها متابعة الثوار الفلسطينيين
إلى داخل البلدان التي ينطلقون منها وأقصدها لبنان كبلد مجاور لها.

إذا كان ذلك أكسب إسرائيل صفة الشذوذ عن باقي الدول في كثير من
المظاهر سواء في مفاهيمها أو في سلوكها فهذا لا يعني أنها تتصرف بدون

---

(1) نقلا عن: المركز العربي للمعلومات ، مرجع سابق ، ص 454.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسابات دقيقة للربح والخسارة بل بالعكس تمتلك إرادة صادقة في تحقيق أهدافها وتحسين إستخدام إمكانياتها ووسائلها بأقصى درجة من العقلانية وهذا ما بين ما يميزها بالدرجة الأولى على غالبية الدول العربية .

من خلال ذلك فالإحجام الإسرائيلي عن التدخل في لبنان لمساعدة عدم م.ت.ف في بداية الحرب اللبنانية وضع علامة إستفهام كبيرة ، وللإجابة على ذلك لابد من ربط الأوضاع ببعضها ببعض، فإذا كان صحيحاً أن إسرائيل مشغولة في هذه الفترة بفعل تأثير حربها مع العرب سنة 1973 والخوف من تكرار التلاحم العربي أو كان ذلك بسبب ضغط و.م.أ المتمثلة بإقرار السلام في المنطقة حسب أطروحاتها خاصة بعد إتفاقية سيناء الثانية سنة 1975 (1) ، فإن الأصح بإعتقادنا يعود إلى مجريات الساحة اللبنانية في حد ذاتها وموقع الثورة الفلسطينية فيها .

وتبعاً بالحسابات الدقيقة للربح والخسارة فإن إسرائيل عمدت مع بداية الحرب اللبنانية للسماح لهذه الحرب كي تستمر بشكل حتى تضع نتائجها الأولية على المستويين الداخلي والخارجي، فتتضح القوى المتصارعة وبعدئذ تقرر واقع في موازين القوى، وعلى الصعيد الخارجي لتتضح مواقف الدول وخاصة العربية منها، وإن احتمال التورط في هذا السياق أن التطورات الداخلية والتأثيرات الخارجية بإمكانها أن تسير قضية م.ت.ف في لبنان في حالة ما إذا ضغطت من قبل الأغلبية على أن تتخلى عن سيادة لبنان ووحدته . بتعبير آخر فقد أرادت إسرائيل أن تحقق هدفها ضد الثورة الفلسطينية دون أن تكلف نفسها عناء الحرب والمشقة وما يتبعه ذلك من خسائر في الأرواح والعتاد وجهد سياسي وقومي ومما أثر على سمعتها بالتظاهر بأنها دولة تنشد السلام في المنطقة .

فمن هذا الإعتقاد تأتي أولية إسرائيل في إضعاف المقاومة الفلسطينية وتجريدها من هدفها الرئيسي الذي أنشئت من أجله تمهيداً لتصفيتها وتفتيتها ، فإذا ما تحقق إقحامها ومشاركتها كطرف مهم في الحرب اللبنانية فإن ذلك يشكل بداية نهايتها على أساس أنها تظل مقحمة على

---

(1) وقعت هذه الإتفاقية في 1-9-1975 ، وتمت فصل ثانياً للقوات بين مصر وإسرائيل في سيناء ، حول نص هذه الإتفاقية ووثائقها المصرية والإقتراح الأمريكي، أنظر : الهيثم الأيوبي، مرجع سابق، ص 277-294 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصيرها وقواعدها في لبنان بالدرجة الأولى ناسية بذلك هدفها الحقيقي؛ أي ضد العدو الإسرائيلي.

من أجل ذلك حرصت إسرائيل على توفير الشروط الضرورية للمأزق بالمقاومة الفلسطينية في الحرب اللبنانية، ومن ذلك مساندتها للقوى المسيحية التي تحالفت مع سوريا في بداية الأمر بعد تدخلها بحجة حماية وحدة سيادة لبنان ووحدته (1)، فكان هذا التنسيق إيجابيا بالنسبة لإسرائيل ضد الثورة الفلسطينية المتحالفة مع الحركة الوطنية والتقدمية، فلم تكن إذا في حاجة إلى التدخل المباشر ما دامت نفس المهمة تقوم بها أطراف أخرى في مقدمتها سوريا، والفاشية المتطرفة ليس لإضعاف المقاومة الفلسطينية فحسب بل لما يحدثه ذلك من إنقسامات في العالم العربي.

بالرغم من الوضع الصعب الذي كانت فيه المقاومة الفلسطينية في لبنان فإن إسرائيل ظلت تحملها مسؤولية إندلاع الحرب في هذا البلد وهو ما عبرت عنه صحيفة معاريف الإسرائيلية في 21-4-1978 ((لقد بذرت البذور الأولى لخطط إثارة الحرب الأهلية في لبنان في مارس 1965 عندما دخلت مجموعة مخربين فلسطينيين أول مرة إلى إسرائيل من الحدود اللبنانية)) (2) وهو ما يتناقض وإعتقاد القوى المسيحية اللبنانية التي أعلنت الحرب من واقع المحافظة على سيادة لبنان المنتهكة من قبل الفلسطينيين المتواجدين فيه (3).

إذا من خلال مساعدة إسرائيل لطائفتها في لبنان وبث الدعاية في الأوساط اللبنانية وخارجها - بأن الثورة الفلسطينية هي سبب الأزمة وأنها الدافع لإسرائيل للقيام بأعمال إنتقامية ضد لبنان - مع كل ذلك زادت الخطورة على الموقع الفلسطيني مما كان يحملها على تقديم تضحيات كبيرة كان من المفروض أن تقدمها لإسترجاع حقوقها المشروعة ضد العدو؛ أي في ساحة أولى من الساحة اللبنانية المليئة بالتناقضات الطائفية المرتبطة بالولايات الخارجية.

---

(1) أنظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة.
(2) إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 210.
(3) KASSIR(Samir),"la droite chrétienne et la souverainete", (le monde diplomatique),N°340,juillet 1982,P.4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسواء أكانت مشاركة المقاومة الفلسطينية في الحرب اللبنانية بهدف الدفاع عن النفس وعن الحقوق التي منحتها إياها إتفاقية القاهرة 1969 (1) أو كان ذلك بهدف مساعدة حلفائها اللبنانيين الذين إستفادوا من مساعدتها طويلا فإن النتيجة النهائية لإنغماسها في هذه الحرب كانت في صالح إسرائيل، ليس لأن الكفاح الفلسطيني تراجع نسبيا فحسب بل لأن إنغماسه في الحرب اللبنانية سيوسع من دائرة أعدائه في هذا البلد وبالتالي فالمقاومة الفلسطينية - ستبدو كطرف معتدي - يحارب اللبناني فوق أرضه ويساهم في تهديم بنيته السياسية والإقتصادية، وهو الإعتقاد الذي تبلور بصورة واضحة عند غالبية المسيحيين إلى الحد الذي جعلهم يعتقدون في تأييد الزعماء المسلمين للثورة الفلسطينية أن هذه الثورة عبارة عن جيش المسلمين ضد المسيحيين اللبنانيين. (2)

إن القول بذلك لا يعني أن الثورة الفلسطينية بتواجدها في لبنان أهملت كلية هدفها الرئيسي ضد العدو، فبفضل البدائل العديدة وطبيعة الكفاح والتأقلم مع كل الأوضاع تمكنت من الإستمرار في عملها ضد إسرائيل في ظروف إقتضى معها النضال تصعيد الكفاح المسلح لإسقاط الحلول الإنهزامية التي تتجاهل حقوقها، وخير مثال في هذا السياق هو قيام مجموعة فلسطينية متسللة من لبنان عبر البحر إلى الدخول في عمق إسرائيل وتنفيذ عملية بطولية على طريق حيفا تل أبيب في 11-3-1978، (3) هذه العملية التي شكلت المبرر الكافي لإسرائيل لبداية مرحلة جديدة أكثر تصعيدا ضد المواقع الفلسطينية في لبنان.

لقد تجلى التصعيد الإسرائيلي ضد م.ت.ف في العدوان الواسع الذي شنته على جنوب لبنان إبتداء من 14-3-1978 تحت إسم عملية الليطاني بهدف إقتلاع مواقع م.ت.ف من جنوب لبنان لما يشكله من ميدان رئيسي لعملها والدفع بها ناحية الشمال لتركيز جهودها في مجال الدفاع فقط. (4)

---

(1) أنظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(2) KASSIR(Samir), op.cit, P.4.

(3) حملت هذه العملية تسميات عديدة أهمها الشهيد كمال عدوان، لمزيد من التفاصيل حول هذه العملية البطولية وردود الأفعال إسرائيليا ودوليا أنظر: (فلسطين الثورة)، عدد خاص، 1979، ص 142-149.

(4) أنظر: إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص328.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودون الدخول في التفاصيل العسكرية للعدوان الإسرائيلي فإن الهدف اقتصر على إبعاد قواعد المقاومة الفلسطينية من الجنوب وليس إخراجها من لبنان كلية وأذلك عبر انها ، حيث نرى بأن إسرائيل في هذه المرحلة مكتفية بمساندتها مع سعد حداد تحت إشرافها ق.م.أ.ق وبالتالي يبدو أن تفكير سلطاتها الحديثة في بناء السلام المنشود ؛ فالمشروع به في سياق ذلك هو الدخول بشكل مباشر في لبنان ولكن في عملية محدودة تهدف إلى إختبار الساحة اللبنانية وكذا قوة م.ت.ف وحلفائها اللبنانيين ، زيادة على ردود الأفعال الدولية وبالخصوص الإتحاد السوفييتي وجبهة الصمود والتصدي في تلك الفترة .(1)

بعد هذا بعدما تم الإتفاق الإسرائيلي - الأمريكي حول عدم إشراك م.ت.ف في أية مفاوضات لتسوية أزمة الشرق الأوسط وذلك عقب وصول الليكود إلى الحكم بزعامة مناحيم بيغن في ماي 1977 ، ومن أجل أن يتعزز مسار الثورة الفلسطينية سياسيا كان على إسرائيل أن تحاصرها عسكريا في لبنان ، وبهذا فعدوان مارس 1978 ما هو إلا تنفيذا لذلك على أنه يعد بالدرجة الأولى إختبار الأرضية اللبنانية والقوى المؤثرة فيها ، فإن تم تحديد ذلك بدقة أمكن وضع إستراتيجية مستقبلا يتم بها القضاء على م.ت.ف بصفة نهائية في لبنان ومن ثم إلحاقها من المعادلة السياسية في المنطقة .

من بين ما يعزز هذا الإعتقاد وبأن العدوان الإسرائيلي جاء أساسا لتجريب المذكور هو بداية إنسحابه من جنوب لبنان مبكرا ، حيث ليس من طبيعة إسرائيل الإنسحاب بهذه السهولة والسرعة من الأراضي التي تحتلها ، فإن قبول المبدأ في الإنسحاب عرضت على إقرار وضع يصعب بل يحول دون عودة النشاط العسكري الفلسطيني إلى الجنوب وهذا من خلال تمكين مليشيات سعد حداد من السيطرة على الشريط الحدودي بعرض يتراوح بين 4 و 5 كيلومتر بينما توزعت القوات الأممية شمال هذا الشريط بقرار من مجلس الأمن .

---

(1) تشكلت هذه الجبهة كرد فعل سريع على مبادرة السادات الإنفرادية للمصالحة مع إسرائيل وهي تتشكل من: (ليبيا ، الجزائر ، اليمن الديموقراطية ، سوريا ، م.ت.ف) ، على أنها لم تدم طويلا نتيجة الظروف المحيطة بها وما تعانيه من إنقسام في الصف العربي في الوقت الذي لزم فيه توحيد الجهود . أنظر: "قيام جبهة الصمود والتصدي..." ؛ (فلسطين الثورة) ؛ عدد خاص ، 1979 ، ص 186-187 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل ما كانت تتوقع فقد إستطاعت إسرائيل من خلال الوضع الجديد إحداث تغيير كبير في النشاط الفلسطيني وهذا من خلال غاراتها الجوية التي كان يشترك فيها بحرية كبيرة ، وأصبح مع ذلك مضطرا لخوض معارك هامشية ضد القوات الأساسية في العديد من المرات ، على أنه بفضل الحصول على معدات أكثر تطورا إستطاعت المقاومة الفلسطينية من مسافة بعيدة أكثر من السابق تهديد المستوطنات الإسرائيلية الشمالية بما كان يعد في كل مرة من الأعمال الإنتقامية الإسرائيلية ضد الأراضي اللبنانية .

وعلى هذا الوضع خاضته في صيف 1981 ، لتصاعد الأحداث إلى أصولها الأولى ، فإذا كان النزاع العربي - الإسرائيلي هو في الأصل نزاعا إسرائيليا فلسطينيا ثم توسع ليشمل الدول العربية في مقابل إسرائيل فإن الساحة اللبنانية أعادته ليكون صراعا إسرائيليا - فلسطينيا بينما الدول العربية تتدخل وقوما أكدته النتائج ، فعندما أعلن عن وقف القتال في 24-7-1981 على إثر مساعي المبعوث الأمريكي فيليب حبيب إنما أعلن من قبل إسرائيل مثل ما أعلن من قبل م.ت.ف .(1)

ومهما كانت دوافع إسرائيل من قبولها بوقف القتال مع م.ت.ف فإن ذلك يبقى مجرد تكتيك مرحلي لأنه من شأنه أن يرفع من معنويات الثورة الفلسطينية ويقوي من مكانتها داخل لبنان ، وعليه نرى في قبول إسرائيل بوقف القتال مجرد فرصة لتهيئة الظروف للدخول في مرحلة أخيرة وهي التي بدأت بتشكيل مناحيم بيغن لحكومته الجديدة في 4-8-1981 معينا إيريل شارون وزيرا للدفاع .

في سياق ذلك لابد من الأخذ بعين الإعتبار الظروف المحيطة بإسرائيل فهي مقدمة ذلك أنها ضمنت عزلة وهدوء الجبهة المصرية بصفة نهائية بعد إرساء العلاقات الدبلوماسية معها وهو الوضع الذي يصعب من مهمة سوريا إعلان الحرب بمفردها وحل الإختلافات بل والتناقضات العربية ليس تجاه عملية السلام في المنطقة فحسب بل وتجاه الأزمة اللبنانية (2) في حد

---

(1) KAPELIOUK(Amnon),"lénnemi avec lequel on ne traite pas", (le monde diplomatique),N°341,aout1982,P.4.

(2) تحولت الحرب الأهلية اللبنانية إلى ميدان لتصفية الحسابات بين كثير من دول المنطقة وبالتحديد تحولت إلى حرب بين الدول العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ة. ثانيا والتي تعطي فيها إسرائيل بمساندة فريق عريض يتكونا بيير جميل أو إلى التدخل بجانبه ويقدم لها التسهيلات اللازمة لتصفية المقاومة الفلسطينية .

على صعيد آخر فإن إسرائيل فضلت المساندة الأمريكية لها أكثر من السابق نظرا لمعرفتها المسبقة أن العربية لن تبقى كاملة دبلوماسيا، وبالمقابل أن تملك لمعرفة الدور الضعيف للاتحاد السوفييتي في المنطقة ككل وبالخصوص دوره في الأزمة اللبنانية، وعلى هذا الأساس فكل الدلائل والمعطيات تشجع إسرائيل على التدخل في لبنان بشكل لم يسبق له مثيل لإلحاق الهزيمة بـ م.ت.ف مباشرة وإخراجها من هذا البلد.

بناء على ذلك لوحظ من مصادر عديدة الاستعدادات الإسرائيلية للقيام[1] بذلك مع مطلع سنة 1982 بحجة ما تشكله الثورة الفلسطينية من مصدر تهديد للمستوطنات الشمالية، وفي هذا الشأن يقول إسحق شامير وزير الخارجية في 29 مارس من نفس السنة بأن بلاده ((ستحل مشكلة الإرهاب الفلسطيني في لبنان بصورة حاسمة إذا ما تجدد القصف عبر الحدود اللبنانية ... لن تكون هناك حرب استنزاف ولن يتكرر أبدا ما جرى في صيف 1981 في كريات شمونة))[2] .

كل مرة تبحث إسرائيل عن سبب مباشر لتنفيذ عدوانها المخطط له منذ مدة نجد ذلك في محاولة الاغتيال التي تعرض لها سفيرها في لندن في 3 جوان، وهي المحاولة التي اعتبرها روجي جارودي مجرد مبرر للقيام بغزو واسع ضد لبنان والذي بدأ بالفعل تنفيذه في 6 جوان تحت اسم السلام للجليل[3] وذلك بإقامة حاجز أمني يمتد بعمق أربعين كيلومتر داخل التراب اللبناني، على أن هذا العدوان موجه في الأساس بحسب إعلان وزير الخارجية الإسرائيلي ضد م.ت.ف حيث من الضروري إسكاتها لأنها ((تحولت

---

* التي بادرت إلى إرسال أفراد أو معدات ومساعدات متنوعة كل إلى حلفائه لتحقيق التفوق ضد الفريق المضاد. BENASSER, op.cit, P. 20-22.

(1) أنظر: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 13-14.

(2) نقلا عن: نفس المرجع، ص 13.

(3) روجي جارودي، "ملف إسرائيل: دراسة للصهيونية السياسية"، ترجمة: مصطفى كامل فودة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1985، ص 155-156.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى عقبة في طريق السلام ، إن هذه المنظمة تمنع الحكومات العربية من المضي قدماً في السير على طريق السلام)) .[1]

إذاً فمازو مكان ضمن بين أهداف الغزو الإسرائيلي للبنان هو القضاء على الثورة الفلسطينية ، فعن طريق المسح العسكري الشامل للجنوب براً وجواً وبحراً إنحسرت وحدات المقاومة الفلسطينية بشكل كبير في بيروت الغربية حيث متى تقوقعت في مكان معين ومحدود فإن المهمة تكون أسهل لتطويقها والقضاء عليها عكس إنتشارها في محيط واسع وإختلاطها بالمدنيين كما كانت سابقاً .

بعد ذلك بقي تنفيذ المرحلة الأخيرة التي يقول عنها وزير الدفاع الإسرائيلي إيريل شارون ((الحقيقة أنه علينا إقناع الإرهابيين بمغادرة بيروت والوسيلة لتحقيق الهدف هي القصف))[2] ، أي دون الإكتراث بمسألة الإعتبارات الإنسانية في هدم المدينة بما تحتويه من أطفال وشيوخ ونساء لأن الهدف من العدوان كما نقل مصطفى طلاس عن المصدر السياسي لصحيفة هآرتس الإسرائيلية هو ((إخراج م.ت.ف من ذاكرة النزاع العربي-الإسرائيلي ومن يريد فعلاً تحريك عملية السلام عليه أن يطرد هذا المزيج ... وهذا ما سيحدث فقط بعد قص الأجنحة العسكرية ل م.ت.ف))[3] .

مع بداية خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت الغربية في إتجاه بلدان عربية عديدة وهذا بعد حصار ودمار شديد لمدة أسابيع عديدة وتدخل أطراف لبنانية وغيرها أهمها الدور النشيط الذي لعبه المبعوث الأمريكي فيليب حبيب[(4)] ، بعد ذلك يمكن القول بأن إسرائيل حققت هدفها ضد الفلسطينيين ، على أن الإستفادة في رأينا تعدت ذلك بكثير حيث تمكنت من معرفة وبوضوح مواقف الدول العربية وكذا الإتحاد السوفياتي تجاه القضية الفلسطينية ، هذه المواقف التي وصلت إلى درجة كبيرة من الإنقسام والتراجع ، الشيء الذي يساعد بطبيعة الحال إسرائيل على التخطيط لمستقبل المنطقة على ضوء الحقائق والمعطيات الجديدة هذه .

---

(1) نقلاً عن : المركز العربي للمعلومات ، مرجع سابق ، ص 72 .
(2) نفس المرجع ، ص 457 .
(3) نقلاً عن : مصطفى طلاس ، مرجع سابق ، ص 340-341 .
(4) أنظر : مشروع فيليب حبيب لخروج م.ت.ف من بيروت في الملحق رقم 5 من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد قبول المقاومة الفلسطينية الخروج من لبنان كان منتظراً أن تعلن إسرائيل عن إنسحابها من هذا البلد لكونها حققت هدفها المعلن بالسلام، على أنه سرعان ما أبدت رغبتها في البقاء لفترة أطول كاشفة بذلك مرة أخرى عن أطماعها العدوانية، فهي لم تقتنع بخروج الثوار الفلسطينيين بأسلحتهم الخفيفة فقط بل أرادت بعد تفريغ مكان تواجدهم في السابق القيام بمذبحة جديدة لما تبقى في المخيمات الفلسطينية من سكان عزل رغم ما إتسم بشكل وحشية في مجازر صبرا وشاتيلا التي أثبتت التحقيقات بعد ذلك بأن المسؤولية الأولى تتحملها إسرائيل[1]، والأكثر من ذلك أن هذه المجازر قوبلت باستنكار شديد من قبل قسم كبير من الإسرائيليين أنفسهم وأدت إلى أزمة سياسية، وهو الوضع الذي حذر منه مسبقاً مردخاي غور الرئيس السابق لأركان الجيش الإسرائيلي الذي يرفض الحرب ضد م.ت.ف في لبنان بقوله ((إن نشاط الفدائيين كان موجوداً في الماضي ومن شأنه أن يوجد أيضاً في المستقبل ولدى دولة إسرائيل أساليب ووسائل عديدة لتعمل ضده ولا حاجة إلى خلق وضع من التوتر العام والحرب))[2].

إذاً يرتبط التخطيط الإسرائيلي في الإنسحاب من بيروت ومن لبنان ككل بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين بأن هنالك أهدافاً أخرى يجب تحقيقها، ومن ضمن هذه الأهداف - بعد ما ذكرنا ما تعلق بلبنان و م.ت.ف - التصدي للوجود السوري وما يشكله من متاعب لها أو لحلفائها اللبنانيين، وهذا ليس فقط على الصعيد العسكري بل والتخوف من إقرار صيغة سورية أو عربية للسلام في لبنان لا تضع في الحسبان الإهتمامات والحسابات الإسرائيلية في هذا البلد المجاور، وهو ما يعود بالسلب على إسرائيل في لبنان وفي المنطقة ككل.

المطلب الثاني: سوريا هدف للتدخل الإسرائيلي في لبنان.

في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي وما لسوريا من دور نشيط فيه إندلعت الحرب اللبنانية في فترة ما بعد حرب أكتوبر، وبما أن هذه الحرب ونتائجها لم تقيم بالكامل بعد فإن سوريا وإسرائيل كانتا في

---

(1) أمنون كابليوك، مرجع سابق، 122 ص.
(2) نقلاً عن: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق ص 17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرحلة حساسة تجاه بعضهما البعض وأي كسب لمواقع النفوذ في المنطقة لطرف معين إنما يعد على حساب الطرف الآخر.

ولاعتبارات معينة كانت سوريا السباقة سياسيا وعسكريا بالتدخل في لبنان (1)، ومهما كان دورها وموقعها في هذا البلد فإن تدخلها هذا لا يمكن من الناحية المبدئية أن ينال قبول إسرائيل، بل إن هذه الأخيرة في سياق صراعها الطويل مع سوريا كان من المتوقع أن تقوم بتدخل مواز يمنع سوريا من إستئثار الساحة اللبنانية لمفردها.

إذا الإمتناع الإسرائيلي عن التدخل في لبنان وترك الفرصة لسوريا وحدها يعني تواجد مخاطر عديدة على المديين القصير والطويل، ففي المدى القصير يؤدي ذلك إلى تعزيز الوجود السوري في لبنان ليأخذ طابعا شرعيا خاصة إذا ما ساندته أطراف داخلية وخارجية وإستطاع أن يحمل معه حلا مرضيا للأزمة اللبنانية، فحينئذ تتأكد الحقيقة بأن لسوريا مكانة خاصة في لبنان من واقع التاريخ المشترك والمستقبل الواحد، وهو ما جعلها حسب الإعتقاد الإسرائيلي لم تسلم في أي وقت بإستقلال لبنان، فهي لم تقم سفارة فيه (2).

أما على المدى الطويل نسبيا فإن ترك سوريا تتحرك بحرية منفردة في لبنان من شأنه أن يولد حقائق جديدة لا تخدم بتاتا الإستراتيجية الإسرائيلية سواء في لبنان أو في المنطقة ككل، فالدور السياسي السوري إذا ما كتب له النجاح وأدى إلى إنهاء الأزمة اللبنانية بشكل أو بآخر فإنه يكون قد فوت أمام إسرائيل فرصة لتحقيق أطماعها بلبنان وهو في أضعف مراحله؛ فالمتوقع مسبقا هو أن الحل السوري لا يأخذ بعين الإعتبار المصالح والمرتقبات الإسرائيلية بل بالعكس سيأتي متناقضا معها ولربما جعل من لبنان بلد مواجهة ضد إسرائيل بعد ما كان لفترة طويلة بلدا مسالما لها.

وما يثير المخاوف الإسرائيلية أكثر هو ما يمنحه لبنان لسوريا من مجال حيوي جديد على صعيد التحرك العسكري، فإن كانت إسرائيل قد قللت من فرصة الهجوم السوري المباغت بعد الإستيلاء على الجولان فإن تواجد

---

(1) حول هذه الإعتبارات الخاصة أنظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة.
(2) إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق ص 210.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سوريا في سحق المقاومة اللبنانية يمنحها هذه الفرصة من جديد بل ولكون أنه أصبح بإمكانها إدارة الحرب خارج أراضيها لأول مرة وهو ما حدا بالجنرال الإسرائيلي إبريئيل شارون للقول بأن ((سيطرة سوريا على لبنان تجعل الوضع الدفاعي الإسرائيلي سيئاً من الشمال)) [1].

يتعزز التخوف الإسرائيلي من سوريا إذا ما عرفنا بأنها تصنف ضمن البلدان العربية الأكثر تشبثاً بالخيار العسكري، بل هي بؤرة الإستفزازات والبلد الأكثر تطرفاً في البلدان العربية حيث يعتقد الكاتب الإسرائيلي أريليه إلياف بأن مشكلة إسرائيل هي أكثر تعقيداً مع سوريا نظراً لأن هذه الأخيرة تعتبر قلب الشعوب العربية المتورطة في الصراع مع إسرائيل، وبالتالي فهي تقف في آخر طابور الدول العربية المجاورة لإسرائيل التي يمكن أن تقبل بالسلام معها [2].

إضافة إلى ذلك فإن التدخل السوري في لبنان لا يتماشى ورغبة إسرائيل من واقع أن هذا التدخل وإن لم يكن في البداية لصالح القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية وكذا م.ت.ف فإنه بإمكانه أن يكون معها في أي وقت، وفي حالة حدوث ذلك فإن الأمن الإسرائيلي يصبح مهدداً مما يحتم منع التوصل إلى ما قد يؤدي إلى ذلك.

نستنتج مما سبق أن الحرب الأهلية اللبنانية تنذر بتحييد الموقف وزيادة في التدخلات الخارجية، على أن ما حصل في بداية الأمر من قبل إسرائيل كان العكس تماماً، حيث أعطيت الفرصة لسوريا للتدخل والإستمرار في لبنان بل والقيام بأدوار رئيسية مع كل القوى اللبنانية، وبدت إسرائيل بذلك وكأنها *تقر بخصوصية العلاقة اللبنانية - السورية وتعترف لهذه الأخيرة لما تقوم به في هذا البلد من نشاط إنفرادي.

من زاوية الصراع الإسرائيلي – العربي والعداء التقليدي بين إسرائيل وسوريا يبدو الموقف الإسرائيلي شاذاً وغير مألوف تجاه التدخل السوري في لبنان، على أنه بالنظر إلى هذا الموقف من واقع تحليلي نجده موقفاً سلبياً، فهو من ناحية ليس بموقف صريح بشرعية التدخل السوري ولا

---

(1) نقلاً عن: محمد حسن، مرجع سابق، ص 31.
(2) نفس المرجع، ص 70-71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بخصوصية علاقاتها بلبنان، ومن ناحية أخرى أن هذا التدخل جاء ليعدل موازين القوى اللبنانية المختلفة في غير صالح ميليشيات الكتائب المسيحية، وبذلك فإن وقوف سوريا ضد التحالف الفلسطيني مع الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وخاصة في صيف 1976 شكل خدمة كبيرة لإسرائيل بدون أدنى مقابل.

من أجل إستمرار هذا الوضع صرحت إسرائيل بأن لا تبادر إلى تهديد سوريا بأي شكل من الأشكال بل عملت على تهدئة الأوضاع من جانبها لتترك الإمكان لكي تستمر سوريا فيما هي فيه، وفي هذا السياق يأتي قول إسحق رابين في جويلية 1976: بأننا لا ننتقد السوريين إذا رغبوا في الإستمرار بقتل الفلسطينيين، فما يهمنا هو أن يستمروا في ذلك.(1)

زيادة على ذلك فإننا نرى بأن التأخر الإسرائيلي في التصدي لسوريا في لبنان يعود إلى حاجة إسرائيل في معرفة حقيقة ومكانة سوريا في هذا البلد، بمعنى أنها أرادت ترك المجال لها كي تتوغل سياسيا وعسكريا وهذا لقياس ردود الأفعال اللبنانية والدولية ومن ثم معرفة ما تحظى به من تأييد أو معارضة، فهي وإن كانت لها علاقات مميزة مع لبنان إلا أن هذه العلاقة ليست واضحة المعالم بالتدقيق، وسياسة سوريا سواء حظيت بالترحيب أو بالرفض فلا بد من معرفة مدى ذلك ومن أي القوى بالتحديد ومدى وزنها في المجتمع وفي الحياة السياسية اللبنانية.

من هنا يأتي حرص إسرائيل لمعرفة هذه الحقائق، فمن خلالها تتمكن من وضع إستراتيجية متكاملة مستقبلا ضد سوريا في لبنان من منطلق أن الظروف الآنية لابد وأن تتغير في يوم من الأيام، بمعنى أن الموقف الإسرائيلي السابق ليس ثابتا ودائما وهو ما يستخلص من دواعي تدخلها في لبنان كما حددها موشي ديان في جوان 1976 في حالتين: الأولى عندما تنوي سوريا القيام بهجوم ضد إسرائيل، والحالة الثانية أن تتلقى إسرائيل طلبا من شعب لبنان من أجل دعم وإيقاف تدخل خارجي.(2)

إذا كان ذلك لا يعني معارضة صريحة للتدخل السوري في لبنان فإنه يعد

---

(1) BOURGIT(Albert) et WISS(Pierre), "les complots libanais: guerre ou paix au proche orient", op.cit, P.117.

(2) Ibid, P.118.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تهديدا لمنشآتها من ناحيتين ، في الحالة الأولى وبقصد ردع سوريا وجعلها لا تفكر في الهجوم إنطلاقا من لبنان ، أما في الحالة الثانية فهو تهديد لأي تحول في موقفها اتجاه م.ت.ف وحلفائها اللبنانيين ضد مليشيات الكتائب، لأن هؤلاء هم المرشحون مستقبلا لدعوة إسرائيل للوقوف ضد أي خطر عليهم بما فيه سوريا وهو ما دلت عليه المراحل اللاحقة .

بعد ما بدت سوريا وشتت الضغط العربي تميل تدريجيا إلى م.ت.ف وخاصة في إجتماع شتورة في سبتمبر 1976 ثم في قمتي الرياض والقاهرة لشهر أكتوبر من نفس السنة مما سمح بإستمرار وتصعيد النشاط العسكري الفلسطيني إنطلاقا من جنوب لبنان تطبيقا لإتفاقية القاهرة لسنة 1969 ، بعد كل ذلك وجدت إسرائيل مبررها في تغيير موقفها تجاه التدخل السوري في لبنان، وأول ما بدأت به في هذا السياق هو الرفع من درجة مساندتها للمليشيات المسيحية وخاصة تلك المتواجدة في الشريط الحدودي بقيادة سعد حداد .

في هذه الأثناء بدأت إسرائيل تعارض الوجود السوري ليس في لبنان ككل بل في جنوبه بالذات نظرا لما تشكله هذه المنطقة من أهمية بحيث تعد منطقة حيوية بالنسبة لأمنها (1) ليتحول هذا الإعتقاد مع بداية الإنتقادات (2) السورية لبعض القوى المسيحية اللبنانية لتحالفها وتعاونها مع إسرائيل .

يتجلى من ذلك أن إسرائيل كانت تعمل ضد سوريا بخلق تناقضات بينها وبين حلفائها بالأمس، وعبر إستغلالها لضعفهم وحاجتهم للمساعدة تمكنت إسرائيل من تقديم العون لهم، وإعانتهم على بناء قوة ذاتية سببوا من خلالها كثيرا من المضايقات للقوات السورية ، وجعلوها تراجع حساباتها في العديد من المرات، أي بالحد الذي لا يمكنها معه من وضع نهاية للأزمة اللبنانية وما يزيد في آن واحد في إقحامها أكثر في هذه الحرب ما دام ذلك يساهم في إلهائها عما يدور في المنطقة ككل .

لقد تعزز هذا المنهج أكثر من السابق مع وصول تحالف الليكود إلى الحكم في 17-5-1977 بقيادة مناحيم بيغن ، الذي لم يتأخر طويلا للقيام

---

(1) Institut français de polémologie, op.cit, P.50.

(2) أنظر : داغيد كليمور ، مرجع سابق ، ص 120 .

بعدوان على لبنان في مارس 1978 والسيطرة على المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني واضعا بذلك حدا فاصلا بين شمال لبنان وجنوبه وهو يمثل الخط الأحمر أمام القوات السورية المتواجدة في لبنان، فإذا اجتازته أن تتحرك شمال هذا الخط فممنوع عليها أن تصل إلى جنوبه ، وتزعم إسرائيل أن سوريا قبلت بذلك بينما هذه الأخيرة نفت أن تكون قد وافقت على ما عرف بالخط الأحمر بالرغم أنها ظلت على طرفه الشمالي (1).

بالرغم من أن العدوان الإسرائيلي السابق الذكر لم يكن موجها إلى سوريا بالدرجة الأولى بل لحلفائها الفلسطينيين لإبعادهم عن الجنوب وعلى ذلك توقعت إسرائيل أن تكون سوريا قد تفهمت هذه العملية بأنها محدودة ومؤقتة للغرض المذكور، بالرغم من ذلك فإن سوريا قد تضررت هي الأخرى من ناحية وصول علاقتها بالملشيات الكتائبية حليفة إسرائيل إلى أعلى درجات التدهور والصراع ، وأصبح مع ذلك مصير الموارنة وإستمرارهم في لبنان مربوط بمدى الدعم الإسرائيلي لهم على حد تعليق صحيفة معاريف الإسرائيلية الصادرة في 21-3-1979 وهذا نتيجة المصلحة المشتركة ((هذه المصلحة المشتركة تفرض على إسرائيل أن تطالب وتعمل من أجل أن يكون لبنان دولة مستقلة ومحررة من وجود الجيش السوري)) (3).

إذا بعد ما كانت سوريا تحظى في بداية تدخلها بتأييد الملشيات المسيحية أصبحت مع التدخل الإسرائيلي طرفا غير مرغوب فيه من قبلهم بل تعد طرفا معتديا ، وفي هذا التطابق وجهات النظر الإسرائيلية - الكتائبية نجد يؤيده الكتائبيون الضابط المنشق سعد حداد المعارض للتدخل السوري، وسبب هذا التأييد يعود إلى الفقر والظلم الذي لحق بالمسيحيين في الجنوب، ولا يعتبرون ما قام به كتقسيم للبنان بل واقع أملته ظروفه الوطنية مما يسقط صفة الخيانة عنه وما تعاون هذا الضابط مع إسرائيل إلا لأنه الخيار الوحيد الموجود أمامه (4).

لم يتوقف الحد عند تطابق وجهات النظر والمواقف على المستوى

---

(1) بدون كاتب، "السيناريو الأمريكي لمواجهة الصواريخ السورية"، (الوطن العربي، العدد 321، أفريل 1983، ص 42-43.

(2) Institut français de polémologie, op. cit, P.65.

(3) نقلا عن: إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 125.

(4) ملحم قربان، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص 383.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السياسي ضد سوريا بل تطور أسلوب العمل كي يشمل الجوانب العسكرية، وهو ما تجلى بوضوح سنة 1981، عندما إستولت مليشيات الكتائب على نقاط إستراتيجية في منطقة زحلة مهددة بذلك الخط التمويني السوري مما حمل هذه الأخيرة على القيام بعمل مضاد للسيطرة على مواقع الكتائب في جبل لبنان، بعد ذلك مارست إسرائيل التدخل عسكريا ضد سوريا لحماية الكتائب ومنع القوات السورية من السيطرة على مواقع إستراتيجية جديدة في لبنان تكون عائقا أمام هجومات الجيش الإسرائيلي المحتملة في أي وقت مستقبلا.(1)

من ناحية الإستفادة من مليشيات الكتائب فإسرائيل تستخدمهم لأغراض عديدة من بينها الحصول على معلومات تخص التحركات السورية، وهذا نظرا لمعرفتهم أكثر للساحة اللبنانية وإمكانية تحركهم في الزي المدني وسهولة التعامل في وسطهم، فهم في كل الحالات لبنانيين يتنقلون في بلدهم، وعبر هذا التنقل والتحرك يزودون إسرائيل بما تحتاجه من معلومات تستند إلى الواقع الحقيقي عبر قنوات إتصال سرية بما يحول دون إكتشافها من طرف سوريا وإمكان ردها عنيفا ضد مواقعهم، أي الكتائب.(2)

مع كل ذلك نرى بأن إسرائيل في مساعدتها للكتائب إنما تذهب إلى عدم ترك هؤلاء في موقف ضعيف في لبنان، لأن ضعفهم سيدفعهم كما في السابق إلى اللجوء لسوريا طلبا لحمايتها، وهو ما تعمل إسرائيل على عدم تكراره في مرحلة متقدمة ومعقدة للحرب الأهلية اللبنانية، أين بدت لها الأوضاع مهيأة إلى حد ما للتمكن من جني الفوائد التي طالما قيدت لها.

في هذا السياق أكد القائد الإسرائيلي أفيغودور بن غال على أن عدم تحرك إسرائيل سيدعم الطرف الداعي إلى التفاوض مع سوريا داخل الفريق المسيحي، ولمواجهة ذلك أعطى خيارات عديدة من بينها فرض وضع في لبنان يقاتل فيه الكتائب سوريا كي لا يتوصلوا معها إلى إتفاق.(3)

تتضح الإستراتيجية الإسرائيلية ضد سوريا بصفة واضحة إذا أخذت في سياق تطورات المنطقة ككل، ففي أواخر السبعينات إنفردت إسرائيل بسوريا إلى

---

(1) حسين آغا وآخرون، مرجع سابق ص 137.
(2) أنظر: نفس المرجع، ص 150.
(3) نفس المرجع، ص 41.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

درجة أنه من الصعب على هذه الأخيرة شن حرب لوحدها وهو ما مهد إلى شل وإسقاط خيارها العسكري، وفي ذلك يقول موشي ديان ((كنت أرى أن مفتاح منع الحرب يكمن في عقد إتفاق مع مصر حتى ولو كان جزئيا، فإذا توصلنا لعقد مثل هذا الإتفاق، فإن هذا لن يضعف من شأن بواعث مصر على إستئناف الحرب فحسب، بل يوفر إمكانية أن تتردد سوريا عندما تجد أنها ستحارب وحدها)).[1]

إذا مع بداية الثمانينات كانت إسرائيل قد إستكملت بحق كل عناصر التفوق على سوريا، فبالإضافة إلى أنها تقف وحيدة في المنطقة بعد خروج مصر من دائرة الصراع وتخليها عن الخيار العسكري[2] فإن العالم العربي يشهد إنقسامات عميقة ساهمت الحرب اللبنانية فيها، كما أن دور الإتحاد السوفييتي ظل في تراجع مستمر في المنطقة وعليه فإن إسرائيل حتى وإن لم تكن ترغب بحرب مع سوريا في لبنان فليس هناك ما يمنعها من القيام بعدوان شامل على التراب اللبناني تكون فيه سوريا في وضع حرج سواء تدخلت لصد هذا العدوان أو إمتنعت عن التعرض له.

من ناحية تدخلها لصد الهجوم الإسرائيلي فإن سوريا لاتملك قوة التفوق لا من ناحية العدد ولا من ناحية العتاد[3] وبالتالي محاولتها تعد من قبيل العمليات الإنتحارية وفي حالة ما إذا لم تتدخل فإن ذلك يعود عليها بالضرر معنويا وسياسيا، فمن ناحية يصبح وجودها العسكري في لبنان بدون معنى ومن ناحية أخرى تصدق إعتقادات بعض البلدان العربية وغيرها التي تنظر إلى الوجود السوري على أنه ليس للدفاع عن لبنان بقدر ما يحافظ على مصالح سوريا وفئات معينة لها سلطة القرار في لبنان.

ومن منطلق الأهداف الإسرائيلية في لبنان نرى بأنه ليس من مصلحة إسرائيل تفجير حرب مع سوريا في لبنان، على أن ذلك لايمنع من ناحية أخرى الظهور بمظهر الإستعداد للقيام بذلك في أي وقت وهدف ذلك هو ردع سوريا وحملها على القبول بنهج كامب ديفيد وهو ما يصدق في الكيفية التي

---

(1) نقلا عن: محمد حسن، مرجع سابق، ص 61.
(2) راجع في هذا السياق: سعد الدين الشاذلي، "الخيار العسكري العربي 1984-1993"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
(3) أنظر: نفس المرجع، ص 318-351.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسلمت بها إسرائيل ما إعتبرته بأزمة الصواريخ السورية في لبنان سنة 1981 ، مبررة أي إدخال سوريا لهذه الصواريخ إلى لبنان يدل عن إمكانية ذهابها إلى أبعد الحدود بما يخدم مصالحها القومية فإن إسرائيل رأت في هذه الصواريخ تهديداً لأمنها ، وبالرغم من المجهود الدبلوماسي الذي بذل في هذا السياق فإن إسرائيل حلت المشكل بطريقتها الخاصة وأغارت على بطاريات صواريخ سام السوفياتية الصنع ودمرتها بل وأسقطت العديد من الطائرات السورية (1) .

من بين ما يستخلص من ذلك أن إسرائيل أرادت أن تضع حداً لما تعتبره بهيمنة سوريا على لبنان ، فهي على الصعيد العسكري عاجزة على حماية لبنان وهو ما من شأنه أن يزيد في إنقسام اللبنانيين وإتساع المعارضة ضد سوريا مما يعني لفرض الإعتراف بالقوة ؛ أي ضرورة الإقرار بأن لإسرائيل مصالح في لبنان مثل ما هي لسوريا وهذه المصالح إذا لم تحترم بالطرق السلمية فالقدرات العسكرية التي تتفوق بها عن كل دول المنطقة ، وضمن هذا السياق يدخل قصف المفاعل النووي العراقي من قبل الطائرات الإسرائيلية في 1981-6-7 (2) .

إذا الأعمال العسكرية مع سوريا كانت إسرائيل تقوم بها من أجل الردع وإعادة الترتيبات التي كان التواجد السوري يقصدها من حين لآخر ، ففي هذا السياق جاء العدوان الإسرائيلي الشامل على لبنان في صيف 1982 دون أن تكون المواقع السورية مستهدفة كما جاء ذلك في بيان الحكومة الإسرائيلية (3) وهو الموقف الذي إعتقد معه مصطفى طلاس بأن إسرائيل تريد أن تشوه سمعة سوريا وتغذي حملة التشكيك التي تشنها الرجعية العربية ضدها (4) أي التشهير بأن سوريا لا تتصدى لإسرائيل لوجود إتفاق مسبق بينهما لتصفية الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية .

---

(1) أنظر : بدون كاتب ، " السيناريو الأمريكي لمواجهة الصواريخ السورية " ، مقال سابق ، ص 42-43 .

(2) فضلا على ذلك فإن إسرائيل تريد أن تبقى الدول العربية في معزل عن أي تقدم في هذا المجال ، أنظر : كاظم هاشم نعمة ، " آفاق الأمن القومي العربي في ضوء القدرة النووية في الشرق الأوسط " ، (دوريات آفاق عربية) العدد 3 ، سبتمبر 1985 ، ص 103-111 .

(3) أنظر بيان الحكومة الإسرائيلية في الملحق رقم 3 من هذه الدراسة .

(4) مصطفى طلاس ، مرجع سابق ، ص 242-243 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال ما سبق فإن إسرائيل إكتفت مع سوريا بإستخدام الأساليب الأقل إثارة معتمدة على إستمرار قوتها ممتزجة مع الدعوة إلى السلام على نمط كامب ديفيد متسائلين إسترجاع سوريا لجزء من الجولان أو كله ، لأن الإنسحاب بدون شروط في إعتقاد إسرائيل هو بمثابة هجوم جديد عليها كما يقول آرييه إلياف((تنبينا أن ننظر إلى مرتفعات الجولان على أنها من تراثنا وأن نفكر في أن الحل هو في التقسيم ... جزء منها بعد السلام داخل حدود إسرائيل ، ويبقى جزء منها قواعد عسكرية ، والجزء الآخر سيكون في تخوم سوريا التي تعيش في سلام مع دولة إسرائيل)).[1]

من الناحية التطبيقية للتدخل الإسرائيلي في لبنان للأسباب المذكورة نجد بأنها أصيبت بخسائر كبيرة سواء تعلق الأمر بالجانب البشري أو المادي، فخلال تدخل 1982 قدرت خسائرها الإقتصادية بأربعة ملايين ونصف المليار دولار كما كانت هذه الحرب محل أزمة سياسية كبيرة وعصيان في الجيش وخاصة بين جنود الإحتياط الذين يرفضون الموت في لبنان[2] ، مما حدا بكثير من القادة الإسرائيليين إلى الإعتقاد بأن الإنتصار العسكري سوف يتحول إلى هزيمة سياسية فالنصر العسكري لإسرائيل في لبنان خلق متاعب لوحدة الشعب الإسرائيلي وأدى إلى إنشقاقه[3] ، وعلى صعيد آخر فقد فشلت إسرائيل فشلا ذريعا في محاولتها لوضع لبنان في يد الزعماء الموارنة الموالين لها.

لقد أدت هذه الخسائر والسلبيات إلى عدم تمكن إسرائيل من تحقيق أهدافها الكلية في لبنان على أن القول بذلك لا يعني أنها حققت بعضا من الإيجابيات ماكان لها أن تحققها لولا تدخلها المباشر، فضلا على خروج م.ت.ف من لبنان وكسب تأييد فريق لبناني عريض فإنها إستطاعت أن تؤثر على الدور السوري بدرجة كبيرة وجعلته في حدود التنافس الغائب ، فسوريا حاضرة عسكريا وسياسيا في لبنان وغائبة من ناحية الفعالية ،

---

(1) نقلا عن: محمد حسن، المرجع السابق، ص 71-72.
(2) غابيز رشيد، "آثار حرب 1982 لاتزال تتفاعل"، (الهدف)، العدد 752، ديسمبر 1984، ص 151-153.
(3) CARTER(Jimmy),"the blood of abraham insights into the middle east houghton mifflin company,Boston,1986,P.52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلا شيء استطاعت رده العدوان الإسرائيلي وإذ هي تمكنت من إيجاد حل للأزمة القائمة منذ سنوات.

مع هذا الوضع ساهمت إسرائيل في إدخال سوريا في المستنقع اللبناني بدرجة كبيرة وبما يزيد من صعوبة مهمتها ويعقد دورها بين الفرقاء اللبنانيين المتناحرين، فهي إن كانت مقبولة من طرف فإنها مرفوضة من أطراف عديدة وعلى مختلف مراحل نشاطها في لبنان مما كان يصب في النهاية لصالح إسرائيل، بل إن تدخل هذه الأخيرة في لبنان كان السبب الرئيسي الذي أدى إلى ضعف التأثير السوري في الحياة اللبنانية بين 1977 و 1982.(1)

---

(1) KHALIDI (Rashid), "lebanon in the contexte of regional politics: Palestinian and Syrian involvement in the lebanese crises", thirt world quarterly, 7 N°3, july 1985, P.497.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بين الحقائق التي يجد المرء نفسه أمامها وهو يدرس أو يتتبع أدوار وفصول الحرب الأهلية اللبنانية الدور المميز الذي قامت وتقوم به سوريا في هذا البلد أكثر من أي دولة أخرى سواء سياسيا أو عسكريا ، وهو ما يطرح تساؤلات عديدة تتمحور حول السبب الذي دفعها إلى القيام بذلك وتحمل كل هذه الخسائر والأعباء .

من هذا المنطلق فإن التدخل السوري في لبنان ليس وليد صدفة أو قرار إرتجالي كما أنه لا يعد نتاج تأثير عامل من العوامل فحسب بل نتيجة لتضافر متطلبات عديدة البعض منها يعود إلى الماضي والبعض الآخر يعود إلى الحاضر وتطلعها إلى المستقبل ، وبذلك ظلت السمة البارزة لسوريا أنها لم تخرج من لبنان ولم تستسلم لأي طرف من الظروف على طول فترة تواجدها في هذا البلد فارضة نفسها على الأطراف الداخلية والخارجية متحملة خسائر فخمة ، وهو ما سنسعى في هذا الفصل إلى توضيحه قدر الإمكان ، وذلك بالكشف عن أهم دوافعها للتدخل وأساليب عملها في هذا البلد .

المبحث الأول : مبررات وأساليب التأثير السوري في الحرب اللبنانية .

مثل ما هو الشأن في سلوكات الدول وإستنادها إلى مبررات قد تكون واضحة أو خيالية ، حقيقية أو واهية ، فإن سوريا بتدخلها في لبنان إستندت إلى مبررات أعلنت عن البعض منها صراحة بينما نستخلص البعض الآخر من ممارساتها ، ومن ذلك تأثير ما يحدث في لبنان سلبيا أو إيجابيا على أمنها القومي[1] ، وهي بذلك محكومة على الدوام وخاصة لوجود دولة توسعية مجاورة لها ، محكومة بالتطلع إلى لبنان كدولة قوية ومتماسكة ، ولم لا جعل منها دولة مواجهة نظرا للروابط التاريخية والإنتماء القومي ، وفي سبيل ذلك لم تدخر سوريا جهدا سياسيا كان أم عسكريا لتحقيق ذلك على طول الفترة المحددة في هذا البحث .

المطلب الأول : مبررات التدخل السوري في الحرب اللبنانية .

أولا : المبرر الأمني : ونقصد به حرص سوريا على أمنها القومي ، فمع إندلاع

---

(1) ويقصد به النواحي الإقتصادية والعسكرية وكل مصادر نشاط الدولة أي الأمن كل لا يتجزأ . أنظر : أمين هويدي ، "أحاديث في الأمن العربي" ، دار الوحدة ، بيروت ، 1980 ، ص 61 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب اللبنانية في 1975 وإمكانية تدخل قوى أجنبية فيها سارعت إلى فرض وجودها سياسيا ثم عسكريا من واقع الجوار وتأثيرها مباشرة بما يحدث فيه، فلو كان لبنان بعيدا عنها وتربطه بها روابط تاريخية أو حضارية فقط لما وجدنا الإهتمام به بنفس الدرجة التي حدثت.

من هنا اتضح أهمية العامل الأمني في الإستراتيجية السورية التي تعتمد على ضرورة مراعاة التوازنات في المنطقة وخاصة أنها في حالة حرب مع إسرائيل سواء أكانت هذه الحرب معلنة أم لا، وما يقتضيه ذلك من حشد للإمكانيات وكسب مواقع جديدة إستعدادا للمستقبل الذي نرى فيه مزيدا من الصدامات طالما أن إسرائيل مستمرة في أسلوبها العدواني التوسعي.(1)

إذا كانت سوريا تسعى إلى تحقيق الإستقرار في مختلف فروع حياتها على الصعيد الداخلي فإن ما لا يجب التفريط فيه هو جانبها الخارجي (2) وهذا بالحرص على تفادي كل ما من شأنه أن يهدد سلامتها وسيادتها ووحدتها عن طريق التهديد العسكري أو بطرق أخرى (3)، ومن تخوفها بجانب إسرائيل تطلب منها على الدوام بناء قوة عسكرية تحافظ بها على سيادتها وإستقلالها.

من خلال ذلك فإن السياسة الإسرائيلية أثرت بشكل كبير على سوريا في صياغة مفهوم أمنها القومي حيث دفعها ذلك إلى البحث عن بدائل جديدة لتحقيقه ليس بحماية حدودها فحسب لأن الأحداث برهنت أن هذه الطريقة غير مجدية بحكم أنه موقف دفاعي يجعلها في أغلب الأحيان عاجزة عن التحكم في المبادرة الهجومية ضدها ولكن بما هو أكثر عملي، وفي ذلك نرى بأنه تولدت لديها حتمية إستعمال أراضي غير أراضيها لأن حدودها عاجزة عن القيام بمفردها بهذه المهمة وخاصة بعد أن فقدت مرتفعات الجولان.

كتطبيق عملي لهذه الفكرة وخاصة بعد هزيمة 1967 حاولت سوريا تنظيم جبهة شرقية بقيام وحدة عسكرية بينها وبين العراق والأردن و م.ت.ف على أن تكون في محور هذا التكتل العسكري، إلا أنها لم تستطع إقناع

---

(1) أنظر: إنعام رعد: "حرب وجود لا حرب حدود"، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.

(2) من أكبر الصعوبات التي تعترض النظام الحاكم في سوريا نجد حركة الإخوان المسلمين، أنظر: KUTSCHERA(Chris),"SYRIE:lopposition dìmocratique et la difficile intégration du mouvement islamique",(le monde diplomatique),12-3-1983,P.12-13.

(1) أنظر: إسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص 750.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الأطراف نظرا لإنعدام الثقة المتبادلة مع العراق وكذا العلاقات المتردية مع الأردن بعد 1970 زيادة على تقرب لبنان من مثل هذه الصيغ ، على أن حرب 1973 أعطت لسوريا فرصة طرح الفكرة من جديد نظرا لإيجابيات مشاركة القوات العربية في الجولان وتحسين العلاقات مع الأردن ، إلا أن لبنان ظل على رأيه بإعتبار جيشه لا يستطيع أن يتصدى للجيش الإسرائيلي.(1)

لقد شكل واقع التجزئة العربية إقليميا وسياسيا وفشل سوريا في تكوين جبهة عسكرية شرقية عاملا مهما في البحث عن البديل ، وهو ما نعتقد أنه تمثل في إهتمامها بلبنان أكثر من أي وقت مضى ، ليس لأنه أصبح المعبر الوحيد للحرب مع العدو الإسرائيلي فحسب بل لأنه شكل ((ثغرة في الإستراتيجية الدفاعية السورية بسبب ضعف إمكانياته العسكرية من جهة ونتيجة الإرتباطات المشبوهة لبعض فئاته من جهة أخرى ، وفي مرات عديدة شكل لبنان ممرا للطائرات الحربية الإسرائيلية المغيرة على سورية الوسطى والساحلية وحتى دمشق))(2) .

يوضح لنا ذلك أن سوريا في حاجة إلى آراء جديدة لسياستها كيانها من المخاطر ، على أنه يجب الإبتعاد هنا عن ما يعرف بالمجال الحيوي الذي إستندت إليه الفلسفة النازية وتستعمله إسرائيل بدورها حيث لا مجال للمقارنة نظرا للروابط القومية والتاريخية السورية - اللبنانية وبإنتمائهما للجامعة العربية التي تقوم على مبدإ الدفاع المشترك ، هذا بالرغم أن لبنان يحاول دائما البقاء في صورة الحياد وهو ما إتصف به على طول مرحلة الصراع العربي - الإسرائيلي .

ومما لاشك فيه أن أية دولة وخاصة التي في حالة حرب تحاول أن تحقق أسباب الإنتصار ، ومن بينها الحصول على رقعة جغرافية إضافية تحتمي بها الهجوم المضاد وتجعلها سدا منيعا لها ، وهو ما ينطبق برأينا على سوريا حيث ترغب أن يكون لبنان بجانبها متعاونا معها على غرار ما تطمح إليه الوحدة العربية ؛ أي أنه ليس في إستطاعة أي بلد

---

(1) عدنان السيد ، "ثلاثة مواقف عربية تجاه الصراع اللبناني" ، (السياسة الدولية) ، العدد 43 ، جانفي 1976 ، ص 35 .

(2) نقلا عن : مجموعة من الباحثين ، "الغزو الإسرائيلي للبنان" ، دار طلاس ، دمشق ، طبعة 1985 ، ص 789 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عربي ـ مهما كانت قوته ـ أن يحقق أمنه على أحسن وجه بمعزل عن الدول العربية الأخرى، حيث أن أمن كل بلد يستند إلى أمن البلد الآخر وهذا نظرا للروابط الوثيقة بين العوامل الجيوبوليتيكية والإقتصادية والوحدة الحضارية[1].

ومما سبق تولدت حاجة سوريا إلى ضرورة تواجدها في لبنان وهو في أضعف مراحله، بحكم أن ضعف هذا البلد يعني ضعفا في أمنها بما سيجلبه هذا الوضع من أطماع خارجية وفي مقدمتها إسرائيل وإرتفاع إحتمالات التقسيم الذي سيؤدي إلى وضع جديد تتكون نتائجه خلق كيانات جديدة تعادي سوريا ليس في أيديولوجيتها بل وحتى في وجودها حاضرا أو مستقبلا.

وإذا تتبعنا الإهتمامات السورية بلبنان فإننا نجدها أساسا تستند إلى ضرورة تقوية هذا البلد للتغلب على مشاكله الداخلية وصد الإعتداءات الخارجية الإسرائيلية خاصة، ومن منطلق إستغلال موقع لبنان الجغرافي تستطيع إسرائيل أن تهدد سوريا وذلك لسهولة تحقيق المفاجأة المتاحة بواسطة الطيران أكثر بكثير من تلك المتاحة لسوريا حيث يجعل هذه الأخيرة في موقف معقد بالنسبة لهجوماتها الجوية خاصة فيما يتعلق بالكشف والإنذار المبكر نظرا للسلسلتين الجبليتين الغربية والشرقية الممتدتين من الشمال إلى الجنوب أين يفصل بينهما سهل البقاع اللبناني[2].

إن مرد التخوفات السورية تكمن في أن هاتين السلسلتين الجبليتين تشكلان عائقا أمام إمكانيات الرادار حيث يصعب كشف الهجوم الجوي الإسرائيلي في الوقت المناسب خاصة إذا نفذ على إرتفاع معين، بالإضافة إلى إستخدام طائرات متقدمة الصنع تكون أحيانا بدون طيار حيث توجه من الأرض مباشرة[3].

فبعد ما فقدت سوريا سيطرتها على الجولان ظهرت حاجاتها المتزايدة في إستعمال الساحة اللبنانية ليس لكشف الهجومات الإسرائيلية للتصدي لها في الوقت المناسب فحسب، بل لتحسين موقعها الإستراتيجي،

---

(1) عبد السلام إبراهيم بغدادي، "ثورة 17-30 تموز والأمن القومي العربي"، (دوريات آفاق عربية)، العدد 3 سبتمبر 1985، ص 73.
(2) أنظر: الخريطة (1) في الملحق رقم 7 من هذه الدراسة.
(3) مصطفى طلاس، مرجع سابق، ص 831.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوجودها في هذا البلد يكسبها رصيدا ردعيا هاما من شأنه أن يصحح الخلل الحاصل في فقدانها لبعض مواقعها الإستراتيجية .

هذا من ناحية كسب المواقع أما من ناحية تأثير الوضعية اللبنانية المتدهورة على الأمن السوري فإن مرد ذلك يعود إلى الإنعكاسات السلبية عليها من نواحي عديدة تصب كلها لصالح إسرائيل وبالتالي تكون في النهاية ضدها ، وفي مقدمة ذلك نوضح بأن الحرب الأهلية اللبنانية جاءت في ظروف جعلتها تتأكد بأنها من إفرازات سياسة و.م.أ بإعتبار أنها جاءت في أعقاب مساعيها لحل مشكلة الشرق الأوسط عن طريق المباحثات السياسية ، والتي تجلت بداياتها في عقد إتفاقية سيناء الثانية التي أعلنت فيها مصر عن تخليها نهائيا عن الخيار العسكري .

بالإضافة إلى ما يجري في المنطقة من تحولات وهي في غير صالحها وجدت سوريا أنها في مقدمة المواجهة مع إسرائيل ، وبالتالي فإندلاع الحرب الأهلية اللبنانية إنما يعبر عن بداية فصل من فصول التهديد لها على المديين القصير والطويل لأن هذه الحرب وإن إعتبرناها داخلية فلها إنعكاسات سلبية خارجية تقع في البداية عليها بحكم الموقع الجغرافي ولأنها الدولة التي أصبحت تتصدر الدول العربية ضد إسرائيل في وقت إستقطبت فيه الإنقسامات العربية .

لذلك فسوريا تتأثر بدرجة كبيرة بأمن لبنان وأصبح واضحا أنه لصيانة أمنها ضد أي طرف لابد من ضمان إستقرار لبنان وقوته ، بما يعني أن إستعمال القوة بين فئات إجتماعية وطائفية مختلفة في هذا البلد سيؤدي إلى تقسيمه لدويلات طائفية ومتعصبة .

إن تقسيم لبنان بالنسبة لسوريا يعد ضربا لها في الصميم ، بحكم أن ظهور دويلات طائفية عنصرية ستحمل نفس الفلسفة التي تعتمدها إسرائيل بإقرارها للمبدإ العنصري ومن ثم التحالف مع الإمبريالية ، وهي بذلك تكون قد أفسدت كل المجهودات لتحقيق الوحدة العربية ، ومن ناحية أخرى تصبح مثالا ونموذجا يحتذى به في أكثر من بلد عربي ومنها سوريا ، والأخطر من ذلك هو التشكيك في النداء الذي ترفعه م.ت.ف والقاضي بإمكانية قيام دولة علمانية في فلسطين يعيش فيها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلم والمسيحي واليهودي على السواء.(1)

مما يدل على أن وقع تقسيم لبنان شديد على أمن سوريا هو إستعدادها الأخيرة لضم لبنان بالقوة إليها إذا إتضح وأنه سيتجزأ، وهو ما صرح به وزير خارجيتها عبد الحليم خدام في مطلع سنة 1976 ((إننا لن نسمح بتقسيم لبنان وأي مباشرة للتقسيم ستعني تدخلنا الفوري، فلبنان كان جزءاً من سوريا وسوف نعيده لدى أية محاولة فعلية للتقسيم... هذا القول لا يعني الأقضية الأربعة والساحل فقط بل يعني جبل لبنان أيضاً، فلبنان إما أن يكون موحداً وإما أن يعود إلى سوريا)).(2)

من ذلك نستخلص بأن سوريا غير مستعدة بالسماح للبنان أن يبلغ درجة التقسيم والإنفصال، فهي وإن كانت في السابق غير راضية عن وضعه السلبي بحكم عدم مساهمته بجانبها في مواجهة إسرائيل فإن الواقع الجديد الذي أصبحت فيه وحيدة على ساحة المواجهة يقتضي منها ليس فقط المحافظة عليه كما كان في السابق بل أن تجعل منه بلد مواجهة ينتقل من وضعه القديم بسلبياته الداخلية والخارجية إلى وضع جديد يتحمل فيه مسؤولياته القومية أمام مختلف الأخطار الواقعة والمحتملة الوقوع.

إن كسب لبنان وتطويعه إلى أن يصبح الحليف الأساسي بالنسبة لسوريا سيأتي في ظرف صعب إزدادت فيه الهجمة الإسرائيلية - الأمريكية، ففي حالة دخول لبنان حلبة الصراع فإن ذلك يعني إزدياد الوزن الإستراتيجي لسوريا خاصة وأنها تسعى لتصحيح الخلل الحاصل في ميزان القوى بينها وبين إسرائيل، بمعنى أنها في حاجة إلى الدعم البشري والمادي فضلاً على العمق الجغرافي، فعندما تصبح الأراضي والأجواء والشواطئ اللبنانية في متناولها تستطيع من خلال ذلك التحرك أكثر لتنظيم عملياتها بشكل أكثر دقة ومرونة بما يخدم أمنها والعكس صحيح إذا لم تتمكن من الإمساك بلبنان ونزاعه الداخلي وما يجلبه من تدخلات خارجية.

ثانياً: المبرر القومي: يشكل العامل القومي في رأينا مبرراً مهماً إستندت إليه سوريا لتنفيذ تدخلها المبكر في الحرب اللبنانية، وهذا من

---

(1) صابر فلحوط، "المسألة الفلسطينية والموقف العربي السوري"، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1977، ص 332.

(2) نقلاً عن: مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 178.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منطلق أن واجبنا القومي يحتم علينا أكثر من أي بلد عربي مد يد العون للبنان ومساعدته للخروج من أزمته والتحرر من التدخلات الأجنبية بصفته بلداً عربياً يتقاسم معنا نفس الإهتمامات والتطلعات سعياً لتحقيق الوحدة العربية.

ونظراً لوجود فريق عريض من اللبنانيين ينفي صفة العروبة على لبنان وهو يتشكل في غالبيته من المسيحيين وبالخصوص من الموارنة فإن حزب البعث السوري ظل دوماً يعبر عن تفهمه لتخوف هؤلاء من العروبة [1]، ولإستدلال على المساواة في الإطار الوحدوي العربي فقد إبتعدت السياسة السورية عن الموارد الدينية، والمراد من كل ذلك هو بناء دولة علمانية كما يقول الرئيس حافظ الأسد ((... إننا نطالب بدولة ديموقراطية يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود سواء كانوا عرباً أو غير عرب...)) [2]. وهو ما جسده دستور 1973 حيث لم يعتبر الإسلام ديناً للدولة بل إكتفت المادة الثالثة بالنص على أن الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع [3].

بالرغم من هذا الأسلوب فإن قسماً كبيراً من اللبنانيين ظل ينظر إلى الوحدة العربية كعدو لدود، وفي ذلك نرى بأن التجربة السورية مع هذا البلد أوصلتها إلى الإقتناع بأن مساندتها له لم تجد تجدي بل ولا يمكن أن تؤدي به إلى القبول بالوحدة معنا طواعية، ومن هنا كان علينا أن نغير سياستنا تجاهه فأصبحت تترصد الفرصة المناسبة لذلك وليس الأنسب من الحرب الأهلية المندلعة في 1975 حيث شاركت تنظيمات قومية عديدة في هذه الحرب وهي بذلك تحتاج إلى دعم ومساعدة عن قرب.

إذا كان صحيحاً أن هذه الحرب ستجلب إلينا الإهتمامات وإمكانية التدخل الإسرائيلي فإن الأصح هو ما يشكله ذلك لدينا من مبرر للتدخل تحت غطاء حفظ المصالح الأمنية وكأداء لواجبنا القومي تجاه هذا البلد والثورة

---

(1) يعبر عن ذلك من خلال توضيحه لأسباب مشاعر الخوف المسيحي من العروبة وكيف يمكن القضاء على هذه المشاعر بالممارسة الفعلية. أنظر: غسان بيرم، "الجميل في دمشق: اودع قبل ترتيب البيت اللبناني"، (المستقبل)، العدد 433، جوان 1985، ص 26.

(2) نقلاً عن: فضل أمين و إبراهيم غبان، "حافظ الأسد ودوره القومي في لبنان"، دار المشرق العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983، ص 64.

(3) أنظر دستور القطر العربي السوري لسنة 1973 في: حزب البعث العربي الإشتراكي، "نضال حزب البعث العربي الإشتراكي 1943-1975: دراسة تاريخية تحليلية موجزة"، مطبعة القيادة القومية، دمشق، 1978، ص 231-252.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسطينية العاملة فيه ، فإذا تمكنت من فرض حضورها تستطيع أن تفرض شروطها عن قرب مراعاة لما قامت به وكمقابل لخسائرها ، وبالتالي فهي ليست على إستعداد الآن لتعود كما جاءت وكأن شيئاً لم يكن .

لهذا فقد كان التدخل السوري مبكراً في لبنان وبشكل مكثف أكثر من أي طرف خارجي ، ودخولها كان تحت شعار قومي وأمني بحجة إستدعائها من لبنان لتفويت الفرصة أمام القوى الأجنبية للإنفراد به ، ومن ثم فالهدف السوري المعلن هو مساعدة لبنان للخروج من أزمته بكل الوسائل المتوفرة إلى حد الدفاع عنه عسكرياً إذا تطلبت الضرورة ذلك ، لأن القضية كما صرح حافظ الأسد ((هي قضية كل مواطن عربي سوري في هذا البلد ، إذا كانت المؤامرة تستهدف ... ضرب المقاومة الفلسطينية وتقسيم لبنان فكيف يمكن لسورية أن تقف موقف المتفرج ... نحن معنيون بهذه المؤامرة وعلينا أن نعد أنفسنا بالقدر الذي نستطيع فيه أن نتصدى للمؤامرة والمتآمرين ، الأمر يعنينا ولا مفر من المواجهة)) .[1]

إذا كانت سوريا قد حققت بذلك هدفها في التدخل في لبنان بطريقة شرعية كما إتضح لنستمر في إطار قوات الردع العربية فإنها سرعان ما واجهت صعوبات ومتاعب من خلال تعاطيها سياسياً وعسكرياً مع مختلف القوى الفاعلة على الساحة اللبنانية سواء أكانت لبنانية أو غيرها ، وهي الصعوبات التي وإن عادت إلى تعقيدات الساحة اللبنانية فإن جزءاً منها يعود إلى منهجها في العمل بحيث تريد أن تفرض وجهة نظرها ، بما يعني أن منطقها القومي لا يأخذ في عين الإعتبار ظروف لبنان بل يعمد إلى معالجة الواقع اللبناني من منظارها الخاص مما يوحي سلفاً بأنها ستقابل بمقاومة من فئات كثيرة من اللبنانيين .

إن ما حكم ويحكم حزب البعث السوري هو عقدة الزعامة للأمة العربية ، إذ ينطلق من أنه الأوحد الذي في رصيده المؤهلات النظرية بحكم مبادئه التي تؤهله بأن يكون المركز والمحور الرئيسي الذي تبنى عليه الوحدة العربية متجاهلاً في ذلك كل مقومات وخصوصيات الشعوب العربية الأخرى ، ولذلك فإنه لا يخفي تخوفاته منذ وجوده من الزعامات العربية الأخرى

---

(1) نقلاً عن : فضل أمين و إبراهيم عباس ، مرجع سابق ، ص 61 .

أو التنظيمات السياسية ذات الإتجاه الوحدوي القومي.

يتجلى هذا الموقف بوضوح في التذمر الذي أصاب البعثيين السوريين من جراء ماحققه جمال عبد الناصر من تأييد في الشارع السوري، وهو مـا يتنافى وهدفهم حيث كانوا يحدون إلى فرض المبادئ والمعتقدات البعثية على دولة الإتحاد، التي تأسست في 1958، فكانت النتيجة أن فشلوا وفشلت دولة الإتحاد.[1]

نورد هذا المثال كي نوضح مدى مصداقية المبرر القومي السوري في لبنان، فلو كان قائماً على أسس ثابتة وصادقة ولو كانت الإعتداءات الإمبريالية التي تقع على البلدان العربية والحصار المفروض على الثورة الفلسطينية هي إعتداءات عليها لوجدناها تدخلت بجانبهم بالشكل الذي فعلته في لبنان.

إن المبدأ القومي في إعتقادنا يقتضي منها أن تكون أكثر ليونة في سبيل تحقيق الوحدة المنشودة مع مراعاة الأطراف الأخرى التي تتعامل معها خاصة وأن الساحة اللبنانية مليئة بالتعقيدات كتقاطع الأطماع الخارجية والأحقاد الداخلية، فمن المفروض أن يكون سلوكها فيه كدليل على حسن نيتها في التعامل مع الجميع، وهو ماحصل في البداية إلا أنها سرعان مافقدت إرادتها ولم تستطع ضبط سلوكها وأصبحت طرفاً من الأطراف فاستدعت الضرورة أن تراعي أمنها ومصلحتها بالدرجة الأولى.[2]

إن ما جعل سوريا تراعي مصلحتها الأمنية وتجعل منها أساساً مهماً لوجودها بعد أن تمكنت من الدخول تحت غطاء الشرعية القومية هو تخوفها من أن يجلب الرابط القومي دولاً عربية أخرى، خاصة بعدما أبدت كثيراً من هذه الدول نيتها في مساعدتها بمشاركتها في قوات الردع العربية أو في المساعي السياسية.

إن إعطاء الفرصة للدول العربية وخاصة تلك التي لاتتبنى النهج السوري يجعل هذه الأخيرة في موقف حرج حيث يحد من خياراتها السياسية والعسكرية فضلاً عما يشكله من منافسة لها لتصبح معه الولاءات اللبنانية متعددة

---

(1) عادل زعيوب، "المبيثاق العربي"، دار المسيرة، بيروت، 1979، ص 287.

(2) حول ذلك فإن التدخل السوري في لبنان أسيء فهمه في البداية.
جراد عبد العزيز، "العالم العربي بين ثقل الخطاب وصدمة الواقع"،

تابعة لجهات عربية عديدة ، وهذا ما يبعد من إمكانية فرض حل لصالحها .

وبالرغم من أن المشاركة الجماعية في حل قضية ما لها سلبياتها بحيث مهما تعددت الإرادات الفاعلة يتعذر الوصول إلى إتفاق حول النقطة المختلف حولها إلا أن المنطلق السوري لا يستند في حقيقته إلى هذا المبدأ بل هو نتيجة أن الأطروحات العربية تخالف طموحها وهذا سر صمودها في وجه الحلول العربية المقترحة إلى أن تمكنت من تصفية مختلف الإرادات العربية في لبنان سياسياً وعسكرياً ، وهو ما أعطى بدوره صفة الإنفرادية لحلها ودورها ، فلو تعاونت مع البلدان العربية لأكسبت مزيداً من الشرعية لموقفها القومي ولأصبحت في موقف أحسن سواء من ناحية التخفيف من مسؤولياتها والأعباء التي تحملتها أو من ناحية دعم التلاحم العربي لمعالجة قضاياه وعدم إعطاء الفرصة لأطراف غربية للتدخل خدمة لأغراضها الخاصة .

مما تقدم نستنتج أن سوريا إستعملت المبرر القومي على أساس إنفرادي واضعة الإعتبارات اللبنانية والفلسطينية جانباً وأرادت أن تخرج بلبنان كما أرادت هي وليس كما يريد هو ، لتصل به إلى وضع مميز يكون فيه طرفاً فاعلاً لصالحها في صراعها مع العدو الإسرائيلي تحقيقاً للتوازن الذي تنشده مع إسرائيل وتعويضاً عن خروج مصر وإنشغال العراق بحربه مع إيران وقد يكون تعويضاً عن الجولان المحتل ، وهو الهدف الذي يظل بدوره أسير الإجماع اللبناني نظراً لإختلاف قواه السياسية والعسكرية تجاه الولاء القومي والنظرة إلى سوريا بل إلى الصراع الدائر في لبنان ، إذ يعتقد الحكم السوري بأنها علاقة شقيقين توأمين والدليل على ذلك يكمن في غياب التمثيل الدبلوماسي بين البلدين ، فإنتقال مواطني البلدين من هنا إلى هناك يقتضي إصطحاب الأوراق الشخصية فقط وكأنهم يتحركون داخل بلدهم .(1)

من إيجابيات الإعتماد السوري على العامل القومي هو أنها وقفته بنجاح ضد إسرائيل وخاصة بعد ما أصبح غزو هذا الأخير للبنان واقعاً في صيف 1982 ، حيث أنه من الصعوبة بما كان التسوية بين الغزو الإسرائيلي

---

(1) مجموعة من الباحثين ، " الغزو الإسرائيلي للبنان " ، مرجع سابق ، ص788 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوجود السوري، فسببنا الأول محكوم بعوامل توسعية فإن الثاني محكوم بعوامل قومية والعلاقات التقليدية مع لبنان بالرغم مما قد يخفيه ذلك من أهداف تحكم هذه المخيلة وهذا الإتجاه.

ثالثا: المبرر التاريخي: بالإضافة إلى ما سبق فإن سوريا تنظر إلى لبنان من خلال الماضي الذي جمعهما حيث كان البلدان بلدا واحدا على حد قول حافظ الأسد ((... سورية ولبنان عبر التاريخ بلد واحد، شعب واحد، الشعب في سورية ولبنان عبر التاريخ شعب واحد ترتب على هذا مصالح حقيقية مشتركة...))[1] وبالتالي ما آل إليه البلدان هو نتيجة تناقض المصالح الإستعمارية في العالم العربي، حيث إقتضت هذه المصالح إحداث تقسيمات في منطقتنا مما حدث لسوريا ولبنان وهذا كنتيجة لهزيمة الإمبراطورية العثمانية وفرض الإنتداب على المناطق التي كانت تابعة لها.[2]

نستخلص من هذا أن إنفصال لبنان عن سوريا لم يتم بإرادته وإختياره، بل كان عدوانا وإعتداء، لم تكن الظروف العربية في تلك الفترة تسمح بمنع وقوعه، كما أن نفس الظروف لم تكن بجانبهما على مر الفترات كي يعيدوا اللحمة إلى أصلها خاصة بعد أن غرست إسرائيل بجانبهما وأصبح في مصلحة هذه الأخيرة إستمرار وضع الإنفصال بل تعمل جاهدة إلى إحداث مزيد من التقسيمات.

على هذا الأساس فإن سوريا لم تسلم إطلاقا بالوضع الراهن الناتج عن الإرادة الإستعمارية حيث كانت في السابق تطالب صراحة بعودة لبنان إليها وهو ما تجلى في الثورات التي قامت عقب قرار التقسيم لتأخذ فيما بعد شكل المطالبة الحكومية الرسمية وهو ما تجلى في دعوة الملك عبد الله في فيفري 1943 حيث إعتبر ((أن الحدود الفاصلة بين لبنان وسورية... هي حدود مصطنعة ويجب إزالتها وإقامة إتحاد عربي)).[3]

وبالرغم أن هذه الدعوة لايمكن فصلها عن التنافس الإستعماري في المنطقة، فالواضح هو أن الرغبة السورية وجدت في الموقف البريطاني

---

(1) نقلا عن: فضل أمين وإبراهيم عباس، مرجع سابق، ص 61.
(2) أنظر: LANNDIS(Philippe),op.ci,P.73-86.
(3) نقلا عن: سليمان تقي الدين، مرجع سابق، ص 77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤيد لمشروع سوريا الكبرى غير منذ لقاء، ولذلك مورست ضغوطات كبيرة على لبنان كي يخضع للأمر الواقع، ففي هذا السياق تأتي دعوة الملك عبد الله سنة 1946، بأن لبنان إذا كان يرفض مشروع سوريا الكبرى فما عليه إلا أن يعيد لسوريا تلك المناطق التي إنتزعت منها سنة 1920.(1)

مثلت هذه الرغبة الإندماجية للقيادة السورية آنذاك إنعكاسا سلبيا لدى حزب البعث حيث إعتبرت هذه الدعوات غير قائمة على مصلحة الشعوب العربية، بل هي تخدم الإستعمار، ولذلك إعتبر مساندة القيادة السورية آنذاك لمشروع سوريا الكبرى مخطوطا في مخطط التنافس الإستعماري لكسب مواقع جديدة، وعليه فعندما تمكن حزب البعث في سوريا من الوصول إلى الحكم جعل من العامل التاريخي شيء مسلم به ومجرد التحدث عنه يعني التشكيك في مصداقيته، فإذا إستطاعت السيطرة الإستعمارية أن تقيم حدودا مصطنعة من الناحية الجغرافية فلا يجب أن تكون كذلك في الجانب البشري والحياة الإجتماعية والإقتصادية، ولعل ذلك من دوافع سوريا في عدم إقامة سفارة لها في لبنان لحد الساعة تاركة المجال للإندماج في أي وقت تحقيقا لما كان في السابق وليس إقرارا للوضع الراهن.

تماشيا مع هذه النظرة أصبحت سوريا تركز على تلاحم الشعبين اللبناني والسوري وهو ما لم يستطع الإستعمار أن يلغيه، بل ظل هذا التلاحم قوي بين الشعبين نتيجة الترابط التاريخي والحضاري والعقائدي والعلاقات الإقتصادية والذي يتضح من خلال وجود آلاف من العمال السوريين في لبنان قبل 1975 كما وأنه في الخمسينات والستينات شكل لبنان مأوى تقليدي للاجئين السياسيين السوريين وأعضاء الطبقات الحاكمة القديمة التي فرت، ومع إندلاع الحرب اللبنانية فإن سوريا أضحت مقرا للاجئين اللبنانيين الفارين من الحرب المدمرة (2)، وبذلك تعد أكبر البلدان التي تحملت الهجرة من لبنان على إثر الحرب، هذه الهجرة التي تعود حسب إعتقاد حافظ الأسد إلى التاريخ المشترك

---

(1) نفس المرجع، ص 152.

(2) I KHALIDI (Rashid), op.cit, P.504.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ ((وشائج القربى القريبة بين الناس في البلدين، الألوف الكثيرة من العائلات في سورية لها إمتداد في لبنان والألوف الكثيرة جداً من العائلات في لبنان لها إمتداد في سورية ...))[1].

يتضح من هذا أن سوريا بروابطها التاريخية مع لبنان تعتبر أكثر حساسية لما يجري بداخله، فالعامل التاريخي تنفرد به على سواها من الأطراف المتدخلة سواء أكانت عربية أم غيرها حيث أنه ليس لهذه البلدان أي سند تاريخي تستعمله للتدخل، وبالتالي فإن هذه الميزة تعطي لسوريا أولوية على كل الأطراف المهتمة بما يجري داخل هذا البلد.

بذلك تبقى الإشكالية الماثلة أمام سوريا هي أنها لاتستطيع من خلال هذا العامل وحده أن تذهب إلى حد ضم لبنان أو إقليم منه بالقوة وذلك لأن العنصر التاريخي وحده في وقتنا الحاضر فقد مصداقيته، خاصة وأن لبنان بلد مستقل منذ فترة ليست بقصيرة وله سيادته الكاملة كباقي الدول الأخرى وعليه فليس من المعقول أن تطالب علانية بضمه بحكم أنه كان في الماضي تابعا لها.

ومرد هذا العجز يعود بحسب رأينا إلى ضعف السند التاريخي بمفرده سواء تعلق الأمر بالضم أو بالتدخل، كما أن الإعتماد على هذا المبرر من شأنه أن يشكل بادرة خطيرة وفوضى في العلاقات الدولية، حيث يؤدي بيلدان عديدة لفتح ملفات قديمة متقمة الإستعمار لتعتدي على دول مجاورة مطالبة إياها بحقها التاريخي في إقليم معين، كما وأن هذا النهج ليس بأسلوب دولة متعقلة في علاقاتها مع جيرانها بل هو أسلوب من أساليب العدوان أريد به التوسع على حساب الغير.

لقد أدركت سوريا هذه الإشكالية ولذلك فإنها تستعمل العامل التاريخي في خطابها السياسي ليس كمبرر رئيسي لتواجدها بل كعامل يميزها عن الأطراف المتدخلة الأخرى، فبالإضافة إلى إستمالة الرأي العام اللبناني ومحاولة كسبه لمد يد العون لجهودها وذلك ليس بجديد بل ماهو إلا إستمرار للعلاقات التاريخية فإن التلويح به لايعد إلا أسلوبا من أساليب الضغط؛ بمعنى شكل للتعامل مع أطراف الأزمة اللبنانية والمتدخلين فيها.

---

(1) نقلا عن: فضل أمين و إبراهيم عباس، مرجع سابق، ص 61.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تشهد سوريا ولبنان ، علاقات مميزة مع لبنان من منطلق تاريخي إنما أريد به التأثير بالأولويات فيه ، على أنه من ناحية أخرى لا تستبعد أن تكون بذلك تهيء الجو لاحتمال رد الفعل اللبناني وغيره مستقبلياً وقد تهيئت لها الفرصة أو هيئتها الأحداث . عليه يكون رد الفعل مرنا لأنه كان منتظراً وغير مفاجئ . وفي ذلك نرى بأن الحق التاريخي مهما كان مبررا فإنه في يومنا هذا ما هو إلا مبررا للعدوان ، فهو المبرر الذي من خلاله تمكنت الصهيونية وربيبتها إسرائيل من العودة إلى الوراء لآلاف السنين وعبر أطروحات مضللة حيث لدول قائمة بحدودها كيومنا هذا ولا حتى الاستعمار كان موجودا بالشكل الذي عرفناه في القرون الأخيرة كي نتحدى بأنه السبب ، وبالرغم من ذلك فمن الممكن أن تستعمل الحق التاريخي للمطالبة على الأراضي العربية كمبرر لعدوانها بما يتماشى ونزعتها الدينية المتعصبة لاستعادة ما يسمى بالأمجاد اليهودية القديمة .

المطلب الثاني : أشكال التأثير السوري في الحرب اللبنانية .

تنوعت التدخلات الخارجية في لبنان سواء من ناحية الأسلوب أو استعمال الأدوات ، وهي تمثلت إما في الأسلوب السياسي عبر الوساطة بين المتصارعين وإما عسكريا سواء أكان لصالح طرف معين من الأطراف المتصارعة أو ضدها جميعها مرة واحدة أو على فترات متقطعة ، وهذا التنويع مختلف الإرادات القائلة سياسية كانت أم عسكرية داخلية منها أم خارجية .

في هذا السياق جاء التدخل السوري باعتماده على مختلف البدائل المتاحة إلى درجة يصعب معها وضع حد زمني بين استخدام وسيلة وأخرى ، فهي بذلك متداخلة ، ففي الوقت الذي نجد فيه الوسيلة العسكرية تخدم المساعي السياسية فإن هذه الأخيرة مكملة ومدعمة للجانب العسكري ، وعكس هذا فإن الفصل بينهما لا يعني استخدامها على فترات متقطعة بالقدر الذي نريد به تبسيط الموضوع والتحليل .

أولاً : الوسيلة السياسية : نظراً لما تتميز به الوسيلة السياسية من مرونة وقلة الخسائر ومن ثم ضعف ردود الأفعال تجاهها فإنه كانت الأسبق في الاستعمالات السورية بلبنان بمجرد اندلاع حربه الأهلية وهذا بغية التحكم في مجريات أحداثه الخطيرة وإيجاد مصالحة وطنية من شأنها منع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنويع الأهداف وتشويهات المعرضة أمام التحديات الخارجية مضمونا كان مفترضا أن يكون أن التدرج مع ذلك أن شريط الأحداث سيكون طويلا وشاقا .

ففي مساندة السياسي فانه سوريا أسيرة مختلف التناقضات اللبنانية والعربية والدولية ، إذ هي أمام واقع فرض ذاتية مثلا التحديات المتدرج بمكونات شرعي لقدر ما أمكن كل الأطراف الداخلية والخارجية المتناقضة في التي لمواد تناقض مع أهدافها لحل كافة الأزمة من الأساس .

بالتالي آخر فقد وجدت سوريا أنشطة أمام معضلات عديدة في مقدمتها المقاومة الفلسطينية التي تدعم اللبنانيين في لبنان بمطالب فرنسا السياسية والعسكرية من جهة أخرى أمام مطالب الموارنة اللبنانيين المدعوم من قبل الكتائب المسيحية لاتحاد الوجود الفلسطيني المسلح بالتشاور السياسي المرتبطة بالمشكلة وضرورة الإبقاء على لبنان كما كان في السابق وخاصة من الناحية السياسية وهو الأمر الذي رفضته الحركة الوطنية اللبنانية التي كانت تدعو بالتغيير والتطور وتدعي من النظام السياسي اللبناني القائم أمام المطالب التي اتخذت بالمشكلات الإصلاحية الأساسية لا تتفق بتغيير الامتيازات التي يتمتع بها الموارنة ، ومن هنا جاءت مطالبها بتعيين إلغاء الطائفية من الحكم أو تطبيق مبدأ المساواة .

أما على الصعيد الخارجي فإن سوريا وجدت أمامها تحديات لا تقل أهمية عن الساحة اللبنانية ، فكان عليها إيجاد قدر ما أمكن الموازنات الخارجية ونقل لبنان إلى مرحلة جديدة ليس تلك التي كان يعتمد فيها على فرنسا و و.م.أ في السابق فقد على الأطراف العربية ، لأن أي مسعى سياسي في هذا الشأن من قبل هذه الدول سيؤدي إلى ضرب جهودها وبمصالحها الأمر ، وهذا ما جعلها تحرص على الحركة الانفصالية والتوطين أكبر لدى ممكن من السهولات تكون بارزة عند كل مرحلة تقتضي الضرورة مشاهدة الإنسان بالمشاركة إذا إتضح وأن الحل السياسي السابق غير ممكن تطبيقه .

مع ذلك كان أمام سوريا وهي سباق تطلعها السياسي في لبنان بدايتين : بمشاركتها حل الأزمة عن طريق الحوار والتفاهم بين الإرادات اللبنانية

---

(1) حول الدور الفرنسي في الحرب اللبنانية راجع :
TURQUIE (Salim) , "les objectifs de la politique française dans la crise du LIBAN", (le monde diplomatique) ,N°290,janvier 1979,P.9 et 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتمارعة مباشرة تحت رعايتها على أساس إجراء إصلاح سياسي وضرورة تبني لبنان لإستراتيجية مقاومة المبادرة الأمريكية والعدو الإسرائيلي، وتتعلق الثانية بفصل الأزمة اللبنانية عن الصراع العربي - الإسرائيلي كي لا يقيع تمييع أية مبادرة جادة في صالح حل الأزمة اللبنانية وهذا بطبيعة الحال يتعارض والهدف الإسرائيلي في ربط الأزمتين بعضهما ببعض بل ولجعل الحرب اللبنانية تغطي على المشكلة الفلسطينية ومن ثم صرف الأنظار عن هذه الأخيرة.

من خلال ذلك فإن سوريا حاولت التوفيق بين المبدأين، بحيث أن لها هدف داخلي خاص بلبنان وهدف خارجي ينطلق من نفس البلد بينما يذهب أبعد منه لأنها محكومة بصراعها مع إسرائيل، بينما وهي في لبنان تريد أن تقود العمل السياسي لوحدها دون أي تدخل أجنبي بما فيه الدول العربية.

إذا تهدف الوساطة السورية إلى التحكم في مختلف الإرادات وهذا عن طريق معرفة حقيقية لمطالب ورغبات كل القوى، على أنه ليس هناك تنازل في ما تعتبره بالنقاط المصيرية كتقسيم لبنان أو فصله عن محيطه العربي أو المصالحة مع إسرائيل في شكل إتفاق ثنائي أو ما شابه ذلك، ومن هنا كان عملها مع كل اللبنانيين سواء من إعتبروا بخط اليمينيين، وهم في غالبيتهم مسيحيون أو من إعتبروا باليساريين، أي الحركة الوطنية اللبنانية وهم في غالبيتهم مسلمون أو من وقفوا على الحياد وهم ينتمون دينيا إلى هؤلاء وأولئك.(1)

فيما يتعلق بالفريق الإنعزالي برنامة الموارنة فإن مهمة سوريا تمثلت في تنحية التخوف الذي كانوا يبدونه من عملية الإندماج في الوسط العربي ذو الغالبية الإسلامية، وبذلك فهم يدافعون عن وضعية لبنان المميزة الذي وجدوا في شكله القائم قبل الحرب أحسن حل لوضعيتهم وخاصة أنهم يملكون صلاحيات أوسع في مختلف الميادين، ولذلك سعت سوريا إلى إعطاء الضمانات الكافية بأن الحل الذي تطرحه لا يهدد مستقبلهم بل بإستطاعتهم أن يستفيدوا من إقامة دولة تبتعد كل البعد عن النظام

---

(1) أنظر: مجموعة من الباحثين، "الغزو الإسرائيلي للبنان"، مرجع سابق، ص 129-132.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطائفي، ففي ظل المساواة بين الجميع تنتفي الحاجة للتنافس عن المراكز السياسية والإقتصادية ، ومن هنا فتدفع سوريا نحو الإستفادة منهم قدر الإمكان، فبمجرد قبولهم بإلغاء الطائفية فإن ذلك يشكل خطوة أولى وهامة نحو الإبتعاد عن إحتمالات التقسيم والصراع مستقبلا مما يؤدي إلى الإبتعاد عن الإختلافات المذهبية والولاءات للخارج، كما أنهم يصبحون أقرب إلى تبني القضايا العربية ليس نظرياكما هو في السابق بل عمليا من خلال مساهمتهم في إطار تدعيم الموقف السياسي والعسكري العربي تجاه إسرائيل .

أما فيما يتعلق بالجهود السياسية السورية مع الفريق الوطني، فإن هناك نقاط إلتقاء عديدة سواء فيما يتعلق بالوضع اللبناني الداخلي وكيف يجب أن يكون أو فيما يخص الجانب الخارجي بإعتبار أن هذا الفريق يقف جنبا إلى جنب مع الثورة الفلسطينية ويسعى إلى أن يكون لبنان في مستوى الأحداث الإقليمية والدولية بما يتماشى والحقوق العربية عموما والفلسطينية خصوصا .

من هذا نتوصل إلى أن المساعي السورية تعمل إلى تهدئة هذا الفريق في عدم الذهاب بعيدا مرة واحدة ، أي ضرورة إحترام وتقدير وجهة النظر المقابلة ليس لأنها صحيحة بالضرورة ولكن لإمكانية تغييرها تدريجيا كي لا يشعروا بالعزلة والقهر أمام فئة بعض اللبنانيين والدول العربية مجتمعة لصدهم، فهذا من شأنه أن يزيد في تصلب مواقفهم ويدفعهم إلى الإستنجاد بقوى خارجية ومنها إسرائيل التي تنتظر ذلك بفارغ الصبر .

لكون أن المجتمع اللبناني لايقوم فحسب على المنتمين إلى الفريقين المذكورين وبحكم أن المساعي السياسية السورية تتعلق بلبنان ككل فإن ذلك يؤدي مباشرة إلى الإهتمام بفريق ثالث نعتقد أن له وزنا كبيرا بالرغم أنه غير ممثل في تنظيم سياسي أو عسكري معين، وهو ما إصطلح على تسميته بالفريق المحايد في الحرب الأهلية ، وحياد هذا الفريق لايعني أن ما يجري في بلده لايهمه بل لكونه وصل إلى مرحلة اليأس على إثر تعثر كل المحاولات الهادفة إلى إنهاء الأزمة القائمة ، فظل يعلق الأمل على الشرعية اللبنانية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان ذلك شأن قسم ليس بقليل من أعضاء الجيش اللبناني عندما إنقسم هذا الجيش حيث غادره عدد كبير من الجنود الذين لم يستطيعوا تحديد مكانتهم من الصراع والذين لم يعترفوا بالأسلوب المسلح كوسيلة مناسبة لحل الأزمة القائمة وهو ما ساهم في سلبية الجيش اللبناني أمام المليشيات المتصارعة. (1)

تمثلت الميزة الرئيسية للوساطة السورية على المستوى الداخلي في ضرورة وقف القتال وتثبيت الشرعية اللبنانية كشرط للدخول في المباحثات السياسية بين الأطراف، لكن الخلاف في الأصل وتصلب كل فريق كان يؤدي دائما إلى إستئناف الأعمال العسكرية من جديد، وهو ماجعل سوريا عاجزة على طول مرحلة وساطتها في إيجاد الحل المناسب، فهي وإن إستطاعت أن تبدل موازين القوى وأن تتسبب بطريق مباشر أو غير مباشر في إحداث تقسيمات في كل فريق فإن الأوضاع المستمرة في الإنفجار لدليل على عدم إستطاعتها إعطاء الحل المناسب والمقبول لدى كل الأطراف، وعليه فلا نستغرب من أن يتحول صديقها وحليفها بالأمس إلى عدو في الحاضر والمستقبل والعكس صحيح.

وبالرغم ما قديقال عن سلبية المساعي السياسية السورية، فإنه لا ينبغي طمس إيجابياتها في الأحداث اللبنانية، فلو أطلق العنان للفئات المتحاربة بدون تقريب وجهات النظر وضمان قنوات للحوار والإتصال لما بقي لبنان موحدا بالشكل الذي هو عليه، ومن هنا فالوساطة السورية تمكنت من حمل الأغلبية على إحترام الوحدة الترابية لبلدهم مع بقاء إمكانية حل الخلافات السياسي.

هذا على الصعيد الداخلي، أما فيما يتعلق بالجهود السياسية السورية على الصعيد الخارجي فإننا نجدها متأثرة إلى درجة كبيرة بالأوضاع الداخلية للبنان، بحكم إرتباط بعضهما البعض من منطلق أن أي ضعف للمجهود السوري أو الشعور بتحيزها لطرف من الأطراف فإن المرجع لدى القوى اللبنانية هو اللجوء إلى سند خارجي سواء كان عربيا أو غيره.

---

(1) أنظر: نفس المرجع، ص 133.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستنتج من هذا أن سوريا مرتاحة في التعامل على الصعيد الـ[illegible]
وأساس هذا التعامل هو إقناع الأطراف الخارجية بأن وجودها في ل[illegible]
لا يهدف إلى ترجيح فريق على آخر وإنما لخدمة المصلحة اللبنانية ككل ؛
وإن كان ذلك باعتقادنا جلب لها مصاعب عديدة باعتبار أن الأطراف
الخارجية المهتمة بلبنان تنطبق عليها نفس الوضعية في الداخل اللبناني
أي صعوبة سوريا في إرضاء كل الأطراف .

بتعبير آخر فإن الدول المؤيدة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية
اللبنانية تنظر إلى الدور السوري المعادي والمؤيد في كثير من الاحيان
للمليشيات الكتائبية والسلطة اللبنانية الممثلة خاصة في شخص رئيس
الجمهورية الماروني، تنظر إليها بأنها في غير طريقها الصحيح باعتبار ذلك
يتنافى التوجه القومي ولا يتماشى إطلاقا مع ما يخدم فكرة تصعيد الموقف
العسكري والسياسي ضد إسرائيل وعزلها في المنطقة وتفويت الفرصة على
الحلول الأمريكية خاصة بعد ما أثبت الفريق الإنعزالي تواطؤه مع
إسرائيل وإستمراره في التبعية للغرب .

أما البلدان المؤيدة للفريق الإنعزالي فإنها تستنكر الموقف السوري
المؤيد للحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية وتجد فيه مبررا
كافيا للتدخل ، وخير مثال على ذلك إسرائيل عندما إفتعلت حجة حماية
الطوائف المسيحية في لبنان من خطر اليساريين اللبنانيين والثورة
الفلسطينية وسوريا .(1)

وفي إطار المساعي السورية على الصعيد الخارجي فإن المبدإ الذي
يحكمها ينطلق من أنها المؤهلة لحل الأزمة اللبنانية ، ومن ثم تسعى
إلى إبعاد قدر ما أمكن وبالوسيلة السياسية الأطراف الخارجية حتى وإن
كانت عربية ؛ محاولة في البداية التركيز على أن أي إهتمام عربي بلبنان
إنما يعد مضيعة للوقت والمجهود العربي الذي يفترض أن يتوجه إلى
ما هو أخطر من ذلك وهو الخروج المصري من الصف العربي معبرة عن ذلك
في رفضها لحضور القمة العربية المخصصة لمناقشة الأزمة اللبنانية في
القاهرة في أكتوبر 1975 .

---

(1) أنظر : الفصل الثاني من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الصورة الأخرى لهذا الرفض فقد تمثلت في التشكيك في أي إقتراح من شأنه أن يدخل أطرافاً عربية تكون منافسة لها ، ومثال ذلك بمتخلص من طلب الرئيس اللبناني سليمان فرنجية في سبتمبر 1975 تدخل الجامعة العربية لرسم علاقات جديدة بين الدولة والمقاومة الفلسطينية ، وهو الطلب الذي فهمه وزير خارجية سوريا عبد الحليم خدام بأن لبنان يستغني عن وساطة بلاده ، بينما كان القصد اللبناني بعد تدخل شخصيات لبنانية لتصحيح اللبس هو أن المراد من ذلك ((لا يعني الإستغناء عن وساطتها بل يعني الرغبة في أن تشارك الجامعة العربية في حل الأزمة اللبنانية لكي يتخذ الحل طابع الشمول ويكون أي إتفاق مضموناً من الدول العربية))[1].

قد تكون المشاركة العربية للجهود السورية في فترة لاحقة تنفي قولنا السابق، إلا أن ذلك جاء بإعتقادنا ليس نتيجة الإرادة السورية ، بل أملته الظروف الداخلية اللبنانية ، فأمام رفض بعض القوى اللبنانية لسوريا وإتهامها بالتحيز إزدادت إحتمالات التدخلات الأجنبية ولذلك كان القبول السوري بالتعاون العربي أخف من ناحية التأثير عليها ، زد على ذلك أن الدور السوري كان أكثر نشاطاً من الجهود العربية سواء من الناحية السياسية أو العسكرية .

فيما يتعلق بمساعيها خارج الإطار العربي فقد تمثلت في الجهود المبذولة لمنع الإعتداءات الإسرائيلية أو في الضغط لإتمام إنسحابها بعد الإعتداءات، سواء عقب عدوان مارس 1978 أو في الغزو الشامل في صيف 1982[2]، وفي الجهود التي كانت تتم عبر المبعوث الأمريكي خاصة ، بإعتبار أنها القناة الأكثر ترجيحاً للتأثير في السياسة الإسرائيلية ، وقد أسفر في رأينا عن منع نشوب حرب شاملة بينهما على أرض لبنان .

فيما يتعلق ب و.م.أ والدول الأوروبية المهتمة بالأزمة اللبنانية فإن سوريا إكتفت بإبداء إستعدادها للتعاون مع هذه البلدان بما يخدم مصلحة لبنان وكانت في كل مرة تستقبل المبعوثين لإقناعهم بأن تواجدها حتمته

---

(1) مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الحياة ، مرجع سابق ، ص 85 .
(2) المركز العربي للمعلومات ، مرجع سابق ، ص 486 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظروفها الأمنية وشعورها وحساسيتها الخاصة لما يجري في البلد المجاور نظرا للروابط التاريخية التي تجمعهما مما يؤهلها أكثر من أي طرف للحفاظ على مصلحة هذا البلد .

إن تأثير هذه البلدان على السياسة السورية في لبنان نلمسه من خلال التبدلات التي إتصفت بها سوريا ، فإنتقالها عبر فترات متقطعة بين مؤيدة ومعارضة للأطراف المتنازعة لايعود إلى تأثيرات هذه القوى فحسب بقدرما يعود إلى تأثير وضغوط الساحة الخارجية ، فهي في ظل إحتمالات التصدي إلى الإسرائيلي والضغوط الأمريكية الأوروبية تليين موقفها مع الإنعزاليين ، وفي ظل الضغوط العربية والسوفياتية تلين من موقفها ضد الفلسطينيين والحركة الوطنية اللبنانية .

بإعتقادنا أن ذلك جعل الجهود السورية أسيرة التحديات اللبنانية والضغوط الخارجية من مختلف الجهات ، مما جعلها تعجز عن إقرار الحل المناسب يرضي كل الأطراف ، فمتى إرتفعت الوصايات عن لبنان فإن عملها يصبح لينا ومتى زادت فإن جهودها تزداد تعقيدا وتصاب خيارا تها بالعجز إن لم نقل بالفشل ، خصوصا في ظل الغزو الإسرائيلي مخافة المجابهة العسكرية الشاملة التي لم تحسب لها الحساب الكامل في ظل غياب إرادة عربية موحدة وضعف إمكانياتها الداخلية ، على أن ذلك لاينفي أن لها دورا عسكريا في الحرب اللبنانية بل إن دورها في هذا المجال كان مهما للغاية موازاة لعملها السياسي .

ثانيا : الوسيلة العسكرية ، وهي تعد من أهم ما إعتمدت عليه سوريا في تعاملها مع الحرب الأهلية اللبنانية وأطرافها الداخليين والمتدخلين ، وهي مع ذلك من الصعب تحديد بداياتها الحقيقية في لبنان فساد على الغموض الذي صاحب حجمه ، وهذا لما للبديل العسكري من إنعكاسات خطيرة على كل الأصعدة ، بحيث يجلب ردود أفعال عنيفة على الصعيدين الداخلي والخارجي قد يكون في شكل عنيف أو أقل بحسب إستفادة أو عدم إستفادة الأطراف المتنافسة منها .

برأينا أن القيادة السورية لم تتجاهل ردود الأفعال هذه وعليه عملت قبل التدخل عسكريا على تهيئة الأرضية سياسيا على أساس أن الظروف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللبنانية في حاجة إلى تدخلها العسكري وخاصة بعد ما إتضح إنقسام الجيش اللبناني وعجزه عن أداء مهامه في حفظ الأمن الداخلي وحماية البلاد من الإعتداءات الإسرائيلية ، وهي بذلك إنماتعبر عن فشل الوسيلة السياسية بمفردها بحيث ولمواجهة الأزمة اللبنانية ومنع تقسيم هذا البلد لابد من إتخاذ الإجراءات اللازمة ومن بينها إستخدام الوسيلة العسكرية .(1)

في هذه الاثناء حاولت سوريا قياس ردود الأفعال الممكنة داخل لبنان وخارجه فوجدته في غير صالح تدخلها العسكري المباشر ، فبالإضافة إلى معارضة كثير من القوى اللبنانية لذلك فإن إسرائيل أطلقت تهديداتها المتتالية ضد أي مبادرة عسكرية لسوريا في لبنان.(2)

لهذه الأسباب الرئيسية إكتفت سوريا بإدخال قوات فلسطينية وهو ما أكده زهير محسن رئيس منظمة الصاعقة بقوله ((وافقت القيادة السياسية السورية على أن تتدخل بواسطة كتائب جيش التحرير بعد أن قامت بإعادة تسليح هذه الوحدات وتعزيزها بالمدافع الثقيلة ؛ وبقرار سياسي سوري دخلت قوات جيش التحرير الفلسطيني ودعمت بنيران مدفعية سورية مباشرة من وراء الحدود في البقاع والشمال)) ،[3] الشيء الذي قوبل بمعارضة كثير من اللبنانيين من ذلك ماعبر عنه كميل شمعون بقوله أن هناك ((قوات من الجيش السوري قد دخلت الأراضي اللبنانية من المحورين الشرقي والشمالي للبقاع ومن جهة عكار وهي مجهزة بالأعتدة الثقيلة والمدافع والمصفحات ... بصفتي وزيرا للداخلية مازلت أمارس صلاحياتي الرسمية وأطلب من مندوب لبنان الدائم في هيئة الأمم المتحدة أن يبلغ مجلس الأمن عما يحدث في لبنان)).[4]

في المقابل لحزب الكتائب وزعمائه فقد أكد كمال جنبلاط زعيم التجمع الوطني والتقدمي اللبناني أن هناك غزو سوري للبنان ((عندما قامت قوات سورية ترتدي ملابس قوات الصاعقة بإحتلال مينائي صور وصيدا ومعمل التكرير في صيدا وذلك للسيطرة على إمدادات البترول والأسلحة

---

(1) أنظر : "يوميات الحرب الأهلية : أفريل - ديسمبر 1975" ، (السياسة الدولية) العدد 43 ، جانفي 1976 ، ص 79 .
(2) نفس المرجع ، ص 76-77 .
(3) زهير محسن ، مرجع سابق ، ص 81 .
(4) مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد ، مرجع سابق ، ص 199 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للقوات التقدمية)) .[1]

بعدما أصبح التدخل العسكري السوري في لبنان واقعاً معيشاً بترحيب من العسكرية اللبنانية ـ قيادة الرئيس سليمان فرنجية ـ عملت سوريا بتكتيكية التي تكسب القوى اللبنانية المختلفة من منطلق أن تدخلها ذلك مؤقت فقط بحسب إعلان وزير خارجيتها عبد الحليم خدام لزعماء الموارنة وبأن الجيش السوري سيبقى ما أراد هؤلاء ويكون في تصرف السلطة اللبنانية .(2)

بالرغم من ذلك فإن الوسيلة العسكرية السورية في لبنان ظلت محل رفض غالبية القوى اللبنانية ، حيث ترى (3) في الوجود السوري وجوداً غير شرعي بل هناك من ينظر بالشك والإعتقاد على السيادة اللبنانية يجب التصدي له ومقاومته بنفس الحدة والأسلوب الذي يقاوم به أي غزو خارجي له أهداف ذاتية يريد تحقيقها .

للخروج من هذا المأزق وجدت سوريا الحل في قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في 8 و 9-6-1976 ، القاضي بتشكيل قوات ردع عربية في لبنان ، حيث وجدت فيه الفرصة للمشاركة تحت الشرعية العربية بالإضافة إلى قوات رمزية من دول عربية أخرى (4) ، وبذلك تكون قد إستندت إلى الشرعية اللبنانية التي وافقت على تدخلها العسكري في بداية الأمر وإلى الشرعية العربية التي إعتبرت قواتها ضمن قوات الردع العربية .

بعد ما تمنى لسوريا ذلك إنصبت إهتماماتها على كيفية توظيف أداتها العسكرية لطرحها السياسي بل وإستراتيجيتها في المنطقة ، بمعنى أن وجودها العسكري في لبنان ليس وجوداً كباقي الدول العربية لكون الأزمة اللبنانية تؤثر عليها مباشرة ، بينما ظلت تعتقد بأن الجبهة الأولى تقع على عاتقها حتى إن حضرت قوات عربية أخرى بحجمها الثاني ووزنها ومصدرها

---

(1) "تطورات الأحداث السياسية : أفريل 1976" ، (السياسة الدولية) ، العدد 45 جويلية 1976 ، ص 282 .

(2) مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد ، مرجع سابق ، ص 205 .

(3) حورب التدخل العسكري السوري في بداية الأمر من قبل الحركة الوطنية والتقدمية بالخصوص ، وهذا بمساندة م.ت.ف ، خاصة على التحفظات التي أعلنتها بعض القوى المسيحية في البداية إلى أن عملت السلاح في وجه القوات السورية مع بداية تطبيقها الصادر من قبل إسرائيل .

(4) " المنظمات الإقليمية ، جامعة الدول العربية " ، (السياسة الدولية) ، العدد 46 ، أكتوبر 1976 ، ص 213-214 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن خلال ذلك فإن قوات الردع العربية تشكل غطاء تستطيع به سوريا العمل بطريقة أكثر نشاطا وثقة، فهي وإن لم تعمل على عرقلة القوات العربية المشاركة لها فإنها بنشاطها العسكري والسياسي الزائد تجعلها مع مر الزمن مشلولة بحيث تكون هي المهيمنة والمسيرة للأحداث بينما تبقى القوات العربية الأخرى في شكل حضور شرعي، أي بما يخدم تطلع سوريا لحل الأزمة اللبنانية بطريقتها الخاصة.

قد تكون النظرة السورية المتخوفة من هذه القوات تستند إلى صعوبة إيجاد الحل في ظل إرادات خارجية عديدة وهو ما لم نلمسه في خطابها السياسي إلا أن الأرجح هو عدم الثقة في التواجد العسكري العربي ليس في خدمة الأمن اللبناني وإنما لما يشكله من عائق أمامها في فرض ما تريد لأن هدفها سيقابل إما بالرفض أو بعدم التأييد في كثير من الحالات من قبل هذه القوات، ولعله السبب الذي أدى بكثير من البلدان العربية إلى سحب وحداتها من قوات الردع العربية العاملة في لبنان.

بعد ذلك أصبحت سوريا مشكلة لقوات الردع العربية بمفردها بما يساوي 30 ألف جندي، وأضحت هي الحاضرة في مختلف الصدامات إما كطرف مع أو ضد فريق لبناني معين وإما كحكم بين القوى اللبنانية المتصارعة، مما أعطى لها المكانة الأولى عسكريا في هذا البلد إلى درجة تشكلت معها محكمة عسكرية مختلطة، حيث أقر المجلس النيابي اللبناني في فيفري 1978 إنشاء هذه المحكمة للنظر في كل ما يتعلق بالتجاوزات والأحداث ذات الطابع العسكري وهي مؤلفة من ضباط سوريين ولبنانيين.(1)

من بين مظاهر الوجود العسكري السوري نجد نوعية السلاح المتقدم نسبيا والذي أدخلته إلى لبنان، فهي لو كانت إهتماماتها موجهة للبنان كما هي إهتمامات الوحدات العربية المشاركة لها لما لجأت إلى إدخال الصواريخ المتقدمة لمنطقة البقاع اللبناني في سنة 1981، وهو ما يؤكد بأن الهدف أبعد من لبنان بل يستهدف جهة أخرى أكثر قوة وهذا بدوره ميز سوريا بقوة التحمل عكس الوحدات العربية الأخرى والتي إنسحبت قبل نهاية سنة 1979.

---

(1) أنظر: "ملف أحداث عام 1978"، (الجمهور)، العدد 1234، ديسمبر 1978، جانفي 1979، ص 39.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما سبق نخلص إلى القول بأن الوسيلة العسكرية تبقى السمة الأساسية للتواجد السوري في لبنان، فإذا كان صحيحاً أن هذا الوجود عانى طول فترة الحرب الأهلية شكل مبرراً آخر للإعتداءات الإسرائيلية على لبنان كإعتبار لردود أفعال سوريا أي لجرها إلى حرب منفردة، فإن الأرجح هو ما شكله من عامل ردع إيجابي يقتضي من إسرائيل القيام بحسابات معقدة قبل إتخاذ أي قرار عدواني، وبالتالي لولا الحضور السوري لإرتفعت إعتداءات العدو الإسرائيلي أكثر مما سجلته الأحداث بل في ظل الغياب السوري والعربي عموما يمكن إسرائيل أن تتلاعب أكثر في القضايا السياسية والإقتصادية الداخلية لهذا البلد وهو في حالة تمزق.

إن الثابت في التواجد العسكري السوري القوي في لبنان أنه أعطى لها مكانة خاصة وأهلها إلى لعب الأدوار الأساسية في هذا البلد إلى جانب أدائها السياسية في تعاملها مع القوى الداخلية والخارجية، وهو المجهود الذي يثير تساؤلا أساسيا حول سر تحمل سوريا لكل ذلك، وما هي أهم الأطراف اللبنانية وغير اللبنانية الداخلية منها والخارجية التي إستهدفتها من نشاطها المتنوع والمستميت طول هذه المدة وما زالت ؟

المبحث الثاني: أهم الأطراف المستهدفة من التدخل السوري.
==========

عندما قررت سوريا التدخل في لبنان كان لزاما عليها مواجهة صعوبات عديدة وأولها إفرازات الحرب الأهلية والطائفية، على أن ذلك لا يعني تعاملها مع لبنان وقواه المختلفة فحسب، بل سرعان ما وجدت بأنها ولتحقيق أهدافها تتعامل مع جهات غير لبنانية سواء داخل هذا البلد أو خارجه.

وبالنظر إلى أن تأثير القوى الغير متدخلة بشكل مباشر في لبنان من الصعوبة بما كان قياسه، وبالتالي يمكن أن يكون غير معلوم لسريته فإن الأهم هو تأثير القوى المتدخلة بشكل مباشر لصالح طرف معين من الأطراف اللبنانية، وعليه فإن الإهتمامات السورية وأهدافها إنما موجهة بالدرجة الأولى إلى لبنان في حد ذاته كهدف أول لإيجاد حل لأزمته والخروج به من عقده السابق، كما مثلت م.ت.ف هدفا آخر بحيث يكون عمل هذه الأخيرة في لبنان لا يناقض الإستراتيجية السورية في هذا البلد وفي المنطقة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالتالي فإن التدخل السوري يستهدف ثالثا التصدي للإستراتيجية الإسرائيلية التي تعمل بالتنسيق مع و.م.أ لإسقاط الخيار العسكري العربي وتعميم نهج السلام بالكيفية التي تريدانه .

إن طريقة العمل السورية مع هذه الأطراف إنطلاقا كلها من الحرب الأهلية اللبنانية ، على أن ذلك لايعني بأسلوب واحد بل كل حسب علاقاتها معها في الماضي وما تعلقه عليه من آمال مستقبلا ، بالإضافة إلى تأثر كل طرف بالمحيط الخارجي ومكانته داخل لبنان بقواه المختلفة بنفس المنطق والوسيلة التي تعامل بها م.ت.ف ونفس الشيء ينطبق على إسرائيل .

المطلب الأول : لبنان هدف مباشر للتدخل السوري .

لقد إتضح مما سبق أن لسوريا مبررات أساسية للتدخل في لبنان كما وأن من بين أهدافها وضع نهاية لحرب الأهلية مستخدمة في ذلك الوسيلتين السياسية والعسكرية ، والجدير بالذكر في هذا السياق أن نشاطها لم يقتصر على طرف معين من الأطراف اللبنانية بل تعاملت مع الحكومة وحاولت تقويتها كما تعاملت مع المليشيات المسيحية وكذا الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وظل الهدف واحدا مع الجميع كما تقدم وهو الحفاظ على وحدة لبنان والخروج به إلى عهد جديد يتجاوز فيه سلبياته السابقة .

فيما يتعلق بالتعامل مع الحكومة اللبنانية نرى بأن منطلق التعامل السوري هو الحرص على عدم زوالها لأن زوال الشرعية في ظل التفكك والحرب الأهلية يكرس الفوضى السياسية وهو ما يؤدي إلى إرتفاع إحتمالات التقسيم وصعوبة إقرار الإصلاح السياسي ومن ناحية أخرى يعرقل مجهوداتها لمنع ذلك، بينما في ظل وجود شرعية تنفيذية وتشريعية وقضائية حتى وإن كانت ضعيفة ولا تؤدي مهمتها على أحسن وجه فإنه تبقى هناك إحتمالات التوصل إلى حل بإعتبار أن هناك جهة عليا تمثل الجميع أو على الأقل تمثل الأغلبية تسعى لإقرار هذا الحل ، بالإضافة إلى ذلك فإن سوريا تجد أمامها من تتعامل معه من موقف رسمي وليس فوضوي سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، بحيث إذا رفضتها القوى المتنازعة لسبب ما فإن بإمكانها العمل من خلال الشرعية اللبنانية ، بل يكون لها مبرر التصدي لهذه الأطراف تحت غطاء حماية الشرعية ، بينما إذا رفضتها الحكومة فمن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعب فرض نفسها عليها من منطلق أن لها حلفاء في لبنان، كما أنه يصبح في إمكان أي قوة خارجية إنتهاج نفس الأسلوب للتدخل لنفس الغرض.

من بين مميزات حرص سوريا على الشرعية اللبنانية ليس فقط بقاء هذه الشرعية وإستمرارها قوية بل الأهم من ذلك لديها هو كسبها لجانبها، وهو ما يبرر سلوكها في الوقوف بجانب الرئيس سليمان فرنجية عندما إشتدت عليه المعارضة التي طالبته بالإستقالة خاصة مع بداية 1976، حيث كانت سوريا تدرك أهمية وتأثير إستقالة فرنجية على الوضع اللبناني وعليه عملت على تعديل الدستور للسماح بإنتخاب رئيس جديد يكون مواليا لها إنقاذا للموقف وللمكتسبات التي حققتها منذ إندلاع الأزمة.(1)

من خلال ذلك تمكنت سوريا من ترشيح إلياس سركيس للرئاسة حيث وقع إنتخابه في 8-5-1976 من قبل مجلس النواب بأكثرية 66 صوتا ليؤدي اليمين الدستورية في 23-9-من نفس السنة، وهو ما يؤكد الفكرة السائدة من أن الرئاسة اللبنانية تعتمد دائما على التأثيرات الخارجية، فالرئيس سركيس جاء بضغط من سوريا،(2) لأن هذه الأخيرة ((تستطيع أن تؤثر على عدد كبير من النواب ولا سيما الذين لمناطقهم مصالح مباشرة مع سوريا، وأن سوريا يهمها أن يكون في لبنان حكم يعرف كيف ينسجم معها، كما وأن الرئيس اللبناني الجديد في حاجة إلى الدعم السوري)).(3)

وإذ نقول بمساندة سوريا للشرعية اللبنانية فإن ذلك متزامن مع محاولاتها لتجاوز الأخطاء السابقة وهذا بخلق بدائل جديدة لكي لا يتكرر ما حدث في عهد فرنجية سواء فيما يتعلق بالفراغ الحكومي الذي حدث وما نتج عنه من تشكيل لأول حكومة يغلب عليها الطابع العسكري(4) مما عجل بسقوطها أو بتشكيل حكومات غير متجانسة يساوم أفرادها بعضهم البعض، وللخروج من ذلك تم تشكيل أول حكومة في عهد سركيس بعيدة إلى حد ما عن العيوب السابقة، ففي ((8-12-1976 ألف الرئيس أول حكومة في عهده برئاسة الدكتور سليم الحص من الإختصاصيين، متوازنة طائفيا ومتحررة

---

(1) دافيد غيلمور، مرجع سابق، ص 111-115.

(2) حسن الحسن، مرجع سابق، ص 284.

(3) عبد المنعم المشاط، مقال سابق، ص 138.

(4) أنظر: مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 295.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسيا إذ لم يشترك فيها المتطرفون أو المتقاتلون)).[1]

على طول مرحلة التعامل السوري مع الحكومة اللبنانية ظهرت هنات كثير من الصعوبات، وهي بإعتقادنا تعود إلى أن الشرعية اللبنانية في حد ذاتها غير متجانسة بحيث نجدها محكومة بنفس الإعتبارات التي حكمت القوى المتصارعة، فمنطق الولاء الطائفي والسياسي متحكم في كل شخص من أفراد الحكومة بل حتى الوحدات الخارجية بحسب أخذها بعين الإعتبار، وأصبح الرئيس اللبناني أو الوزراء بل حتى النواب معها أكثر ولاءا لطوائفهم لخدمة بلدهم فإن هذه الخدمة يقدمونها من خلال نظرة الطائفة أو التنظيم السياسي الذي ينتمون إليه وهي تعبر عن ذاتها في المستوى القاعدي لكل الأطراف بالوسيلة العسكرية دفاعا عن إتجاهاتها وأطروحاتها السياسية.

واجهت سوريا هذه الصعوبات بمحاولة جعل الشرعية فوق الجميع حتى وإن أدى بها الأمر إلى محاربة حلفاء الرئيس أو الشخصيات الأخرى مع حرصها الشديد لإبقاء دائما على قنوات الإتصال، فبالرغم من أن علاقة سوريا بالرئيس سركيس قد مرت بفترات باردة وأخرى ساخنة إلا أن ذلك لم يقطع حبل الإتصال بين البلدين بل وبين الرئيسين السوري واللبناني ويعطينا عضو المكتب السياسي لحزب الكتائب كريم بقردوني، بإعطائه أمثلة على ذلك: فأثناء الصدامات الدامية في الفياضية في أوائل 1978 وسقوط عدد من الجنود السوريين لم يكن رد فعل الرئيس السوري معاديا بل إتصل هاتفيا بالرئيس اللبناني وقال له أن الجنود السوريين هم مثل أولادك فاحمهم كما تشاء؛ والمثل الثاني كان على إثر الصدامات التي وقعت في البقاع الشرقي من بيروت بين القوات السورية والملشيات المارونية، فكان رد فعل إلياس سركيس لا تفرطوا بمبادرة الرئيس الأسد في لبنان فليس كل يوم يؤتى العرب رجلا كحافظ الأسد.[2]

بالرغم مما يعنيه ذلك من تقارب لوجهات النظر والتفهم المشترك في العلاقات الصعبة بين سوريا والحكومة اللبنانية إلا أن ذلك لا يلغي وجود خلافات إنعكست في محاولة كل طرف للضغط على الآخر بطريقة أو بأخرى،

---

(1) حسن الحسن، مرجع سابق، ص 125.
(2) غسان بيرم، "الحكم أمام التحديات الكبيرة والإستحقاقات العاجلة"، (المستقبل)، العدد 157، فيفري 1980، ص 26.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضمن ذلك محاولة الرئيس سركيس الإعتماد على الحل العربي أو الدولي عبر مجلس الأمن أو من خلال الدول الكبرى، إلا أنه ومع خيبات الأمل المتتالية الواحدة تلو الأخرى وتعذر تحقيق وفاق وطني بين القيادات والزعامات الطائفية والسياسية اللبنانية عن طريق هذا الحوار فإن الرجوع في النهاية كان يتم في الغالب إلى الأمل السوري الذي ظل حاضراً بقوة.

نستنتج من ذلك أن سوريا حرصت على الشرعية اللبنانية ويبقى لنا أن نبرز مدى تحقيق أهدافها المذكورة آنفاً، بحيث أن السلبيات تمثلت في ظهور معارضة قوية من قبل التيار الذي رأى في دعم سوريا للرئيس اللبناني نوعاً من الإنحياز وهو ما جعل منها طرفاً من أطراف الحرب الأهلية وذلك يعني إنحرافها عن إلتزاماتها القومية ونهجها الذي يفترض أن يكون لصالح القوى الوطنية بحكم أنها الداعية إلى إخراج لبنان من وضعه الطبيعي السابق بتناقضاته العديدة.

بإعتقادنا أن إيجابيات الدعم السوري للشرعية تكمن في أنها أبعدت شبح التقسيم، فبالرغم من أن الحكومة اللبنانية لم تسلم من الخلافات إلا أن وجودها وإستمرارها لعب دوراً كبيراً في المحافظة على الوحدة الترابية للبنان بل إنها تجسيد عملي لمبدأ الوحدة على صعيد القمة يمكن للقاعدة الشعبية أن تستخلص منها العبر وتحذوا حذوها على أساس التعاون والحوار لبلوغ الهدف المشترك، فبالرغم أن أفراد الحكومة اللبنانية لا يستطيعون إخفاء ولاءاتهم للقوى المتصارعة إلا أنه عندما يتعلق الأمر بالمصلحة اللبنانية فإن بياناتها تأتي لتؤكد بأن مصلحة الوطن فوق كل الإعتبارات وهو ما يتجلى في الموقف من دويلة سعد حداد في الجنوب الموالية لإسرائيل بإعتبارها تجسيداً لتقسيم لبنان الذي يحتم على الجميع معاداتها أو على الأقل عدم مساعدتها ومباركتها.

لقد تميز الدور السوري بالتشاور مع الحكومة اللبنانية على صعيد إحداث إصلاح سياسي وهو ماجنب لها مصاعب عديدة، فالإختلاف حول ذلك كان من أسباب الحرب الأهلية وبالتالي فإن تحقيق الإصلاح يعني بالضرورة تنازل طرف من الأطراف أو كليهما معاً على مطالبهما أو جزء منها، ومهما زادت مدة الحرب وحدتها فإن المواقف تزداد تصلباً ليصبح مشروع الإصلاح

السياسي المطروح بمثابة معادلة حسابية ، بحيث يقارن مدى ما جاء فيه
من مكاسب بحجم المجهود والخسائر المبذولة من هذا التدقيق وذاك.

لهذا العامل كانت سوريا حريصة دوما على توقيف أعمال العنف للدخول
في مرحلة الإصلاح السياسي، ونظرا إلى أن الحكومة اللبنانية بأفرادها
الكبير منسجمين كلية ليست بطرف محايد بأتم كلمة المعنى بين الفئات (1)
المتناحرة فإن الطرح السوري يصعب عليه أن يأتي في صيغته الأولى
لمرضي الجميع وإن كانت أهدافه ظلت تتمحور حول تحقيق الإستقرار التام
وإقرار حكومة متوازنة بين كل الطوائف والإعتراف بحقوقها في لبنان؛ (2)
أي بالحقوق السورية.

تمثلت المبادرة السورية الأولى في هذا الإطار من خلال ما بذلته من
جهود مع الحكومة اللبنانية أدت بعد إتصالات ومشاورات عديدة إلى إعلان
الرئيس فرنجية في 14-2-1976 عن الوثيقة الدستورية (3) وهي كمشروع للحل
السياسي، هذه الوثيقة التي زادت برأينا في تعقيد الأوضاع لأنها كرست
الرئاسة للموارنة خطيا بعد أن كانت في السابق عرفا إنطلاقا من الميثاق
اللبناني غير المكتوب.

بتتبعنا للوثيقة الدستورية نلاحظ أن سوريا أرادت تسجيل حضورها
ميدانيا بحيث أن مساعيها طالت دون أن تفرز أي شيء جديد وبالتالي
كونها تتوصل إلى صيغة تقبل بها الحكومة اللبنانية فمعناه حتى وإن
فشلت آنيا فمستقبلا يمكنها الإتيان بالأحسن منها، بينما الطرف اللبناني
كان في حاجة إلى معرفة حقيقة النوايا السورية بل إن لقاءهما المتساوي
يؤكد تلك التشوفات التي راودته من أن سوريا لاتعترف به
كدولة مستقلة ومما عزز البيان المشترك على إثر زيارة الرئيس فرنجية
لسوريا إلا دليل على الإعتراف السوري بلبنان بالرغم من غياب التمثيل
الدبلوماسي بينهما.

---

(1) يتضح ذلك أكثر في المؤسسة العسكرية اللبنانية حيث تحول الجيش إلى ثمرة الموارنة على حساب الحركة الوطنية اللبنانية و م.ت.ف فكانت النتيجة أن إنقسم على نفسه فأصبح قسما منه كجيش للمسلمين وقسما آخر للمسيحيين، مع وجود قلة قليلة ظلت على الحياد. دافيد غيلمور، مرجع سابق، ص 133.

(2) CARTER (Jimmy), op.cit, P.102.

(3) أنظر: نص الوثيقة الدستورية في الملحق رقم 2 من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بإعتقادنا أن ذلك من بين عوامل فشل تطبيق هذا البرنامج السياسي، فبالإضافة إلى أن سوريا في تحركها مع الحكومة اللبنانية محكومة بعدة إعتبارات تاريخية ومستقبلية، فهي وإن كانت غير راضية عن التركيبة اللبنانية وتوجهها الخارجي إلا أنها مرغمة على مسايرة حساسياتها الداخلية الخاصة، فلو نادت بإصلاح سياسي شامل مرة واحدة يقوم على قلب الصيغة اللبنانية بما في ذلك إلغاء الطائفية السياسية وبناء دولة علمانية وإرغامه على إتباع سياسة خارجية عربية التوجه تؤدي إلى مجابهة إسرائيل فإن الإحتمال الأرجح هو إنقطاع قنوات الإتصال مع الرئيس اللبناني الماروني، لتعطي بذلك فرصة لتأزم الأوضاع أكثر من السابق.

لقد تمثل فشل هذا الإصلاح السياسي بمرآتها نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى إتسمت بالحذر الشديد في طرح إصلاح سياسي آخر، فإنطلاقاً من الإرادات اللبنانية المتناقضة وعدم تجانس الحكومة اللبنانية إعتمدت سوريا على إجراء إتصالات لتقريب وجهات النظر وتطويق الأحداث العسكرية قدر ما أمكن، وفي الفترة التي إستمرت حتى نهاية سنة 1982 وبعدها، حيث بقي لبنان بنظامه السياسي السابق وإستمرار حربه الأهلية مؤكداً بذلك عجز سوريا عن إحداث التغيير المطلوب، وإن كان ذلك لا ينفي دورها وسعيها في تحقيقه.

إذا كانت سوريا قد تعثرت مع الحكومة اللبنانية في إيجاد صيغة الإصلاح السياسي الذي يرضي كل الأطراف فإن ذلك لم يؤدي إلى القطيعة النهائية بينهما، فبالرغم من أن الحكومة اللبنانية حاولت في العديد من المرات تخطي القرار السوري وذلك بالإعتماد على الطرف العربي والأجنبي وهو ما لا يتماشى والرغبة السورية، إلا أن هذه الأخيرة إستطاعت أن تبلور مواقفها وفقاً للإرادات الخارجية.

فعندما لجأ لبنان إلى الجامعة العربية إستطاعت سوريا أن تسجل حضورها ضمن الإطار العربي بل وأصبحت من خلاله تحصل بشرعية أكثر سواء سياسياً أو عسكرياً ضمن قوات الردع العربية، وعندما لجأ لبنان إلى الأمم المتحدة وبعض الدول الأجنبية أعلنت تعاونها مع هذه الأطراف بما يخدم المصلحة اللبنانية بل وأولويتها في ذلك من كل الأطراف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعتقادنا أن سرعة التحرك السوري وليونة مواقفها على الصعيد الخارجي وإطلاعها على مجريات الأحداث اللبنانية بمختلف أنواعها مكنها من منع التدخلات الخارجية بالشكل الذي يهدد لبنان وأمنه، على أن الغزو الإسرائيلي يصنف ضمن إطار خاص بحكم عوامل عديدة في مقدمتها طبيعة إسرائيل التوسعية وأهدافها في لبنان، وهي الأهداف التي زادت من متانة العلاقات السورية بالحكم اللبناني لأن هذا الأخير وجد نفسه مضطرا إلى إعلان ولائه لسوريا بحكم أنها الأقدر والمستهدفة أكثر في أمنه.

إن الوضع تغير كثيرا بعد ما أصبح العدوان الإسرائيلي على لبنان واقعا معيشا، بل الأكثر من ذلك أن إسرائيل كانت المرشحة للإشراف على الإنتخابات الرئاسية اللبنانية بعد نهاية فترة إلياس سركيس وإعلان بشير الجميل ترشيحه للرئاسة، إذ كان مواليا لإسرائيل على حساب سوريا.

في ظل ذلك فإن سوريا كانت تستبعد وصول المرشح الجديد للرئاسة لإعتبارات أهمها أنه ليس بوسعه الحصول على إجماع مسيحي وكذا لردة الفعل الإسلامية والوطنية والتي بإمكانها أن تكون كافية لمنعه من الوصول إلى الرئاسة، زد على ذلك أن هناك نواب في منطقة النفوذ السوري وهم لن يقترعوا له.(1)

بالرغم من ذلك فقد نجح بشير الجميل وسرعان ما إتضحت مواقفه بحيث تماشت والأهداف السورية سواء فيما يتعلق بعدم التعجيل في إمضاء إتفاق مع إسرائيل أو بالفلسطينيين من مواقفه التي كان ينادي بها عندما كان على رأس القيادة العسكرية لحزب الكتائب، الشيء الذي يقوي من صحة إعتقاد ريمون أدة بقوله ((أن سوريا وافقت على إنتخاب بشير الجميل رئيسا للبنان لأنها تأمل أن يقوم بدور وساطة بينها وبين إسرائيل)).(2)

إذا كان سرعة إغتيال بشير الجميل لم يعط الفرصة الكافية لإمتحان موقفه من سوريا فإن هذه الأخيرة سارعت إلى تأييد إنتخاب خلفه وأخيه أمين الجميل وهو ما يعبر عن إستمرار سوريا في التمسك بالشرعية في لبنان كأساس لضمان إستمرار دورها في هذا البلد.

---

(1) بدون كاتب، "الصفحات السرية من الملف السوري - الكتائبي"، (الوطن العربي)، العدد 432، ماي 1985، ص 21.

(2) نقلا عن: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 232.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال ما سبق يمكن القول بأن سوريا قد حققت هدفها مع الشرعية اللبنانية إلى درجة كبيرة ، فبالرغم من وجود بعض الإختلافات وتنامي مراحل متفاوتة إلا أن سياستها عموما مكنتها من كسب رئيس الجمهورية خاصة وهو ما نلمسه من قول إلياس سركيس الذي أعلنه في الذكرى الثانية لولايته ، بأن قوة لبنان تكمن : ((... في علاقاته بالدول بدءا بالأقربها إليه أرضا وأوثقها به صلة تاريخ وأنساب وأشدها إرتباطا مصلحة معه ، عنيت سوريا التي يجب أن يظل بينها وبين لبنان تضامن مقدس وتعاون صادق في شتى مجالات الخير المتبادل حاضرا ومستقبلا ...)) .[1]

قد نلمس نوعا من المبالغة في هذا القول إلا أن الثابت هو إتفاقهما في العديد من النقاط الرئيسية كالوقوف ضد التقسيم وضد الفراغ السياسي، على أن المبادئ الأخرى التي يحدث فيها الخلاف بدرجات متفاوتة تعود في الأساس إلى عدم إنسجام الحكومة اللبنانية وخاصة بين رئيس الجمهورية الماروني ورئيس الوزراء السني، ففي حين يتصرف الأول كممثل للمسيحيين بحكم مركزه والثاني كممثل للمسلمين فإن الأول يكتنفه شعور بأن الثاني حامي للفلسطينيين بينما يشعر الثاني بأن الأول رئيس التجمع المسيحي وليس رئيسا لكل اللبنانيين، ومن هنا تنبع صعوبة تعامل الحكومة اللبنانية بالإيجاب مع المشاريع السورية بل تنظر إليها قبل كل شيء بما يضمن إستمرار لبنان حتى وإن كان في شكله المتناقض.

بالإضافة إلى تعامل سوريا مع الحكومة اللبنانية حيث يفترض أن تمثل كل اللبنانيين، فقد إضطرت إلى التعامل مع القوى المتناحرة ومن بينها الفريق المسيحي بمختلف تنظيماته ، وهذا إما بالوقوف بجانبه ومحاولة كسبه ومنع الفريق المضاد له من تهديده والنيل منه كي لا يرتمي في أحضان القوى الأجنبية وفي مقدمتها إسرائيل ، وإما الوقوف ضده ومحاربته لتضييق الخناق عليه من منطلق معاداته للعسكرية والإهانات الدعائية وكذا تحالفه مع إسرائيل .

ومع بداية الإهتمام السوري بالحرب الأهلية اللبنانية فقد عارضت سوريا الميليشيات المسيحية لطبيعتها الإنعزالية ، على أن هذه المعارضة

---

(1) نقلا عن : ملحم قربان ، الجزء الثالث ، مرجع سابق ، ص 505 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تصل إلى حد المجابهة بل تجلت عبر وسائل الإعلام، الشيء الذي لم يدم طويلاً نظراً لأولية تمسكهم على الصعيد الإستراتيجي، فكانت بذلك وراء إنهاء أي شكل من أشكال العنف المسلح ضدهم كما جاء في خطاب الرئيس حافظ الأسد في 20-7-1976 ((إن الحسم العسكري في لبنان أمر غير ممكن لأن من شأنه أن يخلق حالة قهر ومشكلة خطيرة تنتهي بتقسيم لبنان وتنشأ دولة المقهورين التي ستكفر بكل القيم العربية والإسلامية ... هذه الدولة ستكون أكثر خطراً وأشد عداءً من إسرائيل))[1].

إن إنهاء ما إعتبرته سوريا بالعنف ضد المسيحيين قد أدى بعد تراجع هؤلاء إلى تدخلها لإنقاذهم في جوان 1976 ولإنقاذ الحكومة اللبنانية[2] ضد الطرف المقابل الذي عرف بالجبهة الفلسطينية الإسلامية التقدمية المؤيدة من قبل العراق وليبيا، أي المعارضة للتدخل السوري الذي حظي بتأييد[3] واسع من قبل المسيحيين ومن بعض الدول الغربية كفرنسا و و.م.أ.

لقد تمكنت بذلك سوريا من كسب القوى المسيحية ولو نسبيا آملة في إنتزاع الفكرة من أذهانهم التي طالما راودتهم والقائمة على أن: لسوريا أطماعا في لبنان إنطلاقا من الأقضية الأربعة المنتزعة منها والتي ضمت إلى لبنان في فترة سابقة بما يتماشى والمصالح الإستعمارية، على أن القول بذلك لا يعني أن سوريا تقف عند هذا الحد بل تذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أن كسب القوى المسيحية وإستمالتها يعني إستمرار قنوات الإتصال معهم بدرجة عالية من الثقة والتي من خلالها تتمكن من تحقيق رغباتها وفي مقدمتها الحفاظ على الوحدة اللبنانية مع إمكانية إقناعهم تدريجيا بإحداث إصلاحات سياسية تكون في محل طموحها الفيزيقي والأمني على المدى المتوسط والبعيد.

في ظل تباين وجهات نظر الطرف المسيحي حول بعض النقاط الحساسة كتغيير الصيغة اللبنانية وعدم تغييرها والموقف من القوى الخارجية، أدركت سوريا صعوبة التعامل مع هذا الواقع ورأت في الإنقسامات هذه

---

(1) نقلا عن: حسن الحسن، مرجع سابق، ص 203.

(2) Samir Kassir, op.cit, P.4.

(3) حسن الحسن، مرجع سابق، ص 202.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عائقاً، وكلية كان من مصلحتها أن تتوحد نظرة المسيحيين تصوراً وعملياً لأن ذلك يسهل مهمتها، على أن الكتائب لم يعمل بالدرجة التي تريدها، لدى تمسكه بعدم تقسيم لبنان إلتزمت جل الشخصيات المسيحية بالدفاع عن وحدة لبنان ومنع التقسيم أو توطين الفلسطينيين، إلا أن المهمة الشاقة، إنطلاقاً من موقف حزب الكتائب بإعتباره الأكثر قوة في الجانب المسيحي هو أن موقفه مشروطاً بتقديم الضمانات الضرورية اللبنانية الكاملة وطالبت بإنشاء الحد الأدنى على قاعدة لا غالب ولا مغلوب كما أعلن ذلك بيار الجميل (1).

إن ذلك يعني ضمنياً تأييد سوريا وضيق مجال عملها في بلورة مقترحات سياسية تكون في مستوى طموحات غالبية اللبنانيين لإحداث الإصلاح السياسي المطلوب، فإنطلاقاً من تطلب الطرف المسيحي الذي تصدى لحمايته بكل الوسائل وتخلى عنه المتخوفات التي كان يطلقها لم تذهب مقترحاتها بعيداً حيث ولدت الوثيقة الدستورية المعدلة من طرف الرئيس اللبناني لتبقي على الطابع الطائفي بل دعمته نسبياً بعد أن كان عرفاً وركزت جهودها في سبيل تطبيقها بحيث قوبلت منذ البداية بمواقف مختلفة تتراوح بين من أعلن تحفظاته عليها وبين من أعلن رفضه لها لطبيعتها الطائفية.

نرى أيضاً أن كل مساهمة به سوريا لصالح الفريق المسيحي لم يكن كافيا لإقناع هذا الأخير بأنها جادة وداعمة في إختيارها لهم أو حتى حيادها في لبنان، وهم يخافون المستقبل سواء إختياراً أو إضطراراً لها بحيث إذا لم تكن جادة ستغير موقفها بسرعة، إنما يريدون منها أن تكون أكثر حسماً في أخذ أتهم لهم من خلال البرنامج السياسي الذي تطرحه بل الأهم من ذلك على الصعيد العسكري ونشاطها تجاه الثورة الفلسطينية، حيث يرون في مساعدة إسرائيل مشتركة معها خلال الزمان مع سوريا، لأن هذه الأخيرة تسعى لبناء جبهة شرقية يشترط فيها أن تدعم من قبل الفلسطينيين قبل المسيحيين اللبنانيين الذين يطلبون وبقوة في تحجيم الإنتماء والمعادي للمشروع القومي العربي.

---

(1) أنظر: بيار الجميل، إستجواب سابق، ص 11-15.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذا المنطلق فإن فترة المهادنة السورية للفريق المسيحي لم تدم للفترة التي يستطيع من خلالها هذا الفريق تحقيق أهدافه كاملة وإستمرار الموقف سوريا بجانبهم، ومن ناحية أخرى فإن سوريا سرعان ما وجدت بأنها أمام واقع لا تستطيع معه الإستمرار في تأييد هذا الفريق، فبالإضافة إلى تأزم الأوضاع اللبنانية نفسها فقد كانت تتأثر من يوم لآخر بالمعلومات الخارجية وخاصة العربية منها على إثر تغير م.ت.ف والحركة الوطنية اللبنانية من التحالف السوري-المسيحي في سنة 1976، أين كانت الأولوية تقضي بنسج موقف عربي للتصدي للمؤامرة الأمريكية — الإسرائيلية.

لقد شكلت هذه العوامل والتطورات دافعا أساسيا لسوريا لتغيير موقفها من الفريق المسيحي، وذلك لا يعني أنها تخلت عن أهدافها في حفظ الوحدة اللبنانية وتحقيق الوفاق المطلوب وإنما تعبيرا عن الدخول في مرحلة جديدة لقلب موازين القوى في لبنان بحيث تصبح في غير صالح الميليشيات المسيحية بحكم أنها أعطتهم الفرصة وتمردوا عليها ولذلك أصبح من حقها أن تعاملهم بطريقة الحسم العسكري الذي حاولت الإبتعاد عنه في البداية بالرغم من أن مخاطره مازالت باقية.

لم يكن إستخدام الوسيلة العسكرية ضد القوى المسيحية في البداية هو المشكل لدى سوريا وإنما هي تعرف حقيقة مطالبهم وتعرف كذلك مما يمكن أن يتنازلوا عنه وما لا يمكن التنازل عنه حتى بالوسيلة العسكرية، ومن هنا فالإحتمال الأرجح لسياستها في بداية الأمر هو أنها تريد أن تدخل إلى لبنان بطلب منهم فإذا ما إستطاعت أن تثبت وجودها السياسي والعسكري ليصبح محل إعتراف داخلي وخارجي فعندئذ يمكنها أن تحول موقفها بما يتماشى وتطلعاتها، بحيث من الصعوبة بمكان أن يطالبوا بخروجها وهم بالأمس وراء دخولها، فذلك يعتبر إن فعلوا عن مواقفهم المتناقضة بل نهجهم المتذبذب الذي هو مبرر آخر لصالح سوريا للوقوف ضدهم خاصة وأنها تحظى بتأييد الشرعية اللبنانية.

لقد دافع ذلك أكثر الفريق المسيحي إلى الإرتماء في أحضان إسرائيل وهو ما كان متوقعا، وإتضحت أهدافهما المشتركة في السعي إلى إلحاق لبنان بإسرائيلية كامب ديفيد، وأصبحت معالم تقسيم لبنان واضحة أكثر من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي وقت مضى خاصة بعد الإجتياح الإسرائيلي في مارس 1978 وإعلان سعد حداد في 18 أفريل من نفس السنة عن قيام دويلته بإسم لبنان الحر المستقل، وتنكر الكتائب لسوريا حيث يرجع مصطفى طلاس سبب هذا التنكر إلى أن حزب الكتائب كان في البداية ضعيفا من الناحية العسكرية لذلك قبل القبول بالدخول السوري لحمايته ضد القوى الوطنية اللبنانية، وبعد أن لمسوا الخط القومي العربي في السلوك السوري تنكروا لها وبدأ التعاون الصهيوني بسلاحهم وكذا تدريبهم لمحاولة الصراع ضد العروبة في لبنان.(1)

من بين أساليب مواجهة سوريا للكتائب المسيحية تدعيم علاقاتها مع الفلسطينيين لإضعاف مواقعهم، واستطاعت من خلال مساندتها للشرعية اللبنانية أن تثبت عداءهم للمصلحة القومية وذلك بتثبيتها في مقررات مؤتمر بيت الدين المنعقد في 17-10-1978، ضرورة ((تطبيق القانون ضد الذين يتعاملون مع العدو الإسرائيلي))(2)، والمقصود هنا ليس مليشيات سعد حداد في الجنوب فحسب ولكن كذلك حزب الكتائب.

وإذ نقول بالتصدي السوري للمليشيات المسيحية فإن ذلك لايعني أنها أغلقت الباب في وجه هؤلاء بل بقيت تعمل على محورين كل واحد يخدم الآخر، فمحاربتهم تعني إضعاف قدرتهم لأنهم يسعون إلى ما سعوا إليه في بداية الحرب وهو طلب حمايتها والإعتراف بدورها، ومساندتهم أحيانا تعني التقليل من موقفها ليعدلوا عن سياستهم ونظرتهم الإنعزالية، إلا أن تطوير علاقاتهم مع إسرائيل هذه المرة حال دون ذلك، بل بالعكس أصبحوا أكثر قوة مما أهلهم إلى الوقوف جنبا إلى جنب مع الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف 1982، وبذلك صنفت سوريا كما قال فيما بعد بيار الجميل بأنها من بين الأطراف الأساسية التي خربت لبنان بل هي سبب ثلاثة أرباع مشاكله لأنها تريد أن تجعل منه مقاطعة تابعة لها، ولذلك يعتبر الوقوف ضدها بالسلاح في سنة 1978 ليس وقوفا لمجابهتها في حد ذاته بل لأن المسيحيين يدافعون بذلك عن النفس.(3)

---

(1) مجموعة من الباحثين، "الغزو الإسرائيلي للبنان"، مرجع سابق، ص 97.
(2) بدون كاتب، "مؤتمر بيت الدين وتثبيت الحل العربي في لبنان"، (فلسطين الثورة)، عدد خاص 1979، ص 211.
(3) بيار الجميل، إستجواب سابق، ص 11-15.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتجلى مما سبق أن سوريا تعاملت مع فريق لبناني آخر ونقصد به الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية ، وهذا من واقع ما كانت تحرص عليه سابقا ، أي كسب قاعدة شعبية واسعة موالية تكون عونا لها عندما تعين الفرصة تحت تأثير أي سبب من الأسباب ، ومن هنا فعندما إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية وجدت تنظيمات يغلب عليها التوجه القومي تتماثل فيما سمي بالقوى الوطنية والتقدمية ، حيث أصبح بإمكانها الإعتماد عليها للتأثير في الأحداث الداخلية وعلى القوى الأجنبية .

من الوهلة الأولى يؤدي بنا ذلك إلى الإعتقاد بأن سوريا ستكون في صف الحركة الوطنية وذلك راجع إلى عدة عوامل تجمعها في أن مصالحها الأمنية تلتقي مع توجهات ومطالب الحركة الوطنية اللبنانية المتحالفة مع الثورة الفلسطينية سواء فيما يتعلق بالتوجه القومي الذي يطبعهما أو في ضرورة إحداث تغيير سياسي يكون في مستوى طموحات غالبية اللبنانيين ويعود بالإيجاب لمصالح سوريا فيما يتعلق بصراعها مع إسرائيل .

ففي ما يتعلق بالتعامل القومي فإن تتبعنا لمواقف غالبية القوى المشكلة للحركة الوطنية اللبنانية نجدها تساند الدور السوري في لبنان (1) بل وتعتبره ضروريا من منطلق العلاقة الخاصة التي تربط البلدين ، مما يتطلب من لبنان الإنتقال من مرحلته السابقة والتي تعد سلبية تجاه العالم العربي إلى مرحلة يساهم فيها إيجابيا بما يقوي موقفه في صراعه مع إسرائيل ، وهو ما حرص على تأكيده البرنامج المرحلي للإصلاح السياسي الذي طرحته الحركة الوطنية في أوت 1975 ، ومما جاء فيه : ((على الصعيد الوطني تبرز الآن أكثر من أي وقت مضى خطورة النهج الإنعزالي القائم على محاولة فصل لبنان عن المنطقة العربية ... وأيضا سياسة التلازم في أوضاع الإقتصاد اللبناني لأن هذا النهج بإضعافه للروابط القومية ... يحول دون تكامل الإقتصاد اللبناني مع محيطه العربي ...)) (2) .

---

(1) أنظر : سامي ذبيان ، مرجع سابق ، 387 ص .
(2) أنظر : النص الكامل ل"برنامج الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية " ، في : مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد ، مرجع سابق ، ص 539 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإضافة إلى ذلك فإن سوريا قريبة في تصورها من الحركة الوطنية اللبنانية خاصة فيما يتعلق بتغيير نظامه الطائفي ومن ثم وضعه الإقتصادي والإجتماعي، وبالتالي فإن طلب علمنة الدولة يأتي مطابقا للطموح السوري هذه الأخيرة التي ترى في سبيل تحقيق الوحدة العربية وجوب تجاوز كل الأشكال التي من شأنها أن تعرقل الهدف القومي العام، فطالما أن الأمة العربية تتنازعها المذاهب الدينية والإختلافات الطائفية كما في لبنان فإن الهدف القومي يصبح بعيدا عن التحقيق.

من خلال هذا نلاحظ ترابط العامل القومي بعلمنة الدولة، على أن الأفضلية تعطي للأول دون أن تلغي الثاني، بحيث أن الولاء للقومية العربية هو الهدف الأساسي بينما علمنة الدولة والمؤسسات ما هو إلا وسيلة تسهل الإلتحام والإتحاد لتوفر وحدة التصور، وهي الأفضلية التي أقرها برنامج الإصلاح السياسي للحركة الوطنية اللبنانية حيث أعطى أولوية التوجه العربي للبنان قبل الإهتمام بأوضاعه الداخلية ((إن الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية .. تدعوا الجماهير اللبنانية إلى التكتل حول هذا البرنامج وإلى شن نضال طويل النفس لتحقيقه بإرادة الأكثرية الشعبية التي لاشك بوقوفها القاطع إلى جانب هذه الدعوة إلى التغيير عن طريق بناء لبنان عربي وطني وديموقراطي جديد))[1].

من منطلق التصور المتقارب إن لم نقل الواحد فإن المرجح مع بداية الحرب الأهلية اللبنانية هو أن تكون سوريا من أولى القوى الخارجية المساعدة للحركة الوطنية اللبنانية ضد الفريق المضاد لها إلا أن ماحدث لايعبر عن ذلك إطلاقا والأسباب متعددة، ففي إعتقادنا أن أهمها تجلى في نظرة كل طرف للطرف الآخر، ففي الوقت الذي كانت تنتظر فيه القوى الوطنية والتقدمية التأييد والمساندة السورية بدون تحفظ من منطلق العوامل المشتركة السابقة الذكر فإن الرغبة السورية قد تزايدت في السيطرة على الأوضاع اللبنانية وإخضاع كل الأطراف لأرادتها وما يعنيه ذلك من تسهيل لمهمتها وفرض وجهة نظرها على صعيد الواقع.

---

(1) نقلا عن: نفس المرجع، ص 541.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أجل تحقيق ذلك فإن الإحتمال الوارد هو أن تقابل سوريا بمعارضة من قبل الفريق المسيحي بقواه المختلفة وهذا طبيعي للإختلاف الحاصل معه على أكثر من صعيد مما يتطلب مهادنته وكسبه حتى وإن وقع تنازل لصالحه لفترة معينة ، أما أن تجد سوريا المعارضة من الذين تعتبرهم حلفاء ويشاركونها التصور النظري ووحدة الهدف على المدى البعيد فهذا خروج عن طاعتها وتحد مباشر لها.

وعندما تجلى التأييد السوري ووقوفها إلى جانب الملشيات المسيحية والرئيس اللبناني وجدت الحركة الوطنية والتقدمية أنها أمام خيار صعب ليس مع الفريق اللبناني المضاد لها فهذا يدخل ضمن إطار الصراع الداخلي، ولكن مع سوريا التي ظهرت بوجه يخالف كلية مبادئها ، فحدث على إثر ذلك تباين في وجهات نظر الحركة الوطنية حيث أعلن عدد كبير من القوى المشكلة لها ولاءها وتأييدها لسوريا وتكتلت في جبهة واحدة عرفت بجبهة الأحزاب القومية والوطنية حيث أصدرت بيانا دعمت فيه التدخل السوري في لبنان بعد أن فشلت مساعيها السياسية ومما جاء في هذا البيان حسب مانقله سامي ذبيان عن جريدة السفير اللبنانية ((أن الخطوة السورية جاءت كمخرج وحيد ومقبول من القوميين الوطنيين بعد إستمرار التصعيد العسكري... إن الجيش السوري سيكون صديقا ومتعاونا مع المؤمنين بعروبة لبنان وتقدمه وحماية المقاومة وسيبقى على أرضنا وبإرادتنا ...)).[1]

تمثلت هذه القوى في تلك التنظيمات التي تتبنى النهج القومي بالدرجة الأولى مثل إتحاد قوى الشعب العامل (التنظيم الناصري)، وجناح الحزب السوري القومي الإجتماعي الذي يتزعمه إلياس جرجي قنيزع ... الخ[2] ومميزتها العامة أن دورها ضعيف في الأحداث اللبنانية سواء تعلق الأمر بوزنها السياسي أو بثقلها العسكري، ولذلك كانت في حاجة إلى حماية خارجية حيث وجدت في الدور السوري النشيط خير مساند لها للتعبير من خلاله عن تطلعها القومي، بينما بقيت التنظيمات التي يغلب عليها الطابع

---

(1) نقلا عن: سامي ذبيان، مرجع سابق، ص 291.
(2) أنظر: هذه التنظيمات في: نفس المرجع، ص 387.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقدمي أي اليساري خارج الدائرة السورية وفي مقدمتها الحزب التقدمي الإشتراكي بقيادة كمال جنبلاط تسانده في ذلك المقاومة الفلسطينية .

حدث ذلك وسوريا تجتاز مرحلة هامة في لبنان بما فيها محاولتها لكسب الفريق المسيحي بمختلف تنظيماته السياسية والعسكرية وكذا تثبيت الحل السياسي من خلال إقرار الوثيقة الدستورية وتفويت الفرصة على التدخلات الخارجية ، فرأت في موقف القوى التقدمية ليس تحدي لها فحسب بل محاولة لإفشال دورها وما يعنيه ذلك من تأزم للأوضاع أكثر وفتح المجال لظهور حقائق سياسية وعسكرية جديدة قد يستحيل التغلب عليها ، فما كان منها إلا أن وقفت ضدها بكل الوسائل .

موازيا مع ذلك إقتحمت سوريا بإيجاد مبررات مقنعة للرأي العام في تصديها للقوى التقدمية اللبنانية المتحالفة مع م.ت.ف حيث إستندت إلى أن وقوفها ضدهم إنما لصيانة الوحدة اللبنانية والحد من ظاهرة الخيار العسكري بين القوى المتصارعة ، ومما زاد في تحد اقتها هذا الإعتقاد إعلان جبهة القوى الوطنية والتقدمية قيام إدارة محلية لإدارة المناطق الواقعة تحت سيطرتها العسكرية وما يعنيه ذلك من خطوة نحو تقسيم لبنان الشيء الذي تزامن وإنقسام الجيش، ومن هنا أضحت سوريا تعتبر نفسها كمال جنبلاط بالإنعزالية الجديدة .(1) (2)

جلب موقف القوى التقدمية مصاعب كبيرة لسوريا رغم إمساكها وإفصاحها في سلوكها ، فهي من خلال تصديها العسكري تزعزعت مصداقية وجودها كثيرا مما جلب لها معارضة لبنانية وعربية واسعة أثرت بدرجة كبيرة في إفشال مساعيها ، فمن ناحية لم تستطع تطبيق الوثيقة الدستورية الصادرة في فبراير 1976 بحكم أنها تتعارض كلية مع مطالب القوى التقدمية في إلغاء الطائفية السياسية ، ومن ناحية أخرى لم تستطع الإستمرار في كسب الفريق المسيحي الذي كان يريد منها المزيد تجاه ما تسميه باليسار اللبناني ، فكان ذلك من بين العوامل الأساسية التي حملت سوريا على مراجعة موقفها من القوى التقدمية اللبنانية خاصة مع بداية سنة 1977 ، حيث تضافرت

---

(1) حسن الحسن ، مرجع سابق ، ص 203 .
(2) زهير محسن ، مرجع سابق ، ص 90 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العوامل الخارجية بالداخلية كي تصاغ هذه العلاقة في إطار جديد توجت بالمصالحة السورية مع الحزب التقدمي الإشتراكي.

وتمثلت أهم العوامل المؤثرة على سوريا في التهديدات الإسرائيلية بالتدخل، خاصة بعد وصول مناحيم بيغن إلى الحكم وبروز مشكلة الجنوب اللبناني بشكل أكثر خطورة على الأمن السوري، بالإضافة إلى التغيير الحاصل في زعامة وقيادة القوى التقدمية اللبنانية على إثر إغتيال كمال جنبلاط، مما أعطى لسوريا الأمل في تحسين علاقاتها بالحزب التقدمي من منطلق أن تغيير القادة في الغالب مايصحبه تغيير في الموقف السياسي والعسكري للتنظيم، وذلك كله جاء متزامنا مع التهديدات التي تطلقها الجبهة اللبنانية ضد قوات الردع العربية، ومع ذلك يبقى برأينا أن العامل الحاسم في هذا التغيير هو تخوف سوريا من عواقب خروج مصر من ميدان الصراع العربي-الإسرائيلي وما يتطلبه ذلك منها من تحمل مسؤوليات أكثر، مما دفعها قبل كل شيء إلى تحسين علاقاتها بحلفائها الطبيعيين في لبنان بما فيهم القوى التقدمية اللبنانية.(1)

لقد تجلى تحسين سوريا لعلاقاتها مع القوى التقدمية بدرجة واضحة عندما قام زعيم الحزب التقدمي الإشتراكي بزيارة إلى دمشق حيث أصدر بيانا مشتركا في 12-9-1977 مع منظمة حزب البعث العربي الإشتراكي في لبنان والمتحالف مع سوريا مؤكدين على إيجابيات المبادرة السورية كما أقر البيان تشكيل جبهة وطنية مفتوحة لكل الأحزاب والهيئات والقوى والشخصيات السياسية بشرط مسبق وهو الإلتزام بالأهداف المذكورة في هذا البيان والمتمثلة في أولوية الولاء للبنان العربي ودعم السلطة الدستورية وبناء جيش وطني قوي وإلغاء الطائفية السياسية والتأكيد على ضرورة إيجاد أعلى درجات التنسيق في كل الميادين بين سوريا ولبنان وإلتزام هذا الأخير بالتضامن العربي.(2)

ومع أن ذلك شكل تحولا كبيرا في العلاقات السورية مع الحركة الوطنية

---

(1) أنظر: إنعام رعد، مرجع سابق، ص 195 و379.
(2) أنظر نص البيان المشترك بين الحزب التقدمي الإشتراكي ومنظمة حزب البعث العربي الإشتراكي في لبنان الصادرفي دمشق بتاريخ12-9-1977، في: سامي ذبيان، مرجع سابق، ص 382-384.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتقدمية اللبنانية إلا أن الأحداث اللاحقة دفعت هذه العلاقة إلى درجة أكثر من التفاهم والتنسيق، إذ تمثل ذلك في الغزو الإسرائيلي للجنوب اللبناني في مارس 1978 والغزو الشامل في صيف 1982 أين قامت الحركة الوطنية وبالتحالف مع م.ت.ف بالدفاع عن الجنوب وعن بيروت الغربية وهذا يتماشى والمصلحة الأمنية لسوريا، بحيث أن التصدي لإسرائيل وحلفائها مهما كانت درجته يعد خدمة لها ولأمنها.

من خلال ماتقدم يتضح بأن سوريا لمنع تقسيم لبنان ووضع نهاية لحربه الأهلية عملت من الناحية الأولى ضد الحركة الوطنية والتقدمية ليس لأن هذه الأخيرة تريد التقسيم أو المصالحة مع إسرائيل أو أنها تناقض التوجه القومي، ولكن عملت على إضعافها وخاصة في البداية لسببين يكمن الأول في تخوفها من أن تكون إنتصاراتها العسكرية تؤهلها للسيطرة على الحكم وبتحالفها مع م.ت.ف يصعب التحكم فيها، أما الثاني فإن إنتصارات هذا الفريق سيفتح آفاقا جديدة للصراع في لبنان لأن القوى المسيحية والدول الغربية المؤيدة لها لايمكن أن تقبل بذلك بل الأكثر من ذلك أنها ستلجأ إلى إسرائيل التي تترقب الفرصة المناسبة للتدخل.

أما من الناحية الثانية فقد عملت سوريا مع الفريق المسيحي لنفس الهدف إنطلاقا من تخوفات هذا الأخير كي لايلجأ إلى التقسيم كهدف أخير في ظل ما يعتقده بأنه مضطهد في المحيط العربي الإسلامي وما سيلحقه من هزيمة إذا سقطت الصيغة اللبنانية التي يدافع عنها بحكم أنها الأساس لبقاء إمتيازاته السياسية والإقتصادية.

ومهما تكن الأهداف السورية من لبنان سواء المعلن عنها أو غير ذلك فيما يتعلق بمنع التقسيم أو إحداث إصلاح سياسي تماشيا مع إستراتيجيتها على المدى البعيد، فإن الثابت هو رغبتها في التحكم بطريقة أو بأخرى في كل القوى المتصارعة بما فيها الشرعية اللبنانية، لأن ذلك يشكل الحاجز الوحيد الذي يمنحها إمكانية النجاح، فكلما بقت قوة خارج نفوذها كلما إبتعد تحقيقها عن إصابة هدفه وكلما كسبت طرفا لصالحها كلما إقترب طرحها للتطبيق، فهي وإن فشلت على طول مرحلة تواجدها في لبنان لإقرار الحل الذي تراه مناسبا فإنما السبب يعود إلى عدم تمكنها من كسب كل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطراف مرة واحدة ، هذا الفشل الذي لا تعتبره تراجعا عن هدفها الشامل والإستراتيجي بقدر ما يعود إلى التأثيرات الخارجية وكذا الإشكالات الداخلية ، ليس حول المطالب الأساسية لكل فريق فحسب بل تلك الإختلافات الهامشية بحيث أن دورها يكاد أن يجمد عندما يتعلق الأمر حول أولوية وقف إطلاق النار قبل إحداث الإصلاح السياسي أو العكس.

يؤدي بنا ذلك إلى القول بأن سوريا وعبر تحديها للقوى التقدمية المعقت بوجودها كثيرا من السلبيات، بحيث ما كان يعتقد أن تقوم به إسرائيل قامت به بالنيابة ، وبذلك تكون قد قدمت سواء عن قصد أو عن غير قصد خدمة كبيرة لعدوها وخففت عنه عبء القتال والتخطيط له ، فسوريا هي إستطاعت فعلا كسب الفريق المسيحي الذي أصبحت في النهاية حليفا وإذا هي دعمت الصف التقدمي والوطني منذ البداية لإحباط مخططات الإستسلام والإنتقال بلبنان إلى مرحلة أكثر إيجابية بما يتماشى وتحديات المرحلة.

بالرغم من المصالحة السورية مع الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية إلا أن سلوكها في بداية الحرب مع هذه القوى يبقى نقطة سوداء وسلبية تاريخية في الإستراتيجية السورية في لبنان لأنه طرح تساؤلات وإحتمالات قد يصعب تصديقها ، إلا إنها تبقى واردة وممكنة بالرغم من عدم وجود أدلة كافية لتأكيدها ، من ذلك أن هناك خطة مشتركة سوريا - إسرائيلية لإبادة المقاومة اللبنانية والفلسطينية برعاية أمريكية التي رحبت في البداية بالتدخل السوري في لبنان.(1)

المطلب الثاني: م.ت.ف هدف للتدخل السوري في لبنان.

بعد خروج مصر من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي على إثر إتفاقية سيناء الثانية ، أضحت الثورة الفلسطينية المنافس المركزي لسوريا في إستقطاب الجماهير والأنظمة العربية ليس بحكم عدالة قضيتها فحسب ولكن للإنتصارات التي حققتها وتحققها على الصعيدين العسكري والسياسي خاصة ، وهي المنافسة التي يشكل لبنان ميدانها المصغر ، إذ تمكنت من خلال تواجدها الطويل فيه نسبيا من كسب عدد كبير من القوى السياسية والتنظيمات

---

(1) حول موقف و.م.أ أنظر: المبحث الأول من الفصل الأخير لهذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الأوساط الشعبية الإسلامية منها بالخصوص والتي وقفت معها سواء ضد الإعتداءات الإسرائيلية أو التيار اللبناني المعارض لها ، في الوقت الذي إختلفت فيه سوريا بالتمسك كلاميا بالدفاع عن لبنان ، بينما في الواقع هي عاجزة ولظروف عديدة عن تحرير أراضيها المحتلة منذ مدة لم تعد قصيرة .

إن ذلك جعل سوريا وعبر إهتمامها بلبنان تدخل في حساباتها ضرورة التعامل مع الثورة الفلسطينية ، ليس بالشكل الذي يفترض أن تتبعه القوى اللبنانية المتصارعة والمحكومة في أغلب الأحيان بأوضاعها الداخلية وإنما لما لهذه الثورة من تأثير في موازين القوى اللبنانية ، فالثورة الفلسطينية ليست وليدة الحرب اللبنانية وبالتالي فدورها يختلف عن القوى اللبنانية لأنه يتعدى حدود لبنان ، فهي وإن كانت تسعى في هذا البلد إلى إقرار إتفاقية القاهرة المنظمة لوجودها فيه إنما تريد تأمين إستمرار نشاطها العسكري بالخصوص ضد إسرائيل في ظروف جد حرجة إتسمت بإغلاق الجبهات العربية الأخرى في وجهها .

ومن خلال الدور الحاسم الذي بدأت الثورة الفلسطينية تلعبه في الأحداث اللبنانية أدركت سوريا أن إستقلالية القرار الفلسطيني العسكري خاصة سيعود على دورها بكثير من السلبيات والصعوبات ، ومن هنا تولدت لديها رغبة التحكم فيها ورسم إتجاهها من خلال مراحل مختلفة إتسمت فيها العلاقة السورية - الفلسطينية على الساحة اللبنانية بالتفاهم أحيانا والتناقض أحيانا أخرى وهذا بحسب ظروف كل مرحلة .

لذلك عملت سوريا على التركيز بأن كسب م.ت.ف والحد من إرادتها المستقل لا يعود بالمنفعة عليها فحسب بل وكذلك على الثورة الفلسطينية ذاتها ، ففي ما يتعلق بمصلحتها فإن عملية التحكم في م.ت.ف تدخل ضمن إطار هدفها العام ، وهو التقليص قدر ما أمكن من الإرادات الفاعلة والمستقلة وجعلها تقف في صفها كي لا تؤثر سلبا على مساعيها ، بل بالعكس تصبح مكملة لها بما يضمن حل الأزمة اللبنانية كما تريد .

أما من قبيل مصلحة الثورة الفلسطينية فإن سوريا تريد من م.ت.ف إحترام الحساسيات اللبنانية كي لا تؤثر في موازين القوى ومنعها من الدخول كطرف في الحرب الأهلية ، فذلك يورطها في الأحداث اللبنانية الداخلية ويلهيها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أداء دورها الثقافي التحدي لإسرائيل كعدو رئيسي وكذا للحلول الإستسلامية التي تسعى و.م.أ لتطبيقها بما يتماشى وإستراتيجيتها في الشرق الأوسط.

مر التنسيق السوري مع م.ت.ف في لبنان بعدة مراحل، حيث حاولت في البداية تليين مواقفها وتحجيم دورها تمهيدا للتحكم فيها، وهو مما يعطي لسوريا وزنا أكبر، إلا أن ذلك لا يتماشى والإصرار الفلسطيني على التمسك بالقرار المستقل، (1) فانتقل بذلك التعامل السوري لـ م.ت.ف إلى مرحلة التحدي المباشر، وهو الأمر الذي إستمر حتى بداية حدوث تطورات داخلية وخارجية ساهمت بقدر كبير في تليين موقف الطرفين، فبدأت مرحلة جديدة يمكن إعتبارها بمرحلة التعاون الحتمي في ظل تحديات جديدة فرضتها ظروف لبنان الداخلية والتدخلات الأجنبية وبالخصوص إسرائيل.

فيما يتعلق بالمرحلة الأولى والمتميزة بسعي سوريا للتحكم في القرار الفلسطيني، فإن ذلك يعود إلى ما قبل الحرب اللبنانية، حيث تحددت منطلقات ذلك في النظرة السورية وهو ما يستخلص من كلمة الرئيس السوري في الدورة العادية للقمة العربية في الرباط في 27-4-1974، فمن منطلق تاريخي فإن سوريا لا تجد مبررا لإقامة كيان فلسطيني ولا لبناني ولا سوري بل وحتى كيانات عربية أخرى، ومن منطلق قومي فإن هدف الوحدة العربية يقتضي توحيد الجهود والدخول في تجارب وحدوية ثنائية إلى غاية الوصول لتحقيق الوحدة الشاملة، ومن منطلق أمني ترى بأنه من اللازم توحيد الطاقات ضد الخطر الإسرائيلي وفي مقدمة ذلك توحيد عملها مع الثورة الفلسطينية بحيث تصبح م.ت.ف ممثلة للشعب الفلسطيني بينما القرار العملي والسري يقتضي منها التلاحم الكلي مع الإستراتيجية السورية. (2)

لقد سعت سوريا إلى تطبيق ذلك عندما إلتقت مع م.ت.ف على الأرضية اللبنانية وتمكنت بالفعل من كسب تأييد بعض الفصائل الثورية الفلسطينية كمنظمة الصاعقة التي أصبحت تعبر بحق عن الطموحات السورية، (3) بينما بقيت كبرى الفصائل متمسكة بإستقلالية قرارها والذي ظلت سوريا تنظر إليه كتحدي

---

(1) أنظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.
(2) صابر فلحوط، مرجع سابق، ص 240-263.
(3) أنظر: زهير محسن، مرجع سابق، ص 179.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأكثر المجهود وبقدر الطاقات، فالتصدي لعدو واحد يقتضي أولا الإنطلاق من لبنان بقرار واحد وبإرادة واحدة مع سورية بالتحديد.

ذلك ما عبر عنه بوضوح رئيس منظمة الصاعقة زهير محسن بقوله ((ما دمنا نواجه نفس الخطر والتحديات فإن على المقاومة وسورية ... أن تحرصا على مواجهة المشكلة اللبنانية بموقف واحد متضامن بحيث أنه لايجوز للمقاومة أن تصر على تفجير الأوضاع إذا كان في تقدير سورية أن من المصلحة عدم تفجير القتال...))[1].

من هذا التوجه عملت سوريا على توجيه المقاومة الفلسطينية بتعديلها أمام الهجمة التي تتعرض لها وذلك لتبقيها على الأقل في موقف دفاعي مما يحفظ لها سمعتها الخارجية وشعبيتها الداخلية في لبنان ويزيد من رصيدها السياسي من خلال إشتراكها في الجهود المبذولة لوقف القتال وتطبيق الإتفاقيات المعقودة مع الحكومة اللبنانية.

من الواضح أن ذلك يذهب أبعد من المصلحة الفلسطينية، فسوريا في هذه المرحلة بحاجة ماسة إلى كسب الفريق المسيحي المتذمر من الوجود الفلسطيني، بمعنى أن أي تصعيد عسكري من قبل المقاومة كان سيدفع بالضرورة الفريق المسيحي بعد العجز أو تخلي سوريا عنه إلى البحث عن قوى خارجية لمساعدته أمام ماكان يسميه بالخطر الفلسطيني واليسار اللبناني، فكان الحل لهذا المأزق هو إبعاد المقاومة قدر ما أمكن من ساحة الصراع وإبقائها طرفا حياديا بين القوى اللبنانية.

بالإضافة إلى ذلك فإن سوريا تريد من تهميش م.ت.ف عن الأحداث إلى السيطرة على الأوضاع والإمساك بمختلف القوى مهما كانت طبيعتها، وعليه لم يعجبها التعاون الفلسطيني مع الحركة الوطنية اللبنانية، فهذه الأخيرة وفي ظل الدعم الفلسطيني لها ستصبح مواقفها متصلبة خصوصا بعد إعلان برنامجها الإصلاحي، وهذا في مجمله يؤدي في النهاية إلى صعوبة مهمة سوريا ويزيد من التخوفات المسيحية بما يؤدي إلى تأزم الأوضاع أكثر.

لقد إستطاعت سوريا الإحتفاظ بعلاقات حسنة مع م.ت.ف وذلك من خلال

---

(1) نقلا عن: نفس المرجع، ص 98.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إشتراكها في مختلف الإتصالات السياسية مع القوى اللبنانية الفاعلة ومع الحكومة في نفس الوقت، وبالرغم من التحديات التي لازمت م.ت.ف إلا أنها أبدت إستعدادها الإيجابي مع الدور السوري وهو ما تمثل في الإتفاق الشامل للأزمة في جانفي 1976، وهذا بتشكيل لجنة عسكرية عليا تقوم فيها م.ت.ف بنفس الدور الممنوح لسوريا ولبنان في تحديد موعد وقف القتال ومراحل تنفيذه، ليأتي بعده مباشرة ما عرف بالوثيقة الدستورية والتي بدورها إعترفت بأن للفلسطينيين حقوقا في لبنان، وهذا بتطبيق إتفاقية القاهرة لسنة 1969.

وتزامنا مع المساعي المشتركة وصلت علاقة م.ت.ف بالحركة الوطنية اللبنانية إلى درجة عالية من التنسيق والتعاون، وهو الوضع الذي رأت فيه سوريا تهديدا مباشرا لدورها في لبنان، لأن م.ت.ف أصبحت بذلك عمليا طرفا من الأطراف اللبنانية المتصارعة، وهي بذلك إنما تتدخل في الشؤون الداخلية للبنان، فمساعدتها للقوى التقدمية إنما يؤكد ذلك بل إنها تسعى هي الأخرى إلى إحداث تغيير سياسي في لبنان وطلب إستقالة الرئيس اللبناني، أي أنها إنحرفت عن إستراتيجيتها وفي هذا الصدد يقول الرئيس السوري حافظ الأسد: ((أن المقاومة يفترض أن تكون حركة في مستوى التصادم مع الصهيونية التي هي حركة رجعية على مستوى العالم، لا أن تختار المقاومة أن تنزل من هذا المستوى لأن تحصر نفسها إلى مجرد حركة للتصادم مع حزب الكتائب الذي هو بغض النظر عن الصفة التي تعطى له هو حركة محلية)).[1]

على صعيد آخر فإن سوريا ترى بأن مجابهة م.ت.ف بتحالفها مع القوى التقدمية اللبنانية للمليشيات المسيحية هو الذي سبب وأعطى الفرصة لأطراف أجنبية للتدخل في لبنان حتى وإن كان هذا التدخل ذو صبغة سياسية بحكم أن العون العسكري السري يبقى واردا، ومن ذلك المبادرة الفرنسية والدور الذي قام به الفاتيكان و و.م.أ في السنة الأولى من الحرب.[2]

بناء على ذلك خلصت سوريا إلى أن م.ت.ف تقف ضدها لأنها السبب في تصلب

---

(1) نقلا عن: زهير محسن، مرجع سابق، ص 122.
(2) مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد، مرجع سابق، ص264.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواقف القوى التقدمية ، وهي بذلك أعطت الفرصة لتأزم الأوضاع الأمنية أكثر بعد حدوث ما عرف بالإنقلاب العسكري في 11-3-1976 بقيادة الضابط عزيز الأحدب قائد منطقة بيروت، حيث نصب نفسه حاكماً عسكرياً مؤقتاً للبلاد طالبا رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بالإستقالة على أن ينتخب رئيس جديد خلال سبعة أيام (1)، والأكثر من ذلك أن م.ت.ف أصبحت الفاصل في الصراع اللبناني حيث أعلنت القوى التقدمية بأن موقفها من الرئيس الجديد يتحدد من خلال إلتزامه بحماية م.ت.ف في لبنان والحفاظ على الديموقراطية وحل المسائل الخاصة بالأمن بالتعاون مع الفلسطينيين وضرورة إنسحاب القوات السورية من لبنان بإعتبارها قوات معتدية وغازية (2).

بعد موقف الحركة الوطنية اللبنانية متماشيا مع التطلعات الفلسطينية ولذلك شكل في رأينا البداية الحقيقية لعلاقة الصراع المسلح بين سوريا و م.ت.ف على الساحة اللبنانية ، والأكثر من ذلك أن الثورة الفلسطينية سعت لنقل هذا الصراع إلى التراب السوري وضربها من الداخل مع تركيزها على كسب الساحة العربية وهو ما تجلى في الإجتماع الطارئ لمجلس جامعة الدول العربية في 8-9-1976، أين طالب ياسر عرفات بإصدار قرار لسحب القوات السورية من لبنان وتعويضها بقوات عربية مشتركة للإشراف على وقف إطلاق النار، بمعنى التخلي عن المبادرة السورية الإنفرادية والدعوة للحل العربي.

بالإضافة إلى أن الرد السوري على ذلك تجلى في وقوفها إلى جانب القوى المسيحية فقد إستطاعت أن تحدث إنقساما في فصائل الثورة الفلسطينية ، فبعدما ضمنت قوات الصاعقة إستطاعت أن تكسب قسما من الجبهة الشعبية (القيادة العامة) التي يرأسها أحمد جبريل ، وفي هذا المعنى كشفت جهودها مع الأردن لعزل م.ت.ف، وتباحثا لتكوين جيش فلسطين تحت قيادة مصباح البديري يكون مستقلا عن م.ت.ف ويتألف من القوات الفلسطينية الموجودة في الأردن وسوريا (3)، وفي وقت لاحق – 10-9-1976 – دعمت القوات السورية بتعزيزات من الجيش الأردني قوامها 1000 جندي و 100 دبابة

---

(1) "شهريات مارس"، (السياسة الدولية)، العدد 45، جويليا 1976، ص 193.
(2) أنظر: د.فيد غليمور، مرجع سابق، ص 115-117.
(3) "شهريات جويليا"، (السياسة الدولية)، العدد 46، أكتوبر 1976، ص 194.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابطت في القطاعات الشرقية والجنوبية من لبنان.(1)

برأينا أن الشكل الأكثر خطورة الذي جابهت به سوريا م.ت.ف تمثل في دعمها للمليشيات الكتائبية في حصارها للمخيمات الفلسطينية وهو ما يلتقي والتطلعات الإسرائيلية، فمن ذلك ما عاناه مخيم تل الزعتر الذي سقط في 12 أوت بعد صمود قرابة شهرين، مما حمل سكانه للإبراق إلى وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة يشرحون معاناتهم من الدور السوري اللاإنساني ((... تعرض مخيمنا خلالها لأبشع الهجمات الفاشية الإنعزالية التي يشجعها ويدعمها بكسافة الأشكال نظام الحكم "الأخوي" في سوريا... إن الأسلحة السورية تقاتل وبالأسف ضد مخيمنا في الوقت الذي يقول فيه حكام دمشق أنهم موجودون في لبنان للدفاع عن مخيمنا، كذبة قاتلة قتلتنا نحن وتدمينا أكثر من أي أحد غيرنا)).(2)

وفي ظل وقوف سوريا ضد م.ت.ف إستطاعت هذه الأخيرة أن تكسب عطف الرأي العام اللبناني الممثل خاصة في الفئات الإسلامية والتقدمية وهو ما تزامن والضغط العربي على سوريا التي وجدت بأنها معزولة، الشيء الذي جعلها تبحث عن الوسيلة للخروج من هذا الوضع فامتثلت للمبادرة السعودية في عقد قمة عربية مصغرة لتصفية الأجواء وإنهاء حالة الحرب الذي إستفادت منه إسرائيل بدرجة كبيرة، فتم على إثر ذلك إنعقاد القمة السداسية في الرياض بين 16 و 18-10-1976، شاركت فيها كل من مصر ولبنان وسوريا والكويت والسعودية و م.ت.ف تلتها مباشرة قمة القاهرة في 25 أكتوبر التي جسدت في قراراتها المصالحة السورية ـ الفلسطينية.(3)

من بين النتائج التي يمكن إستخلاصها من هذه الفترة هو أن سوريا ومن خلال قبولها بقرارات مؤتمري الرياض والقاهرة إنما إعترفت بخطئها تجاه م.ت.ف في لبنان وهذا بالنظر إلى مضمون مانصت عليه البيانات الختامية للقمتين، بحيث إعترفت مجددا بإستقلالية القرار الفلسطيني وبضرورة السعي

---

(1) "شهريات سبتمبر"، (السياسة الدولية)، العدد 47، جانفي 1977، ص 171.
(2) نقلا عن: أحمد الزعتر، "تل الزعتر - الرمز والأسطورة"، اللجنة السياسية والإعلامية المركزية، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص 88-89.
(3) أنظر: مقررات قمتي الرياض والقاهرة في: العالم العربي، جامعة الدول العربية، "مؤتمر الملوك والرؤساء"، (السياسة الدولية)، العدد 47، جانفي 1977، ص 199-202.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتطبيق إتفاقية القاهرة لسنة 1969 والعمل على تقديم العون العاجل للثورة الفلسطينية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وتمكينها من تحقيق أهدافها القومية باعتبارها ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني.

وإذا كانت سوريا قد غيرت سياستها تجاه م.ت.ف بتأثير من المساعي العربية بفعل الوضعية اللبنانية ، فإنها فعلت ذلك نتيجة يأسها كلية من التحكم في الفريق المسيحي وكسبه نهائيا لصالحها ، بل مافتئ هذا الفريق يعلن عبر تنظيماته العديدة عن عدائه لها وللعروبة خاصة بعد ما ضمن المساندة الإسرائيلية بصورة مكشوفة .

النتيجة النهائية لهذه الفترة أن سوريا إذا كانت قد تمكنت من خلال إعتمادها على مختلف الوسائل من إضعاف م.ت.ف فإنها لم تستطيع التحكم في قرارها المستقل بل سرعان ما إتضح لها أنها بذلك تقدم خدمة مجانية للعدو الذي يحتل أراضيها منذ سنوات ومازال يتطلع في إطار سياسته التوسعية إلى تحقيق نفس الهدف في لبنان مثل ما برهنت عليه الفترات اللاحقة مباشرة .

بإعتقادنا أن التحول السوري تجاه م.ت.ف لم يكن نتيجة العوامل المذكورة فحسب بل إن الهدف يذهب أبعد من ذلك ، فأمام البعد الثوري ل م.ت.ف وما لها من رصيد سياسي يفوق قوتها العسكرية فإن بناء جبهة موحدة معها والإعلان عن حمايتها يربط إسم سوريا بها ، إذ تستطيع هذه الأخيرة من خلال ذلك أن تعبر للعالم أن أمن الثورة الفلسطينية مرتبط بأمنها وإستمرارها ، فعن طريق هذا الربط يمكن لسوريا أن تكسب تأييدا دوليا جديدا وتعبر عن عدالة قضيتها وشرعية صمودها تجاه العدو الواحد إسرائيل ، لأنه يبقى في تقديرنا أن نسبة كبيرة من الرأي العام العالمي خارج الإطار العربي يسمع بالمشكلة الفلسطينية بقيادة م.ت.ف بينما لا يعرف بالتحديد موقع سوريا من الصراع الدائر بالرغم أنها دولة مستقلة وذات سيادة منذ مدة طويلة .

إذا كان التحول السوري تجاه م.ت.ف قد تحكمت فيه العوامل المذكورة فإن إستمرارها على ذلك أملته عوامل جديدة وخاصة زيارة السادات إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القدس في نوفمبر 1977 [1]، حيث إقتضى الموقف منها التنسيق مع الرافضين لهذا النهج وأولهم م.ت.ف وهذا مانلمسه في البيان النهائي لمؤتمر الصمود والتصدي المنعقد في ليبيا بين 2 و 5-12-1977 ((تأكيدا على أهمية العلاقات النضالية والقومية السورية والفلسطينية، فقد أعلنت كل من الجمهورية العربية السورية ومنظمة التحرير الفلسطينية تشكيل جبهة موحدة بينهما لمواجهة العدو الصهيوني والمؤامرة الإمبريالية بكل أطرافها وإسقاط كل محاولة للإستسلام...)) [2].

ونظرا إلى أن هذا التحول في العلاقات السورية - الفلسطينية لم يكن يجري بمعزل عن المنطقة، فقد أدى إلى ردود أفعال معاكسة داخل لبنان وخارجه، وفي مقدمتها إسرائيل، التي من خلال تنسيقها مع القوى المسيحية إنما تريد إختبار وبكل الوسائل المدى الذي يمكن أن تذهب إليه سوريا من خلال الواقع الجديد، وعليه فبعد أن زاد النشاط الفلسطيني إنطلاقا من الجنوب اللبناني [3] إزدادت معها الإهتمامات الإسرائيلية في غزو لبنان بإعتبار أن ماكانت تسميه بالردع الوقائي لم يعد مناسبا لحماية أمنها وأمن حلفائها المسيحيين.

بالرغم من المصالحة الفلسطينية ـ السورية إلا أن هذه الأخيرة لم تستخدم وسيلتها العسكرية لحماية م.ت.ف ومواقعها في لبنان سواء ضد الملشيات المسيحية أو ضد إسرائيل، وإن كان في واقع الأمر إستفادت الثورة الفلسطينية من الوجود السوري المكثف مما يؤكد بأن م.ت.ف ليست وحدها، حيث إمكانية تدخل سوريا بجانبها تظل واردة ماوردت الإعتداءات عليها، ومن ناحية أخرى فإن إدخال سوريا لصواريخ سام إلى لبنان سنة 1981 شكل غطاء ردعيا لها مكنها من التحرك بمعنويات جد مرتفعة.

من خلال درجة الدعم السوري ل م.ت.ف بعد تقاربهما نستخلص برأينا أن سوريا لم تقم بذلك بقناعة منها، بل لتخطط الواقع المفروض عليها

---

(1) أنظر تفاصيل هذه الزيارة وردالفعل تجاهها في: "ملف كامل عن زيارة السادات للكيان الصهيوني- الواقع وردود الأفعال"، (فلسطين الثورة)، عدد خاص 1978، ص 209-242.

(2) راجع النص الختامي لمؤتمر طرابلس في: نفس المرجع، ص 205-206.

(3) أنظر على سبيل المثال: "عمليات ثوارنا خلال عام1977"، نفس المرجع، ص 58-65.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكونها كانت في حاجة ماسة إلى التضامن العربي، ولذلك فبمجرد خروج القوات الفلسطينية من لبنان سنة 1982 وما يعنيه ذلك من فقدانها لحليف هي في أمس الحاجة إليه، بالرغم من ذلك فقد ساهمت في إنجاح بل ظهور حركة التمرد ضد ياسر عرفات الذي أخرجته من دمشق (1)، ولم تعد تعترف بقرار م.ت.ف إذا كان مصنوعا خارج دمشق (2).

إذا بعد خروج م.ت.ف من لبنان أصبح واضحا أن سوريا ستحرص على عدم عودة فلسطينية إلى هذا البلد وأصبحت بذلك م.ت.ف توصف حتى من قبل حلفائها اللبنانيين بالأمس بأنها منظمة ليست سورية ولا تقدمية كما هو إعتقاد وليد جنبلاط (3)، والبديل بالنسبة لسوريا مع ذلك هو تشكيل تنظيم جديد يلغي زعامة ياسر عرفات من بين أسس نجاحه وإستمراره السير في النهج السوري.

المطلب الثالث: سوريا في مواجهة إسرائيل في لبنان.

لقد كان للصراع العربي – الإسرائيلي الطويل أثره الواضح في إسراع سوريا بالتدخل في لبنان إلى درجة نعتقد معها أن تدخلها إستهدف إسرائيل بالدرجة الأولى لأنها محكومة بالصراع معها ليس فحسب لأن جزءا من أراضيها محتل ولكن لما للتحدي الإسرائيلي من أطماع توسعية لا يمكن للبنان أن يسلم منها وهو في أقصى مراحل الضعف والإنقسام، ومن هنا تعاملت وفي سبيل منع ذلك مع الأطراف اللبنانية والخارجية المعنية بهذه الحرب سواء كانت معارضة أو مؤيدة لها وحسب الفترات المختلفة.

إن ذلك يعني أن سوريا بدأت في عملها ضد إسرائيل إبتداء من الساحة اللبنانية نفسها، على أن ميزة هذا العمل لم يكن في البداية مباشرا نظرا لأن إسرائيل لم تتدخل بشكل مباشر مساندة الإنعزالية، ومن هنا إقتصر الدور السوري على الوقوف ضد كل ما من شأنه أن يعطي لإسرائيل الفرصة للتدخل في لبنان، فمن بين الفرص المنتظرة تحول التلاحم السوري مع

---

(1) حول ذلك قال ياسر عرفات: ((لقد أخرجني شارون من بيروت، لكن ماذا أقول عندما أسأل عن إخراجي من دمشق؟)). نقلا عن: راكان المجالي، "الحقائق المذهلة عن أزمة فتح"، (الوطن العربي)، العدد 334، جويليا 1983، ص 31-33.

(2) أنظر: أبو جهاد، "نرفض أن نكون نسخة عن القرار السوري"، إستجواب مع صفوان مجدي، (الوطن العربي)، نفس العدد، ص 34-36.

(3) أنظر: وليد جنبلاط، "لبنان والعرب والعالم: نحو تقويم جديد للوضع"، (الوطن العربي)، العدد 321، أفريل 1983، ص 24-25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

م.ت.ف و الحركة الوطنية اللبنانية ، لأن ذلك يخلق لإسرائيل مبررين للتدخل الأول يكمن في أن هذا التحالف سيهددها مباشرة ، بل قد يؤدي بالقوى التقدمية و الوطنية بالسيطرة على الحكم مما يعني خلق نظام سياسي يعاديها من الشمال كما هو ما عرف به لبنان سابقا ، و المبرر الثاني أن ذلك سيزيد من المعارضة المسيحية بحكم تجزئتها أمام هذا التحالف مما يدفعها إلى طلب المساعدة الأجنبية في وقت كانت فيه إسرائيل المرشحة أكثر لتقديم ذلك بعد تراجع الدور الفرنسي التقليدي في لبنان نظرا لمعارضة الإشتراكيين وضغط الرأي العام الفرنسي الذي أصبح لا يحبذ هذه التدخلات. (1)

بالرغم من السلبيات التي لحقت سوريا من جراء وقوفها ضد م.ت.ف و الحركة الوطنية و التقدمية لصالح المليشيات المسيحية إلا أنها بهذا الأسلوب تمكنت بشكل واضح من تأجيل تدخل إسرائيل في الحرب اللبنانية ، حيث تزامن عملها مع كسب الشرعية اللبنانية في غالب الأحيان وكذا الدول العربية المتعاطفة مع المسيحيين اللبنانيين من منطلق أنها تقوم بحمايتها هؤلاء ، وبالتالي ليس هناك من مبرر لأطراف أجنبية أخرى للتدخل لصالحهم ، على أن هذا الإعتقاد لا ينطبق على إسرائيل لأن هذه الأخيرة لو كانت إهتماماتها بلبنان تحكمها فقط إعتبارات إنسانية لحماية الأقلية المسيحية ضد الأكثرية الإسلامية و اليسارية كما تعتقد ، لوجدناها مرتاحة للدور السوري ، إلا أن ما حصل في واقع الأمر ليس كذلك بالضبط.

من بين ما إعتمدت عليه إسرائيل هو التشكيك في مصداقية الدور السوري و الدخول في مرحلة كسب القوى المسيحية ، وبالرغم من الوقوف العلني عسكريا وسياسيا لسوريا ضد م.ت.ف و الحركة الوطنية و التقدمية سنة 1976 إلا أن إسرائيل إستمرت في مساعيها ، ومع إنعقاد قمتي الرياض و القاهرة في أكتوبر 1976 يمكن القول بأن سوريا دخلت مرحلة أخرى ضد إسرائيل ، ومن مميزات هذه المرحلة أنها عززت من تواجدها العسكري في لبنان ضمن إطار قوات الردع العربية التي تساهم فيها بنسبة أكبر و أعطت الحرية أكثر للثورة الفلسطينية للإنطلاق من الجنوب اللبناني ضد إسرائيل وكذا تضييق الخناق على القواعد المسيحية التي لها إرتباطات بإسرائيل وبالخصوص تلك

---

(1) حول الموقف الفرنسي: أنظر: SELIM(Turquie),op.cit,P.9 et 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتمركزة في الشريط الحدودي، زيادة على تقوية علاقاتها بالسلطة اللبنانية بعد أن تمكنت من إيصال إلياس سركيس للرئاسة، على أن ذلك كله جلب الغزو الإسرائيلي للجنوب في مارس 1978.

بعد الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وجدت سوريا بأنها أمام موقف صعب وحرج، حيث كان أمامها برأينا إتباع أحد الخيارين: إما الخروج من لبنان لتحاشي الصدام مع إسرائيل وهو الإنسحاب الذي يعني ضياعا لما وفرتها والمجهود الذي قامت به كما يؤدي ذلك إلى نقل المعركة مستقبلا إلى داخل ترابها، وإما بقاءها والإعتراف صراحة بأن نفوذها السياسي بشكل الشطر الشامل بينهما، مما يعني قبولها بتقسيم مناطق النفوذ مع إسرائيل في لبنان مع ضرورة الإستعداد للتصادم مع العدو بحيث يجب عليها والحال هذا التخفيف من قدرتها العسكرية وكذا تمتين علاقاتها بالقوى اللبنانية والفلسطينية بل وحتى خارج الساحة اللبنانية.

ومع التسليم بأن سوريا لا تريد حربا مع إسرائيل في هذه الفترة بالذات وعلى الساحة اللبنانية، فقد تولدت حاجتها المتزايدة إنطلاقا من الساحة اللبنانية إلى من يقاتل ويتصدى لإسرائيل نيابة عنها، ومن هنا كان سعيها لكسب م.ت.ف والحركة الوطنية والتقدمية بل والشرعية اللبنانية بما يتيح لها تجميع أكبر قدر ممكن من أوراق الضغط لإستعمالها ضد عدوها للمحافظة على مصداقية وجودها في لبنان، فكما أن بإستطاعتها أن تجعل هؤلاء يصعدون الوضع بما يتماشى ومصلحتها عندما يكون الموقف الإسرائيلي متصلبا فكذلك بإمكانها أن تجعلهم يخففون من درجة المواجهة إذا كانت إسرائيل لينة في مواقفها وتعترف بمشروعية التواجد السوري في لبنان.

إذا كانت الإستراتيجية السورية السابقة الذكر صحيحة من الناحية النظرية فإن واقع علاقاتها بمن تعتبرهم كأدوات ضغط في يدها ضد إسرائيل كثيرا ما سببوا لها متاعب، بحيث أن إسرائيل وبالإعتداء على السيادة اللبنانية وضرب مواقع م.ت.ف والحركة الوطنية في ضوء الحضور السوري إنما يهدف ومع التكرار ومرور الوقت إلى التشكيك في مصداقية هذا الحضور، فالإعتداءات الإسرائيلية وعلاقاتها بقوى لبنانية داخلية ستثير تساؤلات لدى حلفاء سوريا بحكم أنها لم تحميهم من الخطر الإسرائيلي ولم

تحمي لبنان البلد العربي المجاور لها والذي تعهدت بحمايته من الأخطار الخارجية فكيف يمكن لها أن تحميه من الأخطار الداخلية كالتقسيم مثلا ؟

أمام التحدي الإسرائيلي الواقع عملت سوريا بالظهور بمظهر قوي في عملياتها وقلب الواقع المطروح فأقدمت على إدخال صواريخ سام المتقدمة الصنع إلى منطقة البقاع اللبناني متجاهلة بذلك كل التحذيرات الإسرائيلية ، لتدخل في مرحلة مواجهة مع إسرائيل لم يسبق لها مثيل على طول فترة الحرب الأهلية اللبنانية ، فكانت صواريخها تنذر باندلاع حرب جديدة في المنطقة[1] ، فهي تهدف ردع إسرائيل لتكف عن التدخل في لبنان فإن النتيجة كانت بخلاف ذلك حيث إتضح بأن إسرائيل في محاولتها تصعيد الوضع العسكري وتفجير الأحداث اللبنانية أكثر ، وهو ما عجل بتنفيذ غزوها للبنان في صيف 1982 متحدية بذلك الوجود السوري المكثف في هذا البلد بل وأصبحت تؤثر فيه أكثر من أي طرف خارجي أو داخلي.

ما نستنتجه من ذلك هو أن سوريا بإعتمادها على الساحة اللبنانية إستطاعت أن تؤجل التدخل الإسرائيلي في البداية إلا أنها لم تستطع منعه فيما بعد بل إن هذه الساحة ومن خلال علاقة المليشيات الكتائبية بإسرائيل أصبحت مقولة كبيرة لهذه الأخيرة لتنفيذ عدوانها ، ومن هنا يبرز الخلل الحاصل في الإستراتيجية السورية في لبنان ؛ فكما قد يكون ذلك راجعا إلى طبيعة إسرائيل العدوانية والتوسعية فكذلك يرجع إلى السياسة السورية ، حيث ولفترات متقطعة تصارعت مثلما تعاونت مع كل الأطراف اللبنانية إلى درجة أن الجميع أصبح لا يثق فيها ، فكيف يمكن لها أن تعتمد عليهم في صد العدوان الإسرائيلي والثقة منعدمة من خلال تخليها عنهم؟ ونقصد بالخصوص الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في وقت الحصار المضروب عليهما.

هذا فيما يتعلق بالتحدي السوري إنطلاقا من الأرضية اللبنانية ، أما إنطلاقا من الساحة الخارجية فيأتي من إدراكها بأنها لا تستطيع بمفردها وبإمكانياتها الخاصة مواجهة إسرائيل ، إضافة إلى أن لبنان بوضعه الضعيف

---

(1) أنظر: حسين آغا وآخرون، مرجع سابق، ص 152.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعبر عن قلق لمقيام بهذه المهمة ، فالسلطة اللبنانية لا تملك القوة الكافية التي تدافع بها عن سيادتها ، والقوى المتنازعة منهمكة في الإنشغالات الداخلية ، وهي في مجملها عوامل ليست في مستوى التصدي لعدو يمتلك وسائل متقدمة وتجربة في الحروب بالإضافة إلى ما يتلقاه من عون وتأييد من قبل و.م.أ ماديا ومعنويا .

على هذا الأساس فرض على سوريا التعامل مع الساحة الدولية من خلال محورين يبدوان متناقضين ، يكمن الأول في السعي لكسب تأييد ومساندة حلفائها أو من يفترض أن يكونوا كذلك سواء تعلق الأمر بالدول العربية أو بالإتحاد السوفييتي لمدها بالعون المادي والتأييد السياسي اللازمين لتقوي من إمكانياتها وتحسن من موقعها بل وإمكانية الدخول إلى جانبها إذا وقعت مواجهة بينها وبين عدوها على غرار التجارب السابقة ، ويكمن الثاني في و.م.أ والدول الغربية عموما لما لها من قدرة التأثير والضغط على إسرائيل لمنعها من التدخل في لبنان من منطلق أن ذلك سيؤدي لا محالة إلى حرب شاملة في المنطقة قد تهدد الأمن والسلم الدوليين وما يقتضيه ذلك من إلحاق الأذى بمصالح هذه البلدان في المنطقة العربية عموما وفي لبنان خاصة .

فيما يتعلق بالتنسيق السوري مع حلفائها دوليا فإن طبيعة الأزمة اللبنانية والتهديدات الإسرائيلية فرضت عليها – عكس المراحل الأولى لتدخلها – القبول بالمبادرات الخارجية ، من ذلك الآتية من الساحة العربية ، وعلى ذلك فإن تشكيل قوات الردع العربية في لبنان إنما أرادت منه سوريا تحسين مركزها أمام إسرائيل ، هذه الأخيرة التي وإن إعتدت على لبنان فمعناه إعتداء على العالم العربي كله وليس على سوريا فحسب كما كان مطروحا في السابق على إثر تواجدها الإنفرادي في هذا البلد .

غير أن ذلك لم يحقق الطموح السوري المطلوب ، ففي ظل تواجد قوات الردع العربية في لبنان إستمرت إسرائيل في إعتداءاتها على هذا البلد مما يعني أن القوات العربية لم تكن في مستوى التصدي لهذه الإعتداءات بل هي في حدود مراقبة الأوضاع اللبنانية ، ولذلك عملت سوريا على الرفع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من درجة العمل العربي بما يحسن من موقعها الإستراتيجي تجاه إسرائيل وهو ما ترجم في جبهة الصمود والتصدي التي جاءت كرد مباشر للمبادرة الإنفرادية لمصر، هذه الجبهة تشكلت من البلدان العربية الأكثر تشبثا بالخيار العسكري ضد العدو .

لم تكد سوريا تصدق هذا الوضع الجديد حتى ظهرت متغيرات جديدة في الساحة العربية ومنها الحرب العراقية - الإيرانية ونجاح سياسة ريغان ؛ وإستعداد إسرائيل للذهاب إلى أبعد فيما يتعلق بأهدافها في لبنان ؛ وهو الوضع الذي وجدت فيه بأنها وحيدة ، ليتضح بأن الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف 1982 من نتائج الوضع العربي السلبي، كما إنتظرت من ناحية أخرى أن تكون ردة فعل عربية قوية ضد ذلك تعود عليها بالفائدة بالدرجة الأولى، إلا أن كل هذا لم يتم بل وبالنظر إلى مقررات قمة فاس في نهاية 1982 (1) يلاحظ رجحان الحل السلمي، بمعنى السقوط النهائي للأمل السوري المعلق على البلدان العربية ، أي تكرس بذلك مبررها في عدم الدخول مع إسرائيل في حرب على أرض لبنان نظرا لضعف إمكانياتها الفردية مما يزيد في رغبتها للحصول على مزيد من الدعم في إطار سعيها على الأقل لتحسين مكانتها الدفاعية .

من هذا المنطلق شكلت المعارضة السوفياتية للإعتداءات الإسرائيلية على لبنان تأييدا ضمنيا للدور السوري في لبنان، كما إستغلت سوريا فرصة إنعقاد جبهة الصمود والتصدي في 20 سبتمبر1978 لتتكفل بالإتصال بالإتحاد السوفييتي لتأمين وتقديم الدعم السياسي والعسكري لمقررات هذه القمة ، وهو الدعم الذي عاد بالإيجاب على موقفها في لبنان ضد إسرائيل .

ولقد سارت سوريا في علاقاتها مع الإتحاد السوفييتي وإستطاعت أن تعقد معه إتفاقية التعاون والصداقة في سنة 1980 ، وعززتها من خلال الزيارة التي قام بها وزير دفاعها إلى موسكو في سبتمبر1981 للحصول على مزيد من الإلتزام السوفييتي بدول الصمود والتصدي وتأمين المساعدة لها .

---

(1) أنظر : النص الختامي للقمة العربية في فاس في: منير الحمور و طارق الموسى، مرجع سابق، ص 211-212 .

لقد كانت سوريا في كل ذلك محكومة بإعتبارات عربية ودولية إذ كان عليها أن لاتتورط مع الإتحاد السوفييتي إلى درجة يدخل معها في الأزمة اللبنانية بشكل مباشر وذلك لكي يكون هذا مقبولا لدى البلدان العربية ذات العلاقة الودية مع و.م.أ، أي تلك التي ترى بأن مفتاح الحل في يد هذه الأخيرة بينما تضمر العداء للإتحاد السوفييتي، وفي مقدمة هذه الدول المملكة السعودية ذات الحضور الدائم تقريبا في لبنان ودور بارز في الصراع العربي-الإسرائيلي لما لها من إمكانيات مادية والتي تنظر إليها سوريا بمنظار المحتاج الدائم .

على أساس إعتماد سوريا على مختلف البدائل التي تمكنها من تحقيق التوازن مع إسرائيل فإنها وبالرغم من تأييد و.م.أ لإسرائيل إلا أنها لم تغلق باب الإتصال معها نهائيا وذلك يعود حسب ماترى إلى أنها تريد التأثير على الإتحاد السوفييتي ليكون دوره أكثر فاعلية لصالحها، بحيث لايجب أن يقف عند حد التأييد السياسي أو التنديد بالإعتداءات الإسرائيلية على لبنان ومواقعها فيه، ففي ظل التقارب السوري - الأمريكي حتى وإن كان على صعيد التشاور لحل القضايا الآنية تزداد التخوفات السوفييتية من إمكانية عزله عن المنطقة أكثر بعد أن أخذ العبرة من مصر التي كانت أكبر بلد عربي في مواجهة سياسة و.م.أ وحلفائها إلا أنها حولت إتجاهها وأصبحت له عدوا بعد أن كان صديقا .

إن ذلك يتطلب من الإتحاد السوفييتي إذا أراد البقاء في المنطقة عدم إعطاء الفرصة لسوريا للسير في نفس النهج بإعتبارها الركيزة الهامة المتبقية له في شرق البحر المتوسط في وقت نمى فيه التيار العربي (1) الداعي إلى تبني طرح و.م.أ لحل أزمة الشرق الأوسط وأن الإتحاد السوفييتي لايمكن الوثوق فيه مستقبلا إما لإهتماماته المتزايدة بمناطق أخرى من العالم أو لكونه لم يبرهن عمليا على صدق وقوفه بجانب العرب مع سوريا بالذات كما هو الشأن في علاقة و.م.أ بإسرائيل .

كما إنطلقت سوريا في تعاملها مع الإتحاد السوفييتي من أن الصهيونية

---

(1) أنظر: المبحث الثاني للفصل الأخير من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بتحالفها مع و.م.أ إنما يشكلان خطراً على اليسار العالمي مما يحتم الوقوف ضدهما، وبما أنه يشترك في هذا الهدف مع العرب عموماً ومعها خاصة فإن هؤلاء أداة مناسبة لتحقيق الهدف المشترك؛ ومن ذلك فإن وقوفه بجانبها ليس من باب المساعدة بل يجب أن ينبع من شعوره بالمسؤولية لمحاربة وإسقاط قواعد الإمبريالية في أي مكان حيث تشكل إسرائيل قاعدتها الأساسية في منطقة الشرق الأوسط وفي تحاذي الحدود الجنوبية للإتحاد السوفييتي وما يشكله ذلك من خطر على أمنه القومي وأمن حلفائه.

بالرغم من ذلك فإن الإتحاد السوفييتي لم يبد إستعداده العلني لتأييد سوريا في لبنان؛ لكونه في إعتقادنا لا يريد أن يكون طرفاً من الأطراف وبالتالي يتورط كما حصل ل و.م.أ فهو يقوم بذلك بطريقة غير مباشرة، فمن خلال إدانته للإعتداءات الإسرائيلية والمبادرات الأمريكية الإنفرادية من منطلق عدم التدخل في شؤون لبنان وأحياناً أخرى من منطلقات إنسانية إنما يضغط على العدو هذا الضغط الذي يحسن من موقف سوريا ويجعلها في وضع أحسن.

بالرغم من أن الإتحاد السوفييتي لم يكن في درجة الطموح السوري كأن يقف بجانبها كما تفعل و.م.أ مع إسرائيل أو كأن يعلن عن تهديداته المباشرة بالتدخل إلى جانبها في حالة العدوان الإسرائيلي عليها في لبنان؛ فإنه لا يمكن تجاهل دوره السياسي لصالحها على طول فترة تواجدها في لبنان؛ فالتأييد السوفييتي ل م.ت.ف والحركة التقدمية اللبنانية ضد الإعتداءات الإسرائيلية يصب في نفس الهدف السوري والمثال على ذلك ما وقع في سنة 1981 من خلال ((الإنذار الذي وجهته موسكو إلى إسرائيل وواشنطن عبر وكالة تاس بضرورة وقف العمليات العدوانية؛ وبعد إعلان موسكو ودمشق إعتزامهما القيام بمناورات مشتركة في إطار إتفاقية التعاون الإستراتيجي فيما بينهما))[1].

بتقييم بسيط للنظرة السورية للإتحاد السوفييتي نتوصل إلى أن سوريا تريد منه أن يكون غطاءً ردعياً لصالحها، بحيث تتحرك في لبنان بدون

---

(1) بدر عبد الحق وغازي السعدي، "حرب الجليل: الحرب الفلسطينية الإسرائيلية الخامسة تموز 1991"، دار الجليل للنشر، عمان، 1981، ص 52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقدة الخوف وهو ما لم يكن الإتحاد السوفييتي مستعدا له في زمن تدخله في أفغانستان وانشغاله بالأحداث البولونية واهتماماته بمنافسة الأنظمة والأحزاب الشيوعية في مختلف المناطق، فبالنظر إلى هذه الأولويات تأتي سوريا في مراتب لاحقة، وبالتالي لا تؤثر فيه محاولات إقناعه بعبارات اللوم والتمني كما كان حال الوفد الوزاري العربي المتوجه لموسكو في 11-9-1982 (1)، أين ازدادت ضرورة البحث عن جهة أخرى للتأثير على إسرائيل.

بالإضافة إلى ما سبق فإن هناك جانبا آخر ركزت عليه سوريا ولنفس الهدف وهو ما تمثل في توجهها لشرعية الدولية المتمثلة في هيئة الأمم المتحدة بحكم أن لها تجربة طويلة معها تعود إلى بداية الصراع العربي الإسرائيلي مرورا بمرابطة القوات الأممية في مرتفعات الجولان.

من هذا المنطلق وكذا لضعف إمكانياتها العسكرية مقارنة بإسرائيل وفي ظل المعطيات العربية والدولية التي ليست في صالحها فإن المنظمة الأممية تبقى من بين البدائل الفعالة أمام سوريا للضغط على إسرائيل بالرغم من أنها لم تستطع في الماضي تحقيق ما يمكن إعتباره إيجابيا تستفيد منه نظرا لعدم إمتثال إسرائيل للقرارات والتوصيات الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

على ذلك فإن سوريا من أجل عدم تدويل الأزمة اللبنانية فقد إستبعدت في البداية أي تدخل أجنبي حتى وإن كان يقضي بنشر قوات أجنبية، لأن ذلك سيضاعف من إهتماماتها ويقلل من إمكانية إقرار حلها، فالحضور الأجنبي حتى وإن كان تحت راية الأمم المتحدة لا يناسبها لأنه سيزيد من فاعلية الإرادات الخارجية على الساحة اللبنانية بل ومن شأنه أن يحمل الأطراف اللبنانية إلى التنكر لكل ما تقوم به لوجود البديل أمامهم.

لذلك إكتفت سوريا في البداية بمحاولة فضح الأعمال العدوانية لإسرائيل وسياستها التوسعية وكسب الرأي العام الدولي لفرض عقوبات عليها، كما

---

(1) أنظر: وقائع الإجتماع المغلق بين وزير الخارجية السوفييتي والوفد الوزاري العربي بتاريخ 11-9-1982، في المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 449-451.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعتمدت على لبنان وضعه لتوجيه إلى الأمم المتحدة لكي تضع حدا للإعتداءات الإسرائيلية وهو ما حصل عقب عدوان 19-9-1977 عندما توغلت القوات الإسرائيلية في الأراضي اللبنانية ، على أن ذلك لا يعني السماح للبنان أن يتجاهل دورها أو يدخلها من بين أعضائها كطلب قوات أممية لإقرار وقف القتال كما حدث في الأول من مارس 1977 عندما بحث فؤاد بطرس وزير خارجية لبنان مع السفير السوفييتي فكرة إستدعاء قوة سلام دولية للمرابطة في منطقة الحدود اللبنانية الإسرائيلية (1).

باعتقادنا أن إسرائيل وكما لعبت أدوارا في تغيير القرار السوري في كثير من المرات والمناسبات فإنها كانت الأساس في تغيير نظرتها تجاه القوات الأممية في لبنان، فبعد عدوانها في مارس 1978 وجدت سوريا نفسها على إستعداد للقبول بأي مبادرة من شأنها أن تحد من هذا العدوان وترغم إسرائيل على الإنسحاب، وبالفعل فقد وجدت ذلك في قراري مجلس الأمن رقم 425 و 426 القاضيين بتثبيت قوات أجنبية تابعة للأمم المتحدة في الجنوب للفصل بين المتحاربين (2) تتمركز قيادتها في بلدة الناقورة وكان عددها 4000 شخص ثم إرتفع تدريجيا إلى أن بلغ 6286 عنصرا في نهاية 1982 وهذا بحسب تقرير الأمين العام للأمم المتحدة في 13 جانفي 1983 (3).

وبعد ما أصبح وجود القوات الأممية في الجنوب كواقع يجب التعامل معه عمدت سوريا إلى الإستفادة منها قدر ما أمكن، فهي بخلاف إسرائيل التي تخوفت منها لكونها لا تشكل ضمانا لمنع التسلل الفلسطيني إلى الجنوب، فسوريا لم تعارض هذه القوات لكونها تتمركز في منطقة لا تقع أساسا تحت رقابتها المباشرة ، أي التحكم لو تعلق الأمر بمنطقة البقاع ، كما أن هذه القوات جاءت أساسا كرد فعل للإعتداء الإسرائيلي وهي بالتالي ليس لتحد من تحركها بل لمنع الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان مستقبلا.

إن ذلك لا ينفي في تقديرنا وجود تخوفات لدى سوريا من تمركز هذه القوات، فبالإضافة إلى أنها ستكرس وضعا جديدا يتطلب معه الإتيان ببدائل

---

(1) "تطورات مارس" ، (السياسة الدولية) العدد 49 ، جويلية 1977 ، ص 179.
(2) أنظر: الخريطة (ب) في الملحق رقم 1 من هذه الدراسة.
(3) أنظر إحصائيات التقرير المذكور في : عماد جودية ، "جمهورية القبعات الزرق" ، (المستقبل) ، العدد 335 ، جويلية 1983 ، ص 71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى لمشاركة على الساحة اللبنانية والدولية فإن ذلك يعد حاجزاً أمام المحاولات الفلسطينية ضد المشاريع الإسرائيلية كما أن ذلك سيسمح بنمو العناصر اللبنانية الانفصالية بالسيادة سعد حداد الذي أعلن تحت الحماية الإسرائيلية عن قيام جيشه الخاص في الجنوب تكريساً لتقسيم البلاد.

وبالرغم مما قد يقال عن استخدام سوريا لهيئة الأمم المتحدة والاستفادة من قراراتها إلا أن الواقع جعل هذا المسعى مشلولاً خاصة أمام استخدام و.م.أ لحق النقض مثلي لاحظت أن هناك إشارة لإدانة أو فرض عقوبات على إسرائيل، وفي هذا الشأن فإن موقف و.م.أ كان السبب لإسقاط المشروع الإسباني والمشروع الفرنسي-المصري وكذا المشروع السوفييتي بحيث ((تعاقبت القضية غزو إسرائيل للبنان في أروقة الأمم المتحدة بسبب عجز مجلس الأمن عن إصدار قراراته من ناحية وغياب صفة الإلزام لقرارات الجمعية العامة من ناحية أخرى... وتأكد من جديد أن الآمال التي كانت معلقة على الأمم المتحدة كأكبر مؤسسة تنظيمية دولية لحفظ السلام لا تعدو أن تكون أوهاماً))[1]؛ وكانت أولى الانعكاسات السلبية لذلك والتي على سوريا وهي أمام المحاولات اللبنانية الداخلية والتهديد الإسرائيلي الخارجي، باحثة في مجال آخر لمنع وقوع عدوان جديد وإنهاء آثار العدوان القديم.

تمثل ذلك في التعامل مع و.م.أ وبعض الدول الغربية، والمشكل الأول المطروح في سياق ذلك هو طبيعة العلاقة التقليدية العدائية لسوريا مع و.م.أ، وعليه فإن دراسة علاقاتهما تتم عبر تحليل لردود الأفعال بالدرجة الأولى، بحيث أن سوريا ومن خلال تحركها في لبنان أو خارجه إنما تهدف في كثير من الحالات إلى التأثير في الموقف الأمريكي، فإذا جاء رد فعل هذه الأخيرة في صالحها أمكننا القول بأن الموقف الأمريكي كان لصالح سوريا وإذا جاء ضدها نقول بأنها لم تستطع التأثير فيه بما يخدم هدفها ضد إسرائيل في لبنان وفي المنطقة ككل.

في سياق ذلك نرى بأن المساعي السورية مرت بمرحلتين مع و.م.أ، وفي بدايات التدخل مارستها مرتبطة أشد الارتباط بإسرائيل على غرار التجارب

---

(1) هالة مصطفى، "الغزو الإسرائيلي للبنان في الأمم المتحدة"، (السياسة الدولية)، العدد 70، أكتوبر 1982، ص 140.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السابقة ، على أن محاولة التنسيق معها ضرورة لأنها في ظل الإبتعاد عنها تزداد إحتمالات تنسيقها مع إسرائيل وتصبح بذلك سوريا في وضع حرج ، بينهما في إطار إستمرار الإتصال تبقى هناك إمكانية معالجة الأمور متى تطلبت الضرورة ذلك ، على أن منطق التعامل هذا ليس من قبيل مداهنة ل م.ت.ف ؟ لأن التعارض بينهما قائم في الأساس ولذلك فهو مجرد بديل من بين البدائل التي لا يجب التفريط فيها بالرغم من أنها غير مضمونة في أغلب الحالات.

في سياق ذلك تمثلت المرحلة الأولى في قيام سوريا بإجراءات عملية في لبنان لضرب م.ت.ف وتمثلت الثانية في إستمرار هذا الخط ولكن على غير طابع التصلب بل وتجميد الموقف العسكري نظرا للوقوف الأمريكي العلني إلى جانب إسرائيل في أغلب المراحل.

فيما يتعلق بالمرحلة الأولى نلاحظ في عين الإعتبار العلاقة السورية الأمريكية قبل إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية ، لأننا نرى بأن هذه الحرب هي بدرجة كبيرة إستمرار أو إنعكاس لما كان موجودا في المنطقة ، بحيث تسجل نشاط الدبلوماسية الأمريكية من أجل حل النزاع العربي - الإسرائيلي بطريقتها الخاصة وإفشال الخيار العسكري العربي.

من خلال ذلك إنطلقت سوريا من الظروف الإقليمية والدولية ومنها رغبة حل م.ت.ف والبلدان العربية ذات العلاقة التقليدية مع لبنان قبل أن تقحم نفسها في هذا البلد ، فبالرغم أنها حاولت ربط أمنها بأمن لبنان من عوامل مشتركة عديدة وأن ما يجري فيه يؤثر عليها بالدرجة الأولى إما سلبيا أو إيجابيا مما قد يحمل الأطراف الخارجية على مساندتها أو على الأقل عدم عرقلتها ، فإنها في حاجة ماسة إلى التحرك كي تضمن ذلك وخاصة من قبل م.ت.ف لما لها من تأثير على إسرائيل كي لا تستغل هذه الأخيرة الفرصة للتدخل في لبنان لتزيد من تأزم الأوضاع بما يتماشى وأهدافها في هذا البلد ، زد على ذلك أنه حتى ولو إفترض أن نالت سوريا موافقة الأطراف الخارجية على دورها فإنها لا تستطيع أن تنال بنفس الدرجة موافقة إسرائيل ، وعليه تولدت الحاجة إلى من يرغم هذه الأخيرة على ذلك حيث م.ت.ف هي المرشحة أكثر للقيام بهذه المهمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتمكين سوريا من كسب و.م.أ تعاملت مع الأزمة اللبنانية في البداية بالأسلوب السياسي وذلك بفتح قنوات الإتصال والحوار مع كل القوى الداخلية وهذا لما دامت بالأساس تبدو منحازة لأي فريق من القوى المتصارعة بما فيها م.ت.ف، بالإضافة إلى أن الوسيلة السياسية هي أقل إثارة بحيث أن رد الفعل تجاهها خارجيا كما هو داخليا يبقى في درجة أقل إذا ما قورن مع ذلك الذي ينشأ عن التدخل العسكري المباشر.

بهذه الطريقة وإن كانت سوريا لم تجد التأييد العلني من و.م.أ لدورها في لبنان إلا أنها بالمقابل لم تقابل بمعارضة منها، بل بقي الموقف الأمريكي عند حد معارضة التدخل المباشر من أي مصدر كان مساويا في ذلك بين إسرائيل وسوريا (1)، وعندما إستطاعت هذه الأخيرة التوصل إلى إقرار صيغة الوفاق الوطني اللبناني في بداية 1976 كان الرد الأمريكي إيجابيا بمعارضته للتهديدات الإسرائيلية وهو ما يستخلص مما أعلنه متحدث رسمي للخارجية الأمريكية ((إن و.م.أ تعترف بالدور البناء الذي تلعبه الحكومة السورية في لبنان بعد الوصول إلى إتفاق لوقف إطلاق النار... نسأمل أن يكون الإتفاق السياسي المحلي في لبنان بداية سلام وأمن دائمين في لبنان... نحن نشجع أي إتفاق سياسي في لبنان يرضي جميع الأطراف)) (2).

وحتى وإن تركنا هذا البيان الأمريكي جانبا وأخذنا بصيغتها المتكررة (3) بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد فإن المقصود بالدرجة الأولى هي إسرائيل بحكم أن الدور السوري أصبح ولفترة طويلة واقعا معترفا به و.م.أ لم تعمل في هذه الفترة إطلاقا للحيلولة ضد أو التشكيك فيه وهو ما حسن كثيرا من الموقف السوري تجاه إسرائيل.

قد يكون للموقف الأمريكي هذا علاقة بجهودها الرامية إلى إعداد مؤتمر جنيف لحل مشكل الشرق الأوسط مما يتطلب معه كسب الأطراف المرشحة للإشتراك فيه ومنها سوريا، ولكن الثابت أن هذه الأخيرة في حاجة أكثر إلى الرفع من درجة التأييد الأمريكي لها في لبنان لأن ما حققته من

---

(1) أنظر: المبحث الأول من الفصل الأخير لهذه الدراسة.
(2) نقلا عن: مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 286.
(3) أنظر: نفس المرجع، ص 285.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتساق في هذا السياق حتى الآن يتنافى والتطلعات الإسرائيلية التي تعتقد بأن الدور السوري يشكل تهديدا مباشرا لأمنها لأنها إستولت على المساحة اللبنانية وعليه سعت إسرائيل إلى بعث الأحداث العسكرية من جديد بما يتيح لها التدخل مرة أخرى وذلك بإعلانها تحمل مسؤوليتها الأخلاقية والإنسانية لحماية المسيحيين ضد ما أسمته بالخطر الشيوعي والإسلامي المتطرف. (1)

وكدليل على الإرتياح من الموقف الأمريكي تدخلت سوريا عسكريا في لبنان ولضمان ديمومة هذا الموقف وقفت منذ البداية ضد القوى التقدمية اللبنانية و م.ت.ف وهو ما يتماشى والهدف الأمريكي لشل حركة الثورة الفلسطينية وإنهائها.

ويرى أيضا أن ذلك يعد من أكبر الخدمات التي قدمتها سوريا ل و.م.أ والتي كان عليها أن ترد بالمثل سواء من خلال الدعوة مجددا لإستئناف مؤتمر جنيف لحل أزمة المنطقة أو من خلال المعونات الإقتصادية، على أن أكبر الأشياء التي كانت تتوقعها سوريا تحققت بنسبة عالية في هذه الفترة وهي الضغط الأمريكي على إسرائيل بعدم تدخلها في لبنان أو التعرض لسوريا، وهو ما لوحظ على طول الفترة التي وقفت فيها سوريا لصالح الميليشيات المسيحية حيث لم نسجل أي إعتداء إسرائيلي بحجم ما حدث فيما بعد وبالتحديد في سنوات 1978 وصيف 1982 لأن الموقف الأمريكي الإسرائيلي كان محكوما بمنطق بسيط وهو أن سوريا تقوم بما نريد فلا داعي إذا للتدخل ولمزيد من الخسائر، بينما في المقابل لذلك قوبل سلوكها هذا بمعارضة واسعة من قبل الدول العربية والإتحاد السوفييتي.

لقد كانت سوريا تنظر إلى هذه المعارضة على أساس أنها مؤقتة، بحيث يمكن أن تعود إلى هؤلاء في أي وقت، بينما إذا فرطت في كسب و.م.أ في وسط الأحداث الآنية المتفاعلة لصالحها فلا يمكن مستقبلا أن تتمكن من إيجاد ذلك؛ وبتعبير آخر فإنها في الوقت الذي يجوز فيه ترك الأصدقاء لفترة معينة فلا يجوز إطلاقا إعطاء الفرصة للعدو للقيام بما يريد خصوصا إذا تعلق الأمر بإسرائيل وتطلعاتها التوسعية.

ما تجدر الإشارة إليه في سياق السياسة السورية هو أنها إنطلقت من

---

(1) أنظر: الفصل الثاني من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوضعية اللبنانية كمجال للضغط على و.م.أ، هذه الأخيرة التي أصبحت تعبر أكثر عن الحقوق الشرعية العربية، وخاصة الحقوق السورية (1)، ففي هذا السياق كانت دعوة الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر الذي بدأ مهامه في 1977، بضرورة بعث مؤتمر جنيف وما رافق ذلك من ضغوطات على إسرائيل في سبيل تليين مواقفها سواء فيما يتعلق بالأطراف العربية المشاركة فيه أو ضرورة الإستجابة للحقوق العربية بما فيها السورية (2).

بذلك فإن السياسة الجديدة ل و.م.أ ساهمت بقدر كبير في جعل سوريا على إستعداد أكثر للتعاون معها حيث لا يمكن فصل ما يجري في لبنان عن الاحداث السورية لها في المنطقة كما قال سايروس فانس وزير خارجية و.م.أ سابقا ((... قدر للبنان أن يعود إلى مسرح الشرق الأوسط مرارا وتكرارا مما أوضح أن المشكلة اللبنانية متشابكة على نحو لا يقبل الفصل مع عملية السلام العربية - الإسرائيلية)) (3).

أمام المواقف المتصلبة لإسرائيل والتي كانت تغذيها قنوات التقارب السوري-الأمريكي، بدت و.م.أ بعد قمتي الرياض والقاهرة تميل تدريجيا عن مؤتمر جنيف ليتكرس ذلك في زيارة السادات إلى القدس في سنة 1977 (4) ثم الغزو الإسرائيلي للجنوب اللبناني في مارس 1978، وهو ما يشكل لدينا بداية مرحلة جديدة للتعاطي السوري مع و.م.أ في لبنان والمنطقة كلها.

ذلك ما شكل بإعتقادنا المرحلة الثانية للتعامل السوري ل و.م.أ، فيمكن أن علاقاتهما ببعض لم تبنى على أساس إستراتيجي فإن ما قلناه في المرحلة الأولى رغم بوادر تغيير في المواقف، فمتى زالت نقاط الإلتقاء الآنية والمبنية على أسس هشة تبدو في مرحلة معينة متقاربة فإن المواقف بينهما تصبح متباينة، ولذلك تعد المرحلة الأولى مجرد فترة تعبير عن حاجة بعضهما للبعض، أي لا يجب فهمها على أنها تحول جذري في علاقاتهما ببعض.

---

(1) برهان ما تأكد بأن ذلك مجرد تكتيك مرحلي، أريد به كسب الرأي العام العالمي والعربي وللدلالة على تغير الموقف الأمريكي لصالح العرب أو على الأقل لم يعد كما هو كالسابق.
(2) سايروس فانس، مرجع سابق، ص 303.
(3) نفس المرجع، ص 86.
(4) حول دوافع زيارة السادات للقدس أنظر: LANNOIS(Philippe),op.cit, P.173-174.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع نجاح الحل الإنفرادي الأمريكي مع مصر وإطلاق العنان لإسرائيل في لبنان وجدت سوريا بأنها في مواجهة و.م.أ وهذا لتفويت الفرصة أمام خصومها لتمنع غيابها في المنطقة بل ولحصولها على التراجع عن ذلك وإفهامها بكل الوسائل الممكنة بأن مصالحها مع العرب تفوق تلك الموجودة مع إسرائيل؛ ومع إزالة تلك عملت سوريا على الرفع من درجة التنسيق مع الإتحاد السوفييتي وتوصلا لتوقيع معاهدة إتفاقية الصداقة والتعاون بينهما سنة 1980، والمستخلص من كل ذلك هو حمل و.م.أ على الإعتراف مجددا بالمصالح الأمنية السورية في لبنان والإمتناع مباشرة أو بواسطة إسرائيل عن التعرض لقواتها وعرقلة دورها في هذا البلد.

ففي سبيل صيانة وجودها في لبنان أقدمت سوريا في 1981 على إدخال صواريخ سام إلى البقاع اللبناني، وهي إذ قامت بذلك إنما لعدة إعتبارات ترى في مقدمتها ذلك تعاملها مع و.م.أ هذه الأخيرة ليس من مصلحتها وقوع حرب جديدة بين حليفتها إسرائيل والدول العربية وبالتالي في ظل صعوبة الضغط على سوريا أو الإتحاد السوفييتي لمنع ذلك فإن أمامها خيار واحد وهو حمل إسرائيل بالدرجة الأولى لسكتها كما قد يكون سببا مباشرا في إندلاع حرب في المنطقة، ففي ظل ذلك يزداد الموقف العربي عداء ل و.م.أ كما يشكل فرصة للإتحاد السوفييتي للعودة إلى المنطقة.

في ظل هذا الإحتمال نشطت المساعي الأمريكية عبر مبعوثها فيليب حبيب الذي كان يتنقل في سوريا كما في إسرائيل، فمع سوريا من أجل سحب الصواريخ من لبنان ومع إسرائيل من أجل عدم تنفيذ تهديداتها بتدمير هذه الصواريخ، وهي الأزمة التي إستمرت إلى غاية العدوان الشامل على لبنان في صيف 1982 أين وجدت سوريا أنها تتعامل مع م.ت.ف على أساس أن العدوان الإسرائيلي واقع على لبنان وعلى وجودها فيه بحيث لا يمكن تجاهله، بل وفي أحسن الأحوال أن لا يتطلب إنسحابها من هذا البلد تزامنا مع الإنسحاب الإسرائيلي، وهو الإنشغال الذي أبداه عبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا عند مقابلته للرئيس الأمريكي رونالد ريغن ((لا نستطيع أن نرى القوات السورية على قدم المساواة مع القوات الإسرائيلية ... إن القوات السورية لم تدخل إلى لبنان لأسباب سورية وإنما لأسباب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لبنانية وبقرار لبناني عربي ... ونحن نعتقد بأن الدور الأمريكي يجب أن يتجاوز دور الوسيط)(1).

بإعتقادنا أن ذلك شكل تحدي جدي للمبادئ السورية التي إستندت إليها منذ بداية الثمانينات سواء في الساحة اللبنانية أو العربية أو التعامل مع الإتحاد السوفيتي الذي أصبح منشغلاً بالقضية الأفغانية والبولونية، وفي ما يعني أنها لم تمتلك الأوراق الحقيقية ذات الثقل اللازم التي تؤهلها لإتباع أسلوب التصدي، فحاجة سوريا لـ و.م.أ أكثر من حاجة هذه الأخيرة إليها خاصة بعد ما دخلت إتفاقية كامب ديفيد حيز التطبيق ولم يعد الرفض العربي ولا المعارضة السوفياتية تشكل خطراً عليها، بالإضافة إلى أن إسرائيل دوراً قوياً في لبنان بعد ما أصبحت تتحكم هي الأخرى في الأوضاع اللبنانية من خلال دعم فريق لبناني له وزنه في الأحداث تستطيع به التأثير بدرجة كبيرة في مسار الوجود السوري في هذا البلد وخارجه.

على طول مرحلة تعامل سوريا مع و.م.أ نرى بأنها كانت محكومة بعقدة الخوف من الدخول بمفردها في حرب ضد إسرائيل(2)، وهذا لكون التغيرات الحاصلة من فترة لأخرى كانت تعني مزيداً من الصعوبات لها، وعليه بات موقفها مجرد صمود ودفاع سلبي دون إمكانية الخروج من العزلة التي تواجهها على أكثر من صعيد، وعندما حاولت التصدي من منطلق إيجابي في 1981 أوقعها ذلك في أكبر مشاكلها، فكانت النتيجة بالإضافة إلى الخسائر العربية إعلان إسرائيل ضم الجولان رسمياً إليها بصفة نهائية في ظل إمضاء الإتفاق الإستراتيجي الإسرائيلي - الأمريكي.

بتقييم بسيط لكل ما تقدم نستخلص بأن ما يمكن إعتباره بضغط و.م.أ على إسرائيل إنما يعود بالدرجة الأولى لإعتبارات الحرص على الأمن السوري بل في أغلب الأحيان مرتبط بعناصر أخرى متشابكة وبحسب الظروف الداخلية والخارجية، والثابت لدينا هو أن إسرائيل أولى من كل الإعتبارات.

---

(1) قال ذلك في سياق الوفد العربي المنبثق عن قمة فاس العربية لشرح مقررات هذه القمة في و.م.أ، أنظر: النص الكامل لهذا اللقاء في: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 443-448.

(2) تستخدم سوريا قوتها ضد إسرائيل كأسلوب ردعي فحسب وليس هجومي، بينما العكس ضد القوى اللبنانية - الفلسطينية، إذ تستخدم معظم أسلوب الهجوم بكل الوسائل المتاحة. أنظر: Rashid I Khalidi, op.cit, P. 508.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعد الوجود الفلسطيني في لبنان من أكبر العناصر التي أثرت في تطور (1) الحرب الأهلية اللبنانية بل ومنذ بدايتها إلى حد الآن توجهت كثيرا من الإتهامات اللبنانية وغيرها إلى إعتبار هذا الوجود سببا رئيسيا لإندلاع هذه الحرب، ومن هنا تبدأ إشكالية معقدة على صعيدين، فمن الناحية الأولى دوره في إندلاع الأحداث في البداية أو الإستفزازية لما من قبل، ومن الناحية الثانية مساهمته في تطوير هذه الأحداث وتوسيعها لتتطور في شكل حرب أهلية ما زال لبنان يعيش فصولها.

إذا ربطنا ذلك بما سبق يتأكد أنه بالإضافة إلى تأثير كل من سوريا وإسرائيل في مجريات الحرب اللبنانية عبر تدخلهما المباشر فقد كان للوجود الفلسطيني في هذا البلد دور لا يقل أهمية، وهو لا يرتبط بأوضاع لبنان الخاصة فحسب بل بالمنطقة كلها من واقع الصراع العربي الإسرائيلي، فكما أن الكفاح الفلسطيني ليس وليد التواجد الفلسطيني في لبنان فكذلك الحقوق الفلسطينية لا تنتهي بإنتهاء أو إنهاء هذا التواجد من هذا البلد.

إن ذلك يحتم أخذ الدور الفلسطيني في الحرب اللبنانية في سياق التطورات الحاصلة في المنطقة وخاصة بعد العدوان الإسرائيلي لسنة 1967 مرورا بحرب أكتوبر 1973، وما تبعها من نشاط للآلة الدبلوماسية ل و.م.أ لإنهاء الخيار العسكري العربي وإجهاض الثورة الفلسطينية (2) نهائيا.

---

(1) ننظر إلى التأثير الفلسطيني في الحرب الأهلية اللبنانية بمنظار مغاير للتأثير الإسرائيلي والسوري بل ولبقية الأطراف الأجنبية، وهذا لأن إتفاقية القاهرة لسنة 1969 بين لبنان و م.ت.ف نظمت الوجود العسكري والسياسي الفلسطيني في هذا البلد، أي أنه وجودا شرعيا معترفا به، وعليه فمع إندلاع الحرب في 1975 فإن م.ت.ف بإستنادها إلى قاعدة شعبية فلسطينية عريضة كانت متواجدة في هذا البلد منذ مدة ليست بممتدة قليلة في لبنان، فإذا جاز القول بتدخلها في مجريات الحرب الأهلية بطريقة أو بأخرى فلا يجوز القول بتدخلها في لبنان في هذه الفترة وإلا لا معنى للإتفاقيات المعقودة سابقا وكذا لثقلها البشري والعسكري في هذا البلد منذ فترة ليست بقصيرة.

(2) نستخدم مصطلح الثورة الفلسطينية للدلالة على كل ما يقوم به الشعب الفلسطيني لإسترجاع حقوقه المغتصبة والدفاع عن كرامته سواء كان ذلك داخل فلسطين المحتلة أو خارجها وسواء أكانت العمليات الثورية بقيادة تنظيم معين أم لا، أي أن م.ت.ف بالرغم من تعدد تنظيماتها إلا أنها تبقى غير ممثلة لكل الفلسطينيين مئة بالمائة، وهذا لا يمنع من أنها تهدف إلى تحقيق ذلك، وبهذا فإن الثورة الفلسطينية أشمل من التنظيم الذي هو م.ت.ف فإذا إنتهت هذه الأخيرة فإن ذلك لا يعني بالضرورة توقف النشاط الثوري الفلسطيني بكامله وبكل أشكاله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال ذلك نجد بأن الحرب اللبنانية إندلعت في ظروف غير عادية بالنسبة للثورة الفلسطينية ، حيث كانت في مأزق خطير بعد ما أصبح ميدان عملها العسكري أضيق من أي فترة أخرى، فبعد مذابح الاردن في 1970 وجدت بأنها في دائرة واحدة وهي لبنان بتناقضاته وتركيبته المعقدة .

مع هذا الوضع كانت أمام خيارات أهمها : إما الإبتعاد عن الخيار العسكري في ظل أوضاع لبنان والمنطقة التي كانت ضدها أكثر ما هي بجانبها وما يعنيه ذلك من إستسلام للظروف، وإما الإستمرار على ما هي عليه وما يعنيه ذلك من تحمل لخسائر وأعباء تجهل مداها، ومنها إمكانية إنحرافها عن هدفها ونهجها وتحولها مثلا إلى ((حزب سياسي يفتش عن السلطة في لبنان بصورة غير شرعية ... وإلى طائفة تضاف إلى الطوائف اللبنانية المتقاتلة من أجل وطن بديل))[1]؛ هذا مع وجود إحتمالات أخرى نرى بأنها من الصعب التمسك بها كالحياد بين القوى المتصارعة سواء كانت لبنانية أو غيرها .

وفي ظل التمسك الفلسطيني بالخيار العسكري مرورا بما شهدته الساحة اللبنانية قبيل 1975 لم تستطع م.ت.ف بقاعدتها الشعبية في لبنان الوقوف طويلا على الحياد بل كانت بمثابة الشرارة الأولى للحرب الأهلية بعد حادثة عين الرمانة ، لتصبح مع ذلك سواء بإرادتها أو بخلاف ذلك من أكبر القوى غير اللبنانية المؤثرة في مجريات الحرب الدائرة ، ومن ثم في وحدة هذا البلد وإستقراره إما سلبيا أو إيجابيا .

إذا تحقق التأثير الفلسطيني في لبنان من جراء ذلك فإن ما يبقى غامضا هو درجة هذا التأثير وأساليبه والعوامل المتحكمة فيه من ناحية الصعود والهبوط، وهل أن الأهداف الفلسطينية من ذلك مقتصرة على الساحة اللبنانية أم تتعداها للتأثير فيما وراء الحدود اللبنانية ؟

المبحث الأول : إستراتيجية الثورة الفلسطينية وموقع لبنان منها .

مثل ما هو هدف كل الشعوب المستعمرة في نيل الإستقلال والحرية فإن إستراتيجية الثورة الفلسطينية قامت على أساس رفض السيطرة

---

(1) كريم بقرادوني، "كيف أنقذ الأسد لبنان"، (المستقبل)، العدد 455، نوفمبر 1985، ص 17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسرائيلية وأساليبها العدوانية التوسعية مستخدمة في ذلك ومنذ نشأتها الأربعينات الوسائل المختلفة عسكريا وسياسيا وغيرها إستنادا إلى مؤيديها في العالم العربي وخارجه ولعبت أدوارا هامة على طول مرحلة الصراع العربي - الإسرائيلي، وهي بذلك تكيفت مع مختلف الظروف والمراحل كان آخرها إستقرارها في لبنان لما شكله من قاعدة أخيرة مجاورة لإسرائيل للعمل العسكري، فكان بذلك لبنان ميدانا هاما لإستمرارها ومنافذ حيويا من الصعب التفريط فيه موازاة مع الكفاح المتعدد الأوجه إنطلاقا من قواعد أخرى سواء أكان ذلك بقيادة تنظيمات معينة أو بشكل عفوي.

المطلب الأول : إستراتيجية الثورة الفلسطينية في المنطقة.

بالرغم من أن هدف الثورة الفلسطينية ظل منذ البداية الوقوف ضد الإستعمار الإستيطاني الإسرائيلي لفلسطين من أجل تقرير المصير فإن تحقيق (1) ذلك إستدعى أشكالا عديدة من العمل تدرجت بين عسكرية وسياسية خضعت قوتها وإستمرارها لإعتبارات عديدة، وعلى ضوء ذلك يمكن إستخلاص ما نعتبره بالمكونات الرئيسية لإستراتيجية الثورة الفلسطينية التي إعتمدت عليها منذ البداية مرورا بفترة تعاملها مع الحرب الأهلية اللبنانية.

من بين مكونات هذه الإستراتيجية نجد التمسك بالخيار العسكري ليس في وجه إسرائيل فقط بل وضد كل من يعمل بعكس المصلحة الفلسطينية، فالمتتبع للخيار العسكري الفلسطيني يجده ليس وليد الساحة اللبنانية فحسب بل لموجة التحرر المنتشرة في تلك الفترة في البلدان المستعمرة ليتعزز ذلك مع إنتصار الثورة الجزائرية إعتمادا على الوسيلتين العسكرية والدبلوماسية وكذا نمو التيار القومي ضد خطر التوسع الإسرائيلي.

ومع إندلاع الكفاح الفلسطيني بشكل منظم ومستمر في مطلع 1965 تجسد عمليا الخيار العسكري الفلسطيني وهو ما تضمنه وعبر عنه بوضوح الميثاق

---

(1) حول الإستعمار الإستيطاني وأنماطه أنظر: مجدي حماد، "النظام السياسي الإستيطاني: دراسة مقارنة إسرائيل وجنوب إفريقيا"، (رسالة لنيل درجة دكتوراه في العلوم السياسية (منشورة)، دار الوحدة، بيروت، 1981، ص 42-66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوطني الفلسطيني الصادر عن المجلس الوطني ل م.ت.ف إثر إنعقاده بين 10 و17 جويلية 1968 في القاهرة، ومن بين ما تضمنته المادتين التاسعة والعاشرة أن ((الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو بذلك إستراتيجية وليس تكتيكا ...)). ((العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية، وهو يقتضي تصعيده وشموله وحمايته وتعبئة كافة الطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية وتنظيمها وإشراكها في الثورة الفلسطينية ...)).[1]

ذلك ما أكده واقع الكفاح الفلسطيني المسلح فيما بعد، عبر تحسين الأساليب والحصول على وسائل ومعدات أكثر تقدما تتماشى وطبيعة عملها كحركة تحررية إنتشت إلى عمق جغرافي داخلي؛ وإذا كان ذلك قد صعب من مهمتها فإنه دفعها على الدوام كي تكون على قدر كبير من التقدم في الأساليب القتالية، كما ساهمت تجربتها الطويلة في هذا الميدان على التأقلم بإستمرار مع الأوضاع الجديدة زمانا ومكانا.

وعلى الصعيد التطبيقي واجه الخيار العسكري الفلسطيني صعوبات عديدة فبالإضافة إلى صعوبة إن لم نقل إستحالة إستخدامه داخل فلسطين المحتلة على نطاق واسع لطبيعة الإستيطان الإسرائيلي فقد وجد مضايقة في البلدان المجاورة، الوضع الذي إزداد صعوبة بعد 1967 ثم 1970 على إثر خروج م.ت.ف من الأردن وإستقرارها في لبنان وما نتج عن ذلك من إنحرافات للأداة العسكرية الفلسطينية التي في كثير من المرات تستخدم في غير محلها فتعود بالسلب عليها بسبب الإختلافات الحاصلة بين التنظيمات العديدة.[2]

لقد تزامن ذلك والمحاولات الأمريكية، خاصة بالإعتماد على بعض الأنظمة العربية للوصول بالثورة الفلسطينية إلى قناعة بأنه لا أمل في الكفاح المسلح، على أن هذه الأخيرة ظلت تنظر إلى الخيار العسكري كقضية حياة

---

(1) أنظر النص الكامل للميثاق الوطني الفلسطيني في (الملحق رقم 2) في: لاري ل. فابيان و زئيف شيف، محرران، مرجع سابق، ص 220-224.

(2) أهم هذه التنظيمات: فتح وتضم قوات العاصفة وطلائع حرب التحرير الصاعقة، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الديموقراطية الشعبية لتحرير فلسطين، جبهة التحرير العربية، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني. أنظر: حسين عويضة، مرجع سابق، ص 87.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو موت، هذا التمسك الذي جلب لها إنتصارات وسمعة كبيرة ولكن بالمقابل (1)
جلب لها مصاعب عديدة، ففي البداية توجهت ضد إسرائيل ولكن تحولت في
الحرب الأهلية اللبنانية لتواجه الكتائب المسيحية وسوريا في كثير
من الأحيان بل وحتى ضد الجيش اللبناني، ليتوضع الخيار العسكري
الفلسطيني أمام المحك مع الغزو الإسرائيلي للبنان في 1992، بل ويتحول
إلى عملية إنتحار قاتلة لامحالة، وهو ما أحدث تغييرا هاما في
إستراتيجية الثورة الفلسطينية بعد ذلك. (2)

برأينا أن إستمرار الخيار العسكري الفلسطيني أو عدمه لايجب أن ينظر
إليه من خلال تمسك أو عدم تمسك التنظيمات الفلسطينية به فحسب، بل
ينظر إليه من زاوية القضية ككل وموقف الشعب الفلسطيني منه، فطالما أن
حقوق هذا الشعب لم تتحقق فإن الخيار العسكري يبقى واردا حتى في أدنى
صوره بالوسائل المتوفرة، وعليه فقد نجد تنظيما يتبنى الخيار العسكري
ولكن لايجسده في الواقع لظروف الغير مواتية كما نجد في المقابل
تنظيما لايجهر بهذا الخيار بينما يسعى إلى تطبيقه بالوسائل المتوفرة
وفي كلتا الحالتين فإن الخيار العسكري يبقى الركيزة الأساسية لإستراتيجية
الثورة الفلسطينية ضد إسرائيل كما هو ضد أي طرف عربي أو غيره يسير
في الخط المعاكس لحقوق الشعب الفلسطيني ويريد طمس هويته.

ولكي يؤدي الخيار العسكري وظيفته على أحسن وجه لابد من توفر ركيزة
أخرى تعتبر هامة في إستراتيجية الثورة الفلسطينية وتتمثل في الإعتماد
على العمق الجغرافي العربي كقاعدة خلفية للعمل، ففي ذلك تعتبر الثورة

---

(1) EL ALY(Ghassan) et HARBI(Leila),"comment la résistance pale-stinienne a perdu du terrain",(le monde diplomatique), N°291,juin 1978,P.16.

(2) بعد حصار إسرائيل لبيروت الغربية في صيف 1982 وخروج المقاتلين
الفلسطينيين منها ثم الإنشقاق الذي وقعت فيه حركة فتح سنة 1983،
طغى الطابع السياسي على تحرك م.ت.ف وذلك بين 1984 و1986 مع الأردن
لتحقيقها مبادرة السلام الفلسطينية المتمثلة في الإعتراف بوجود دولة
إسرائيلية إلى جانب دولة للفلسطينيين والإستعداد لإعادة النظر في
الميثاق الوطني الفلسطيني والإعتراف بقراري مجلس الأمن رقم 242
و338، حيث كان في السابق مجرد التعامل مع أي من هذه العناصر ضرب
من الخيال في الساحة الفلسطينية. أنظر: سياسي فلسطيني كبير،
"قمة المصالحات العربية عادية... وغير عادية"، (القبس الدولي)،
العدد 1337، 3-4 جوان 1989، ص 14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسطينية أنه من حقها الإنطلاق من العمق الجغرافي والبشري للبلدان العربية بإعتبار أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي جزء لايتجزأ من الصراع العربي-الإسرائيلي، وبذلك فإن هدف الوحدة العربية يؤثر ويتأثر بالمشكلة الفلسطينية إلى درجة لايستطيع أي منهما العمل على حدة إنفراديا وهذا ما أكده الميثاق الوطني الفلسطيني في مادته الثالثة عشر ((الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيء الواحد منهما تحقيق الآخر، فالوحدة العربية تؤدي إلى تحرير فلسطين، وتحرير فلسطين يؤدي إلى الوحدة العربية والعمل لهما يسير جنبا إلى جنب)) ، وتأكيدا لنفس الطرح نصت المادة الرابعة عشر على أن ((مصير الأمة العربية بل الوجود العربي بذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية ومن هذا الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين، ويقوم شعب فلسطين بدوره الطليعي لتحقيق هذا الهدف القومي المقدس)) .

إن إعتماد الثورة الفلسطينية على العمق العربي ومحاولة تطويعه في صالحها ليس مرده إلى وحدة المصير والشعور بالإنتماء الواحد فحسب ولكن نظرا للظروف الصعبة التي وجدت فيها والمتمثلة في مواجهة عدو ليس ضدها فقط بل ضد العالم العربي كله وهو مايزيد من مصداقية هذا الترابط ويتطلب من البلدان العربية منح تسهيلات إستثنائية للثورة الفلسطينية بحيث تحظى بقدر من حرية التنقل والإستفادة من مختلف الإمكانيات المتوفرة لديها .

ونظرا لطبيعة الدولة الإسرائيلية فإن بقاء الثورة الفلسطينية وإستمرارها يتطلبان الإعتماد أكثر على الساحة الخارجية وخاصة العربية المحاذية لإسرائيل ، وهذا ليس لتأمين الدعم الدبلوماسي والإعلامي فحسب لأن ذلك يمكن أن تقوم به حتى بعض الدول الغير عربية ، فالمهم إذا هو الجانب العسكري الذي يحتاج إلى قواعد خلفية متعددة ودائمة لتأمين إنطلاق العمليات العسكرية ، وفي ذلك يقع العبء بالدرجة الأولى على مصر والأردن وسوريا ولبنان .

لقد شكلت هذه البلدان على مراحل مختلفة قاعدة الإنطلاق للثورة الفلسطينية إلا أن ذلك لم يدم طويلا نتيجة العدوان الإسرائيلي في 1967

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعطيله للجبهة المصرية والأردنية والسورية ، بالإضافة إلى تغيير نظرة بعض الدول العربية عندما أصبحت الثورة الفلسطينية تحمل في طياتها بعداً تقدمياً إذ لا تكمن مهمتها في التصدي للعدو الإسرائيلي فحسب بل وتهديد الأنظمة العربية التي تتبنى فكرة الحل السلمي، ومع هذه التحولات[1] إنتقلت الثورة الفلسطينية بشكل كبير إلى لبنان ومع إنعقاد إتفاقية القاهرة بين م.ت.ف والحكومة اللبنانية في 1969 ، حيث أصبح بإمكانها الإنطلاق من الأراضي اللبنانية إزداد ثقلها ووزنها في هذا البلد ليبدو العكس ضدها ، ومن أسباب ذلك حسب ما نرى هو خضوع الإتفاقيات المعقودة لتفسيرات شخصية لأن نص إتفاقية القاهرة مبني في جوانب كثيرة على عدم الدقة مسبقاً .

فعلى سبيل المثال تقضي هذه الإتفاقية بالسماح للفلسطينيين بتكوين نقاط للكفاح في لبنان، بينما تنص المادة الثالثة عشرة الخاصة بالعمل الفدائي بأنه ((من المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف))[2] .

نستخلص من هذا أن الحكومة اللبنانية تفهم أن من صلاحياتها توقيف الكفاح المسلح الفلسطيني إذا رأت أنه يمس سيادة بلدها تماشياً مع حقها في فرض سيادتها على التراب اللبناني بما فيه مناطق تمركز القوات الفلسطينية ، في حين ترى هذه الأخيرة أن مواقعها تقتضي السرية التامة على كل الأطراف وأن محاولات الحكومة اللبنانية في تقديمة أو توقيف عملها العسكري لايتماشى والإتفاق المنصوص الذي يعطي لها الحق في الإنطلاق من لبنان ، وكأننا بذلك بصدد دولة داخل دولة .

تطبيقاً على لبنان ندرك مدى الصعوبة التي إعترضت الثورة الفلسطينية فيما يتعلق بإعتمادها على العمق العربي، على أن ذلك لايمنع من وجود بعض السلبيات العالقة بفصائل هذه الثورة نفسها ، من ذلك أن المنظرة بين هذه الفصائل لقاعدة الثورة في لبنان مختلفة فهناك من تعامل

---

(1) في تلك الفترة يصح هذا القول على مبادرة السادات الإنفرادية وكذا البلدان التي تصادق و.م.أ .

(2) أنظر : إتفاق القاهرة في الملحق رقم 1 من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معها على أنها ورقة مساومة سوف يجري التخلي عنها على أية طاولة للمفاوضات.. وهناك من تعامل معها على أنها قاعدة إنطلاق لتحقيق أهداف مرحلية متلاحقة تتجه جنوبا نحو فلسطين، هذا في حين يرجع ياسر(1) عرفات هذه الصعوبات إلى ماتمثله الثورة الفلسطينية من نقطة تغيير حضاري في المنطقة العربية، فمن هنا تنشأ شراسة الأعداء الذين يفعلون كل شيء للحيلولة دون الميلاد العربي الجديد كآيات للتحدي الحضاري.(2)

مع خروج قوات م.ت.ف من لبنان في 1982 والسيطرة الإسرائيلية على جنوب لبنان يمكن القول بأن العمق العربي كله وتقصد بالتحديد المحاذي لإسرائيل لم يعد يمثل شيئا بالنسبة للثورة الفلسطينية، فقوات هذه الثورة لم تتشكل من أجل الإستقرار في اليمن وتونس والجزائر... بل من أجل الكفاح عن قرب إما في داخل فلسطين المحتلة وإما من خلال البلدان المجاورة لها، وعليه فإستحالة ذلك كان من الأسباب التي جعلتها تركز على الأداة السياسية لأنه الحد الأقصى الذي تسمح به هذه الدول للثورة الفلسطينية القيام به فوق ترابها.

قبل الوصول إلى هذه المرحلة لم تتخلى الثورة الفلسطينية عن العمق الجغرافي العربي بهذه السهولة، فلكون إنطلاقها من البلدان المحاذية لإسرائيل وخاصة الأردن ولبنان كان شرطا لإستمرارها فإنها قبلت الدخول في مواجهات عسكرية مع الأنظمة القائمة في البلدين وعليه حرصت على كسب المواطنين بالدرجة الأولى لما لهم من تأثير على أنظمتهم، ففي هذا السياق جاءت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني لسنة 1974 لتعطي الأولوية للجماهير على الأنظمة، ففي الأردن يجب إقامة جبهة وطنية أردنية فلسطينية هدفها إقامة حكم وطني ديموقراطي يتلاحم مع الكيان الفلسطيني الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال، أما في لبنان حيث الصورة أوضح فإن(3) الثورة الفلسطينية تمكنت من كسب قسم كبير من اللبنانيين، وهو ما

---

(1) علي الصراف، "لبنان في الإستراتيجية الفلسطينية"، (النقد)، العدد 798، ديسمبر 1985، ص 152.

(2) ياسر عرفات، مقابلة مع أحمد عبد الرحمان ومحمود درويش، (فلسطين الثورة)، عدد خاص 1979، ص 25.

(3) انظر: البرنامج السياسي المرحلي ل م.ت.ف (الملحق رقم 6) في: لاري فابيان و زئيف شيف، محرران، مرجع سابق، ص 245-246.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح من التنسيق السياسي والعسكري مع الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية ، ليفسر ذلك في البلدين بأنه تدخل فلسطيني في شؤونهما الداخلية .

إن القول بتغير نظرة الثورة الفلسطينية إلى العمق العربي بعد النكسات المتتالية وخاصة في الأردن ولبنان لا يعني أنها وجدت بديلا آخر بصفة نهائية بل ظلت تعتبره ضروريا ما دام لم يتحقق للشعب الفلسطيني حق تقرير المصير والعودة إلى وطنه ، وإنما فقط أصبحت لا ترغب الدخول في معارك هامشية أرهقتها أكثر مما إستفادت منها ، فضلا على تغير الظروف والمعطيات العربية والدولية حيث طغى أسلوب الحوار لحل النزاعات والخلافات[1] فقد ظهرت أساليب جديدة للعمل لها وقع على العدو في حين لا تسيء لعلاقاتها مع جيرانها العرب ، وهو ما يعزز من ناحية أخرى خدمة[2] مبدأ آخر من مبادئ الثورة الفلسطينية وهو الحرص على إستقلالية قرارها تجاه أي جهة كانت عربية أم غيرها .

وبإعتمادها على الخيار العسكري والتعامل المتوازن مع الدول حرصت الثورة الفلسطينية وخصوصا بعد بروز فتح في 1964 إلى المحافظة على إستقلاليتها وحريتها في العمل وحقها في تمثيل الفلسطينيين ، هذا على الرغم من تطلعات الدول العربية وتنافسها في مساعدتها ، فكان عليها مع ذلك الجمع بين التأييد الخارجي العربي خاصة وبين إستقلالية قرارها عسكريا وسياسيا ، هذا القرار الذي مر بمراحل هي نفسها التي مرت بها الثورة الفلسطينية .

---

(1) نعني بذلك بالخصوص الإنتفاضة الفلسطينية التي إنطلقت في ديسمبر 1987 ، وما حققته من إنتصارات سياسية عادت بالسلب على العدو الإسرائيلي ، بل حدث هناك إنشقاق كبير في صفوف التجمعات اليهودية والصهيونية في إسرائيل وخارجها . أنظر : أسامة خالد ، "الذكرى 41 لإغتصاب فلسطين - الإنتفاضة تعمق أزمة المشروع الصهيوني" ، (الهدف) ، العدد 959 ، ماي 1989 ، ص 27-34 .

(2) نقصد بذلك على الخصوص القرار السياسي والعسكري ، وهو لا يعبر بالضرورة عن إجماع فلسطيني كلي داخل فلسطين المحتلة وخارجها لأن الإجماع غدا أمرا مستحيلا بسبب كثرة الإختلافات والنزاعات بين التنظيمات والأشخاص وولاءاتهم لسياسات عربية عديدة ، وعليه فإننا نركز على الأغلبية الفلسطينية والتي هي تحت قيادة م.ت.ف.

(3) فيليب روندو ، "فلسطين ... أي مصير؟" ، (الوطن العربي) ، العدد 354 ، نوفمبر - ديسمبر 1983 ، ص 53 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعبيرا عن الرفض لقيام دولة إسرائيل شارك الفلسطينيون إلى جانب الجيوش العربية في حرب 1948 وتم في أشد الحاجة للعمل الجماعي، على أنه بعد تطور الأمور - أهمها إستفحال الخطر الإسرائيلي وتشريد الشعب الفلسطيني وموجة الحركات التحررية - إندلعت الثورة الفلسطينية في 1965 وعليه زادتها التجارب مع بعض الأنظمة العربية قناعة بالتمسك باستقلالية قرارها مهما كان الثمن وهو ما إحتواه الميثاق الوطني الفلسطيني في مادته الثالثة ((الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ويقرر مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه وفق مشيئته وبمحض إرادته وإختياره)).

وبعد عدوان 1967 وظهور بوادر الوصاية على م.ت.ف ومنافستها عبر مشاريع مطروحة لحل النزاع العربي-الإسرائيلي بالطرق السلمية ومنها مشروع الملك حسين الذي قدمه في مارس 1972 لإقامة إتحاد فدرالي في شكل مملكة عربية متحدة بين فلسطين والأردن،(1) بعد ذلك إزدادت الإرادة الفلسطينية في التمسك بقرارها المستقل بإعتباره السبيل الذي يجعلها في معزل عن المخططات الهادفة إلى تصفيتها وإنهائها خاصة وأنها كانت قد حققت في هذه الفترة تأييدا دوليا واسعا يمكنها من إسماع صوتها وفرض إرادتها في تمثيل الشعب الفلسطيني، وهو ما تجلى في قرار القمة العربية السابعة في الرباط في 9-10-1974 حيث تم التوصل إلى ((حق الشعب الفلسطيني في إقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على أي أرض فلسطينية يتم تحريرها ; وتقوم الدول العربية بمساندة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات وعلى جميع المستويات)).(2)

في سياق الإعتراف العربي بإستقلالية القرار الفلسطيني والتمثيل

---

(1) أنظر: مشروع: الملك حسين حول الإتحاد الفدرالي (الملحق رقم 8) في: لاري ل. فابيان و زئيف شيف، مرجع سابق، ص 254-259. نقلا عن: "الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1972، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مركز الوثائق والدراسات، أبوظبي، 1975، ص 115-119.

(2) نفس المرجع، ص 231. نقلا عن: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1974، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت، مركز الوثائق والدراسات، أبوظبي، 1976، ص 420-421.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرعي لـ م.ت.ف لكل الفلسطينيين إندلعت الحرب اللبنانية ، فكان على م.ت.ف التوفيق بين التمسك بقرارها المستقل من جهة وإحترام السيادة اللبنانية وكذا التعامل مع الأطراف المؤثرة في لبنان بشكل لا يعود عليها بالضرر من جهة أخرى.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن القرار الفلسطيني المستقل لا يجب فهمه على أنه هدف في حد ذاته بل هو هدف ووسيلة في آن واحد ، فمتى توافر أمكن تحقيق أهداف أخرى ، فضلا على الإعتبارات السياسية وإمكانية إختيارها للوسيلة المناسبة للعمل في سبيل إقرار حقوقها فإن هناك ضرورة المحافظة على الشخصية الفلسطينية منعا لذوبانها خصوصا وأن كثير من الفلسطينيين موزعين على دول عديدة يخضعون إلى عملية تحويل يفقدون مع التدريج حسهم بالإنتماء إلى بلدهم الأصلي فلسطين كوطن أول وأخير.

بذلك فإن المقصد النهائي لإستقلالية القرار الفلسطيني هو ((موقف سياسي يعني القدرة على التعبير عنه دون أي تأثيرات خارجية يمكن أن تحد من قدرة الطليعة السياسية في إتخاذ المنهج أو الخط الذي يخدم مصالحها ومصالح جماهيرها ، فلا يمكن القول بأن هذه القوى تمتلك إستقلاليتها أو أن هذه الدول كاملة الإستقلال إلا بعد أن تمتلك إمكانية إتخاذ الموقف السياسي المتحرر من أي تأثيرات ، الموقف السياسي الذي يخدم أهدافها وبرامجها..))[1]

مع ذلك نرى بأن حرص م.ت.ف على قرارها المستقل عن الإرادات العربية وغيرها إنما يعود بنسبة كبيرة إلى وجود محاولات للتحكم فيها ، ومما زاد في ذلك هو إعتمادها في عملها السياسي والعسكري على العمق الخارجي وخاصة العربي ، فأينما حلت وبالخصوص في البلدان المجاورة لإسرائيل فإنها تكون هدفا لذلك النظام للتحكم فيها وإستخدامها كورقة مساومة وضغط عند الحاجة ، وعندما ترفض ذلك تكون في كل مرة محل هجوم وتنكيل وطرد في النهاية لتبدأ نفس الشريط من جديد في بلد آخر.

---

(1) بدون كاتب ، " الموقف الفلسطيني من زيارة السادات للكيان الصهيوني" (فلسطين الثورة) ، عدد خاص ، جانفي 1978 ، ص 227.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال ماسبق نتوصل إلى أن القرار الفلسطيني المستقل تعترضه عراقيل عديدة لأنه محكوم بالتأثيرات العربية ، ويمكن قياس ذلك على نشاطه في لبنان، فوجود م.ت.ف في هذا البلد محكوم بإتفاقية إلا أن هناك صعوبة في تنفيذها بما يحقق لها إستقلالية قرارها ، حيث أن هنالك أولوية إحترام السيادة اللبنانية مما يصعب في كثير من الحالات ضمان سير آداءاتها العسكرية ضد العدو الإسرائيلي .

زد على ذلك أن القرار الفلسطيني محكوم بالقوى اللبنانية المضادة[1] أو المؤيدة للكفاح الفلسطيني، فلا يمكن القول في هذا المجال أن الكفاح الفلسطيني قبل المصالح الوطنية اللبنانية ، وأبرز مثال في هذا السياق ماحدث سنة 1982 ، فعندما كان القرار الفلسطيني يقضي بعدم الإستسلام للغزو الإسرائيلي عند حصار بيروت الغربية نلاحظ تراجعه بمجرد[2] أن لمس من القوى الوطنية اللبنانية إهتمامها بمصلحة بيروت ومكانتها بالدرجة الأولى على أساس ((أن الوضع في المنطقة الغربية عاد لا يحتمل مزيدا من المماطلة والتسويف ويجب التوصل إلى حل سياسي لإنقاذ العاصمة))[3] .

يؤدي بنا ذلك إلى القول بأن إستقلالية القرار الفلسطيني ليس بمبدإ مطلق بل هو نسبي، فإذا كان يؤثر في ما حوله فكذلك يتأثر بالظروف المحيطة به وبالتطورات العربية وغيرها ، من ذلك إنتقاله من مرحلة التمسك بتحرير كل فلسطين المحتلة - بما يعني زوال إسرائيل - إلى المطالبة بحسب مقررات قمة فاس في 1982 بإنسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة في 1967 فقط، وهو ما إعتبر في تلك الفترة كحد أقصى في خط التنازل الفلسطيني، هذا الخط الذي تأثر فيما بعد بالواقع اللبناني بدرجة كبيرة .

---

(1) محمد كشلي، "الأزمة اللبنانية والوجود الفلسطيني"، دار إبن خلدون، بيروت، 1975، ص147

(2) راجع نص الكلمة التي وجهها ياسر عرفات إلى مقاتلي القوات المشتركة يوم 4-8-1982 في: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 421 ,نقلا عن: صحيفة (السفير) اللبنانية ، الصادرة في 5-8-1982 .

(3) مجموعة من الباحثين، "الغزو الإسرائيلي للبنان" ،مرجع سابق، ص 522 , نقلا عن: جريدة (النهار) اللبنانية ، الصادرة في 5-7-1982 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: موقع لبنان في إستراتيجية الثورة الفلسطينية.

من منطلق المحاور الأساسية لإستراتيجية الثورة الفلسطينية سواء فيما تعلق بخيارها العسكري أو إعتمادها على العمق الجغرافي العربي المحاذي لإسرائيل وكذا ضمان قرارها المستقل، فإن لبنان - بموقعه الجغرافي ومزاياه العديدة وبفعل ظروف وأحداث معينة في المنطقة - شكل المبدان الأكثر إستقطابا للثورة الفلسطينية خاصة منذ بداية السبعينات ليصبح مع مرور الزمن ومسرحة البلد الأول من ناحية الأهمية مقارنة بالبلدان العربية الأخرى، بل إن بقاء وإستمرار الثورة الفلسطينية ظل محكوما ببقائها في هذا البلد خاصة بعد ما إستندت إلى إتفاقية مع الحكومة اللبنانية التي عارضها قسم ليس بقليل من اللبنانيين.(1)

وفي ظروف كان فيها لبنان ذو وزن كبير في إستراتيجية الثورة الفلسطينية - وبالتالي تريده قويا موحدا يساندها - كانت تواجهها معارضة شديدة من قبل الجيش اللبناني والمليشيات الكتائبية بل كانت في نظر هؤلاء السبب في عدم إستقرار المنطقة كلها على حد بيان بيار الجميل زعيم حزب الكتائب في 27-9-1974، بأن الثورة الفلسطينية هي ((... المسألة التي حرمت المنطقة هناءها وعرقلت مسيرة شعوبنا وأخرت النهضة وفجرت الثورات والإنقلابات والحروب أيضا أربع مرات... بدلا من أن تكون عضدا للدولة وعونا لها وجدت نفسها منذ البداية في نزاع معها وصراع...)).(2)

في خضم هذه الظروف إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية، وإذا كانت م.ت.ف المستهدف الرئيسي فقد حاولت إمتلاك نفسها في البداية مرجحة إستخدام الوسيلة السياسية إلا أنها سرعان ما إعتمدت على الوسيلة العسكرية بعد ما إزدادت ضدها هجمة القوى اللبنانية المعارضة لها بمساندة أطراف خارجية كإسرائيل.

فيما يتعلق بالأداة السياسية الفلسطينية فقد نبعت من قناعتها بأن

---

(1) أنظر: الفصل الأول من هذه الدراسة.
(2) أنظر: النص الكامل لبيان الجميل في مؤتمر الكتائب 27-9-1974 في: غالي شكري، "عرس الدم في لبنان"، دار الطليعة، بيروت، 1976، ص32-59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب اللبنانية ليست في مصلحتها على الإطلاق كما عبر عن ذلك ياسر عرفات ((إن مصلحة المقاومة لوقوع أي حادث في لبنان لأن كل ما يشغل المقاومة عن هدفها تعتبر بمثابة خسارة لها لأنه يبعدها عن مهماتها الأساسية)) (1).

من خلال ذلك وإعتمادا على أن وجودها في لبنان يستند إلى إتفاقية مع هذا الأخير، حرصت م.ت.ف على بناء علاقات مع كل الأطراف والقوى اللبنانية وبذلك عبرت عن إحترامها بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذا البلد، وفوق ذلك سعت من خلال مساعيها إلى تطويق الحرب، والضابط الوحيد في ذلك هو ((... إحترامها للسيادة اللبنانية إحتراما لا نتحفظ فيه ولا إبهام وإقرار لبنان بحق الثورة في التواجد على أرضه ضمن الإلتزام بما يربطنا بالإتفاقيات المعقودة ...)) (2).

بهذا الشكل إستطاعت م.ت.ف من عرض تواجدها في أغلب المساعي السياسية الجارية لتطويق حدة الصراع، وتوصلت مع السلطة اللبنانية إلى تشكيل لجنة التنسيق اللبنانية - الفلسطينية للبحث في الكيفيات الناجعة للتحكم في الأحداث وفرض الأمن، بل ومن أجل إنسجام الحكومة اللبنانية ذاتها مثل ما حدث لإقناع رئيس الوزراء رشيد كرامي للعدول عن إستقالته في نهاية أكتوبر 1975، فحتى وإن كانت هذه المساعي في مصلحة م.ت.ف - لأن الإستقالة المذكورة تعطي الفرصة للفريق المضاد للإنفراد بالقرار السياسي في فترة الإختلاف حول إنزال الجيش أو إبقائه محايدا - فإنها في النهاية في مصلحة م.ت.ف.

ومن بين ما سعت إليه م.ت.ف في سياق مساعيها السياسية هو إنتزاعها لإعتراف اللبناني بها وبقوة حضورها حيث أصبحت جنبا إلى جنب مع السلطة اللبنانية للإشراف على بعض المناطق وحفظ الأمن فيها كما جرى في طرابلس وبيروت في سبتمبر 1975، كما إستغلت م.ت.ف علاقاتها المتينة بالحركة الوطنية اللبنانية وإستطاعت أن تقرب وجهات النظر التي كانت الأداة العسكرية تزيد من إتساعها من حين لآخر.

---

(1) مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص34.
(2) أنظر: نص بيان ياسر عرفات حول أحداث 26-6-1975 في: نفس المرجع، ص 535-536.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما تقدم نتوصل إلى أن م.ت.ف حرصت على تثبيت الأمن والحد من حدة الصراع المسلح ، ففي ظل الهدوء تزول كل إحتمالات التقسيم الذي هو في غير صالحها بأي حال من الأحوال ، كما أنه يبعد إجراء لتفويت الفرصة أمام التدخلات الخارجية والتي يأتي في مقدمتها التدخل الإسرائيلي تحت مبررات عديدة منها حماية المسيحيين وعدم ترك الفرصة لإبادتهم .

وبالرغم من حرص م.ت.ف على عدم التدخل في الحرب اللبنانية إلا أن هذا الموقف لم يدم طويلا بل ليست هناك فترة زمنية يمكن أن نقول عندها أنها بقيت فيها خارج الأحداث العسكرية كلية ، وهذا يعود إلى جملة من الأسباب في مقدمتها الهجمة التي كانت قد إستهدفتها وتقوى يوما بعد يوم حتى أضحت لا تحتملها ، وإذا كانت قد تعاملت معها في البداية بشكل دفاعي إلا أنها تحولت إلى الأسلوب الهجومي دفاعا عن تواجدها الشرعي ومواقعها العسكرية والمدنية لتتطور الأمور إلى درجة وقوفها علانية إلى جانب القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، وإن كان هذا في إعتقادنا تم بتأثير عناصر أخرى البعض منها مرتبط بالساحة اللبنانية والبعض الآخر يتعداها كالتحولات الحاصلة في المنطقة ونتائج حرب أكتوبر 1973 .[1]

ففي ما يتعلق بالساحة اللبنانية قلنا بإيجابية الوحدة الترابية والبشرية اللبنانية لمصالح الثورة الفلسطينية ، على أنه في ظل الإنقسام السياسي والطائفي - كواقع يميز لبنان منذ فترة طويلة - فقد سعت هذه الثورة إلى الإستفادة منه كما هو ، ففي ظل تعذر كسب رضا الجميع لا داعي للتخلي عن صداقة قسم ولو كان قليلا ، وعليه وجدت م.ت.ف بأنها إلى جانب الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وكذا إلى جانب أغلبية الشخصيات الإسلامية في الحكومة اللبنانية ، بمعنى إستغلت عدم تجانس المجتمع

---

[1] بالرغم من الممارسات العسكرية الفلسطينية على الساحة اللبنانية فإن زهير محسن يؤكد بأن القيادة الفلسطينية لا تسعى إلى تحقيق إنتصار عسكري حاسم ضد القوى اللبنانية المضادة لها ، فمثل هذا الإنتصار سيجلب قوى أجنبية في مقدمتها إسرائيل كما يغذي فكرة التقسيم بل سوف يبرز وضعا لشعبين يسيطر أحدهما على الآخر . زهير محسن ، "معضلات لبنانية ومعضلات فلسطينية على الساحة اللبنانية " ، في : مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد ، مرجع سابق ، ص 563-564 .

اللبناني وكذلك السلطة اللبنانية بما يحقق لها البقاء قوية في هذا البلد نظرا لعدم وجود عمق جغرافي بديل في الوقت الذي تتمسك فيه بالخيار العسكري وبالقرار المستقل.

ومما زاد في تقلص الدور السياسي الفلسطيني هو بروز أطراف خارجية خاصة العربية منها في مقدمتها سوريا، فضلا عن أن هذه الأخيرة كانت أكثر قبولا لدى الأطراف المتصارعة وكذا الحكومة اللبنانية الممثلة خاصة في شخص رئيس الجمهورية فإن م.ت.ف كان عليها أن تظهر أكثر في شكل مساند للقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية التي تفتقر إلى التجربة والعتاد والأشخاص في بداية الأمر؛ بمعنى عدم إستطاعتها المكوث طويلا على الحياد وإلا فقدت مؤيديها في هذا البلد؛ وعلى ذلك كان إصرار الفريق الكتائبي على إخراج م.ت.ف كقوة مادية وبشرية من لبنان (1)، كما نظر الكثير إلى الوساطة الفلسطينية ((على أنها نوع من سخرية القدر من الدولة اللبنانية، إذ كيف تتهم القوى السياسية اليمينية الفلسطينيين بتهديد سيادتها وأمنها، في حين يتولون الوساطة بين أطراف الأزمة، — اليمين من جانب والقوى التقدمية من جانب آخر—)) (2).

بالإضافة إلى ذلك فإن إقتصار الدور الفلسطيني على الخيار السياسي والدفاع عن النفس عند الضرورة فقط تكتنفه أخطار عديدة ليس على بعض المواقع والتعامل مع تكتيكات الساحة اللبنانية فحسب بل مراعاة للواقع الخارجي حيث بعض من البلدان العربية لا تريد بديلا عن الخيار العسكري وإن أدى ذلك إلى الإنتحار (3)، أي أن بقاءها وإستمرارها محكوم بمدى تمسكها وإستخدامها للوسيلة العسكرية في لبنان في هذا الظرف، وفوق كل ذلك فإن معادلة العدو تعني تكريسا لسياسة و.م.أ في المنطقة بشكل أو بآخر

---

(1) علي الصراف، مرجع سابق، ص 147.
(2) عبد المنعم المشاط، مرجع سابق، ص 42.
(3) في هذا السياق تصنف رسالة معمر القذافي الموجهة إلى قادة م.ت.ف في 4-7-1982، جاء فيها: ((... الإنتحار على أنه أفضل من قبول الإذلال لأن إنتحاركم سيمجد القضية الفلسطينية للأجيال القادمة ودماءكم ستكون الوقود للثورة التي أصبحت حتمية من المحيط الأطلنطي إلى الخليج)). نقلا عن: منية الأصفهاني، "يوميات العدوان الإسرائيلي على لبنان"، (السياسة الدولية)، العدد 70، أكتوبر 1982، ص 184.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توازيا مع الإخفاقات المتتالية للدبلوماسية الفلسطينية في لبنان كانت أداتها العسكرية في صعود مستمر ضد الفريق المضاد الذي تجسدت قمة هجمته في حصار مخيم تل الزعتر سنة 1976 الذي دام فترة طويلة (1) بالرغم من وجود إتفاق كانت اللجنة العليا قد توصلت إليه في السابق يقضي بعدم التعرض لوسائل النقل بمختلف أنواعها خصوصا تلك التي تؤمن الخدمات العامة وبالأخص المواد التموينية .

بذلك إمتزجت أهداف م.ت.ف مع الأحزاب والقوى التقدمية اللبنانية الواضحة من خلال تنسيق مواقفها للتصدي للعدو المشترك خصوصا بعدما بدا التنسيق واضحا بين مليشيات الكتائب وإسرائيل عقب فترة كان الموقف السوري في صالح المليشيات المسيحية .

مع ذلك فإن الوجود الفلسطيني في لبنان مستهدفا في شكله العسكري والسياسي بل وكذلك قاعدته البشرية لشل حركته نهائيا ومنعه من ممارسة دوره العسكري إنطلاقا من الجنوب خصوصا ضد إسرائيل، ونظرا إلى أن معارضة ذلك كانت جدية وشديدة فإن الصلاحيات التي كانت تتمتع بها م.ت.ف في هذا البلد كانت تسير يوما بعد يوم إلى الزوال، فكان ذلك دافعا لها لإستثمار الفترات الزمنية الفاصلة وإستغلال ما يمكن إستغلاله سواء في تمتين علاقتها بالأحزاب والقوى التقدمية اللبنانية وتنشيط مساعيها السياسية خاصة على المستوى العربي ليكون عونا لها لأقصى درجة ممكنة، وهو ما يدل من ناحية أخرى عن الإرتباط الوثيق للنشاط العسكري الفلسطيني في لبنان بمجمل التطورات الحاصلة في المنطقة كلها لدرجة أن هذا النشاط كان إنعكاسا حتميا لهذه التطورات والعكس صحيح .

ومما سبق يتبين بأن م.ت.ف كان لها مؤيدون في لبنان، بل ساهمت إستراتيجيتها الثورية في يقظة ذلك الشعور الواسع بالحرمان والغبن عند فئات ومناطق واسعة في لبنان، لتنال مساعدتهم وعطفهم في النهاية (2)

---

(1) أحمد الزعتر، مرجع سابق، ص 282 .

(2) بشارة مرهج و طارق أحمد، "لبنان في الثورة الفلسطينية"، (شؤون فلسطينية)، العدد 62، جانفي 1977، ص 57 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي المقابل لذلك كان لها أعداء دفعوها إلى تقوية إمكانياتها وتنظيم صفوفها تفاديا لتكرار ما حدث في السابق، حيث يرجع ناجي علوش ماجرى للمقاومة الفلسطينية في الأردن إلى عدم تسليحها وتنظيم صفوفها.(1)

مع كل ذلك ظلت م.ت.ف تسعى لعدم الدخول كلية في الحرب اللبنانية مركزة جهودها في حدود الدفاع عن مواقعها ومخيماتها كدليل على تمسكها بإتفاقية القاهرة مع الحكومة اللبنانية إلى أن جاء الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف 1982 الذي أسفر عن خروج مايقارب 8000 من مقاتليها لينقل الوجود الفلسطيني في لبنان وجودا غير مسلح ممثلا فيما يقارب 300000 شخص ، وخلاصة ذلك أن م.ت.ف لم تستطع أن تبقى خارج الصراع اللبناني كما سعت في البداية .

يعود ذلك في تقديرنا ليس لأنها تريد أن تكون طرفا بمحض إرادتها وإنما هي مجبرة لإتخاذ موقف في وسط سياسي وعسكري داخليا وخارجيا يصعب معه الوقوف في الوسط دون الإنحياز إلى طرف معين، فكان من الطبيعي والحالة هذه أن يكون إنحيازها ووقوفها إلى جانب الفريق الذي تبنى ويتبنى بدرجة أكبر أهدافها وإستراتيجيتها الثورية ضد العدو المشترك وبالخصوص إسرائيل ، التي كان لها هي الأخرى دورا مميزا في لبنان تعاملت معه م.ت.ف على طول فترة تواجدها في هذا البلد كما تعاملت مع سوريا على فترات مختلفة .

المبحث الثاني : تعامل م.ت.ف مع التدخل السوري والإسرائيلي.

مع إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية سنة 1975 كانت م.ت.ف - بإستنادها إلى قاعدة شعبية فلسطينية ولبنانية في لبنان - تتمتع بمكانة مميزة في هذا البلد ، ومثل ما منعت الإندلاع أو كانت المستهدفة فقد صاحبت تطور الحرب وهي في أطوارها الأولى، ميزتها أنها كانت العنصر الأجنبي الوحيد - الغير لبناني - الذي أثر في هذه الحرب وتأثر بها في آن واحد على أنه سرعان ما أصبحت تشكل طرفا من عدة أطراف أجنبية عربية كانت

---

(1) ناجي علوش، "حول الخط الإستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا"، دار الطليعة ، بيروت، 1974 ، ص 25 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو غيرها لها تأثيرات متفاوتة مباشرة وغير مباشرة في الحرب اللبنانية ؛ فكانت مع ذلك م.ت.ف مثل ما هي مجبرة على التعامل مع أطراف الأزمة الداخليين فهي مجبرة على التعامل مع المتدخلين وفي مقدمتها سوريا .

المطلب الأول : التعامل الفلسطيني مع سوريا في لبنان.

إذا كان من الأنسب ل م.ت.ف أن لا تحدث هناك تدخلات في لبنان مهما كان مصدرها خصوصا وهو في حرب أهلية ، فإنها سرعان ما وجدت بأنها تتعامل مع أطراف أجنبية مقتحمة بلبنان في مقدمتها سوريا ،هذه الأخيرة التي نظرت إلى الوجود الفلسطيني في هذا البلد على أنه مهم ولا بد من إدخاله في حساباتها إذا ما أرادت تطويق الأزمة اللبنانية والتحكم فيها .

مع ذلك لم يكن خيار آخر أمام م.ت.ف غير التعاطي مع هذا الواقع ومسايرته ومنع سوريا من الوصول إلى مواقف قد تكون متطرفة وفي غير صالحها خاصة وأن الوضع العربي تغير في ظل ميول غالبية دوله إلى الحل السلمي مع إسرائيل ؛ بمعنى العمل على إستثمار التحرك السوري في لبنان لصالحها وبحسب ما يتماشى وإستراتيجية ثورتها في لبنان وخارجه سواء أكان التحرك السوري سياسيا أم عسكريا .

على هذا الأساس فقد مر تعامل م.ت.ف مع سوريا في لبنان بمراحل مختلفة تحكمت فيها الظروف الداخلية لهذا الأخير وكذا التحركات الدولية أكثر ما تحكمت فيها الروابط المشتركة الموجودة بينهما التي تستدعي منهما توحيد المواقف لمجابهة العدو المشترك، كما أن الخلاف في هذا المحور الأخير وكيفية الإعداد له لعب دورا بارزا في العلاقة بينهما .

تبدأ المرحلة الأولى لعلاقة م.ت.ف بسوريا في لبنان مباشرة مع إندلاع الحرب الأهلية حيث كان الحضور السوري مبكرا في شكله السياسي، فمع ذلك كان المسعى متقاربا سواء تعلق الأمر بتفويت الفرصة على الأطراف الأجنبية للتدخل وفي مقدمتها إسرائيل أو تمثل في تطويق الأحداث المسلحة والإختلافات السياسية التي تؤثر سلبا على الصراع المصيري العربي — الإسرائيلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضمن إطار التنسيق الفلسطيني - السوري تشكلت اللجنة العسكرية العليا من لبنان وسوريا و م.ت.ف في جانفي 1976 من أجل إعادة الحياة الطبيعية عن طريق وقف القتال ووضع برنامج زمني لذلك وتعميمه على كامل التراب اللبناني، وعليه فإن أقل مايقال عن المشاركة الفلسطينية في هذه اللجنة هو الإعتراف السوري بالدور الفلسطيني ووزنه كمايعد ذلك إعتراف من مختلف القوى اللبنانية بقوة م.ت.ف عسكريا وسياسيا وبأنها لاتتأثر بالأحداث اللبنانية فحسب بل تؤثر فيها بقوة.

ثم تدم فترة التعاطي الإيجابي ل م.ت.ف مع سوريا في لبنان طويلا، فعندما بدأت حسابات الربح والخسارة تخوفت سوريا من خسارة الفريق اللبناني المضاد ل م.ت.ف والممثل خاصة في حزب الكتائب وحلفائه وهو الفريق الذي لايعترف بالإتفاقيات المعقودة بين لبنان و م.ت.ف لأنها ((في الأصل إتفاقيات مرفوضة من القيادات المسيحية من حيث المبدأ لأنها تكرس الوجود الفلسطيني المسلح على الأراضي اللبنانية..)).[1]

لقد تزامن ذلك وإزدياد رغبة الرئيس اللبناني في طلب مساعدة الجامعة العربية كإشارة إلى خيبة أمله في الدور السوري، ومن هنا بدأت معالم إبتعاد سوريا عن م.ت.ف بينما تقترب أكثر من الحكومة اللبنانية والقوى المسيحية لتوسيع الشرخ وتتصلب معه المواقف بعد ما حدث التلاحم بين م.ت.ف والحركة الوطنية اللبنانية التي أصبحت تربط الإصلاح السياسي الداخلي بمدى إستجابة السلطة اللبنانية لمطالبها الممثلة في تقديم العون للثورة الفلسطينية وإنسحاب القوات السورية من لبنان نظرا لإنحرافها عن هدفها مع بداية 1976.

ومما يلاحظ على م.ت.ف في مرحلة المواجهة العسكرية مع سوريا - وهي تمثل المرحلة الثانية من التعامل معها في لبنان - أنها وصلت إلى أعلى مراحل الفشل في كسب التأييد السوري، ومن هنا كان عليها الرضوخ أو المجابهة، وعندما إختارت المجابهة حفاظا على قاعدتها البشرية في لبنان وعلاقتها بالحركة الوطنية ومواقعها العسكرية وإستقلالية قرارها كانت إستماتتها

---

(1) نقلا عن: مركز الأبحاث والدراسات والمخطوطات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 283.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوية حيث إنتقلت في مواجهتها إلى العمق السوري، ففي هذا السياق أعلنت منظمة الثوار السوريين في 25-8-1976 عن مسؤوليتها في تفجير أنابيب البترول إنطلاقا من أن ((هذا البترول كان يغذي دبابات و آليات الإنعزاليين وقوات النظام السوري الغازية للبنان ضد المقاومة الفلسطينية و الحركة الوطنية))[1]؛ وفي نفس الإطار حدث في الشهر الموالي إقتحام مجموعة فدائية لأفخم فنادق في سوريا مطالبين بالإفراج عن الفلسطينيين المعتقلين في سوريا، وعلى إثر ذلك أعدمت السلطات السورية ثلاثة من هؤلاء بعد القبض عليهم.[2]

بالرغم مما للجانب العسكري من أهمية فيما يتعلق بالرد الفلسطيني على التحول السوري في لبنان إلا أنه في إعتقادنا أن ردالفعل الذي كان له مدى أكثر تمثل في الإتصالات الفلسطينية بالدول العربية لتنزل بثقلها لإرغام سوريا على تغيير موقفها، مستفيدة في ذلك من العلاقة المتدهورة لهذه الأخيرة مع كل من العراق ومصر، فضلا على أن الدول العربية في السنة الأولى من الحرب اللبنانية كانت ترفض التدخل في هذا البلد معتبرة أن ما يجري بداخله يخصه بالدرجة الأولى.

في هذا السياق جاء إنعقاد مجلس جامعة الدول العربية في دورة طارئة بالقاهرة في 8-7-1976، وإذا كان غياب سوريا عنه حال دون تطبيق مقرراته فإن حضورها في القمة السداسية في الرياض في 16-10-1976 ثم في القاهرة في 25 من نفس الشهر جعلها تقبل بالحل العربي متجاوزة الحل الإنفرادي الذي تريده، وبذلك فإن م.ت.ف تمكنت من تعريب الأزمة اللبنانية وخلقت إهتمامات جديدة للدور السوري ماكانت لتكون لو عرف كيف يتحاشى الغضب الفلسطيني منذ الوهلة الأولى.

لم يكن واقع الخلاف الفلسطيني - السوري على أرض لبنان يرضي أي منهما، وعليه فقد إستفادت م.ت.ف من دروس المرحلة السابقة وماجلبه لها الموقف السوري من كوارث على مختلف الأصعدة عسكرياوسياسيا، ولذلك كان معيشافي إنهاءهذا الوضع يأخذطابع الأولوية، وبحكم أن قرارذلك لايتوقف

(1) "شهريات أوت1976"، (السياسة الدولية)، العدد46، أكتوبر1976، ص201.
(2) "شهريات سبتمبر1976"، (السياسة الدولية)، العدد47، جانفي1977، ص169.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على إرادتها المتعددة فقد زادت الحاجة إلى بروز تغييرات جديدة سواء في الساحة اللبنانية أو خارجها عليها تخدم هذا النهج وتحمل سوريا على تغيير أسلوبها ليكون بجانبها.

في خضم هذا الأمل المجهول أفرزت الجهود الأمريكية واقعا جديدا تمثل في دفع النهج الداعي إلى حل مشكلة الشرق الأوسط بالطريقة السلمية وهو ما تزامن ووصول ما يعرف باليمين الإسرائيلي بقيادة مناحيم بيغن إلى الحكم في ماي 1977، ومن ثم إبداء إستعداده الكامل لإيجاد حل سلمي إنفرادي والذي تجسدت خطوته الأولى قبل زيارة السادات إلى القدس في 19 نوفمبر من نفس السنة.

لقد إستطاعت م.ت.ف إستغلال وقع المبادرة المصرية الإنفرادية على سوريا في سبيل تحسين موقعها معها في لبنان، فسرعان ما إتضح ذلك من خلال البيان الختامي لمؤتمر طرابلس في ليبيا، حيث تم التأكيد على ضرورة التنسيق بين سوريا والثورة الفلسطينية (فقد أعلنت كل من الجمهورية العربية السورية و م.ت.ف تشكيل جبهة موحدة بينهما لمواجهة العدو الصهيوني والمؤامرة الإمبريالية بكل أطرافها، وإسقاط كل محاولة للإستسلام)[1]

وإنطلاقا من العلاقة الجديدة عملت م.ت.ف على الإستفادة منها على أرض الواقع وبالذات في لبنان لأنه الميدان الأنسب لإختبار مدى صدق النية السورية في تنفيذ إلتزاماتها في ظل المعطيات الجديدة والظروف المختلفة عن السابق، فالمتتبع للعمل الفلسطيني بعد هذه الفترة يلمس التحسن الفعلي لمصالح م.ت.ف خاصة بعد إنكشاف التنسيق بين إسرائيل والمليشيات المسيحية وما يقتضيه ذلك من تنسيق في العمل العسكري.

بالرغم من ذلك نعتقد بأن م.ت.ف بتمسكها بالخيار العسكري في ظل الأوضاع الجديدة مع سوريا كانت تنتظر من هذه الأخيرة أكثر من ذلك، ففي ظل صدام أكثر شمولية على الساحة اللبنانية يمكن لقوى خارجية التدخل لتنظيم الصراع، وفي هذه الأثناء يمكن التطرق إلى المشكلة الأم وهي القضية الفلسطينية؛ بمعنى هناك إمكانية حل هذه المشكلة إذا ما ساهمت سوريا في

---

(1) أنظر. النص الكامل للبيان الختامي لمؤتمر طرابلس، في: (فلسطين الثورة)، عدد خاص، جانفي 1978، ص 206.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعقيد الوضع في لبنان بينما العكس في ظل المواجهات المحدودة حيث تتحمل م.ت.ف القسط الأكبر منها في حين تبقى في على الحسبان مع إمكانية الرد الإسرائيلي عليها حسب الأشكال المحدودة في ظل إرادة دولية لاتعمل على البحث بجدية لحل القضية الفلسطينية مادام الأمر لايتعلق بتهديد أمن المنطقة ككل ، بل هو مجرد عمليات محدودة تسعى من خلالها م.ت.ف إلى إثبات حضورها السياسي وإستمرار تمسكها بخيارها العسكري دون أن يمكنها ذلك من فرض حل جذري لمشكلة تعود إلى فترة ليست بقريبة .

لهذا السبب فقد كان من مصلحة م.ت.ف أن يصل الدور السوري إلى حد التغطية الجوية والمساعدة اللوجيستيكية وتمكينها من أخذ مواقع إستراتيجية تؤهلها على الإستعمال الأمثل لأدواتها الحربية وتحسين مكانتها سواء ضد التهديدات اللبنانية الداخلية أو ضد إسرائيل ، ومن هذا المنطلق فقد إستفادت كثيرا من الحضور السوري لمايمثله من قاعدة خلفية وإبقاء إمكانية التدخل بجانبها في لحظات الحصار الشديد والخطر المحدق .

وإذا كان التعاون السوري - الفلسطيني لم يصل إلى حد تكوين جبهة قتالية مشتركة ، فمرد ذلك إلى الخوف السوري من إندلاع حرب شاملة في المنطقة لأنه ((من الطبيعي أن إندلاع حرب كهذه سوف يحول المسألة فورا من صراع محلي إلى أزمة إقليمية متفجرة مع كل مايتطوي عليه ذلك من أبعاد وعواقب دولية وإستراتيجية عامة ، فقد يصبح الوضع اللبناني مجرد أمرا ثانويا بالمقارنة مع الجوانب الأخرى)) [1].

إذا كانت الحرب الشاملة مستبعدة في مثل هذه الظروف فإن أقل مايقال عن الدور السوري أنه أصبح عامل ردع في لبنان لمصالح م.ت.ف ، بحيث مكنها هذا الوضع من تعديل ميزان القوى في الصراع الدائر، فضلا على أن هناك دعما سياسيا سوريا ل م.ت.ف تكرس بإنعقاد الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في دمشق فإن هناك دعما عسكريا تجلى في التصدي السوري لإسرائيل حيث وصل مع بداية سنة 1981 إلى درجة عالية من

---

(1) نقلا عن : حسين آغا وآخرون ، مرجع سابق ، ص 11 .

الخطورة بعد إدخال سوريا صواريخ سام إلى البقاع اللبناني ورفض إسرائيل لذلك، وفي الأزمة التي إستمرت حتى غزو إسرائيل لبنان في صيف السنة اللاحقة.

وبالرغم من ذلك فإن تتبعنا لهذه الفترة يوحي بأن مواقع أقل بكثير مما كانت تنتظره م.ت.ف، ففي الوقت الذي إكتفت فيه سوريا بالتأكيد على أن أي إعتداء على الشعبين اللبناني والفلسطيني يعد إعتداء عليها مكتفية بفرض الأمر الواقع وعدم إستعدادها حتى لإستقبال المقاتلين الفلسطينيين عند خروجهم من بيروت، نجد مواقف الدول العربية في غالبيتها إقتصرت على التنديد بالغزو الإسرائيلي مع بعض الإتصالات لعقد قمة عربية، مما أعطى الفرصة لإسرائيل للتحكم في الأوضاع اللبنانية أكثر وإخراج م.ت.ف في النهاية من لبنان لتبدأ مرحلة أخرى تتميز بالقطيعة مع سوريا.

تعد مرحلة ما بعد خروج قوات م.ت.ف من بيروت إلى العديد من البلدان العربية، إنعكاس حتمي لميل ميزان القوى العسكري لصالح إسرائيل وحلفائها اللبنانيين أكثر ما هو نتيجة للمساعي السياسية التي بالرغم أنها كانت في السابق حاضرة لنفس الغرض إلا أن الوضع العسكري الجديد نسبيا ل م.ت.ف حال دون بلوغ إخراجها من لبنان.

بتعبير آخر فإن خروج م.ت.ف من لبنان ما هو إلا نتيجة للتغيير الشامل الذي لم تساهم سوريا في تعديله في الوقت المناسب بل حتى عندما تقرر الخروج كان موقفها السياسي ضد ذلك بينما لم تساهم عسكريا في منع وقوعه مكتفية بإتخاذ موقف دفاعي ضد الهجمات الجوية الإسرائيلية حتى على مواقعها في البقاع، وأصبح من غير المعقول أن تطلب من الفلسطينيين وهم محاصرين مزيدا من الصمود والتحدي بينما هي لا تحرك ساكنا برغم الإمكانيات العسكرية والإمتداد الجغرافي الذي كان في حوزتها.

وككل الحروب فقد أفرزت المواجهة الفلسطينية - الإسرائيلية حقائق أخرى على مستوى الكفاح الفلسطيني وبروز إتجاه نقدي والإختلاف حول مضمون العمل ما بعد الخروج من لبنان، ففي حين تمسك ياسر عرفات بإستقلالية القرار الفلسطيني وإعتماده كل الأساليب التي من شأنها أن تعود بالفائدة

في النهاية لمصالح القضية الفلسطينية حتى وإن أدى الحال لإتباع بعض التكتيكات التي تبدو لا تتماشى والميثاق الوطني الفلسطيني إنطلاقاً من الظروف الصعبة التي تمر بها الثورة الفلسطينية ، نجد المعارضة وهي المشكلة خاصة من الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ((القيادة العامة)) والصاعقة وجبهة النضال الشعبي تناقض تلبية هذا الطريق مؤكدة في بياناتها الصادر في مطلع جانفي 1983 رفضها لكل ((مشاريع التسوية المطروحة على المنطقة مشروع فاس ومشروع ريغن ومشروع الكونفدرالية والمبادرة المصرية — الفرنسية)) [1].

في تقديرنا ما كان لسوريا — وهي التي تتبنى نهج المعارضة — أن تحقق وتفرض وصايتها على جزء من م.ت.ف لو لم يتم تجزئة أكبر تنظيماتها وهي فتح ؛ لقد ظهر هذا الخلاف بعد الخروج من بيروت إلا أنه أخذ شكله التصعيدي بعد ما إتهم الإنفصاليون القيادة العليا الممثلة خاصة في شخص ياسر عرفات بالقصور والعجز في تقييم المراحل السابقة وطالبت بالتخلي عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإعتراف بإسرائيل وضرورة شد العزلة على مصر ، وتوصلت في مطالبها إلى إعادة النظر في مختلف الصيغ بما يتماشى والميثاق الوطني الفلسطيني، وهذا ما حاول المجلس الوطني الفلسطيني تحقيقه في دورته السادسة عشرة في الجزائر إلا أن الخلافات بقيت مستمرة خاصة بعد ما إستئنفت المحادثات مع الأردن بشأن قيام كنفدرالية أردنية فلسطينية ، مما أدى إلى إعتماد الأسلوب المسلح كأعلى شكل لحسم الخلاف السياسي الداخلي [2].

إن المتتبع لهذه المطالب يجدها متطابقة مع الإرادة السورية في عدم مصالحة مصر حتى تتخلى عن إتفاقيات كامب ديفيد ، وكذلك إبعاد الحلول المطروحة التي من شأنها أن تؤدي إلى تبادل الإعترافات بين إسرائيل والدول العربية ، وخوفاً منها في إزدياد عزلتها سارعت سوريا إلى إحتواء الفريق الفلسطيني الذي تلتقي معه دون الإكتراث بما يسمى بإستقلالية القرار الفلسطيني الذي طالما تحدث بصوته .

---

(1)(2) بدون كاتب، " القضية الفلسطينية "، ((الإتحاد))، عدد خاص 1983؛ ص 20-24 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد هذا التناقض أصبح من الصعب على القيادة الفلسطينية التوفيق بين قضايا سوريا وبين إستقلالية قرارها الذي يضمن لها إتباع الأسلوب الأنسب في سبيل نيل حقوقها، وما إختيارها لهذا الأخير على حساب الأول إلا دليل على قوتها الذاتية، وما التعامل مع سوريا إلا تكتيكا ضمن إستراتيجية شاملة تأخذ في عين الإعتبار مصلحة الثورة الفلسطينية قبل كل شيء.

لقد أدى هذا الإختلاف المبدئي – وليس التفسيري – إلى إبتعاد م.ت.ف بزعامة ياسر عرفات عن سوريا، ويتجلى هذا الإبتعاد في الذهاب أبعد من السابق وقوعا تمثل في زيارة عرفات إلى مصر في ديسمبر 1983 بعد خروجه من طرابلس ومعه 4000 مقاتل على إثر حصار فرضته عليه سوريا والمنشقين الفلسطينيين التابعين لها.

بإعتقادنا أن إبتعاد م.ت.ف عن سوريا لا يعود إلى حرصها على صيانة قرارها المستقل فحسب، فبالإضافة إلى التجارب السابقة التي أذاقتها الكثير من الويلات على يد القوات السورية وإمكانية تكرار ذلك مستقبلا، فإنه لم تعد جدوى من هذا التنسيق مستقبلا خاصة على الساحة اللبنانية، فما لم نستطع تحقيقه في الماضي بالرغم من الظروف المواتية لا يمكن القيام بأكثر منه في ظل أوضاع زادت فيها التدخلات الخارجية بينما جنوب لبنان محتل من قبل إسرائيل، والحكومة اللبنانية كسبت الشرعية الدولية والعربية أكثر من أي وقت مضى، وهي عوامل كلها تعمل في غير صالح م.ت.ف، ففي حالة بقائها بجانب المراقبة السورية فإنها ستكون في شكل مؤسسات عسكرية وسياسية جامدة، فلا تعهدات سورية تسهل لها مهمة الكفاح ضد إسرائيل وهما يتقاسمان في الداخل – لخلق جبهات مواتية لذلك – ولا حتى نقطة على الصعيد السياسي تماشيا مع ما يمكن أن يكون الحد الأدنى لكسب حقوقها، وبذلك فقد حكمت على نفسها بهذه الطريقة بالنهاية المبكرة.

تماشيا مع هذا التحرك المستمر عسكريا وسياسيا بالنسبة لحركة تحريرية فإننا نرى من الناحية التقييمية وما آلت إليه هذه العلاقة أنها تنصب في بوتقة واحدة، فإذا كان الطرف الذي تؤيده سوريا يمتلك زمام المبادرة العسكرية أكثر فإن جناح ياسر عرفات يمتلك زمام المبادرة السياسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالتالي فإن الجانبين بضمان القضية ذاتها في النهاية .(1)

المطلب الثاني :- التعامل الفلسطيني مع إسرائيل في لبنان :

أول ما يتبادر إلى الذهن فيما يتعلق بالتعامل الفلسطيني مع إسرائيل سواء داخل لبنان أو خارجه هو أن علاقة التعامل هذه ذات صبغة واحدة محكومة بالعداء على الدوام — بخلاف الأطراف الأخرى — فحتى وإن كانت درجة الصراع وحدته ترتفع وتنخفض من فترة لأخرى فإن العلاقة ظلت محكومة بالصبغة العدائية كل يتربص بالآخر حسب المستطاع ، وعليه فقد وضعت م.ت.ف في عين الإعتبار إمكانية التدخل الإسرائيلي في لبنان عندما إنطلقت حرب الأهلية .

يرأينا أن لا أحد يعرف إسرائيل مثل ما تعرفه م.ت.ف ، هذه المعرفة الدقيقة التي تمكنها من طرح بدائل جديدة عند كل مرحلة ، وعلى ذلك أول ما حرصت عليه في لبنان هو إبعاد إسرائيل قدر ما أمكن عن هذا البلد بكل الوسائل وعدم إعطائها فرصة التدخل ، وإذا ما تم ذلك لسبب من الأسباب أو لظرف من الظروف فإن المطلوب هو مجابهتها والوقوف في طريقها وتهيئة أسباب فشلها ببذل كل ما يمكن بذله داخليا وخارجيا .

من خلال تتبع السياسة الإسرائيلية تجاه لبنان والوجود الفلسطيني فيه قبيل 1975 ندرك مدى ضعف الجيش اللبناني في حماية ترابه ومدى إنقسام القوى اللبنانية تجاه ذلك ، وعليه فقد إعتمدت م.ت.ف على نفسها في الرد على إعتداءات الإسرائيلية والوقوف ضد الفريق اللبناني المعارض لها ، وما إندلاع الحرب الأهلية في هذه الأجواء إلا دليل على أن المستقبل القريب يحمل معه أخطارا أكبر ، ومن اللازم بناء قاعدة مادية وبشرية تكون في مستوى كل التقديرات لحماية نفسها من خلال ضمان إستمرار إتفاق(2)

---

(1) إن القول بذلك لا يعد مناشيرا للإنقسام الحاصل في صفوف م.ت.ف ، لأن توحيد الجهود وإستغلال كل الإمكانيات يقلل من الصفات التي يجب أن تتحلى بها أي منظمة ثورية تحررية مثل م.ت.ف خاصة وهي تواجه إسرائيل بطبيعتها العدوانية التوسعية .

(2) الأكثر من ذلك أنه كان في إستطاعة إسرائيل التحرك بكل سهولة داخل لبنان ، ففي أفريل 1973 قامت وحدات إسرائيلية خاصة بإغتيال ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية في قلب بيروت وهم : أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان . المركز العربي للمعلومات ، مرجع سابق ، ص 10 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظاهرة الذي يخول لها الإنطلاق عسكريا من لبنان ضد إسرائيل.

وعندما ندرك بأن رغبة منع تدخل إسرائيل في الحرب اللبنانية يسير بالتوازي مع إستمرار الكفاح الفلسطيني إنطلاقا من الجنوب اللبناني تصبح معوبة بل إستحالة منع هذا التدخل؛ فإذا كانت إسرائيل قد إمتنعت عن التدخل في بداية الأمر فلن يكون ذلك موقفها على الدوام وهي تتلقى الضربات ودعوات التدخل من قوى لبنانية معينة بل وتلاحظ تدخل أطراف أجنبية عربية كانت أم غيرها في بلد مجاور لها طالما طمعت وخططت للتوسع نحو جنوبه الجذاب.

بالرغم من أن التدخل الإسرائيلي في لبنان لم يكن مبكرا لعوامل عديدة، فإن م.ت.ف - وما إعترضتها من أخطار داخلية من قبيل سوريا أو الملشيات المسيحية - كانت تتهيأ لمجابهة إسرائيل، صحيح أن هناك عدم تكافؤ في الإمكانيات إلا أن معرفتها للأرضية اللبنانية وتلاحمها بالسكان المدنيين بالإضافة إلى التحصينات المقامة منحتها فرصة تغطية جانب كبير من النقص الحاصل في الجانب البشري والعتادي وهذا بالتركيز على عاملين كما صرح بذلك أبو الوليد[2] ((إطالة مدة القتال إلى الحد الأقصى وتدمير ما أمكن من قوات العدو))[3].

ومن منطلق آخر فإننا نجد بأن مواجهة م.ت.ف إسرائيل في لبنان أو إنطلاقا منه يذهب إلى أبعد مما ذكرنا، فهو يهدف إلى إبراز البعد الثوري توازيا مع السمعة السياسية التي تتمتع بها في جميع أنحاء العالم، وبالتالي فإن السبيل الوحيد لتأكيد ذلك يكمن في إعطاء الدليل على إمكانية مواجهة إسرائيل ليس بمجموعة من الفدائيين فقط، بتنفيذ عمليات محدودة مكانا وزمانا، وإنما الأمر يتعلق بأكثر من ذلك ممثلا في جيش حديث على درجة كبيرة من التنظيم تسيره قيادة ليست أقل

---

(1) أنظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(2) أبو الوليد هو سعد صايل: شغل منصب أمين سر القيادة العامة لقوات العاصفة، نائب مفوض الأرض المحتلة ومدير العمليات المركزية للثورة الفلسطينية وللقوات المشتركة.

(3) أبو الوليد، "تقييم للعمل العسكري الفلسطيني داخل وخارج الوطن المحتل"، إستجواب في: (فلسطين الثورة)، عدد خاص، جانفي 1979، ص 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قدرات الجيوش النظامية الحديثة برغم الإمكانيات المتواضعة والمساحة المحدودة .

لقد أحدث هذا التحول والتطور تغييراً كبيراً في مواقف إسرائيل نفسها وهو ما نستشفه من قول عضو الكنيست الجنرال السابق مرد خاي عنوي : ((تنطلق منظمات حرب العصابات إلى الإنتقال من مرحلة عمليات " اضرب وأهرب " إلى مرحلة تحاول أن تقيم خلالها نظاماً دستراتيجياً قريباً من العدو وللإنتقال إلى حجم أكبر من العمليات وهذا ما حاول (الفدائيون) القيام به .)) .[1]

بتعبير آخر فإن الظروف قد منحت الثورة الفلسطينية لأول مرة فرصة تحقيق المواجهة مع الجيش الإسرائيلي وجهاً لوجه وبدون مساعدة الجيوش العربية ، وهذا ما من شأنه أن يسقط الإدعاءات الإسرائيلية حول ما تسميه بالمخربين الفلسطينيين ، وإثبات لها وللعالم بأن الأمر يتعلق بأكثر من ذلك بكثير حسب ما يعبر عليه الواقع المسلح على أرض الميدان .

إن القول بذلك لا يعد حصراً للمواجهة في جوانبها العسكرية البحتة وإنما لها إنعكاسات على الجانب السياسي ، ومن ذلك تأتي حتمية الرمي بكل ثقلها علها تستطيع تحقيق أكبر ما يمكن تحقيقه في ظل أوضاع وتحركات لا يمكن أن تكون في المستقبل في صالحها إطلاقاً ، هذا بالإضافة إلى أن الساحة اللبنانية تعد قاعدة أخيرة في يدها بل هي مختبر لحل الصراع العربي - الإسرائيلي سواء إتخذت طريقة التصعيد العسكري أو المفاوضات السياسية .

لقد شهد العمل الفلسطيني هذا في مراحل مختلفة ، فبالرغم من أنها تدرك خطورته إلا أنها كانت تخرج في كل مرة بإنتصارات سياسية زادت من سمعتها ، بل إنعكس ذلك سلباً على إسرائيل وعجزها في حماية مستوطناتها الشمالية على إثر سرعة المبادرة الفلسطينية المستعجلة كما أكد وزير دفاعها السابق عايزرا وايزمن ، بأن المخربين يتجددون في تطوير أساليب القتال بحسب الإجراءات الوقائية التي تتخذها إسرائيل ، فإنما إعتمدوا على القصف

---

(1) نقلاً عن : بدر عبد الحق و غازي السعدي ، مرجع سابق ، ص 107 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قرب الحدود زاما من مناطق أبعد بصواريخ كاتيوشا، وفي أعقاب المحاولات يلجئون إلى التسلل داخل إسرائيل، وعندما أقامت هذه الأخيرة الجدار الإلكتروني لجأوا مجددا إلى إطلاق القذائف من مواقع في المؤخرة مع محاولات التسلل إلى إسرائيل عن طريق البحر.(1)

مما سبق نتوصل إلى أن م.ت.ف لا ترغب في تدخل إسرائيل في الحرب اللبنانية مع إستمرار رغبتها في تصعيد عملياتها إنطلاقا من الجنوب ضد المستوطنات الإسرائيلية الشمالية، وهي إذ تدرك سلفا بأن إسرائيل تبحث عن مبرر مباشر للتدخل فإنما بعملها ذلك تستدرجها للتدخل الفعلي،(2) مما يوحي بأنها متناقضة بين طموحها كرغبة وسلوكها كممارسة، وهذا يعد بإعتقادنا من أكبر الصعوبات التي واجهتها في لبنان وبالتحديد تجاه إسرائيل، حيث فرض عليها تمسكها بالخيار العسكري ليس مواجهة الإعتداءات الإسرائيلية من قصف جوي وبري وبحري وعمليات في الداخل من حين لآخر فحسب بل التصدي لغزو شامل للجنوب في 1978 ثم لأكثر من نصف لبنان سنة 1982 الذي إستهدف إقتلاع المواقع والتحصينات الفلسطينية من هذا البلد نهائيا.

وبعد سلسلة من التحولات في الساحة اللبنانية التي أدت إلى تغيير موازين القوى مع نهاية 1976 – على إثر المبادرة العربية – بدى واضحا لإسرائيل أكثر من السابق بأن الفرصة مواتية للتدخل في لبنان بحجة أن الأعمال الوقائية ضد م.ت.ف لم تعد نافعة على حد تعبير الجنرال أفيغدورين قائد الجبهة الشمالية: ((إن تلك العمليات عديمة الجدوى ولن تضعف من القوة العسكرية الفلسطينية... وإذا كنا نود محاربة المخربين فعلينا أن نكون هناك حيث يتواجدون ويعملون)) ؛ أي في لبنان.(3)

لقد إنعكس ذلك في غزو إسرائيل لجنوب لبنان في مارس 1978، فمن أهداف هذا الغزو المشاركة في إدارة الحرب اللبنانية الدائرة منذ سنوات،

---

(1) إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 54.
(2) يعد ذلك من بين المبررات الأساسية للوقوف السوري ضد م.ت.ف في لبنان سنة 1976. أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.
(3) نقلا عن: بدر عبد الحق و غازي السعدي، مرجع سابق، ص 49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن م.ت.ف بالرغم من الوضع الجديد الذي وضعت فيه سواء في ظهور دويلة سعد حداد في الشريط الحدودي أو في تذويب القوات الأممية في الجنوب بما يؤدي إلى تعطيل دورها هناك، فإنها تأقلمت مع الأوضاع الجديدة، فزيادة على المقاومة التي ظهرت بها على صعيد الواقع بالتنسيق مع القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية إبان تنفيذ إسرائيل لغزوتها فإنها ظلت - برغم الظروف الصعبة - تشكل الأداة الأكثر قوة للدفاع عن لبنان بما يشكله من مبدأ أن أكبر تحملها العسكري ضد العدو الإسرائيلي.

بعد التدخل الإسرائيلي وتطور العلاقات الإسرائيلية مع القوى اللبنانية الموالية لها إتضح ل م.ت.ف أن لبنان يشكل ساحة العمل النضالي أو على الأقل بإمكان هذه الساحة إحتواء أحداث تشكل بداية مرحلة مهمة قد تكون سببا في إنهاء المشكل القائم منذ عقود من الزمن والمتمثل في الصراع العربي - الإسرائيلي.

من هذا المنطلق نشطت الأداة العسكرية والسياسية الفلسطينية إنطلاقا من لبنان ضد التدخل الإسرائيلي في هذا البلد مستغلة مساندة قوى لبنانية عديدة لها وكذا الموقف العربي والسوفييتي ضد إتفاقيات كامب ديفيد، ليصل هذا النشاط ذروته في صيف 1981، أين إعترفت إسرائيل بقوة الوجود العسكري الفلسطيني في جنوب لبنان مما أدى بها إلى قبول وقف القتال معها في 24 جويلية من نفس السنة بعد مساعي المبعوث الأمريكي فيليب حبيب وقرار مجلس الأمن بضرورة وقف القتال خلال 24 ساعة.(1)

في هذه الظروف كانت م.ت.ف في تقدم مستمر في تمثيلها لكل الشعب الفلسطيني أو في إنتصاراتها العسكرية والسياسية داخل لبنان وخارجه، فهي بسمعتها وقوتها وحسن تنظيمها غدت تفوق كثيرا من الدول المستقلة،(2) هذه الحقيقة التي أضحت صعبة على إسرائيل لأنها تسير في إتجاه معاكس لإستراتيجيتها في المنطقة، وعليه فبمجرد أن شكل مناحيم بيغن حكومته الجديدة في 4-8-1981 (معينا شارون وزيرا للدفاع) بدأ يفكر جديا في

---

(1) حول خطوات هذا الإتفاق أنظر: سنة 1981 من الملحق رقم 8 في هذه الدراسة.

(2) أنظر: ROULEAU(Iric),op.cit,P.5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقوف في وجه التيار الفلسطيني الجارف المنطلق بقوة من لبنان.

ومثل ما كانت م.ت.ف تعرف بالتقريب نوايا إسرائيل نظرا للفترة الطويلة من التعامل وتبدل في المواقف واستخدام الوسائل فقد توقعت هجمة شرسة إن كانت مجهولة التوقيت فإنها معلومة من ناحية الوقوع طال الزمن أو قصر، وهي مع ذلك في لبنان لم يكن أمامها إلا بديل واحد، فهي ظل تمسكها بالخيار العسكري بالرغم من المشاريع السلمية المطروحة (1) وجدت بأنها تميل إلى خيار الصمود إنطلاقا من لبنان، وبالإضافة على الموقفين الإسرائيلي والفلسطيني قدر منهما أن يحتضن لبنان حربا جديدة لم تكن بفعل تناقضاته الذاتية المعرفة بقدر ما هي بسبب الإشكالية بين شعب مقهور مسلوبة وبلدي دولة عدوانية.

من ناحية م.ت.ف فقد كانت محكومة بضرورة تحقيق الإنتصار ميدانيا لتكون حاضرة في أية محادثات مع الأطراف المعنية لحل النزاع العربي - الإسرائيلي في المستقبل القريب أو البعيد، ومن أجل ذلك هي على إستعداد لتعرض لبنان إلى الخطر دون أن يعني ذلك رغبة منها في تدميره بل لأنه الميدان الوحيد والأخير أمامها بحسب معطيات تلك الفترة، وعليه فالأمر يقتضي العمل بقوة قبل الخروج منه بشكل أو بآخر لتحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه، بمعنى أن م.ت.ف كانت على إستعداد لمجابهة إسرائيل على الساحة اللبنانية فربما تكون المجابهة الأخيرة التي تفرض حلا جذريا للمشكل المستعصي حله.

بالإضافة إلى ذلك فقد كانت م.ت.ف ترغب في إختبار المواقف وردود الأفعال، فهي في ظل التحولات والتغييرات السريعة في أمس الحاجة إلى إعادة صياغة سياستها، الشيء الذي لا يتأتى بشكل صحيح وسليم إلا إذا تمت معرفة المواقف الجديدة لمختلف الأطراف القريبة والبعيدة من الأزمة القائمة في لبنان والمحيطة بها.

في هذه الظروف وقع الغزو الإسرائيلي للبنان بداية من ليلة 6-6-1982

---

(1) من ذلك مشروع الأمير فهد ولي العهد السعودي المعلن في 7-8-1981. أنظر نص هذا المشروع في: منير القسوري و طارق الموسي، مرجع سابق، ص 204.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودون الدخول في تفاصيل المعارك ومحاورها ومراحل الزحف الإسرائيلي (1) فقد سمحت له م.ت.ف بالتنسيق مع الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية إلا أن الظروف التي وجدت فيها – ساحة واسعة ومواجهة مباشرة بإمكانيات بسيطة وعدو يتربص بها في الداخل – جعلتها تفضل تجميع قواتها بدلا من بعثرتها لخوض معركة خاسرة، على أن يكون مكان التجمع هذا يوفر إمكانية التغطية ويتناسب والإمكانيات المتوفرة، فكان الموقع بيروت الغربية وسط المدنيين، بحيث أن إسرائيل لاتجرؤ على إقتحامها لإعتبارات أهمها إمكانية إرتفاع خسائرها البشرية ثم تعذر تدميرها للمدينة لإعتبارات إنسانية وما يجلبها لها ذلك من معارضة وتنديد على الصعيد الدولي والداخلي هي في غنا عنه.

إذا كانت م.ت.ف قد إستدرجت إسرائيل إلى بيروت الغربية حيث بدت التهديدات الإسرائيلية واضحة بإقتحام المدينة، فإن الهدف مع ذلك ليس عسكريا فحسب بل تريد المنظمة من خلال وجودها في هذا الموقف إختبار ومعرفة مواقف الأطراف المحيطة بها في وقت الشدة، سواء أكانت هذه الأطراف لبنانية أم عربية أم دولية، حيث لم تكن تتصور أن تتركها كل هذه المستويات بالكيفية التي حصلت وهي تواجه بمفردها موقفا إنتحاريا.

وإذا كان موقف القوى اللبنانية المؤيدة أو المعادية معروفا بالنسبة ل م.ت.ف، ففي رأينا أن ما كانت تتوقعه هذه الأخيرة من العالم العربي لم يحدث، إذ أن م.ت.ف لم تتجاهل الدرجة التي وصلت إليها الخلافات العربية في هذه المرحلة ولكن إعتقدت بأن تلك الخلافات والإنقسامات يمكن أن تصبح في درجة ثانية عندما يتعلق الأمر بمواجهة العدو المشترك مستندة في ذلك إلى صور التلاحم والتعاون العربي في الماضي القريب خاصة في حرب أكتوبر 1973.

وسواء كان ذلك بسبب خطأ في التقديرات الفلسطينية وضعف في تصورها للوضع العربي أوكان لأسباب أخرى فإن م.ت.ف لم تبادر في بداية الغزو الإسرائيلي إلى طلب المساعدة العربية بشكل علني وهذا من قبيل وضع العالم العربي أمام الأمر الواقع والترفع عن سلبياته إلى أن جاءت

(1) أنظر: تفاصيل ذلك في: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 26.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالة ياسر عرفات في 17-6-1982 منتقدة بشدة الدول العربية معتبرة
بأن تضحيات الفلسطينيين واللبنانيين ((... ستصنع الفجر الجديد رغم
تقاعس البعض وتردد البعض الآخر الذي يجعل قرار أمتنا مشلولاً، ومن
هنا فإن التساؤل لماذا التردد والتقاعس أمام هذه الإمكانيات الهائلة
التي تختزنها أمتنا سواء البشرية منها أو الاقتصادية أو العسكرية أو المادية))(1)

بالرغم من أن الدول العربية غير متساوية في موقفها تجاه م.ت.ف المحاصرة في بيروت الغربية إلا أن الموقف العربي عموماً لم يكن في المستوى الذي توقعته وأرادته الثورة الفلسطينية، بحيث أنه لم يحدث إجماع عربي أو شبهه إلا بعد أن تم إخراجها من بيروت وهذا ما تمثل في قمة فاس التي تعتبرها متأخرة، بحكم أنها لم تستثمر الصمود الفلسطيني – اللبناني عندما كان في قمة مواجهته للغزو الإسرائيلي.(2)

وقوفها ضد الغزو الإسرائيلي للبنان إعتبرت م.ت.ف سوريا ذات موقف مميز، فبدخول هذه الأخيرة في مواجهات مع سلاح الجو الإسرائيلي – وإن كانت محدودة – إنما خففت الضغط نسبياً عن مواقع الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين في الوقت الذي سعت فيه إسرائيل إلى إبقاء سوريا على الحياد مثل ما نص قرارها الوزاري بغزو لبنان في جوان 1982(3)، كما أنه من شأن هذه المساعدة تشجيع بلدان عربية أخرى للمساهمة بجانبها مما يجعل إسرائيل في موقف المتخوف الحذر من إقتحام بيروت في حالة ما إذا كانت المواقف غير سليمة من قبل العالم العربي أو بعض حلفائه.

وفي نهاية مطاف مواجهة م.ت.ف للغزو الإسرائيلي للبنان تأكد بأن هناك حقائق جديدة ظهرت بل أصبحت ثوابت لا يمكن تجاهلها، فمع ذلك أدركت أن محاولة إنتصارها في بيروت الغربية أو غيرها لن تحرك ساكناً لا لبنانياً أو عربياً بل وحتى دولياً، مما شكل منعطفاً مهماً في مسيرتها العسكرية والسياسية متخذة القرار ببداية مرحلة أخرى تتماشى وظروفها وكذا مع الظروف العربية والدولية الجديدة.

---

(1) راجع نص الرسالة التي وجهها ياسر عرفات إلى جماهير الأمة العربية في: نفس المرجع، ص 394-395.
(2) مقال للباحث، "ماذا بعد قمة فاس"، (الوحدة)، العدد 127، سبتمبر 1982، ص 28.
(3) راجع النص الكامل لهذا القرار في: الملحق رقم 3 من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن منطلق تقييمي لمواجهة م.ت.ف للتدخلات الإسرائيلية في لبنان – كهدف من أهدافه تواجدها في هذا البلد – نخلص إلى الإعتقاد بأن نشاط ذلك إنحصر في جانبين عسكري وسياسي.

على الصعيد العسكري ظهرت م.ت.ف بمظهر جديد وبالشكل في مواجهة غزو 1982، فهي وإن كانت حركة تحررية إلا أنها برهنت على توفرها على إمكانيات كبيرة أهلتها لخوض معارك ميدانية جعلت إسرائيل تعيد النظر في مخططها العسكري الذي وضعته دون الإعتبار بقوة الفلسطينيين، إذ أنهم بالنسبة إليها مجموعة من إرهابيين ومخربين لا يملكون قوة الصمود لفترة طويلة أمام التجهيزات المتقدمة للجيش الإسرائيلي المنظم.

لقد عوضت م.ت.ف نقص الإمكانيات – مقارنة بإسرائيل – بالإعتماد على التحرك السريع وإحداث بدائل جديدة لنشاطها مهما كان له في كل مرة وقع شديد على معنويات الجيش الإسرائيلي الذي كان يستهدف المواقع المدنية في لبنان مما جلب له من ناحية أخرى صعوبات جمة وأظهرت إسرائيل بأنها معتدية لتزيد ذلك من تأزم الشعبين اللبناني والفلسطيني.

بالرغم من هذه الإيجابيات فإن بعض المحللين أظهروا إعتقادهم بأن السلوك العسكري ل م.ت.ف ضد إسرائيل ظل يفتقر إلى إستراتيجية شاملة ومرد هذا النقص يعود إلى عدم إستغلال الإمكانيات بصورة حسنة مما أثر على فشل غالبية المحاولات في التسلل إلى داخل إسرائيل عبر البحر، زيادة على أن وفرة الإمكانيات البشرية والمادية لعبت دورا حاسما في عدم تقنين العمليات بشكل صارم فيما بعد ((حيث يعوض وجود الإمكانيات الوفيرة عن ضرورة إجهاد العقل للخروج بحلول تكتيكية إبداعية ويعوض حتى عن الإضطرار إلى التشكيك بصحة الإستراتيجية برمتها))[1].

لتحقيق الهدف النهائي الذي عملت له الأداة العسكرية – بالرغم من صعوبات الساحة اللبنانية – فقد عملت م.ت.ف على تنشيط الأداة السياسية، فبالإضافة إلى أن العمل السياسي أسهل نسبيا فإن مردوده في الغالب يكون سريعا – مما يؤدي إلى عدم الجدية في تطوير الأداة العسكرية – وتنبيه

---

(1) نقلا عن: يزيد خلف، "حول التفكير العسكري الفلسطيني"، (شؤون فلسطينية)، العدد 150-151، سبتمبر-أكتوبر 1985، ص 33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد إستغلت م.ت.ف التدخلات الإسرائيلية وماتبعها من أعمال عدوانية إجرامية لتكسب مزيد من العطف والتأييد الدولي مثل ما كان الحال عند حصار بيروت الغربية ومذابح صبرا وشاتيلا.

بالنسبة للوسيلتين السياسية والعسكرية فقد أثرت م.ت.ف على إسرائيل بشكل جعلها لا تعترف بها لأنها حركة سياسية فحسب بل لما تمثله من قوة عسكرية، فبالرغم من أن الإعتراف لم يتم علانية وبالصيغة المكتوبة إلا أن القبول بتسليم الأسرى الفلسطينيين وعددهم 76 بعد الغزو المنفذ في مارس 1978 يعد إعترافا ضمنيا، وفي نفس السياق حدث وقف لإطلاق النار في صيف 1981 بعد المساعي التي قادها المبعوث الأمريكي فليب حبيب.(1)

من الوهلة الأولى بعد إخراج م.ت.ف من بيروت إنتصرا ماحققناها حيث ما كانت شروط الخروج لأنه لا يخدم هدفها في التصدي لإسرائيل إنطلاقا من لبنان على أنه بالرغم من هزيمة بيروت فقد حافظت على موقع قدم لها في لبنان بل وسرعان ما ظهر خطأ الحسابات والتوقعات الإسرائيلية - الأمريكية، حيث راهنوا على نهاية م.ت.ف وتعمق خلافاتها بزعماء المسلمين واليسار في لبنان الذين ظلوا يؤيدونها، بمعنى آخر إذا كانت قد إنهزمت عسكريا فقد ظلت تتمتع بمكانة خاصة في لبنان حققتها لها القاعدة الشعبية الواسعة المتمركزة في المخيمات وولاء في صفوف اللبنانيين ومخازن الأسلحة وإمكانياتها المادية المنتشرة تقريبا على كامل التراب اللبناني، فهي وإن تقلص دورها مقارنة بفترة ماقبل 1982 فإنها بقيت من أهم العناصر الفاعلة على الساحة اللبنانية.(2)

مما سبق نستخلص بأن مجابهة م.ت.ف إسرائيل كانت لها عدة نتائج، فبالإضافة إلى أنها عرفتها بالمواقف الجديدة لمختلف القوى اللبنانية والعربية والدولية فقد تمكنت من معرفة مكانتها وحدودها الجديدة،

---

(1) من بين ماجاء في هذا الإتفاق أن: ((الأعمال العسكرية العدائية بين الأطراف في اللبنانية والإسرائيلية ستتوقف إعتبارا من بعد ظهر اليوم...))، نقلا عن: بدر عبد الحق وآخرون، مرجع سابق، ص 45. وهو الإتفاق الذي يرى فيه فليب روندو أنه من المفارقات أن تعطي الخسارات الإسرائيلية ل م.ت.ف أوراقا سياسية رابحة جديدة تقوي وضعها كمحاور حتمي ومباشر يعترف به المجتمع الدولي فضلا عن الدعم المالي والعسكري العربي، فليب روندو، "الشرق الأوسط في سعيه إلى السلام"، ترجمة: كمال الخولي، المنشورات العربية ش.م.ل، بيروت، 1983، ص 212-213.

(2) I KALIDI (Rashid), op.cit, P.500-502.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعنى أنها عرفت حدودها كحركة تحررية وتمتلك أرضا ثابتة وقاعدة لتتحرك
عليها بحرية ، ففي ظل إمتلاكها لرصيد سياسي على الصعيد الدولي فإنها
ليست في حاجة إلى أن تعرض شعبها لمزيد من التقتيل والإنتحار والتشريد –
كما حدث له في لبنان – دون أن يعني ذلك إسقاطها للعمل العسكري ، بل
ضرورة تنظيمه والرفع من مردوده بشكل أقل تخريبا وأكثر فاعلية ، فالمهم
مع كل ذلك أن تدرك إسرائيل وحلفائها أن وراء عدم إستقرار المنطقة
شعبا يعاني ومازال في مقدوره أن يقدم التضحيات إلى مالانهاية من أجل
إنتزاع حقوقه الشرعية (1) ، هذه الحقوق التي تتحمل الدولتان العظمتان
قديما قسطا كبيرا من المسؤولية اتجاهها وحديثا – في فترة الحرب الأهلية
اللبنانية – بإعتبارهما تتقاسمان بشكل مناطق النفوذ في العالم نظرا
للتناقض التناحري الموجود بينهما ، إذ أن لبنان ليس بشاذ عن القاعدة ،
وبالتالي في مقدورهما المساهمة بجد في إنهاء أزمته المزمنة ، فكيف
كان ذلك؟

---

(1) أحدث أسلوب للعمل الفلسطيني يتمثل في الإنتفاضة الشعبية التي شهدتها الأراضي المحتلة وهذا منذ نهاية 1987 ، حيث أن مردودها أكثر دون أن تجلب أخطارا للشعب الفلسطيني الموجود في لبنان أو خارجه عكس المراحل السابقة التي إتسمت فيها م.ت.ف بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول التي كانت تتواجد فيها مثل الأردن ولبنان ، وعلى ذلك فإننا نعتقد بأن الواقع العسكري والسياسي ل م.ت.ف في حاضرنا ماهو إلا نتاج مشاركتها في الحرب الأهلية اللبنانية الذي أدى في النهاية إلى خروجها من بيروت وتغيير أسلوبها كلية .
حول الإنتفاضة الفلسطينية راجع على سبيل المثال : أبو النمل حسين ، " أثر الإنتفاضة على ميزان القوى في المنطقة " ، (الهدف) ، العدد 939 ، 11-12-1988 ، ص 14-16 .
– أسامة خالد ، مرجع سابق ، ص 27-33 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يختلف دور ومن ثم موقف الدولتين العظميين في الحرب الأهلية اللبنانية عن القوى الإقليمية المجاورة لهذا البلد نظرا لوزنهما ودورهما الذي يلعبانه على الساحة الدولية، حيث من نتائج الحرب العالمية الثانية إنقسام العالم إلى معسكرين غربي وشرقي يجري بينهما التنافس لتقاسم مناطق النفوذ كل على حساب الآخر، إذ أن العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط بالخصوص كانت في مقدمة المناطق التي (1) تنافس عليها الإتحاد السوفييتي و.م.أ نظرا لأهميتها الإستراتيجية. (2)

ولما كان من المتعذر على الدولتين العظميين ممارسة التنافس في المنطقة بالأداة العسكرية خاصة في ظل إمتلاكهما للسلاح النووي فإن عملهما كان يتم بواسطة قوى محلية تابعة لهما تعبر بالنيابة عن المعاهدات الأمنية، وأصبح تدخل الدولتين لا يتم إلا بالإستعانة بحلفاء في المنطقة فمن خلالها يمكن ممارسة نفوذهما والتمتع بحضور دائم وقوي هناك، والذي ساعد على ذلك هو إفتقار البلدان المحلية إلى الصناعة الحربية مما كان يدفع بها إلى طلب المزيد من السلاح في ظل الصراع الدائر (3) منذ بروز إسرائيل في المنطقة.

إن أصدق تعبير لهذا الوضع نجده في حرب أكتوبر1973، حيث وجدت فيها الدولتان العظمتان فرصة لفرض حضورهما أكثر في المنطقة إما لصيانة مكاسبهما والحفاظ على مكانتهما السابقة وإما سعيا لتغيير ميزان القوى الذي ليس في صالح كل واحدة وهذا بالإعتماد على قوى محلية إذ وقفتا كل منهما وراء حلفائهما، ففي وقت بدت فيه و.م.أ مع إسرائيل ظهر الإتحاد السوفييتي إلى جانب العرب؛ وبتعبير آخر إنها حرب بين الكبار ينفذها الصغار دون أن يعني ذلك غياب مصلحة هؤلاء الصغار.

---

(1) من منطلق هذا التنافس الذي من الممكن أن تستخدم فيه القوة العسكرية فإن و.م.أ تعتبر الإتحاد السوفييتي العدو الرئيسي والأول على الصعيد الدولي نظرا للإختلاف معه على جميع الأصعدة. الأدميرال إلمو ر.ف. زوموالت (الإبن)، "الإستراتيجية السوفياتية والإستراتيجية الأمريكية المضادة"، في: بروس بالمر وآخرون، "الإستراتيجية الأمريكية العليا في الثمانينات"، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981، ص 60.

(2) أنظر: DJERAD Abdelaziz;"Dualité du monde Arabe";Thèse de Doctorat Détat,soutenue à Paris en 1981,Enap.Enal.O.p.u. Alger,1987,P.161-167.

(3) بيتر مانغولد، مرجع سابق، ص 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سياق الوفاق الدولي والحوار بين الدولتين العظميين من أجل تنسيق المواقف تفاديا لأوضاع خطيرة، وفي أعقاب حرب أكتوبر إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية مستقطبة إهتمام القوى المحلية المحاذية لها، وبما أن إهتمام الدولتين العظميين بالمنطقة قديم فإن دراسة دور القوى المحلية في الحرب اللبنانية يظل مرتبطا بشكل أو بآخر بموقف هاتين الدولتين، خصوصا وأن النزاع العربي - الإسرائيلي لم ينته، وعلى هذا يفترض أن تهتم الدولتان بالحرب اللبنانية ليس من قبيل تتبع أطوارها فحسب بل والتأثير فيها بشكل أو بآخر بما يحفظ مكانتها ومصالحها في المنطقة، إذ أن كل طرف يسعى لضرب الخناق على الطرف الآخر ومن ثم كسب موقع جديد بما في ذلك لبنان.[1]

المبحث الأول: - موقف الولايات المتحدة الأمريكية.
==========

مثل ما تابعت و.م.أ تطور منطقة الشرق الأوسط خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية بل أشرفت على صنع أبرز أحداثه فإن لبنان كان ضمن إهتماماتها ولم تكن لتتخلى عنه في أي فترة كانت، وعلى هذا فإندلاع حربه الأهلية سنة 1975 لم يكن شيئا غريبا بالنسبة إليها بل سبق وأن تدخلت عسكريا في هذا البلد سنة 1958 بدعوة من الرئيس كميل شمعون آنذاك، وهي بعد ذلك تابعت تطوراته الداخلية ومختلف التأثيرات الخارجية عليه بحيث يمكننا ذلك من لعب دور مميز والظهور بموقف خاص غداة حربه الأهلية وخاصة في الفترة الواقعة بين 75-1982.

المطلب الأول: - موقف و.م.أ قبيل التدخل العسكري السوري - الإسرائيلي في لبنان.

لقد فرضت مكانة و.م.أ على رأس العالم الغربي، فرضت عليها التوفيق إلى جانب حلفائها في وجه الإتحاد السوفييتي وحلفائه في جميع الأماكن

---

(1) يلاحظ في هذه الفترة تراجع مكانة الإتحاد السوفييتي في المنطقة مقارنة ب و.م.أ وخاصة بعد تدهور علاقاته بمصر (السادات) وقناعة بعض القيادات العربية بالحل السلمي للنزاع العربي-الإسرائيلي، الشيء الذي جعل و.م.أ تعبر في تقرير خاص بها ((الشيوعية إنتشت كخطر مباشر أو غير مباشر، لكن هذا لا ينفي ضرورة إتخاذ الإحتياطات اللازمة، فالشرق الأوسط غالبا ما يأتي بالمفاجآت غير المتوقعة)). نقلا عن: مراسل النهار من بيروت، "تقرير خطير حول التنسيق الأمريكي- السوفييتي"، (النهار)، العدد 1337، 3-4/6/1989، ص 14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأوقات بالوسائل الممكنة ، وإذا كان الشرق الأوسط في مقدمة هذه المناطق فقد حظي لبنان وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية بمكانة في الإستراتيجية الأمريكية لاتقل أهمية عن مكانة البلدان الأخرى في المنطقة بإستثناء إسرائيل ذات الوضع الخاص.(1)

إن هذا الإهتمام لاينبع من صداقة و.م.أ لهذه الدول فحسب بل ينبع بالدرجة الأولى من مصالحها في الأنظمة القائمة التي توفر لها ديمومة التسهيلات العسكرية والمزايا الإقتصادية ، النفطية منها خاصة ،(1) وما عزز هذه النظرة في السبعينات هو إزدياد الهوة بين إستهلاك النفط في و.م.أ وإنتاجها المحلي مما حدى بها إلى الإعتماد أكثر على المصادر الخارجية حيث أولت أهمية خاصة لنفط الشرق الأوسط نظرا لأنه يمثل 70% من إحتياطي النفط في العالم ، إذ أن الشطر الأكبر من أرباح إستخراجه كان من نصيب الشركات الأمريكية ، بالإضافة إلى أن عائدات هذه الثروة على الدول العربية تودع في البنوك الغربية .(3)

وفي سبيل حفظ مصالحها الإقتصادية لم تخف و.م.أ تهديداتها للبلدان العربية النفطية خاصة بعد حرب أكتوبر ،(4) كما ظلت تهدد بذلك ضد أي تغيير حاسم من شأنه أن يمس بمصالحها في المنطقة ، حيث جاء في تقرير صادر عن مكتبة الكونغرس في واشنطن سنة 1979 بأن و.م.أ مستعدة للتدخل في بلدان المنطقة إذا طرأت فيها تحولات إجتماعية و إقتصادية وسياسية التي يمكن أن تعتبرها غير مناسبة لها ، مثل فرض زيادة حادة في أسعار النفط التي يمكن أن تؤدي إلى خلل في العالم الرأسمالي.(5)

في هذا السياق تتدرج نظرة و.م.أ إلى لبنان ، فإن كان وضعه الإقتصادي

---

(1) أنظر : توماس .أ. بريسون ، "العلاقات الدبلماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من 1784 إلى 1975م" ، ترجمة : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، 1985 ، 742ص.

(2) راجع : هرفي أكونور ، "إمبراطورية البترول" ، ترجمة : نجدة هاجر و سعيد الغز ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1959 ، 190م.

(3) يفغيني بريماكوف ، مرجع سابق ، ص 26-28 .

(4) في بداية 1975 نشرت تفاصيل خطط أمريكية للإستيلاء على دول الشرق الأوسط النفطية . أنظر : بيتر مانغولد ، مرجع سابق ، ص 188 .

(5) يفغيني بريماكوف ، مرجع سابق ، ص 21 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يجعله في مرتبة البلدان النفطية لأنه يعتمد على قطاع الخدمات، إلا أن هذا الأخير يشكل فرصة للمؤسسات السياحية الأمريكية لتوظيف رؤوس أموالها هناك (1)، وعليه فإن ميزة لبنان تكمن في إنتهاجه للمسار الليبرالي مما يجعل منه قاعدة متقدمة في المنطقة بالنسبة للبلدان الغربية وخاصة و.م.أ سواء فيما يتعلق بإنشاء بنوك فيه أو فيما يشكله من نقطة مرور وإستقرار لرؤوس الأموال العربية التي يمكن أن تستفيد منها هذه البنوك.

من هنا تأتي أهمية الربط بين العاملين الإقتصادي والسياسي لضمان ديمومة المصالح المادية، بما يعني أنه من المهم بما كان إخضاع البلدان المحلية بما فيها لبنان إلى سياستها وإن إقتضى الأمر مناصرة أو تنصيب حكومات موالية لها، فحتى وإن كانت غير شعبية إلا أنها تشكل جزء من العالم الحر وطالما هي كذلك فإن الإطاحة بها أمرا غير مسموح به إطلاقا (2).

بذلك فإن الهدف السياسي لـ و.م.أ يسعى إلى تحسين موقعها بحيث تكون مقبولة إقليميا بإستمرار، وأسلوبها في ذلك هو دعم من تعتبرهم بصداقتها والتصدي لأعدائها، ومقياس التفريق يقوم على مدى التجاوب مع نهجها الإقتصادي والسياسي في المنطقة بل وعلى الصعيد الدولي، فهي أولا تركز على دعم إسرائيل (3) لأسباب عديدة (4) بينما في المرتبة الثانية تأتي بعض البلدان العربية نظرا لتوجهها الليبرالي، وهنا تبرز مصلحة و.م.أ في إستمرار هذه الأنظمة لغلق الباب أمام الشيوعية وإنهاء التيارات التحررية في المنطقة.

---

(1) نعني بذلك فترة ما قبل الحرب الأهلية لأن هذه الحرب أبعدت حتى الإستثمارات اللبنانية من لبنان وتضرر الإقتصاد بشكل لم يسبق له مثيل على الإطلاق.

(2) رالف ميليباند، "التدخلات العسكرية والأممية الإشتراكية"، ترجمة: وميض نظمي، (دراسات عربية)، العددان 1 و 2، ديسمبر 1984، ص 26.

(3) أصبحت و.م.أ المؤيد الأول لإسرائيل بعد العدوان الثلاثي على مصر والتحذير الأمريكي للدول المعتدية، فهذا ((بمثابة إشارة تحذير إلى إسرائيل بأن و.م.أ هي السيد الجديد للمنطقة وأنه إذا كانت إسرائيل تريد أن تحصل لنفسها على بعض المكاسب فإن عليها منذ الآن أن تنسق معها وليس مع أحد غيرها...))، حسن نافعة، "العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية"، في: مجموعة من الباحثين، "الأبعاد الإقليمية والدولية للقضية الفلسطينية في الوقت الراهن"، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983، ص 63.

(4) راجع الفصل الثاني من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال ذلك يتضح بأن الصراع العربي - الإسرائيلي لعب ويلعب الدور الأساسي في هذا التصنيف دون إهمال التوجه السياسي والإقتصادي لبلدان المنطقة بحيث أن بعض البلدان العربية ومن منطلق هذا الصراع يفترض أن تقف ضد و.م.أ ومصالحها إلا أن توجهها السياسي والإقتصادي جعلها تصنف ضمن حلفائها خاصة إذا تعلق الأمر بالتصدي للإتحاد السوفييتي، وهنا نشير إلى أن و.م.أ عرفت كيف توظف العامل الديني ضد الشيوعية الملحدة بصورة ذكية الأمر الذي أفادها كثيرا وما زال.

في هذا السياق فإن إسرائيل تعامل من قبل و.م.أ معاملة خاصة لا يمكن مقارنتها بأي بلد عربي مثل ما عبر السناتور جوزيف كلارك ((بأن إسرائيل وجدت لتبقى على أساس أنها واحة من الرخاء يحيط بها خليط من جوانب البؤس العربي المعادي وظهرها إلى البحر))[1]، وهو ما يفسر إستعدادها للدفاع عنها والوقوف ضد كل ما من شأنه تهديد إستقرارها ووجودها بما في ذلك ما قد يأتي من لبنان.

بالإضافة إلى إسرائيل وحفاظا على مصالحها فقد عملت و.م.أ على كسب ثم المحافظة على صداقتها مع البلدان العربية ذات التوجه الليبرالي وإبقائها بعيدا عن التحولات التي لا تخدم نهجها وإضفاء صفة (الإعتدال) على مواقفها تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي، وهي في سبيل ذلك مستعدة للتدخل عسكريا لحمايتها كما دلت التجارب مع لبنان في 1958 أي بإعتمادها على وكالتها كبريطانيا التي تدخلت في الأردن في نفس السنة.[2]

وبالوسيلتين العسكرية والسياسية تمكنت و.م.أ من الجمع بين إحتضانها لإسرائيل المعتدية وصداقتها لبعض الأنظمة العربية، وهذا بفضل سياسة كسينجر في تحقيق الإستقرار الدولي التي تعتمد على ((إستخدام مركب يتكون من الدبلوماسية والقوة، فإستخدام القوة من

---

(1) نقلا عن: محمد السعيد إدريس، مرجع سابق، ص 215.
(2) بالرغم من هذه التدخلات فإن الصراعات عميقة الجذور في النظامين السياسيين للبنان والأردن ظلت كما هي بدون حل، بل إنفجرت الأوضاع بمجرد ظهور الفلسطينيين كقوة عسكرية وسياسية فيما بعد. بيتر مانغولد، مرجع سابق، ص 289 - 290.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون الدبلوماسية بسبب تهورا وقت الإنتصار وذعرا وقت المحن فهي حين الدبلوماسية التي لا ترتبط إرتباطا وثيقا بإستخدام القوة هي دبلوماسية عقيمة))[1].

ومع ما أعطته الحروب العربية - الإسرائيلية من فرصة للإتحاد السوفييتي للتوغل في المنطقة[2] وما يشكله إستمرار هذه الحروب مستقبلا من أخطار على مصالح الدول الغربية عموما، فقد سعت و.م.أ إلى تغليب الحل السياسي وسرعان ما أثمرت جهودها في كسب مصر التي تدهورت علاقاتها بالإتحاد السوفييتي مع بداية السبعينات لتبلغ سنة 1975 عقد إتفاقية سيناء الثانية لفصل القوات حيث إلتزمت مصر بالتخلي نهائيا عن الوسيلة العسكرية في تعاملها مع إسرائيل.

من خلال الخطوط العريضة لسياسة و.م.أ في الشرق الأوسط نلمس بأن لبنان يأتي ضمن إطار البلدان العربية التي لا يجب التفريط فيهما، على أن الفرق يكمن في أن أهميته السياسية أكثر من الإقتصادية وخاصة إذا قورن بالدول العربية النفطية وأهميتها للإقتصاد الرأسمالي العالمي، بمعنى آخر شأنه شأن الأردن وهذا تبعا لنظرة و.م.أ منذ الخمسينات والمبنية على ضرورة ((الحفاظ على الأنظمة المحافظة المحلية في الأردن ولبنان، وكان هذان قطرين ليس للولايات المتحدة فيهما مصلحة ذاتية لكن كان بقاؤهما يعتبر ضروريا للحفاظ على الإستقرار الإقليمي))[3].

بتعبير آخر فإن و.م.أ تريد أن يبقى لبنان كما كان في السابق بموقفه السلبي من الصراع العربي - الإسرائيلي وحصنا ضد التوسع السوفييتي وأن يستقبل الفلسطينيين كلاجئين لا كثوار ينشدون التغيير والإستقلال

---

(1) نقلا عن: فرجينيا برودين و مارك سلدن، "السر المعروف، مبدأ نيكسون وكسنجر في آسيا"، ترجمة أحمد طربين ونصري عروري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974، ص 27.

(2) في هذا السياق يقول الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر بأن ((موسكو عرفت كيف توظف حرب السويس 1956 وحرب الهزيمة العربية 1967 والحرب الأخيرة 1973، لتكسب المزيد من العلاقات الإقتصادية والنفوذ السياسي في العالم العربي، ولقد شجع زعماء الكرملين هذا الوضع الخطر لأنه سمح لهم بالتسلل إلى داخل المنطقة بسهولة وسرعة)). نقلا عن: ملحم قربان، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص 62.

(3) بيتر مانغولد، مرجع سابق، ص 265-266.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالوسيلتين العسكرية والسياسية ويهددون أمن إسرائيل وحلفائها.(1)

في خضم الإستراتيجية الأمريكية المذكورة في الشرق الأوسط إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية التي وإن أبرزت التناقضات اللبنانية الداخلية إلا أنها بفعل الإهتمامات الخارجية بها وخاصة من قبل القوى المجاورة لها فقد برهنت على إرتباطها بالمشكل القائم في المنطقة منذ مدة بين العرب وإسرائيل، وعليه فقد إهتمت و.م.أ بما يجري في لبنان عن قرب وأضحى من المتوقع أن يكون لها موقف خاص بميزها كدولة عظمى تولي إهتماما بكل النزاعات أينما كانت فكيف إذا حدث ذلك في منطقة تهمها وفي دولة تعتقد أنها موالية لها.

فقبيل إندلاع الحرب اللبنانية لم يكن الوضع الأمني والسياسي في لبنان يبعث على الإرتياح بسبب التناقضات الداخلية والإختلافات حول وجود م.ت.ف فيه، وبما أن و.م.أ ضد كفاح الشعب الفلسطيني والموقف السوري المتصلب - بخلاف مصر - فقد كانت تنظر إلى هذا الوضع بحذر وقلق شديد بين نظرا لأنه يطرح إمكانية نشوب حرب جديدة في المنطقة والتي لن تخدم بأي حال من الأحوال المصالح الغربية ولا المساعي الإنفرادية الأمريكية لإقرار السلام في المنطقة على حد إعتقاد الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر ((بأن أي حرب مفاجئة قد تنشب من لبنان، ستؤدي إلى إضطرابات جديدة في الأسواق العالمية،.. وتفرض علينا إتخاذ موقف عسكري من الصعب تقدير عواقبه عن الإنسانية، خاصة وأن الإتحاد السوفيتي لن يتصرف ببرود كما فعل في حرب 1973)).(1)(2)

إنطلاقا من هذا الفرز الإقليمي حيث أطراف الصراع ومؤيديها في المنطقة معروفة ثم أطراف الحرب اللبنانية معروفة بين مؤيد لخط التحرر العربي وبين الذين لا يهمهم ذلك وهم مؤيدين للتوجه الغربي، فإن و.م.أ وجدت في الحرب اللبنانية النموذج المصغر للنزاع الرئيسي في

---

(1) صورة أخرى من صور تفضيل و.م.أ لإسرائيل على حساب لبنان تتمثل في سكوتها عن الإعتداءات الإسرائيلية على السيادة اللبنانية منذ بروزها. أنظر تفاصيل هذه الإعتداءات من سنة 1950 إلى بداية 1983 في: المركز العربي للمعلومات، "لبنان 1949-1985، الإعتداءات الإسرائيلية، يوميات وثائق، مواقف"، بيروت، 1986، ص 12-309.

(2) نقلا عن: ملحم قربان، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص 63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنطقة ، ومن هنا فإن نظرتها إلى لبنان أصبحت محكومة ليس بخصوصيات هذا البلد ومصلحته الذاتية بل بالقدر الذي يعود حل أزمته أو إستمرارها من تأثير إيجابي أو سلبي على نزاع المنطقة وأطرافها الرئيسية .(1)

من ذلك يبدو وأن و.م.أ تتوفر على بدائل عديدة للتعامل مع الحرب اللبنانية وأطرافها، فإما بالتدخل المسلح المباشر أو بالتدخل غير المباشر بواسطة إسرائيل أو بالوساطة الدبلوماسية أو دعم أحد أطراف الصراع اللبناني على حساب الطرف الآخر، وهذا كحد أدنى نظرا لما تتوفر عليها من إمكانيات.(2)

وبالرغم من أن و.م.أ قد تدخلت في لبنان سنة 1958 إلا أن ظروف سنة 1975 لاتشجعها على ذلك سواء تعلق الأمر بالظروف الدولية أو الإقليمية أو حتى الأوضاع اللبنانية الداخلية ، ولذلك أبعدت أسلوب التدخل العسكري المباشر من حساباتها وركزت على الإتصالات الأخرى، فالوسيلة السياسية تتماشى ومنع نشوب حرب جديدة وهو ما يمهد إلى تجميد الخيار العسكري العربي وإنهاء م.ت.ف وعزل الإتحاد السوفييتي عن المنطقة وتغذية الإختلافات العربية ؛(3) وتوازيا مع ذلك فقد ظهرت و.م.أ بمظهر المدافع عن مصلحة لبنان وسيادته ووحدته والوقوف على الحياد بين القوى المتنازعة ، وعليه ركزت على أنه ليس في لبنان ما يدع إلى التدخلات الخارجية حسب ما صرح به سفيرها في تل أبيب مالكوم تون في أكتوبر 1975 بأن الوضع سيتبدل كلية إذا تدخلت قوات سورية أو غير سورية في لبنان؛(4) وهو ما أكده الناطق بإسم وزارة الخارجية الأمريكية في 8-1-1976 بقوله ((خلال المصاعب التي يواجهها لبنان أعلن صراحة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعارض أي تدخل خارجي في الشؤون اللبنانية ... إن موقف الولايات المتحدة لم يتغير وهي ضد تدخل أي دولة في لبنان بما

---

(1) انظر : عبد الكريم أبو النصر، "الإنفراج الدولي لاينقذ لبنان"، (المستقبل)، العدد 603، 10-9-1988، ص 30 .

(2)(3) مصطفى علوان، "دبلوماسية واشنطن والأزمة في لبنان"، (السياسة الدولية)، العدد 43، جانفي 1976، ص 51-52 .

(4) مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد، مرجع سابق، ص 270 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذلك سوريا وإسرائيل)) .[1]

مع تطور الحرب اللبنانية وإرتفاع حدتها وجلبها لأنظار القوى القريبة والبعيدة عندما كان لسوريا موقفا مميزا للروابط الخاصة مع لبنان حيث تحركت دبلوماسيا بين القوى اللبنانية مما أثار معارضة إسرائيل التي فسرت ذلك بنية سوريا في السيطرة على لبنان، وهو إيذان ببداية مرحلة جديدة تنذر بالتدخلات العسكرية في لبنان مما إقتضى من و.م.أ تطوير موقفها والتعامل بجدية أكثر من السابق مع هذه الحرب على ضوء النتائج الأخيرة والإحتمالات المتوقعة .

المطلب الثاني: موقف و.م.أ بعد التدخل العسكري السوري – الإسرائيلي في لبنان.

في سياق ربطنا للأزمة اللبنانية بالصراع العربي – الإسرائيلي فقد تعاملت و.م.أ مع الوساطة السورية منذ البداية من زاوية ماتحققه هذه الوساطة من فائدة لها ولمصالح من من الأطراف اللبنانية ،وعليه فلما توصلت سوريا إلى وقف لإطلاق النار في جانفي 1976-حيث الكتائب في موقف دفاعي- فقد رحبت و.م.أ بالوساطة السورية وإعتبرتها شيء إيجابي عبر الناطق بإسم وزارة خارجيتها ((إن الولايات المتحدة تعترف بالدور البناء الذي تلعبه الحكومة السورية في لبنان بعد الوصول إلى إتفاق لوقف إطلاق النار..نحن نشجع أي إتفاق سياسي في لبنان يرضي جميع الأطراف)) .[2]

يبدو من ذلك أن المعارضة الأمريكية للتدخل في لبنان أصبحت مقتصرة ضد إسرائيل ليس لنواياها وطبيعتها العدوانية فحسب بل لما يشكله تدخلها من عامل تشويش وتوتر؛ ونعتقد في هذا السياق أن و.م.أ نظرت إلى ذلك بمنظار مصلحي فوجدت التدخل الإسرائيلي في غير صالحها في هذه الفترة بالذات إذ أن سوريا في لبنان لاتقوم بمايثير الخوف بل بالعكس، بتأييدها لسوريا فإن و.م.أ ذهبت إلى أبعد من الساحة اللبنانية ،[3]

---

(1)(2)نقلا عن: نفس المرجع، ص 286 .

(3)لقد كان هذا الموقف محل معارضة شديدة من قبل لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكي التي دعت الرئيس فورد إلى الإسراع لإنهاء الدور السوري وإيجاد حل للأزمة اللبنانية : ((إن الكونغرس ينظر في قلق بالغ إلى الجهود الخارجية لإستغلال الصراع الحالي من أجل تحويل لبنان إلى دولة راديكالية في مواجهة إسرائيل)) . نقلا عن: نفس المرجع، ص 285 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعبر تحركها من أجل إقتراح حل سلمي للنزاع العربي - الإسرائيلي هي في حاجة إلى كسب سوريا أو على الأقل حملها على تليين موقفها التقليدي المعادي للمساعي الأمريكية ، فلا مانع إذا من إستغلال الوضع اللبناني المتدهور ومنحها بعض الإمتيازات فيه لعلها ترد الجميل عندما تحين الفرصة لذلك، بل إن الهدف قد يذهب أبعد من ذلك وهو إلهائها بالوضع اللبناني وإدخالها في تناقضاته بما يؤدي إلى مزيد من العداء بينها وبين القوات المشتركة اللبنانية - الفلسطينية وما لذلك من إنعكاسات سلبية على الوضع العربي لجعله يستسلم في الأخير وللنهاية .

تماشيا مع هذا الإعتقاد فإن و.م.أ إتخذت عند وقوع التدخل العسكري السوري في لبنان سنة 1976 موقفا مؤيدا في صيغته العامة لأنه يخدم مصالحها ، فمن ناحية لايستهدف تغيير وجه لبنان السياسي والإقتصادي بل جاء لتكريسه ضد مطالب الحركة الوطنية اللبنانية الداعية إلى التغيير ومن ناحية أخرى أعلنت سوريا بأنها لا تقصد شن الحرب ضد إسرائيل إذا إلتزمت بذلك حتى في شن هذه الأخيرة إعتداءاتها ضد لبنان .

لقد كان للموقف السوري هذا رد فعل قوي من جهة القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية ، وهو ما حمل صحيفة معاريف الإسرائيلية إلى الإعتقاد بأن و.م.أ رأت في ذلك بداية للخلاف السوري- السوفييتي و أمل للمصالحة بين حافظ الأسد و أنور السادات مما يشق الطريق إلى إتفاق مرحلي إسرائيلي - سوري، وعليه فقد كان من مصلحة و.م.أ في هذه الظروف الضغط على إسرائيل بعدم التدخل في لبنان والتصرف لسوريا هناك ما دامت تقوم بالنيابة عنهم في الحفاظ على النظام السياسي اللبناني وشل حركة القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية .(1)

بهذا الأسلوب شجعت و.م.أ سوريا للمضي في سياستها في لبنان، وبالتالي إرتاحت من التدخل المباشر أو عن طريق إسرائيل ، وهو ما عبرت عنه المراسلة الأمريكية إلى وزارة الخارجية الفرنسية في نهاية 1976 والتي نصت في مجملها على عدم تصعيد الأزمة اللبنانية و إتباع

---

(1) نقلا عن : إلياس شوفاني و آخرون ، مرجع سابق ، ص 212 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب الحوار من قبل اللبنانيين لإيجاد صيغة مناسبة للحل السياسي أو من قبل الثورة الفلسطينية التي يجب أن تتخلى عن الأسلوب العسكري تجاه السلطة اللبنانية ، وفي المقابل لذلك تلتزم و.م.أ ومن منطلق علاقتها الخاصة بلبنان بمنع التدخل الإسرائيلي، مع الإعتراف بمكان قوة الردع العربية في جيش الرئيس اللبناني.(1)

من بين التحولات التي جعلت و.م.أ تستمر في سياسة عدم تصعيد الحرب اللبنانية من ناحية منع إسرائيل للتدخل فيها والإبقاء على المبادرة السورية هو وصول إدارة الرئيس جيمي كارتر إلى الحكم وإنتقادها لأسلوب خطوة خطوة حيث يقول في ذلك وزير خارجيته سايروس فانس ((على الولايات المتحدة أن تكون وسيطا نشيطا وعادلا بين الجانبين إذا أريد أن تكون هناك أي فرصة لسلام حقيقي ... إن قيام كارتر بتبني سياسة نشيطة متوازية كان يحمل معه مخاطر سياسة لها وزنها فقد ينظر إليها في الداخل وفي إسرائيل على أنه أخذ يميل نحو العرب وإنه يضغط على إسرائيل ...)).(2)

ما يهمنا من ذلك هو إنعكاس هذه السياسة على الحرب الأهلية اللبنانية ففي إطار الحل الشامل فإن و.م.أ في حاجة إلى كسب كل أطراف الصراع بما في ذلك الإتحاد السوفييتي(3) ، وبحكم أن الحرب اللبنانية قائمة فإن التعامل معها يجب أن يخدم هذا الهدف الشامل، بحيث أن كسب سوريا و م.ت.ف لا يتحقق بالإعتراف بحقوقهما المغتصبة من طرف إسرائيل فحسب بل وبمكانتهما في لبنان، أي مدى إستعداد و.م.أ للتعامل معهما هناك ، ليس في الإعتراف بوجودهما فيه فقط ولكن بمنع الإعتداءات

---

(1) عبد المنعم المشاط ، "لبنان بين الهدنة والسلام الدائم" ، (السياسة الدولية) ، العدد 48 ، أفريل 1977 ، ص 127 .

(2) سايروس فانس، "خيارات صعبة" ، ترجمة : المركز العربي للمعلومات، بيروت، 1983 ، ص 9 .

(3) من أجل ذلك دعت و.م.أ إلى إحياء مؤتمر جنيف، فبعد ثلاثة شهور من توليه أعلن الرئيس جيمي كارتر أنه يحبذ إقامة وطن قومي فلسطيني. أنظر : محمد نصر مهنا ، "صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر" ، دار المعارف، القاهرة، 1981 ، ص 109 . زيادة على القبول بإشراك الإتحاد السوفييتي في المؤتمر الدولي لمنعه من القيام بدور معرقل. أنظر : سايروس فانس، مرجع سابق، ص 12 . الشيء الذي أدى إلى صدور بيان مشترك أمريكي- سوفييتي في أكتوبر 1977 ، والذي تخلت عنه و.م.أ بعد ذلك بمدة قصيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسرائيلية عليهما وعلى لبنان.

يفهم من ذلك أن و.م.أ بمحاولة الظهور بمظهر الحياد في النزاع الإسرائيلي - العربي مع ما أبدته من تساهل مع سوريا و م.ت.ف في لبنان إنما تريد كسب كل الدول العربية، وهو مالم يتحقق لها بالدرجة التي تريد حيث ساهمت في ذلك عناصر عديدة غالبيتها خارجة عن إرادتها (1) لينعكس ذلك في تغيير نظرتها للحرب اللبنانية وكيفية إدارتها.

من أولى معالم هذا التحول أن و.م.أ أصبحت أكثر تشددا تجاه الوجود السوري - الفلسطيني في لبنان، لأن الوضع الجديد جعلها تتجه إلى العمل مع إسرائيل والتنسيق معها بالدرجة الأولى لإنجاح المحادثات السياسية مع مصر حيث الحاجة تقتضي حمل إسرائيل للتنازل عن بعض الأراضي المصرية وهو ما لا يتأتى إلا بالمقابل - كغض الطرف عنها والسماح لها بالتدخل في لبنان ولو جزئيا - وفي ذلك نرى بأن و.م.أ دخلت عمليا مرحلة تصعيد الحرب اللبنانية لصرف الأنظار عن محادثات كامب ديفيد وعدم إعطاء الفرصة لحدوث أي إجماع عربي لإسقاط ذلك خاصة وأن الإتحاد السوفييتي غير مرتاح للحلول الإنفرادية، وهو بدون شك سيسعى بطرق مختلفة إلى عرقلتها عبر ما تبقى له من حلفاء في العالم العربي أو بطرق أخرى.

لقد إتضح ذلك مع إمضاء إتفاقيات كامب ديفيد، بحيث أن و.م.أ إنتقلت من مرحلة تهيئة الجو لإنجاح هذه المحادثات وإبرام الإتفاق بسرعة إلى مرحلة الحرص على إنجاحه ميدانيا وهذا بتحميه كي لا يحكم عليه بالفشل وهو في المهد؛ فإذا عرفنا أنها واجهت في هذه الفترة صعوبات أخرى في المنطقة منها الثورة الإيرانية، يتأكد لنا بأنها مع وصول رونالد ريغن

---

(1) أهم هذه العناصر تمثلت في الإختلاف العميق حول المؤتمر الدولي بين سوريا و م.ت.ف من جهة وإسرائيل من جهة أخرى. أنظر نفس المرجع، ص 14-24. لتزداد الأمور تعقيدا مع وصول الليكود إلى الحكم في ربيع 1977 وإعلان زعيمه مناحيم بيغن عن ضرورة الحفاظ على ما أسماه بالسيادة الإسرائيلية وبأن الضفة الغربية ليست أرضا محتلة ولكنها محررة. أنظر: محمد نصر مهنا، مرجع سابق، ص 110-111. مما كان له إنعكاس واضح على التصور الإسرائيلي تجاه لبنان، إذ تمثل في تصعيد الإعتداءات ضد الوجود العربي فيه.

وبالرغم من أهمية ذلك إلا أن زيارة السادات للقدس في 1977 تبقى العامل الحاسم في دفع و.م.أ لتغيير أسلوبها في المنطقة لتكريس الحلول الإنفرادية بدل الحل الشامل عبر إشراك كل الأطراف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى التحكم كانت على إستعداد لحسم الأمور الموروثة عن العهد السابق بما فيها ما يتعلق بالساحة اللبنانية وأطرافها، وهو ما إنعكس بالفعل في الصدامات الإسرائيلية — الفلسطينية سنة 1981 في هذا البلد.

بالرغم من ذلك فإن أعلى درجات التنسيق الأمريكي — الإسرائيلي في لبنان تبقى ممثلة في الغزو الإسرائيلي الشامل في صيف 1982، بحيث كان من مصلحة و.م.أ إنهاء م.ت.ف عبر إخراجها من لبنان وتهيئة الجو بكل الوسائل المتاحة من أجل تعميم تجربة كامب ديفيد وإلحاق لبنان بها (1) بعد نفاذ الصبر مع الأنظمة العربية الأخرى وخاصة الأردن وسوريا.

ما تجدر ملاحظته، في سياق تأييد و.م.أ لتدخل إسرائيل هو وجود مظهرين للسياسة الأمريكية، إذ ينطلق الأول من الروابط الخاصة الموجودة مع إسرائيل والتي وإن ذهبت و.م.أ في علاقاتها مع الطرف العربي إلى أبعد حد فلا يجب أن يكون على حساب إسرائيل، مما يجعلنا نقول بوجود علاقة سرية بينهما في لبنان يصعب الكشف عن كثير من مضامينها ومنها تلك التي أدت بتدخل إسرائيل في لبنان، بينما يتمثل الجانب الثاني في الشكل العلني، فمن خلاله تحاول و.م.أ التعبير عن معارضتها ليس للتدخلات الإسرائيلية وإنما للشكل الذي تتم به، على أن الواقع يؤكد لنا بأن و.م.أ غير جادة في معارضتها تلك، والدليل أنها لا تصاحبها بعقوبات إقتصادية أو غيرها تكون في مستوى بياناتها السياسية، بل سرعان ما يتأقلم موقفها المعلن مع الواقع الذي أحدثته إسرائيل ليصبح وضعا مسلما به للإنطلاق منه إلى المستقبل الذي سوف تتكرر فيه نفس الصور بل أكثر تزيد من تعقيد الحرب اللبنانية أكثر ما تساهم في تخفيفها وإنفراجها.

ففي ما يتعلق بالتدخل العسكري الإسرائيلي في مارس 1978 — الذي جاء على حد التبرير الإسرائيلي ردا على العملية التي نفذتها جماعة من الثوار الفلسطينيين بعد تسللها عن طريق البحر منطلقة من لبنان- فإن

---

(1) في هذا السياق لا تخفي و.م.أ مواقفها المتطابقة مع إسرائيل فيما يتعلق بتنسيقهما ضد مصلحة وحقوق الشعب الفلسطيني وممثله م.ت.ف. أنظر: مراسل القبس من بيروت، مرجع سابق، ص 14.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و.م.أ ندّدت بهذه العملية وأعلنت عن تعاطفها مع إسرائيل على لسان وزير خارجيتها سايروس فانس: ((قام الإرهابيون الفلسطينيون الذين يعملون في لبنان بهجوم إجرامي في إسرائيل وقتلوا عددا من المدنيين))[1] وهو ما يعطينا فكرة على أن و.م.أ أعطت الموافقة لإسرائيل لتنفيذ ما تريد منذ مدة طويلة، الشيء الذي ترجم في تدخلها في لبنان تحت حجة الإنتقام من المواقع الفلسطينية في الجنوب اللبناني، وهو ما مكنها من الإشراف على هذه المنطقة بدلا من إعتمادها على قوات سعد حداد في تلك الفترة التي بدت ضعيفة وتحتاج إلى المساندة المباشرة عن قرب.

صحيح أن و.م.أ لم تدفع إسرائيل إلى التدخل بطريقة مكشوفة – وهذا في إعتقادنا لا يلغي مسؤوليتها وهو ما نقصده بسرية العلاقة بينهما في بعض الأحيان – إلا أن التأييد الأمريكي كان محل إعتراف المصادر الإسرائيلية نفسها فيما بعد، من خلال ما نشر في صحفها،[2] بل إن سايروس فانس أكد أن مناحيم بيغن أرسل إلى كارتر رسالة يبلغه فيها أن قوات الدفاع الإسرائيلي ستتحرك إلى جنوب لبنان لتدمر قواعد م.ت.ف،[3] ومع أنه لم يعط موقف و.م.أ من ذلك فإنه يدل على موافقتها ومباركتها للعملية نظرا للمصلحة المشتركة ضد الثورة الفلسطينية.[4]

ما يدل على تواطؤ أمريكا مفاجئا على إثر العدوان الإسرائيلي على لبنان في ربيع 1978 هو دعوة و.م.أ إسرائيل للإنسحاب الفوري من لبنان وهذا بتأييدها لقراري مجلس الأمن 425 و 426، اللذان تضمنا دعوة إسرائيل للإنسحاب وخلافتها بقوات أممية يكون مقرها مدينة الناقورة مع مساعدة الحكومة اللبنانية لفرض سيادتها على المنطقة.[5]

---

(1) سايروس فانس، مرجع سابق، ص 85.
(2) كتب زئيف شيف في صحيفة هآرتس بتاريخ 31-8-1978 قائلا: ((لاشك أن الأمريكيين كانوا مطلعين على العملية قبل أن تبدأ، ولانخطئ إذا قلنا أنهم عرفوا بصورة عامة النقاط الرئيسية التي ستحتلها إسرائيل في القطاع المحاذي للحدود... لم يعربوا عن معارضتنا بصراحة فلو أرادوا لكان بإستطاعتهم بالتأكيد أن يعرقلوا العملية ولربما أن يمنعوا تنفيذها))، نقلا عن: إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 28.
(3) سايروس فانس، مرجع سابق، ص 85.
(4) لموافقة الأمريكية على العدوان الإسرائيلي على لبنان هدف آخر يتعلق بإرغامها من أجل تليين موقفها من مباحثات السلام مع مصر وكذلك تجاه صفقة الأسلحة التي كانت و.م.أ تنوي مدها لمصر والسعودية في هذه الفترة.
(5) Institut français de polémologie, op.cit, P.66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ذلك فقد ولد الموقف الأمريكي رد فعل إسرائيلي قوي نرى فيه مجرد خلاف تكتيكي لا غير، أي دون أن يعبر عن التناقض الكلي للمصالح على الصعيد الإستراتيجي، وهو ما يتجلى من خلال التساهل الأمريكي مع تفصيلات العدوان الإسرائيلي والذي خالف قانون ضبط تصدير السلاح الأمريكي، حيث يعترف سايروس فانس بأن إسرائيل خالفت القاعدة المتبعة ولكن لأنها إلتزمت بالإنسحاب من لبنان فلم نشأ أن نثير أزمة ذات تأثير مضاد، وهو مايصح على إستخدامها للقنابل العنقودية التي صرح بشأنها وزير الدفاع الإسرائيلي عايزرا وايزمن أن إستعمالها كان نتيجة خطأ[1] وهو دليل كاف ل و.م.أ لغلق هذا الملف إلى الأبد.

إذا و.م.أ عندما دعت إسرائيل للإنسحاب ليس ذلك نابع من حرصها على سلامة لبنان بقدر ما هي حريصة على مصالحها، فإذا كان صحيحا أنها غير راضية على العدوان الإسرائيلي لكونه تصرفا مبالغا فيه من ناحية الرقعة الجغرافية التي إستهدفها — وهو ما لم تستشرفه مقدما — فإن الأصح هو أن هذا العدوان بطبيعته التوسعية يؤثر سلبا على عملية السلام المنشود تحقيقها مع مصر، بحيث أن و.م.أ تصبح في موقف متناقض تنادي بالسلام بينما تتجاهل العدوان الإسرائيلي على لبنان والذي يؤزم الأوضاع أكثر ويبعد إحتمالات الحل السياسي للأزمة القائمة منذ مدة.

بذلك تبقى التفسيرات التي ترجع الموقف الأمريكي المعارض للعدوان الإسرائيلي بأنه — محاولة أمريكية كي لايتولد شعور في العالم العربي ودول العالم الثالث بأن و.م.أ وإسرائيل تقرران سويا مستقبل التطورات في جنوب لبنان — تبقى هذه التفسيرات بعيدة عن الحقيقة لأن التحالف الأمريكي — الإسرائيلي منذ عقود أصبح حقيقة راسخة لايمكن أن تزول[2] إلا بوضع نهاية حقيقية عادلة وجادة للمأساة الفلسطينية.[3]

---

(1) سايروس فانس، مرجع سابق، ص 86.
(2) إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 123.
(3) من أجل حل المشكلة الفلسطينية تضع و.م.أ شروطا تعجيزية أمام الطرف العربي، فبدلا من الضغط على إسرائيل المعتدية فإنها تعارض إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كما تقف ضد إعطاء أي دور ل م.ت.ف طالما لا تعترف بقرار مجلس الأمن رقم 242، وفي كل فترة تبلور معارضتها في أسلوب جديد بينما النتيجة واحدة على الدوام. أنظر: يوسف سلمان، "الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي-الإسرائيلي"، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 33-52. وفي هذا السياق =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برأينا أن ما يبدو كمعارضة أمريكية للعدوان الإسرائيلي على لبنان إنما يحكم له أو عليه من خلال البديل الذي طرحته في معالجة الحرب اللبنانية ، فالمتتبع لمرحلة ما بعد العدوان الإسرائيلي لسنة 1978 يتوصل إلى أن إسرائيل بالرغم من إنسحابها إلا أنها حققت إيجابيات (1) عديدة عادت بالسلب ليس على الجنوب فحسب بل على كل لبنان، وعليه فإن الموقف الأمريكي الداعي إلى الإنسحاب الإسرائيلي من الجنوب ماهو إلا وليد فترة المحادثات المصرية ـ الإسرائيلية وليس معنى أنه موقف مبدئي ، بل زائل بزوال هذه الظروف، مما يعني أنها تركت المجال مفتوحا أمام إسرائيل للتدخل في لبنان مستقبلا وذلك ما برهنت عنه الفترات اللاحقة .

موازاة لذلك فإن الموقف الأمريكي كان وراء تمركز القوات الأممية في جنوب لبنان، وهي القوات التي ينتظر منها أن تكون في خدمة إسرائيل بالدرجة الأولى، حيث أرادت أن تفوت الفرصة نهائيا عن إمكانية إنتشار قوات الردع العربية في هذه المنطقة ، ومن ناحية أخرى أوجدت واقعا صعب إلى حد كبير من مهمة المقاومة الفلسطينية التي إن حاولت التسلل إلى الجنوب فإنها تبدو أمام الرأي العام العالمي واللبناني بأنها لاتحترم الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة .

بذلك فقد جاء الموقف الأمريكي مطابقا للهدف الإسرائيلي بتصفية جنوب لبنان من قواعد م.ت.ف ومن ثم محاصرتها لتتقوقع في الشمال تدريجيا ، وهو الوضع الذي يلغي وجودها كثورة قامت أساسا لمحاربة إسرائيل ، ومن ناحية أخرى فإن تواجدها في الشمال بثقل أكبر شعبيا وعسكريا يخلق لدى الفئات اللبنانية المعارضة لها إرادة أكثر لمقاومتها ومن ثم إقحامها بدرجة كبيرة في الحرب الداخلية لتنحرف تدريجيا عن هدفها الرئيسي

= نسجل التغيير الملحوظ في موقف م.ت.ف بعد إعلان ياسر في جنيف عن قبوله بقرار مجلس الأمن رقم 242 وهو ما تبلور في فتحها للحوار مع و.م.أ. أنظر ثم بيان الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغن المتعلق بفتح الحوار الأمريكي مع م.ت.ف، الصادر في 1-12-1988 في: (شؤون فلسطينية)، العدد 190، جانفي 1989، ص 133-141.

(1) راجع هذه الإيجابيات في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنزول في النهاية من لبنان تمهيدا للإستسلام العربي في ظل التراجع عن الخيار العسكري الذي بدأته مصر وتبعته بلدان عربية عديدة خاصة تلك التي لها علاقة مميزة مع و.م.أ.

في الوقت الذي كانت فيه و.م.أ تتعامل مع الحرب اللبنانية لضرب الثورة الفلسطينية وحليفتها الحركة الوطنية اللبنانية معتبرة إياها من أسباب عدم إستقرار المنطقة نجد أنها توسعت لتشمل الدور السوري في لبنان خاصة بعد إمضاء إتفاقيات كامب ديفيد ودخولها حيز التطبيق.

لهذا التحول علاقة كبيرة بالأوضاع الداخلية والظروف الخارجية التي كانت تمر بها و.م.أ مع نهاية 1978 وبداية 1979، وهو ما جعلها تعود إلى منطق القوة القديم بعيدا عن النهج الذي نادى به كارترفي بداية ولايته، ومما زاد في رسم هذا النهج هو وصول رونالد ريغن إلى الحكم في ظروف إعتقد فيها أن مكانة بلاده تراجعت أمام أعدائها وهيبتها ضعفت أمام أصدقائها ولايمكن تصحيح هذا الخلل إلابإنتهاج سياسة متصلبة ضد الإتحاد السوفييتي والدول الموالية له في منطقة الشرق الأوسط بما يتيح تحقيق السلام بين إسرائيل والبلدان العربية المجاورة لها دون إشراكه.

وإذا تركنا جانبا الرغبة الأمريكية في التصدي للإتحاد السوفييتي بالدرجة الأولى — وهو ما يعني أن أزمة الشرق الأوسط تأتي في المرتبة الثانية من إهتمامات و.م.أ-فإن التساهل مع التصعيد الإسرائيلي في لبنان يهدف إلى فرض السلام — بالطريقة الأمريكية — على كل من سوريا ولبنان بإعتبارهما مجاورين لإسرائيل، حيث أن أجواء الحرب اللبنانية فرصة مناسبة لممارسة الضغط عليهما للقبول بذلك، هذا الضغط الذي حمل بالفعل سنة 1981 عندما جرى تحريك الأحداث اللبنانية مما حمل سوريا على إدخال صواريخ سام إلى لبنان، الشيء الذي إعتبرته إسرائيل تهديدا مباشرا لأمنها وبدا واضحا أن حربا بين البلدين وشيكة الوقوع في لبنان.

لقد شكل ذلك فرصة جديدة ل و.م.أ للإتصال بسوريا وحملها على إسقاط الخيار العسكري بدءبسحب صواريخها من لبنان، هذا الدورقام به مبعوثها فليب حبيب، وهومانرى فيه ربطا بين الأسلوبين الدبلماسي هذا والقوة الذي إلتزمت به إسرائيل في المقابل حيث ذهبت إلى حد قصف المفاعل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفاعل النووي العراقي في 7-6-1981 ؛ لتعلن في نهاية نفس السنة عن ضم مرتفعات الجولان إليها بصفة رسمية ودائمة .

وبالرغم مما قيل عن المعارضة الأمريكية للقرار الإسرائيلي القاضي بضم مرتفعات الجولان السورية وهو ما أدى بها إلى فرض - ما إعتبره الكسندر هيغ - ببعض العقوبات ضد إسرائيل (1) إلا أن الواقع عكس ذلك، فالتوافق بينهما في لبنان وفي المنطقة ككل إستمر وأخذ شكلا أكثر من السابق ؛ فالمنهج الأمريكي المتصلب تجاه من تعتبرهم بحلفاء الإتحاد السوفييتي يقتضي منهما التنسيق مع عدوانية إسرائيل على أرض لبنان أكثر من أي وقت مضى، وهو ما يعني بأن الإلتقاء الأمريكي - الإسرائيلي ليس بالصدفة وإنما نتيجة لسياسة شاملة تنسيقية بينهما بعد النجاح الذي تحقق مع مصر والبحث لتعميم هذه التجربة قبل أن يتقادم عليها الوقت وتصبح في عداد الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه .

إن و.م.أ لم تستطيع كسب سوريا بالدرجة التي تريدها رغم ما أظهرته بأنها السبب في منع إسرائيل من التعرض لها في لبنان، كما أن القوات الأممية في الجنوب لم تكن في مستوى شل حركة الثورة الفلسطينية - اللبنانية المشتركة ، بل حتى دور البلدان العربية المحافظة في الأزمة اللبنانية لم يكن في مستوى دعم التوجه الأمريكي وإقناع سوريا للإلتحاق بنهج كامب ديفيد أو حمل م.ت.ف للكف عن نشاطها العسكري في لبنان وخارجه ، والأكثر من ذلك أن التنظيمات اللبنانية سياسية كانت أم عسكرية الداعية إلى إحداث إصلاحات في النظام اللبناني وتقف في وجه السياسة الأمريكية هي في إزدياد وإتساع ، مما يهدد التوجه السياسي والإقتصادي للبنان، وبالتالي يؤثر على التوازنات في المنطقة لتصبح في غير صالحها .

إن ترك هذه الظروف على ما هي عليه ، يوحي من الوهلة الأولى بأن مكانة و.م.أ في المنطقة ستتراجع في المستقبل القريب، وهو ما لا يعبر

---

(1) أنظر، باسم المسلم، "لولا (مونة) بيغن على واشنطن لما أعلن ضم الجولان وإلغاء المعاهدة"، (المستقبل)، العدد 253، 26-12-1981، ص 20 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن حقيقة موقفها من الحرب اللبنانية على طول الفترة السابقة أين كانت جهودها منصبة على إبقاء لبنان منتميا للعالم الغربي سياسيا وإقتصاديا بل وإمكانية جره لعقد إتفاقية مع إسرائيل على غرار مصر.

لقد شكل ذلك دافعا مهما ل و.م.أ بالتنسيق المسبق مع إسرائيل – بدء بتوقيع إتفاق إستراتيجي بينهما في 30-11-1981 (1) - إلى تنفيذ ما نعتبره بالمرحلة الحاسمة في الحرب الأهلية اللبنانية، بحيث أن الظروف الدولية والمحلية مواتية، بل والأهم من ذلك أن الأوضاع اللبنانية الداخلية مهيأة لذلك من جراء وصول هذه الحرب إلى أعلى درجات التصعيد وإزدياد الوصايات الخارجية عليها مرورا بالإنقسامات العربية، بل وإستحالة التوصل إلى إجماع عربي حول أي قضية من القضايا المطروحة، وهي عوامل حددت إلى درجة كبيرة توقيت الغزو الإسرائيلي لمبنان في صيف 1982 بتشجيع من و.م.أ.

بالإضافة إلى ما شكله الغزو الإسرائيلي للبنان من عنصر لتحقيق السياسة الأمريكية في المنطقة وفي لبنان بالذات، فإنه شكل من ناحية أخرى إمتدادا لسياستها السابقة، وبالتالي فإن ما يمكن إعتباره كنتائج للغزو الإسرائيلي في صيف 1982 ما هو في حقيقة الأمر إلا تتويجا للتعامل الأمريكي مع الحرب الأهلية اللبنانية منذ بدايتها، وهو ما نستخلصه من النجاحات التي حققتها ولو لفترة معينة أي مباشرة بعد الغزو الإسرائيلي على أكثر من صعيد، بحيث من خلالها نتوصل إلى معرفة حقيقة الموقف الأمريكي عن هذه الحرب وأهدافها من التعامل مع كافة أطرافها.

فيما يتعلق بالتعامل مع الثورة الفلسطينية فإن و.م.أ سعيا إلى شل الخيار العسكري العربي ما فتئت تؤيد الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان بحكم أن لها الحق في الرد على هجمات الفلسطينيين، ففي هذا السياق برر الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغن العدوان الإسرائيلي بقوله ((إن ردود فعل إسرائيل على الإستفزازات والتحديات أكبر من المتوقع، وغير متوازنة ومهما يكن من أمر فإن المنظمة كانت هي السباقة

---

(1) أنظر: فليب روندو، "الموقف الجديد في الشرق الأوسط"، الوطن العربي، العدد 357، من 16 إلى 22-12-1983، ص 40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى خرق وقف إطلاق النار في غالبية الحالات)[1].

على هذا الأساس فقد كانت و.م.أ من أولى الأطراف الخارجية التي دعت إلى إخراج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان بعد ما تمت محاصرتهم في بيروت الغربية بواسطة الأداة العسكرية الإسرائيلية، كما نشطت على الصعيد السياسي لتحقيق ذلك عبر مبعوثها فيليب حبيب، وهذا من موقف قوي شأن المنتصر الذي يفرض شروطه على المنهزم، بحيث إحتوى مشروع فيليب حبيب على ضرورة وقف إطلاق النار ومغادرة القوات الفلسطينية بيروت براً وبحراً وجواً إلى عدد معلوم من الدول العربية بمراقبة ومرافقة فريق من القوات المتعددة الجنسيات من ضمنها 800 عنصر أمريكي على أن يخضع الفلسطينيون غير المقاتلين والذين سيبقون في لبنان للقوانين والأنظمة اللبنانية[2].

بعد ما تحقق خروج الثوار الفلسطينيين من بيروت يمكن القول أن و.م.أ حققت إيجابيات عديدة على الساحة اللبنانية بحيث لا يتعلق ذلك بإخراج الثوار الفلسطينيين فحسب ولكن لتأثير ذلك على مجرى الأحداث السياسية والعسكرية اللبنانية، وخاصة إضعاف الحركة الوطنية اللبنانية بإعتبارها فقدت أهم سند في صراعها الداخلي مما يعني العمل تدريجيا على إفراغها من محتواها العسكري، ومن ثم يغلب عليها الطابع السياسي الذي تطغى فيه الإختلافات المذهبية والأيديولوجية وبالتالي تنقسم على نفسها على غرار ما هو جارفي الساحة العربية ككل ومن ثم يضعف تأثيرها على التيار اللبناني المضاد المؤيد للتوجه الغربي للبنان والإنعزال عن العالم العربي.

هذا على المستوى اللبناني أما في المداين القريب والبعيد فإننا نعتقد بأن الهدف الأمريكي ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أن توزيع الثوار الفلسطينيين على بلدان عربية عديدة في حدود أعداد معينة وقبول الدول العربية لإستقبالهم إنما يعد كتجربة مصغرة تريد بها أن تؤكد صحة طرحها

---

(1) راجع حديث الرئيس الأمريكي رونالد ريغان لصحيفة (لوفيغارو) الفرنسية بتاريخ 10-8-1982، في: المركز العربي للمعلومات، "لبنان 1982: يوميات الغزو الإسرائيلي: وثائق وصور"، مرجع سابق، ص 424.

(2) أنظر: النص الكامل لمشروع المبعوث الأمريكي فليب حبيب لخروج مقاتلي م.ت.ف من بيروت. في: الملحق رقم 5 من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإعتقاد الإسرائيلي فيما يتعلق بإنهاء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس توزيعهم و توطينهم في البلدان العربية بصورة نهائية .

بالرغم من الفرق الواضح بين الصورة الواقعية الأولى والإحتمال الثاني بحيث أن توزيع الثوار جاء لظرف خاص، فإنه بإمكان و.م.أ خلق ظروف مماثلة يجد فيها الشعب الفلسطيني نفسه يشتد عليه الحصار ويصبح في حالة ميؤوس منها الإنتصار يطالب من الدول العربية بإستقباله بينما تقبل هي بذلك، فإذا كان ذلك من الصعب تحقيقه في المدى القريب فإنه يبقى في عداد الإحتمالات الواردة في سياق تعدد الإحتمالات لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

هذا فيما يتعلق بنتيجة التعامل الأمريكي مع م.ت.ف في لبنان، أما فيما يتعلق مع هذا الأخير فإن و.م.أ تريد أن تجعل من لبنان قاعدة سياسية وإقتصادية تكون في مستوى حفظ مصالحها والمصالح الغربية عموما ضد ما تعتبره بالخطر الشيوعي، وهو ما يعني في خضم الغزو الإسرائيلي تشجيع كل ما من شأنه تحقيق ذلك، ففي البداية مناصرة التيار اللبرالي اللبناني بزعامة حزب الكتائب نظرا لولائه للغرب إذ أن نجاح هذا الفريق يؤدي إلى إمكانية إعتراف لبنان بإسرائيل، كما يعد من ناحية أخرى إضعافا للقوى المسماة بالراديكالية بحكم أنها سبب عدم إستقرار لبنان والمنطقة ، فهي ذات التوجه اليساري أو القومي أو الإسلامي تؤيد بشكل أو بآخر الثورة الفلسطينية وتواجدها العسكري في لبنان .

فيما يتعلق بتأييد الفريق الأول، فإن و.م.أ عبر تنسيقها مع إسرائيل خططت للإنتخابات اللبنانية ، ولهذا جاء الغزو الإسرائيلي ومن أهدافه التأثير في هذه الإنتخابات بتنصيب شخصية ثم نظام لبناني يكون أقرب في تعاطفه وتأييده للغرب وإسرائيل أكثر ما يكون قريبا للتيار الثاني الذي يربط لبنان بمحيطه العربي أولا ، بحيث تجسد ذلك في إيصال بشير الجميل للرئاسة بالرغم من معارضة كثير من اللبنانيين لذلك.(1)

---

(1) قبل ذلك كان بشير الجميل على رأس الجناح العسكري لحزب الكتائب - المعروف بعلاقاته التقليدية مع إسرائيل - حيث أعطى وعودا بإمضاء إتفاق مع إسرائيل وإخراج الفلسطينيين والسوريين من لبنان إذا ما وصل إلى الحكم. أنظر: جونثان راندال، " حرب الألف عام في لبنان، أمراء الحرب المسيحيون، المغامرون الإسرائيليون"، ترجمة : فندي الشعار، دار المروج، بيروت، 1984، ص 315 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان إغتيال بشير الجميل في أيامه الرئاسية الأولى نذير بفشل الغاية الإسرائيلية - الأمريكية المشتركة فإن ربط الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان بتوقيع إتفاقية سلام مع هذا الأخير بقيت ورقة مساومة عملت من خلالها و.م.أ لعزل لبنان عن محيطه العربي، وهو ما بدأت معالمه تتضح مع نهايته سنة 1982.

في هذه الفترة وصل لبنان إلى أضعف مراحله ، وكان ذلك مناسبا ل و.م.أ لتبدء عمليا بدور الوسيط لحمله على عقد إتفاق مع إسرائيل وهو ما تم في السنة الموالية ، وإن كان ليس في مستوى ما تحقق مع مصر مما عجل بإلغائه (1)، إلا أنها تبقى ميزة من ميزات السياسة الأمريكية في إطار إستغلال الحرب الأهلية اللبنانية لتمرير مخططاتها في سبيل ما تسميه بحماية الأمن الإسرائيلي حفاظا على مصالحها.

أما فيما يتعلق بالفريق اللبناني الآخر الممثل في الحركة الوطنية اللبنانية فإن و.م.أ صنفته منذ البداية ضمن التيار العربي الراديكالي الذي إن أعطيت له فرصة النجاح فإنه سيشكل نواة لإحداث تغييرات في الأنظمة العربية المحافظة في المنطقة ، ومن هنا تبرز مهمة إضعافه وإن أمكن القضاء عليه نهائيا خاصة وأن له روابط متينة مع الثورة الفلسطينية والإتحاد السوفييتي على الصعيدين السياسي والعسكري.

وللعمل ضد الحركة الوطنية اللبنانية فقد إعتمدت و.م.أ في البداية على التقريب بين إسرائيل والقوى المسيحية - خاصة حزب الكتائب - بينما في المرحلة الثانية شجعت ما من شأنه أن يؤدي إلى إتفاق لبناني - إسرائيلي، إذ تريد بذلك تهميش القوى الوطنية وإبعادها عن السلطة بعد ما ضعفت على إثر خروج م.ت.ف (2) ، والعمل على حمل سوريا للإنسحاب من لبنان ، وهي عناصر تؤدي في مجملها إلى إضعاف الحركة الوطنية بل من شأنها إحداث إنقسامات في صفوفها تجعلها في أدنى مستوى التصدي لما

(1) أنظر : سليم حداد ، مرجع سابق ، ص 144.
(2) يصح ذلك على فترة ما بعد خروج م.ت.ف من بيروت مباشرة ، أما مع بداية 1983 وما بعدها فقد تغيرت المعطيات ، إذ برزت الحركة الوطنية اللبنانية بشكل قوي نتيجة تنظيماتها الرئيسية من أهمها حركة أمل . أنظر :
KASSIR (Samir),"Aprés dix ans de sanglants conflits: Laffirmation des chitte libanais",(Le monde diplomatique), N°374,Mais 1985,P.1 et 12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحماية لها من الداخل والخارج.

هذا فيما يتعلق بنظرة و.م.أ إلى لبنان وتعاملها مع قواه الرئيسية أما فيما يتعلق بنتيجة تعاملها مع سوريا في هذا البلد فقد تحكمت فيها معطيات أخرى، فسوريا قد لعبت دورا أساسيا في الصراع العربي — الإسرائيلي منذ بدايته وهي دولة مستقلة ذات سيادة كاملة معتمدة في التزود بالسلاح من الإتحاد السوفيتي كحليف إستراتيجي لها، ولعل أبرز ما يميزها أنها فقدت سيادتها على جزء من أراضيها في الجولان وبقيت متمسكة بالخيار العسكري في سبيل إسترجاع حقوقها.

لقد ولد ذلك مزيدا من التباعد بين رؤية سوريا و و.م.أ لحل مشكلة الشرق الأوسط، حيث إزدادت سوريا تمسكا بنهجها بعد إتفاقيات كامب ديفيد مما كان يوحي بفشل و.م.أ لإستدراجها إلى النهج المصري، فكان الحال أن قررت رفع درجة التعامل بأسلوب الضغط والتهديد.

يتأكد من ذلك أن الدور الذي قام به المبعوث الأمريكي فليب حبيب بسبب ما عرف بأزمة الصواريخ السورية مجرد تجميد للأحداث إستعدادا للقيام بما هو كفيل بوضع سوريا في موقف صعب، وبتعبير آخر فقد كانت وساطة فليب حبيب إنحيازية لإسرائيل إذ لم ((يكن وسيطا بين طرفين وإنما كان صاحب قضية ومصلحة في كل ما يجري في الساحة اللبنانية))[2] فـ و.م.أ عندما خططت للغزو الإسرائيلي للبنان في صيف 1982 إنما وضعت في عين الإعتبار تهيئة مزيد من الظروف تضيق بها من الأفق السوري، وبالتالي فإن هذا الغزو ليس وليد الفترة ذاتها بقدر ماهو نتيجة لمسيرة طويلة كانت فيها سوريا تناقض علانية سياسة و.م.أ ولا تتماشى معها، لقد آن الأوان كي تجازى على ذلك.

من خلال هذا يتضح بأن الغزو الإسرائيلي للبنان يعتبر وسيلة ضغط أمريكية على سوريا سواء عسكريا أوسياسيا، فعلى الصعيد العسكري تمت الإغارة الإسرائيلية على بطاريات الصواريخ السورية في البقاع اللبناني التي كانت مثار نزاع سابق، وعليه تأكد عمليا بأن سوريا في غير إستعداد

---

(1) أنظر: حسين آغا وآخرون، مرجع سابق، 152م.

(2) وكالة الأنباء الجزائرية، (الشعب)، العدد 5967، 3-1-1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للدفاع عن الأراضي اللبنانية ليس لشيء سوى أنها ضعيفة عسكريا بمفردها مقارنة بإسرائيل ، كما دعمت و.م.أ الهجمة الكتائبية ضد المواقع السورية موازاة للغزو الإسرائيلي.

أما على الصعيد السياسي فقد أظهرت و.م.أ تجاهلها للدور السوري في لبنان، فبالرغم من أن وجودها أصبح مشروعا في إطار قوات الردع العربية إلا أنها سوتها مع الغزو الإسرائيلي الذي يعد عدوانا على السيادة اللبنانية إنجر عنه إحتلال أراضي واسعة ؛ وبذلك فإنها ربطت عملية الإنسحاب من لبنان بضرورة الإنسحاب السوري في إطار ما تسميه بخروج القوات الأجنبية من لبنان مهما كانت طبيعة دخولها.(1)

من بين نتائج المساومة الأمريكية للإنسحاب السوري من لبنان هو إعطاء الفرصة لإستمرار الإحتلال الإسرائيلي لفترة مجهولة ، بما يحقق مبتغاه مع لبنان ومن فيه ، بحيث يمتن علاقاته بحلفائه ويوسع من دائرتهم العسكرية والسياسية ، وهذا على حساب من يعتبرهم بأعدائه سواء كانوا فلسطينيين أو لبنانيين حتى وإن إقتضى الأمر تقتيلهم جماعيا كما جرى في صبرا وشاتيلا.(2)

بالرغم من أن هذه المذابح تمت بالتنسيق بين الكتائب اللبنانية وإسرائيل فإن ذلك باعتقادنا ماكان ليتم لولا تأييد و.م.أ لها ماديا ومعنويا ، مما سبب ضررا كبيرا لسوريا على الأقل معنويا ، فإذا سلمنا بإحجامها عن التصدي للغزو الإسرائيلي لظروف معينة فإنه من الصعب الإقتناع بهذه الظروف في وقت يتعرض فيه اللبنانيون والفلسطينيون إلى مذابح جماعية.

بتعبير آخر فإن و.م.أ ساهمت في إحداث هذه التطورات من أجل التشكيك في الدور السوري في لبنان، بحيث أن وجودها لوكان في صالح هذا البلد ومواطنيه لماتخلت عنهم في وقت الشدة ، وإذ هي تخلت عنهم فإنماتراعي مصلحتها فقط، وذلك كفيل بأن يجعل اللبنانيين والفلسطينيين على

---

(1) أنظر المركز العربي للمعلومات، "لبنان 1982 :يوميات الغزو الإسرائيلي وثائق وصور" ، مرجع سابق، ص 484.

(2) أنظر:زئيف شيف و أهود يعاري، مرجع سابق، ص 159.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السواء ينتزعون ثقتهم منها نهائيا بل سيقفون ضدها مستقبلا لتزداد بذلك عزلتها على الصعيد العربي وتصبح إمكانية إستسلامها أقرب و أيسر إلى الحدوث .

بتقييم بسيط لموقف و.م.أ من الحرب الأهلية اللبنانية نتوصل إلى أن لها سياسة مع إسرائيل وتجاه الإتحاد السوفيتي وكذا مع البلدان العربية بفريقيه الرئيسيين، بينما ليس لها سياسة خاصة بلبنان، فحربه الأهلية تكاد تكون في آخر إهتمامات و.م.أ بالقضايا الدولية سواء كان ذلك لسياستها الجديدة في عدم التسرع بالتدخل المباشر بعد هزيمتها في فيتنام (1) أو لكونها منشغلة بأحداث دولية خاصة بعد الثورة الإيرانية وظهور مشكلة أفغانستان و الحرب العراقية - الإيرانية ، على أن المهم هو ما يشكله إستمرار الحرب اللبنانية من عامل إيجابي لصالحها يزيد من إضعاف الطرف العربي ويخلق له إهتمامات و إنشغالات جديدة تساهم في تفككه أكثر وتلهيه عن الصراع المصيري في المنطقة .

إن عدم ظهور سياسة واضحة ل و.م.أ تجاه لبنان ومن ثم حربه الأهلية (2) أعطى مجالا لتفسيرات عديدة لسلوكاتها ، ففي حين يرى البعض أنها تعمل لإستقلال لبنان وحفظ سيادته فإن البعض الآخر يفسر سياستها في المنطقة بأنها السبب في إندلاع هذه الحرب و إستمرارها لمدة طويلة بهدف إلهاء العالم العربي و القضاء على الثورة الفلسطينية - الرأي الذي نرجحه (3) .

من خلال ذلك فإن و.م.أ لم تتعامل مع الحرب اللبنانية على أساس إفرازها من مسبباتها الحقيقية بل عملت على إدارتها لصالحها ولصالح إسرائيل ضمن منطلق إرتباط الحرب اللبنانية بأزمة الشرق الأوسط (4) نتوصل إلى أن مساعيها لم تمس جوهر الأزمة التي تكمن في ضرورة كبح

---

(1) أنظر: برنار برودي، "الحرب و السياسة: محاكمة أمريكية لحروب أمريكا في العالم"، ترجمة: علي حداد، دار المروج للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1995، ص 150.

(2) في هذا السياق يعتقد البعض أنه من أسباب إستمرار الحرب الأهلية اللبنانية طول هذه المدة هو الموقف الأمريكي الغامض وعدم تحركها الإيجابي بكل ما تملك من وسائل لإنهاء النزاع. أنظر: عبد الكريم أبو النصر، مرجع سابق، ص 9.

(3) مصطفى علوان، مرجع سابق، ص 50-51.

(4) أمين هويدي، مرجع سابق، ص 200-202.

السياسة التوسعية الإسرائيلية وإيجاد حل عادل لقضية الشعب الفلسطيني الذي شكلت معاناته سببا من أسباب إندلاع الحرب اللبنانية وإستمرارها. من ذلك فإن سياسة و.م.أ كانت سببا من أسباب عدم إستقرار لبنان كما كانت سببا في عدم إستقرار المنطقة، ويبقى التفسير الوحيد لتحركاتها التي إعتبرناها تهدئة للحرب اللبنانية في سنواتها الأولى مجرد تعبير عن حرصها على عدم بروز تطورات في غير صالحها إنطلاقا من هذه الحرب، بينما إزدياد نشاطها في المراحل اللاحقة يهدف إلى تعميم إتفاقية كامب ديفيد، فضمن هذا الإطار تأتي مبادرة الرئيس رونالد ريغن (1) المعلنة في 1-9-1982، حيث تنكرت كلية لقيام دولة فلسطينية مستقلة، بينما هرصت على تدعيم شرعية الوجود الإسرائيلي على حساب الحق العربي، (2) وبالرغم من ذلك فإن إسرائيل أعلنت رفضها لهذه المبادرة بحجة أنها تناقض إتفاقيات كامب ديفيد ولا تعبر حتى على المقررات الداخلية للحكومة الأمريكية. (3)

إن الفرق بين المرحلة الأولى التي تميزت بتهدئة الأوضاع والمرحلة الثانية التصعيدية هو أنه في البداية عن قصد تركت و.م.أ الفرصة للمبادرة العربية خاصة بل شجعتها ولكن مع وضع عراقيل أمامها لتصبح في النهاية مجموعة من المبادرات الفاشلة على مراحل متتالية والتي لا يمكن أن تعلق عليها آمالا في المستقبل، أي الوصول بالمواطن اللبناني إلى مرحلة التشكيك في الدور العربي سياسيا وعسكريا وعدم الثقة فيه ليصبح بذلك متطلعا إلى بديل آخر من أي ناحية كانت لتنقذه مما هو فيه منذ مدة طويلة والمستقبل مازال غامضا.

بعد ما أدركت و.م.أ أن ذلك تحقق بنسبة كبيرة مع زيادة إنغماس سوريا والثورة الفلسطينية في الأحداث اللبنانية الداخلية أسرعت أكثر من أي وقت مضى إلى الإهتمام بالحرب اللبنانية ليس لحلها بل لتنفيذ

---

(1) راجع النص الكامل لهذه المبادرة في: منير الهور و طارق الموسى، مرجع سابق، ص 209-210.

(2) أنظر سعد الدين إبراهيم، "مبادرة الرئيس ريغن"، (السياسة الدولية)، العدد 70، أكتوبر 1982، ص 146.

(3) CORNU(Francis),"les nouvelles propositions de M.Regan sur la question palestinienne-suscitent de vives reserves a jurusalem",(le monde),N°11694,3-9-1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آنذاك منطقة عملها مع إسرائيل التي كانت قد كسبت تأييد قاعدة لبنانية عريضة تمثلت في الكتائب المسيحية بالخصوص .

لقد عبر سلوك و.م.أ وما حققته مع الحرب الأهلية اللبنانية سواء في إخراج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت في 1982 أو التصدى للدور السوري وعرقلته أو فيما يتعلق بإمكانية النجاح في عقد إتفاق بين إسرائيل ولبنان، عبر كان ذلك مجرد نتائج مرحلية سرعان ما إتضحت بأنها تمت بوسيلة التهديد والعدوان لتبقى الحقيقة مستمرة ، فطالما أنها لم تعمل على معالجة جوهر المشكلة فإن فروعها ستبقى معبرة عن إستمرارها وبالتالي عن قصور وعدم صلاحية هذه الإجراءات مهما كانت درجة ضغوطها ومناوراتها ، فالحرب اللبنانية إستمرت ومشكلة الشرق الأوسط مازالت قائمة مادام الصراع بين الحق العربي والباطل الإسرائيلي في المنطقة .

المبحث الثاني: موقف الإتحاد السوفييتي.

من أهم إفرازات الحرب العالمية الثانية ظهور الإتحاد السوفييتي كدولة عظمى تقود الكتلة الإشتراكية تربطها علاقة التضاد والتنافس ضد الكتلة الغربية بزعامة و.م.أ، ولعل ما يميز الإتحاد السوفييتي أنه كان في وضعية الهجوم على حد قول فلادمير لينين في سنة 1919 ((إننا لا نعيش فقط في دولة بل في نظام دول، وليس واردا بقاء الجمهورية السوفياتية جنبا إلى جنب مع الدول الإمبريالية إلى وقت طويل، إن أحد الجانبين يجب أن ينتصر في النهاية .(1)

مع ذلك فقد وجد الإتحاد السوفييتي الكيفية التي تسمح له بالدخول إلى منطقة الشرق الأوسط ـ حلمه القديم ـ(2) حيث تمثلت الفرصة في إستغلال

---

(1) نقلا عن: بروس بالتسر وآخرون، مرجع سابق، ص 60.

(2) في هذا السياق فقد أعلن الإتحاد السوفييتي عن رغبته للحصول على مناطق نفوذ في الشرق الأوسط خلال إجتماع برلين في نوفمبر 1940، أين طالب ستالين بمصالح في الخليج وقسما من سوريا وتركيا ولبنان... وهو مالم يتحقق له، هيلين كاريرد انكوس، "السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط 1955-1975"، ترجمة عبد الله إسكندر، دار الكلمة للنشر، بيروت 1981، ص 6-7. أما بعد الحرب فقد إنشغل الإتحاد السوفييتي بموضوعين الأول تمثل في إعادة بناء البلاد، والثاني متابعة التطورات في أوروبا مع إبداء التعاطف والتأكيد للأحزاب الشيوعية التي ظهرت في العالم الثالث إلى أن وصل خروتشوف إلى الحكم سنة 1953، حيث أصبحت علاقة الإتحاد السوفييتي مع العالم الثالث أكثر إيجابية بما فيها منطقة =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النزاع العربي - الإسرائيلي، فبوقوفه إلى جانب العرب وجد طريقة شرعية - تدعمت بطلب من هؤلاء - كي يبسط نفوذه في المنطقة ربما بالطريقة السهلة التي لم يكن يتوقعها مهددا بذلك مصالح و.م.أ وحلفائها الغربيين، مشاركا أيضا في كل ما يحدث في المنطقة بما فيها الحرب الأهلية اللبنانية المستمرة منذ 1975 وهو مايمكنه من لعب دور لا يستهان به في مجريات هذه الحرب وأطرافها الداخليين والمتدخلين.

المطلب الأول: موقف الإتحاد السوفييتي قبيل التدخل العسكري السوري والإسرائيلي في لبنان.

قبيل إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية كان الإتحاد السوفييتي إلى جانب و.م.أ لا يشارك في صنع أحداث المنطقة فحسب بل يتحكم في مجريات الأمور عن قرب بوقوفه إلى جانب الدول العربية - في مقدمتها مصر وسوريا - في صراعها ضد إسرائيل ليترجم ذلك في مناسبتين حاسمتين حرب 1967 وحرب أكتوبر 1973 دون أن تكون له مصالح مادية واضحة في المنطقة كالنفط مثلا كما هو الشأن عند الدول الغربية - بإستثناء بيع السلاح -(1)، وعلى ذلك فالعامل الحاسم يعود إلى أهمية المنطقة بالنسبة لأمنه القومي الشيء الذي يتطلب حضوره فيها كغاية أولوية ليتمكن بعدها من تحقيق الجزئيات.(2)

في هذه الأثناء إهتم الإتحاد السوفييتي بمجاراة الدول العربية وتنحية شبح الشيوعية الخطير من أذهان شعوبها، فحدث أن إعترف بخصوصيات بلدان العالم الثالث وإمكانية قيام إستراتيجية خاصة بكل بلد كما(3) إعترف بالبرجوازية الوطنية في هذه الدول وحاول بلورة موقفه من(4)

= الشرق الأوسط بادئا بمصر سنة 1955 بعد صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية. سعد الدين الشاذلي، "الخيار العسكري العربي"، مرجع سابق، ص 178-179.

(1) أحمد يوسف أحمد، "تأثير الثروة النفطية على العلاقات السياسية العربية" دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985، ص 108-112.

(2) يعتبر الإتحاد السوفييتي بأن منطقة الشرق الأوسط قريبة منه جغرافيا وبما أن جنوبه متقدم صناعيا فإنه يبقى على الدوام معرضا لهجوم من الشرق الأوسط والقوات البحرية المتواجدة في البحر المتوسط... لقد كان الجنوب محل قلق السوفييات دوما في الحرب العالمية والشكوى ضد تركيا والخوف من إيران. بيتر مانغولد، مرجع سابق، ص 53-54.

(3) سامي ذبيان، مرجع سابق، ص 42.

(4) لكسب الأنظمة العربية كان الإتحاد السوفييتي يضحي بالأحزاب الشيوعية العربية، وهي الأحزاب التي عبرت عن إستيائها علانية من هذا الموقف، في بداية السبعينات طالب الشيوعيون اللبنانيون بالكف عن التنازلات و((وضع حد للتحالفات العرجاء وأن يتقدم الشيوعيون إلى السلطة حينما بدا ذلك ممكنا)). نقلا عن: فيليب كاربرد انكوس، مرجع سابق، ص 66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلام – دين غالبية سكان الشرق الأوسط – لأن الفكرة السابقة وهي غربية في إعتقاده تقوم على أن الشرق المسلم لايمكن أن تدخله الشيوعية[1] ، وهذا كله من أجل كسب ثقة البلدان المحلية لضمان بقائه هناك.

بالرغم من أهمية ذلك إلا أن ما ساعد الإتحاد السوفييتي أكثر يعود إلى إستغلاله للعداء التقليدي الذي تحمله الشعوب العربية للبلدان الإستعمارية ، فلتحقيق الإستقلال فتحت الشعوب العربية ذراعيها للإتحاد السوفييتي للدخول إلى المنطقة بقوة وبذلك شكل الصراع العربي – الإسرائيلي قيمة كبيرة بالنسبة إليه إذا ما عرف كيف يحافظ عليها في المراحل اللاحقة .

إذا كان ذلك يوحي بأن الإتحاد السوفييتي دخل إلى المنطقة بهدوء فإنه سرعان ما أجبرته التطورات على التعامل مع قضايا المنطقة ، ومن أولى هذه القضايا نسجل التدخل الأمريكي في لبنان سنة 1958 ، حيث تحول إلى مدافع عن العرب ، بإستقباله لجمال عبد الناصر وإصدار بيان لإدانة التدخل الأمريكي ، كما كان له دور مميز في مجلس الأمن إذ دعا إلى إحترام سيادة لبنان وإستقلاله ، والتذكير بأن الشرق الأوسط منطقة مهمة لأمنه نظرا لمتاخمتها لحدوده الجنوبية[2] .

بعد ما حقق السوفييت هدفهم بالدخول إلى المنطقة وهو ما تزامن وإستفحال النزاع العربي – الإسرائيلي وخطورته لإمكانية المواجهة العسكرية مع و.م.أ بدءوا في البحث لإنتزاع الإعتراف الأمريكي بقوة حضورهم ، فلأنه من غير الممكن ((إزاحة النفوذ الأمريكي من الشرق الأوسط فلا بد لهم من الوصول إلى نوع من التلاؤم مع واشنطن ، إن مفهوم التحكم المشترك أو السيطرة الثنائية ذو جذور عميقة في نظرة السوفييت إلى العالم..))[3] ، فكيف إذا تعلق الأمر بمنطقة متاخمة لحدوده ؟

من خلال ما سبق يتضح أن الإتحاد السوفييتي وحلفائه العرب في مقدمتهم

---

(1) هيلين كارير دانكوس ، مرجع سابق ، ص 34-40 .
(2) نفس المرجع ، ص 66-67 .
(3) بيتر مانغولد ، مرجع سابق ، ص 94-95 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصر وسوريا أصبح في مواجهة و.م.أ وحليفتها إسرائيل، حيث أن أسباب هذا التصنيف عديدة تعود أولا إلى إلتقاء المصلحة ثم لعوامل أيديولوجية وسياسية وإقتصادية بل تاريخية، فكما لا يصح القول بصداقة كل البلدان العربية للإتحاد السوفييتي - هناك ما يسميه بالدول الرجعية (1) - فكذلك لا يمكن إعتبارها بصديقة ل و.م.أ كلها.

بتعبير آخر فإن أي طرف كان محسوبا على الإتحاد السوفييتي ويخرج من دائرته يعد خسارة له وبالمقابل ربح ل و.م.أ والعكس صحيح، وعليه ففي الوقت الذي كان يعتقد فيه بإمكانية إلتفاف الدول العربية حوله ما دام أنه يقف بجانبهم، جاءت المفاجأة من أكبر دولة عربية — مصر السادات — جاعلة إياه يعيد حساباته التي كان قد وضعها للمنطقة منذ (2) الخمسينات، فبهذا تعرض وجوده في المنطقة إلى تهديد مباشر، إذ كان يعتقد أنه أصبح شريكا ل و.م.أ في المنطقة إلى الأبد وإذا بالأرض تتحرك من تحت قدميه.

وفي خضم الإهتمام السوفييتي بالمنطقة فإنه من الصعب التأكيد بأن له سياسة خاصة تجاه لبنان كما هي مع مصر وسوريا مثلا، إلا أن الثابت هو وجود قاعدة يسارية في هذا البلد موالية له ما كان لها أن تظهر وتستمر لولا دعمه بطريقة أو بأخرى لتقويتها من أجل الوصول إلى السلطة، مما يعني وجود رغبة في إزالة النظام اللبناني القائم على المعادلة الطائفية الهشة والنظام الإقتصادي الحر المدعوم من قبل الدول الرأسمالية الغربية.

---

(1) الرجعية مصطلح سياسي وإجتماعي يعبر عن تيارات تعارض مفاهيم تحديثية وتقدمية أو يسارية جديدة وذلك عن طريق التمسك بالتقاليد الموروثة، دون أن تكون الشروط متوفرة لتغيير ظروف المجتمع، وبذلك فإن هذا المفهوم يرتبط عادة بالإتجاه اليميني المتعصب المعارض للتطورات الإجتماعية والإقتصادية. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 814.

(2) نعني بذلك قرار الرئيس أنور السادات في جويلية 1972 القاضي بإخراج الخبراء السوفييت من مصر وبداية تدهور العلاقة بين البلدين. سعد الدين الشاذلي، "مذكرات حرب أكتوبر، الجزء الأول 68-1973"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1983، ص 232-236.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد ساهم الحزب الشيوعي اللبناني والحركات المعارضة إلى تمكين الإتحاد السوفييتي أكثر للتأثير في الأرضية السياسية اللبنانية عبر الجمعيات الثقافية المشتركة والتي تبلورت إلى حد تأسيس جمعية الصداقة اللبنانية - السوفياتية في سنة 1970 بترخيص من كمال جنبلاط بإعتباره وزيرا للداخلية في تلك الفترة (1)، على أن ما دعم ذلك هو إنتقال الثورة الفلسطينية إلى لبنان بشكل كبير وما تمتعت به من مزايا قبل الحرب الأهلية في هذا البلد.

الملاحظ في هذه الفترة والتي تتصابسنوات أن الإهتمامات السوفياتية بالثورة الفلسطينية قد زادت بحكم التحولات الحاصلة في المنطقة، وبذلك فقد شكل التلاقي الفلسطيني - اللبناني المذكور فرصة له لخدمة طموحاته في لبنان، فحتى وإن لم يخطط لذلك فإن هذا الواقع تطلب منه تدعيمه ومساندته بما أوتي من إمكانيات قابلة للتوظيف ما دام ذلك يحدث بداية لمرحلة من شأنها أن تعجل بإحداث تحولات سياسية وإقتصادية في المنطقة تحسن من موقعه التفاوضي ضد و.م.أ ويبرهن للبلدان المحلية المعارضة له بأنه يملك بدائل عديدة تجعله يستمر في المنطقة لفترة أطول بل وبإستمرار.

بالرغم من ذلك فقد ساهمت التطورات المحلية وسياسة و.م.أ في عرقلة العلاقة السوفياتية - العربية كما أثرت في ذلك الإنتقادات السوفياتية الذاتية، فعلى صعيد الواقع وبعد تجربة طويلة وجد الإتحاد السوفييتي أن علاقته بحلفائه العرب لم ترقى إلى مستوى علاقة و.م.أ بإسرائيل، بمعنى أن أصدقاءه لا يريدون منحه نفوذا حقيقيا كالذي يبحث عنه - في مستواه كدولة عظمى - يذهب إلى حد إشراكه في صنع قراراتهم السياسية والعسكرية.

لقد مثل ذلك خسارة كبيرة في الحسابات السوفياتية حيث أثيرت تساؤلات عديدة داخل الإتحاد السوفييتي حول أهمية دعمه للعرب سواء من المتصلبين العقائديين أو من قبل المؤسسة العسكرية، فالأيديولوجيون المتصلبون

---

(1) يوسف خطار الحلو، "قصة التحرر الكبير"، دار الفارابي، بيروت 1985، ص 141.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يؤكدون على ضرورة وضع حد للإختلاط بين الدول الإشتراكية والحركات التقدمية والأنظمة الوطنية التي همها الأساسي هو المحافظة على مصالحها ، ولأن الإختلاط يهدد المصلحة الأيديولوجية التي يدافع عنها الإتحاد السوفيتي ... أما القيادة العسكرية فقد عبرت عن قلقها من جراء تبديد الأسلحة وإضعاف القدرة السوفياتية وحلف وارسو، زيادة على إحتمال إستيلاء إسرائيل على هذه الأسلحة ومن ثم و.م.أ .(1)

في ظل هذه الظروف وإنحسار النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط والنجاح النسبي الذي حققته سياسة و.م.أ مع مصر، إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية مشكلة أرضية جديدة للتنافس، ماكان للإتحاد السوفيتي المهتم بالمنطقة إلا القيام بمحاولات للتأثير فيها بمايحسن من مكانته أو على الأقل يضع عراقيل أمام الخصم ويرفع من معنويات أصدقائه .

(2) ومن منطلق التحليل السوفيتي لأغلب النزاعات الداخلية ، فإن الحرب اللبنانية هي نتاج حتمي لسياسة و.م.أ— الإنفرادية — في المنطقة التي تجاهلت دوره كدولة عظمى وكذا الحقوق العربية والفلسطينية منها خاصة ، وعلى ذلك فإن الصراع الدائر في لبنان هو بين فريقين رئيسيين يطمح الأول إلى تغيير الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية الجائرة بينما يطمح الثاني إلى المحافظة على الأوضاع الموجودة .

وكما هو موقفه من كل النزاعات فإن الإتحاد السوفيتي كان أقرب إلى مساندة الفريق اللبناني — الذي ينشد التغيير— ضد الفريق المحافظ على الأوضاع القديمة والمدعوم من قبل الدول الغربية وكل من له مصلحة في إبقاء لبنان خارج الصراع العربي — الإسرائيلي والتعامل الإيجابي مع و.م.أ في المنطقة .

من هذا المنطلق النظري حرص الإتحاد السوفيتي في بداية الحرب اللبنانية على إعطاء الطابع الداخلي لهذه الحرب ، وفي رأينا أن

---

(1) هيلين كاريرد انكوس ، مرجع سابق ، ص 187 .
(2) في ذلك يرى الإتحاد السوفيتي أنه من الواجب مساندة البروليتاريا ضد البرجوازية أو الجماهير الشعبية ضد الرجعية المدعمة من طرف الإمبريالية أو الشعوب المستعمرة ضد الإستعمار بشكليه القديم والحديث. هنري باريس، "الإستراتيجيتان السوفياتية والأمريكية"، ترجمة : أحمد عبد الكريم، دار طلاس، دمشق، ص 104-105 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دافع ذلك هو الحتمية التاريخية للصراع الطبقي بين البرجوازية والبلوريتارية ، بمعنى أن هذه الحرب تشكل فرصة لليسار اللبناني وفي مقدمته الحزب الشيوعي لتحقيق الإنتصار وإمكانية الوصول إلى الحكم على حد إعتقاد صلاح نصر بأن((الهدف الأول للشيوعية الدولية في أي مكان من العالم هو التغلغل في الدولة المستهدفة تمهيدا للإستيلاء على السلطة وتقويض الحكم القائم..))[1] ، وإذا كان ذلك متعذرا لطبيعة الظروف اللبنانية وهيمنة و.م.أ على المنطقة فإن أقل ما يمكن تحقيقه هو تمكن اليسار اللبناني من فرض نفسه على الحياة السياسية من أجل المشاركة في الحكم والنضال تدريجيا بطريقة اليسار في أوروبا الغربية وهو أفضل من لا شيء .

على ذلك لم يخف الإتحاد السوفيتي رغبته في إحداث إصلاحات سياسية وإجتماعية تستجيب لمصلحة الأكثرية اللبنانية بحكم أن ذلك أساس حل أزمة لبنان على حد تعليق صحيفة البرافدا الناطقة بإسم الحزب الشيوعي السوفيتي: ((إن محاولة أحزاب اليمين حليفة البرجوازية الكبيرة المحافظة على الأمر الواقع وتأجيل الإصلاحات اللازمة إلى مستقبل غير محدد ليس من شأنه إلا إبقاء التوتر في المنطقة))[3] .

إستنادا إلى ذلك برز الحرص السوفيتي لإبقاء الحرب اللبنانية بعيدا عن التدخلات الخارجية ، فمن ناحية لتأكيد مصداقية الصراع الطبقي في لبنان ، ومن ناحية أخرى وهي الأهم على صعيد الواقع لتكريس الإنتصارات التي حققتها القوات المشتركة الفلسطينية — اللبنانية في السنة الأولى من الحرب وهو ما يعجل بالمقابل بسقوط البرجوازية والنظام اللبناني الموالي لها المدعوم بأشكال عديدة من قبل الدول الغربية .

مثل ما كان الإتحاد السوفيتي يرغب في هذه الإنتصارات فإنه كان

---

(1) صلاح نصر ، " الحرب الشورية الشيوعية : الغزو الشيوعي" ، دار الوطن العربي الطبعة الثانية ، 1985 ، ص 8 .

(2) قبل الحرب اللبنانية وخلالها نقول بالتنافس الحزبي مع كل تحفظ لأن المنطق الطائفي يغلب على المنطق الحزبي، أنظر الفصل الأول من هذه الدراسة .

(3) نقلا عن: مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد ، مرجع سابق ، ص 279 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرتبكا منها لأن القوى التقدمية اللبنانية لم تستطيع فرض نفسها إعتمادا على قدراتها الذاتية للسيطرة على مسار الأحداث وإبقائها وطنية أو طبقية ، فمشاركة الفلسطينيين لها وكذا القوى الوطنية الأخرى ذات الإتجاهات الدينية في كثير من الأحيان - أفرغ عمل القوى التقدمية من محتواه الحقيقي وأعطى فرصة للتدخلات الخارجية أكثر .(1)

وإذا كانت الأحداث اللبنانية في عامها الأول كشفت للإتحاد السوفييتي عن صعوبة حصرها في أنها صراعا طبقيابحتا فقد كشفت من ناحية أخرى عن تعقيدات التركيبة اللبنانية وتعدد الولاءات سواء إلى الطبقة أو إلى الطائفة الدينية بل حتى إلى الشخصيات السياسية والروحية ومن ثم تجاه الأطراف الخارجية بمختلف توجهاتها السياسية .

بناء على ذلك شدد الإتحاد السوفييتي من موقفه المعارض للتدخلات الخارجية في لبنان إستنادا إلى عدة إعتبارات لبنانية كانت أم محلية نلخص أهمها في العناصر التالية :

1 - على الصعيد اللبناني الداخلي فقدشجعه التلاحم الفلسطيني مع القوى التقدمية اللبنانية بالرغم من ضعف هذه الأخيرة في البداية إلى التمسك بذلك نظرا لما لهذا التلاحم من دور في التعجيل بإسقاط البرجوازية اللبنانية ثم النظام السياسي اللبناني الرجعي المدعوم بأشكال عديدة من قبل الإمبريالية الغربية والمحلية .

2 - لكون التدخلات الخارجية في لبنان تهدد أمنه القومي وهو ماحذى به إلى الإعلان عن تهديده بإمكانية إنزال قواته في هذا البلد لحماية حلفائه إذا ما تدخلت قوات فرنسية أو قوات أخرى تابعة خاصة للحلف الأطلسي، وهي التهديدات التي لا تنبع من إهتماماته بالوضعية اللبنانية فحسب بل ربط ذلك بأوضاعه الأمنية الداخلية كما إعتقد عبد المنعم المشاط: بأن أي تطوريحصل في الشرق الأوسط بحكم قربه جغرافيا من حدوده الجنوبية إنما يعد تهديدا لأمنه القومي.(2)

---

(1) أنظر : سامي ذبيان، مرجع سابق، ص 27-28 .

(2) عبد المنعم المشاط،" الصراع الدولي والوساطة في لبنان"، (السياسة الدولية)، العدد 45، أفريل 1976، ص 141 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 - كما يستند رفضه للتدخل الخارجي إلى التجربة التاريخية لتدخل و.م.أ في لبنان سنة 1958 [1]، وتأثير ذلك سلبا على القوى التقدمية اللبنانية لفترة طويلة، مما يثير تخوفاته نظرا لإمكانية تكرار نفس التجربة أو شبيهها - من مصدر آخر ليصبح في موقف حرج لصعوبة التصرف في حالة إندلاع صدام عسكري لايستطيع أن يتحكم فيه مع واقع إنحسار نفوذه في المنطقة والإنقسامات العربية والظروف الدولية التي في غالبيتها في غير صالحه.

4 - برفضه للتدخلات في لبنان إنما أراد الإتحاد السوفييتي الإبتعاد عن تحمل أي مسؤولية لايريد القيام بها أصلا، ففي ظل التدخلات الخارجية سيجد بأنه مرغما على نصرة حلفائه المتدخلين واللبنانيين ضد الأطراف الأجنبية وأعدائهم في الداخل، فهو إذا لم يقم بذلك فإنه قد تخلى عنهم صراحة في وقت الشدة مما يهدد بفقدان صداقتهم ومن ثم يمهد إلى تراجع مكانته في المنطقة ويعطي بذلك الفرصة أكثر لـ و.م.أ لفرض هيمنتها لوحدها أكثر من السابق.

لمنع هذا الواقع غير المرغوب فيه حرص الإتحاد السوفييتي على تصميم معارضته للتدخل بما فيه حلفائه المحليين لما يشكله تدخلهم من دافع ومبرر للقوى الأخرى وخاصة إسرائيل للتدخل وهو ما ينذر بأن الساحة اللبنانية ستتحول من صراع داخلي طبقي كما صنفه أو كما أراد له أن يكون إلى صراع بين القوى الخارجية يأخذ الطابع القومي أو الديني فرضت فيه الوصايات الخارجية قراراتها على القوى الداخلية، وبذلك تتم تصفية القوى اللبنانية اليسارية والفلسطينية نهائيا.

تماشيا لهذه النتائج عارض الإتحاد السوفييتي التدخلات الخارجية في لبنان، على أن هذه المعارضة لم تكن مدعمة بوسائل ردعية كافية على صعيد الواقع وبالتالي لم تكن محل إحترام وإلتزام وتطبيق، فسرعان ما أصبح التدخل السوري واقعا معيشا ليعقبه بعد ذلك التدخل الإسرائيلي

---

(1) مما زاده من مرارة هذه التجربة أن الإتحاد السوفييتي لم تكن له سفن في المتوسط لمراقبة الإنزال العسكري الأمريكي في لبنان، وهو الوضع الذي تغير منذ 1965 بإدخاله لمجموعة المتوسط إلى هذا البحر وهي وحدات تابعة لأسطول البحر الأسود. أنظر: فيليب غاربير دانكوس، مرجع سابق، ص 116-117.

لتزداد الإهتمامات الغربية والعربية على السواء بما يحدث في لبنان.

المطلب الثاني: موقف الإتحاد السوفييتي بعد التدخل العسكري السوري والإسرائيلي في لبنان.

بعد ما أفضت التدخلات الخارجية في لبنان والعامعيشالم بجد الإتحاد السوفييتي خيارا غير التعامل معتاومحاولة إدارتها لصالحه خاصة وأنه تأكد أكثر من السابق بإستحالة فصل الحرب اللبنانية عن أزمة الشرق التي لم يستطع بعد فرض قراره فيها بما يتلاءم وتطلعاته وإمكانياته.

إن القول بتعامل الإتحاد السوفييتي مع التدخلات الخارجية في لبنان لا يعني قبوله منه بها مهما كان مصدر وطرف هذا التدخل، وهو ما يعني أنه تعامل معها على أساس الفرز بحيث إنتظر من حلفائه المتدخلين كسوريا ما لم ينتظره من أعدائه كإسرائيل نظرا للتناقض الموجود بينهما مما يوحي بأن مواقفه وسلوكاته في لبنان تجاه الأطراف المتصارعة ستكون متباينة ومتناقضة.

فالمرجح أن التدخل السوري ركيزة مؤيدة للقوى التقدمية المتحالفة مع الثورة الفلسطينية ضد القوى اليمينية الكتائبية اللبنانية وغطاء أمني ورادع له ضد الإعتداءات الإسرائيلية ومن ثم التدخلات الخارجية المضادة، بحيث أن ظروف المرحلة التي تمر بها المنطقة ككل تقتضي مزيدا من التلاحم العربي عامة والتلاحم بين سوريا والثورة الفلسطينية والحركة التقدمية اللبنانية خاصة في وجه سياسة و.م.أ الإنفرادية والأطماع التوسعية الإسرائيلية التي ما فتئت تنفذها لتعلنها فحسب.

هذا على الصعيد العسكري أما على الصعيد السياسي فالمنتظر من الوساطة السورية أن تسعى إلى إيجاد حل سياسي يكون في مستوى طموح القوى التقدمية لبناء دولة علمانية يستطيع فيها اليسار اللبناني أن يحقق من خلالها أهدافه ومن ثم تكون لها إنعكاسات إيجابية على الثورة الفلسطينية التي يصبح في إمكانها العمل والإنطلاق من أرض تعد جبهة متقدمة للعمل ضد إسرائيل والمخططات الإمبريالية الغربية العاملة على إخضاع المنطقة إليها.

بعد ما تأكد التدخل السوري في لبنان سعى الإتحاد السوفييتي لإستثماره لتحقيق الأهداف المذكورة بما يعود عليه بالمنفعة لتزداد بذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصداقيته في خوض الحروب والإشراف على الأزمات بالنيابة إعتمادا على حلفائه في حين بقي هو قاعدة خلفية للدعم المادي والمعنوي، ففي تقرير الإستخبارات الأمريكية أكدت على أن ((تعزيز الوجود البحري السوفييتي جرى فيما بدأت سوريا تدخلها العسكري في لبنان، وأن الأسطول الأمريكي السادس الذي له في المنطقة نحو 44 قطعة نقل هذه القطع إلى شرق المتوسط ودعا البحرية الفرنسية إلى مساعدته في مراقبة الأسطول الروسي)) [1].

سرعان ما أفرزت الممارسات العملية السورية في لبنان إنعكاسات برهنت على صحة التخوفات السوفياتية من تدخلها أكثرما برهنت على إمكانية تحقيق طموحاته المعلقة عليها، فالتدخل السوري تحكمت فيه الإعتبارات الأمنية الذاتية، من منطلق إستقلالية قرارها السياسي والعسكري أكثر ما تحكمت فيه الإعتبارات السوفياتية ومصلحة حلفائه في لبنان، وهو ما يستخلص من الحل السياسي الذي توصلت إليه وساطتها في بداية 1976 أو من خلال تحديها العسكري إلى من إفترض أنهم حلفاؤها بدل أن يتجه المجهود المشترك إلى العدو الإسرائيلي والقوى اليمينية الكتائبية اللبنانية.

لقد مثلت الرغبة السورية للتحكم في مجريات الساحة اللبنانية بمفردها وبالتالي السعي لفرض وصايتها على القوى التقدمية اللبنانية والثورة الفلسطينية حتى بالوسيلة العسكرية، مثلت خيبة أمل لدى الإتحاد السوفييتي الذي أصبح يعرب بإستمرار عن قلقه تجاه الدور السوري كما نفهم من البيان الذي أعلنته وكالة تاس السوفياتية: ((إن سوريا قد أعلنت أكثر من مرة أن دخولها لبنان هو للقيام بمهمة يراد بها وقف إراقة الدماء، ومع ذلك فإن الدم لايزال يراق في لبنان ويسيل اليوم أكثر من ذي قبل)) [2].

---

(1) نقلا عن: أنطوان خوري، " الحرب في لبنان 1975-1976 "، الجزء الأول، المطبعة البولسية جونية لبنان، (بدون سنة الطبع)، ص 318.
(2) نقلا عن: عبد المنعم المشاط، " الصراع الدولي والوساطة في لبنان "، (السياسة الدولية)، العدد 45، أفريل 1976، ص 141.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كان إستمرار النزاع اللبناني يعبر بدرجة كبيرة عن فشل الدور السوري من الوجهة السوفياتية فإنه يعبر أكثر عن إنحراف دورها، على أن الإتحاد السوفيتي بالرغم من ذلك ظل غير متحمس للتدخل بنفسه مباشرة في لبنان، وسواء أكان ذلك بسبب منطلقاته أو نتيجة لتقديره الواعي لميزان القوى ومن ثم ضعف دافع التدخل فإن ما يبقى ثابتا هو البرود النسبي الذي أصاب علاقاته بسوريا.

فما يلاحظ في عدم القبول السوفيتي بالممارسات السورية في لبنان هو نتائج هذه الممارسة على صعيد توازن القوى اللبنانية الداخلية وكذا على المنطقة كلها، ففي الوقت الذي تقف فيه بعض البلدان الغربية بزعامة و.م.أ إلى جانب القوى المسيحية اليمينية عبر دعمها بالأسلحة التي كانت تصل بإستمرار إلى ميناء جونية (1)، فإن السلوك السوري يعد دعما لهذا النهج في الوقت الذي من المفروض أن تقف فيه إلى جانب القوى المشتركة الفلسطينية ـ اللبنانية.

بذلك فإن الرفض السوفيتي للسياسة السورية لا يأتي من تصرفاتها في الساحة اللبنانية فحسب بل لإنعكاس ذلك على دعم سياسة و.م.أ وإسرائيل اللتين تنظران بعين الرضا والإرتياح للصراع السوري مع القوى التقدمية اللبنانية والفلسطينية في لبنان، وبالتالي فإن ذلك يشغل هذه القوى عن الإهتمام بالتطورات الحاصلة في المنطقة لمجابهة الخطر الرئيسي الذي يستهدف مصيرها ومن ثم الوجود السوفيتي.

لقد كانت هذه الرؤية محل تطابق بين الحزب الشيوعي اللبناني والإتحاد السوفيتي حيث صدر بيان مشترك بينهما يؤكد على أن ((الأحداث المأساوية في لبنان تعتبر نتيجة نشاط الإمبريالية والرجعية التخريبي في هذا البلد وأثرا من آثار عدم تسوية نزاع الشرق الأوسط.. إن الأوساط الإمبريالية والرجعية إذ تفتعل الأزمة وتعمقها تسعى لإلهاء الشعوب العربية عن النضال في سبيل تحرير الأراضي العربية المحتلة...)) (2).

إن ذلك أدى بالطرفين المذكورين إلى إعتبار أن الضرورة تقتضي إنسحاب كل القوات السورية من الأراضي اللبنانية، ومن ذلك يتأكد بأن

(1) يفغيني بريماكوف، مرجع سابق، ص 138-139.
(2) نقلا عن: نفس المرجع، ص 138-139.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقصود بالرجعية الواردة في البيان المشترك هي سوريا بالدرجة الأولى باعتبار أنها تراجعت من خلال ممارساتها عن إلتزاماتها القومية وخيارها العسكري ضد التحالف الأمريكي - الإسرائيلي، مما شجع و.م.أ للبحث عبر سبل شتى لتحسين علاقاتها مع سوريا، هذه العلاقة التي إن تمت فإنما ستكون على حساب الإتحاد السوفييتي بدون شك.

لقد شكل ذلك مقدمة لتدهور العلاقة السورية - السوفياتية مما دفع بهذا الأخير للبحث لإنقاذ الموقف وتصحيح الخلل قبل إستفحاله، فإستمرار هذا الوضع لفترة أطول يهدد وجوده في المنطقة في ظل ضعف بل إنعدام البدائل التي يمكن الإعتماد عليها خارج الإطار السوري بعد فقدانه لمصر نهائيا.

في بداية الأمر حاول الإتحاد السوفييتي الظهور بمظهر الإستغناء عن سوريا وعمل للرد على ممارستها العسكرية ضد مواقع القوى التقدمية اللبنانية على زيادة تمتين علاقاته بهؤلاء أكثر، كما إستغل فترة حصارها للمخيمات الفلسطينية ليقبل أوراق إعتماد أول ممثل ل م.ت.ف في موسكو بصفة دائمة، كما إستقبل الملك الأردني حسين في زيارة خاصة دامت أسبوعا كاملا، وهي الإجراءات التي نفسرها بأنها موجهة إلى سوريا بصفة مباشرة[1]، فمن خلالها يريد التأكيد لها بأنه في إمكانه الإعتماد على بدائل أخرى في المنطقة في حال إستمرارها على نهجها في لبنان.

سرعان ما إتضح بأن هذه الإجراءات أريد بها الضغط على سوريا، فكما أن الأردن أو غيره من البلدان العربية المحسوبة لصالح و.م.أ لايمكن أن تكون بالنسبة إليه حليفا إستراتيجيا فإن الثورة الفلسطينية بالرغم مما تمتلكه من رصيد معنوي تبقى في كل الأحوال مجرد حركة تحررية تعاني من حصار متعدد الأوجه، كما أن القوى التقدمية اللبنانية في غياب سند محلي لايمكن لها أن تصمد طويلا، وبذلك إتضح أنه من الصعب على الإتحاد السوفييتي الإستغناء عن سوريا بهذه السهولة.

---

(1) أنظر: "شهريات الأحداث يونيو 1976"، (السياسة الدولية)، العدد 46، أكتوبر 1976، ص 184.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا في جميع الأحوال تبقى سوريا الركيزة الأساسية للحضور السوفياتي في شرق المتوسط كما أنها تعد القاعدة المتقدمة الوحيدة له المحاذية للبنان، فمن خلالها يمر مساعداته لحلفائه في هذا البلد، ومع صعوبة تدخله المباشر لنصرتهم فإنه لايستطيع الذهاب بعيدا في معارضته للسياسة السورية في لبنان لأن ذلك سيكون في النهاية على حساب إستراتيجيته الشاملة في المنطقة.

لهذه الأسباب الرئيسية بحث الإتحاد السوفياتي عن كيفية الإستفادة من التحولات الجارية في المنطقة وتوظيفها في الساحة اللبنانية لكي تعجل بتحول الموقف السوري لمصالح حلفائه في لبنان، ومن ثم يخدم مصالحه الخاصة التي تتطلب إجماعا عربيا أو شبهه ضد الخطر المشترك الذي تمثله سياسة و.م.أ باعتمادها على الحلول الإنفرادية.

وأمام تملص و.م.أ من البيان المشترك الذي أصدرته مع الإتحاد السوفيتي في أكتوبر 1977، والقاضي بالتزامهما بإقرار حل شامل للنزاع العربي - الإسرائيلي بمشاركة كل الأطراف، وجد الإتحاد السوفيتي في ظل مبادرة السادات بزيارة القدس في الشهر الموالي، وجد بأنه مدفوعا إلى الرد على هذه السياسة وبذلك إلتقى من جديد مع سوريا لغرض واحد، لوضع عراقيل أمام المبادرة المصرية والسعي لبلورة إجماع عربي يكون في توجهاته أقرب إلى الطرح السوفيتي منه إلى طرح و.م.أ.

إذا كانت المعارضة العربية تبلورت بسرعة خاصة من خلال جبهة الصمود والتصدي العربية بفضل عنصر المفاجأة الذي تمت به زيارة الرئيس السادات إلى القدس أو لتأثير وقعها على كثير من البلدان العربية بحكم تغير موازين القوى لغير صالحها - وهو ما يعني أن المعارضة العربية كانت ستتم دون حاجة لتحريكها من الإتحاد السوفيتي - فإن هذا الأخير عمد إلى تعميق هذه المعارضة وتوسيعها حيث أعلن عن إلتزاماته تجاه

---

(1) راجع النص الكامل للبيان المشترك السوفيتي - الأمريكي في: منير القهور و طارق الموسى، مرجع سابق، ص 163-164.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جبهة الصمود والتصدي ليس لنفس الهدف الذي قامت من أجله فحسب بل للتأثير الذي يمكن أن تحدثه بطريقة أو بأخرى في مجريات الساحة اللبنانية خصوصا وأن سوريا و م.ت.ف الأعضاء في هذه الجبهة لهما دور بارز في مجريات الحرب اللبنانية .

لقد شكل الإلتقاء السوري-الفلسطيني ضمن هذه الجبهة فرصة لهما لتدارك من جديد الخطر المشترك محليا بأنهما الأكثر تضررا من المبادرة المصرية وسياسة و.م.أ والأطماع الإسرائيلية مما يفرض عليهما تنسيق جهودهما ليس لإسترجاع حقوقهما المغتصبة فحسب بل لصد التحديات الجديدة الماثلة أمامهما داخل لبنان، هذا البلد الذي أصبحت أحداثه تؤثر وتتأثر بالنزاع العربي - الإسرائيلي إلى حد إنقسام ولاءاته في تأييد طرف خارجي على حساب طرف آخر.

أمام الواجب القومي المفروض على سوريا من خلال إلتزاماتها بمقررات جبهة الصمود والتصدي وجدت بأنها مضطرة إلى مراجعة دورها في لبنان خاصة بعد أن أدمجت قواتها ضمن قوات الردع العربية في هذا البلد وأصبحت بذلك أكثر قربا وتأييدا لتحالف م.ت.ف مع القوى التقدمية اللبنانية منه إلى القوى الأخرى المضادة التي دخلت وبشكل علني في تعاونها مع إسرائيل.

وإذا كان لجبهة الصمود والتصدي العربية أثر إيجابي على الإنشغالات السوفياتية في المنطقة العربية، فإنه من خلال تقارب سوريا مع م.ت.ف إكتسب الإتحاد السوفييتي إمكانية التأثير في مجريات الأحداث اللبنانية ومن ثم في المنطقة ككل بما يتيح له وضع عراقيل أمام سياسة و.م.أ والتحسين من مكانة حلفائه في لبنان.

مثل ما كانت هذه التطورات في صالح الإتحاد السوفييتي فقد ولدت أمامه مجموعة من الصعوبات لاتتعلق بالنزاع الرئيسي الذي لم يستطع التحكم فيه جيدا فحسب ولكن لإنعكاس ذلك على الساحة اللبنانية، من خلال بدء إسرائيل في تنفيذ تدخلاتها بشكل واسع في لبنان والموجهة خاصة إلى ردع سوريا وشل حركة الثورة الفلسطينية كأطراف خارجية وإلى إضعاف القوى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقدمية اللبنانية كأطراف داخلية وذلك من خلال التنسيق الواضح مع حزب الكتائب والملشيات المسيحية في الجنوب.

إن التحول الأساسي المعبر عنه من خلال التدخل الإسرائيلي على نطاق واسع في لبنان في مارس 1978 وإحتلاله للمنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني - بالإضافة إلى أنه يعبر عن طبيعة إسرائيل التوسعية - فإنه جاء كردفعل إسرائيلي على التحول الحاصل في الموقف السوري، وبالتالي فإن هذا التدخل أثار التخوفات السوفياتية على أن حجم رده على ذلك لم يكن يتماشى ورغبات حلفائه في لبنان.

لقد إكتفى الإتحاد السوفييتي في رده على التدخل الإسرائيلي بتحليل الأوضاع وفضح هذا التدخل كما ذكرت وكالة تاس بأن ما جرى ومن وجهة نظر التقدميين اللبنانيين هو جزء أساسي من الإستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية في المنطقة حيث تعكس توزيع الأدوار بين واشنطن وتل أبيب (1) وهو الموقف الذي خلق تذمرا لدى حلفائه في لبنان لكونه لم يحقق طلباتهم في مزيد من الدعم والمساعدة الخاصة لصد التدخل الإسرائيلي الذي وجد عونا من أطراف داخلية.

بإعتقادنا أن رغبة حلفاء الإتحاد السوفيتي في لبنان وفي ظل التدخل الإسرائيلي يبغون منه مساعدة تتعدى في طبيعتها الأشكال التقليدية للمساندة السياسة والتزود بالنماذج، فهم في وضع يرغبون منه أن ينزل بثقله العسكري والردعي النسبي تحت نوع من الأنواع ليخفف عنهم شدة الوقع والحصار وهو ما يجيز بل يوجب إمكانية تدخله المباشر لصالحهم في ظرف يختلف عن كل الظروف التي شهدتها الحرب اللبنانية سابقا، وهو مالم يكن على إستعداد للقيام به لأسباب عديدة.

ومثل ماهو مفروض في أي تدخل خارجي حيث أن المتدخل يتصرف بذلك بعد حساب دقيق للخسائر سواء كانت مادية أو سياسية وتحديد من جانب آخر المكاسب التي يمكن الحصول عليها كالتقدم العسكري والتأثير الأيديولوجي فإن الإتحاد السوفيتي إقتنع من خلال المعطيات الدولية والمحلية

---

(1) ملحم قربان، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص 68.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والداخلية اللبنانية إلى الإمتناع عن التدخل المباشر على طول تعامله مع الحرب الأهلية اللبنانية .

فعلى الصعيد الدولي وجد أنه محكوم بعلاقة الوفاق مع و.م.أ الشيء الذي لا يسمح له بالقيام بأي مبادرة عسكرية مكشوفة لصالح حلفائه لأن ذلك سيقابله إجراء مماثل من قبل الخصم، ولذلك إتسمت سياسته بالحذر والترقب إذا ما قورنت بالفترات السابقة .

مما عزز نهج الحذر في السياسة الخارجية السوفياتية تجاه الحرب اللبنانية هو تجاربه السابقة، حيث تدخل في أماكن عديدة آخرها أفغانستان، فهو إما أن يتدخل في بلد واقع في دائرة فلكه السياسي والايديولوجي ويحتاج إلى حماية ضد ثورة مضادة تهدده وإما أن يكون مجاورا له مباشرة يتأثر بما يجري بداخله، بمعنى قد يهدد أمنه القومي؛ بينما لبنان لا هو مجاور له مباشرة ولا هو واقع في فلكه تهدده ثورة مضادة يجب التصدي لها وإفشالها (1) .

بالإضافة إلى ذلك فإن الأوضاع المحلية ليست في صالح تدخله إنطلاقا من تخوفاته من تبلور غضب البلدان العربية النفطية وخاصة السعودية والكويت، مع الأخذ في عين الإعتبار الإنقسامات العربية وإزدياد النزعة الإستقلالية لديها (2)، وبتظافر ذلك مع أن لبنان - البلد المعني - لم يطلب المساعدة السوفياتية بصفة رسمية لصد الأخطار التي تهدده وكذا تشابك أزمته في حد ذاتها داخليا وخارجيا فإن الوضع العام لا يشجعه على التدخل المباشر لكون أن ما سيفقده أكبر بكثير مما سيجنيه .

إن القول بذلك لا يعني أن الإتحاد السوفييتي غير مهتم بالأزمة اللبنانية بل إن تخوفاته من و.م.أ جعلته يصب إهتماماته للحد من نجاحاتها والعمل على إفشالها، وذلك بإستغلال الفرص بحيث يستفيد من الظروف التي يمكن أن يحمل من خلالها دون الحاجة إلى تعبئتها، فهو كما يقول الأدميرال إلمو: قد طور من قدرته الإستغلالية بدرجة عالية بل وفي معظم الأحيان

(1) رالف مليبناند، مرجع سابق، ص 92-93 .
(2) إلياس شوفاني وآخرون، مرجع سابق، ص 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعتمد على ضحاياه وتلقى الدعم غير المنتظر منهم ومن هنا تطرح إمكانية (1) إستفادته من الرفض العربي الشبه الكامل لإتفاقية كامب ديفيد وما لذلك من إنعكاسات إيجابية لصالحه داخل لبنان وخارجه، على أن كل ذلك يبقى محكوما بعدة إعتبارات، فكما أنه مجبر على إحترام حساسية علاقته ب و.م.أ فإنه أمام مسؤولية دعم حلفائه الذين ينتظرون منه الكثير خاصة عسكريا لأن هذا الدعم أساس تحركهم لبنانيا ومحليا.

بأخذه لهذه المؤشرات بعين الإعتبار سار الإتحاد السوفيتي في تعامله مع الحرب اللبنانية معلقا آماله على حلفائه الداخليين والمتدخلين على السواء خاصة بعد إزدياد إحتمالات جر لبنان إلى النهج المصري وتعميم الحلول الإنفرادية الأمريكية مما يمهد إلى إخضاع البلدان العربية واحدة تلوة الأخرى وما يشكله ذلك من تهديد لمصالحه ومكانته في المنطقة.

إن ذلك جعل الإتحاد السوفيتي يتعامل مع الأزمة اللبنانية ليس لطبيعتها الداخلية فحسب ولكن للتأثير في أزمة الشرق الأوسط كما هو العكس، وهو ما يوضح إعتقاده بالترابط الموجود بين الأزمتين، هذا الإرتباط الذي جعله يعمل بالتوازي بحيث يحافظ على علاقة الحوار وإبعاد المواجهة مع و.م.أ وفي نفس الوقت يستمر في دعمه لحلفائه المحليين بما فيهم اللبنانيين.

فعلى صعيد علاقته ب و.م.أ بما يؤثر إيجابيا لصالحه في الحرب اللبنانية وفي المنطقة ككل إستمر الإتحاد السوفيتي في دعوته الرامية إلى إيجاد حل شامل عبر مشاركة كل الأطراف المعنية لأنه السبيل الوحيد الذي يمكنه من المشاركة في صنع الأحداث المحلية في ظل إبعاده لإحتمال التدخل المباشر وهو مع ذلك قادر على عرقلة أي مبادرة تسوية في الشرق الأوسط تتجاهل دوره كدولة لها رأي خاص في المبادئ والتوجهات الضرورية للتسوية السلمية القادمة. (2)

---

(1) الأدميرال إلمو.ر.زوموالت (الإبن)، مرجع سابق، ص 61.
(2) أنظر دافيد أستور و فاليري يورك، "السلام في الشرق الأوسط"، ترجمة: أحمد الشيهابي، منشورات الطلائع، دمشق 1979، ص 186-188.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال مطالبته بالحل الشامل إعتبر الإتحاد السوفيتي أن حل الأزمة اللبنانية لايمكن أن يتأتى إلابحل النزاع العربي — الإسرائيلي وإستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه (1)، بل وحتى في حالة الإفتراق بسان الحرب اللبنانية سببها الوجود الفلسطيني في هذا البلد فإن إنهاء هذه الحرب مرتبط بإيجاد حل عادل ونهائي للقضية الفلسطينية (2) من منطلق وضع حد للخلاف الرئيسي لتنتهي الخلافات الثانوية المنجرة عنه .

وبناء على ذلك فإن الإتحاد السوفيتي إستغل الحرب اللبنانية ليستمر في طلبه بالحل الشامل وهو ما يستخلص من قول ليونيد بريجنيف ((إن ما يدور في لبنان يرغمنا على أن نطرح مجددا السؤال التالي: ألم يحن الوقت للبدء بصورة جادة وبكل مسؤولية بمعالجة قضية التسوية العادلة والشاملة لأزمة الشرق الأوسط.. ليس بالمستطاع حلها إلا نتيجة الجهود الجماعية لكافة الأطراف المعنية ... والإتحاد السوفيتي مستعد للعمل بهذا الإتجاه عمليا ...)) (3).

لقد عبر الإتحاد السوفيتي عن وجهة نظره من خلال المشاريع العديدة للحل الشامل، من ذلك مبادرة ليونيد بريجنيف التي أعلنها في المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي المتكونة من خمس نقاط، يمهد تطبيقها إلى إنهاء الأزمة اللبنانية وذلك بعقد مؤتمر دولي تشترك فيه م.ت.ف لحل مشكلة الشرق الأوسط مع ضرورة الإنسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي إحتلتها في 1967 (4).

لم يقتصر التعامل السوفيتي مع و.م.أ للتأثير في الحرب اللبنانية على المطالبة بالحل الشامل لأزمة المنطقة فحسب بل سار بالتوازي مع

---

(1) أنظر:ملحم قربان، الجزء الثالث ، مرجع سابق، ص 67-68 .

(2) بالرغم من ذلك فإن البعض يعتقد بأن قيام الكيان الفلسطيني المستقل لا يحل بصفة نهائية مشكلة تواجد الفلسطينيين في لبنان، فمثلا ((الفلومنيون المتطلبون الرافضون لتسوية الحل الوسط وإقامة كيان فلسطيني في الضفة الغربية سيستمرون في التواجدفي جنوب لبنان محولينه إلى قاعدة لعمليات المستقبل ضد إسرائيل)) . نقلا عن: نفس المرجع ، ص 201-202 . بما يعني أن الجنوب سيبقى معرضا لعمليات الرد الإسرائيلي ويظل معها لبنان في أزمة دائمة .

(3) نقلا عن: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 408 .

(4) راجع النص الكامل لمبادرة ليونيد بريجنيف، في: منير الحمور و طارق الموسى، مرجع سابق، ص 200 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك إلى معارضة أهدافها العسكرية والسياسية التي تحرم إسرائيل على تطبيقها، على أن المعارضة السوفياتية للسلوكات الإسرائيلية لا يقصد بها هذه الأخيرة بالدرجة الأولى بل لما تشكله من أداة في يد و.م.أ وهو ما يستخلص من التحذير السوفياتي الصادر في 14-6-1982 الذي ربط الغزو الإسرائيلي للبنان بموافقة و.م.أ، بل إنها هي الموجهة له ((... كان ينبغي على من يوجه حاليا سياسة إسرائيل أن لا ينسى بأن الشرق الأوسط منطقة تقع بالقرب من الحدود الجنوبية للإتحاد السوفييتي... ومن الجلي أن العدوان الإسرائيلي ينفذ ضمن إطار ما يسمى بالتعاون الإستراتيجي بين تل أبيب وواشنطن))[1].

إستمرارا لأسلوب الضغط السياسي لجأ الإتحاد السوفييتي في مجلس الأمن إلى إستعمال حق الفيتو ضد رغبة و.م.أ في تشكيل قوات دولية في لبنان سنة 1982 مما إضطرها إلى إنشاء قوات متعددة الجنسيات في نهاية الأمر[2].

إلى جانب ذلك لجأ الإتحاد السوفييتي إلى الضغط السياسي والدعاية الإعلامية والأيديولوجية - وهو ما يعرف بالحرب النفسية العسكرية أو بالحرب السياسية - أي العامل الدعائي لنصرة حلفائه في لبنان والرفع من معنوياتهم، من هنا تأتي مهمة فضح دور الهيمنة الإنفرادية لـ و.م.أ في الحرب اللبنانية عبر تحركها السياسي أو من خلال تواجد قواتها العسكرية فيه تحت أي شكل من الأشكال والتي مهمتها تقيل عن حيادها فلن تعمل مهمتها في إضعاف حلفاء الإتحاد السوفييتي في هذا البلد لحملهم على الإستسلام للأمر الواقع الذي فرضته إسرائيل، ولقد إنجر عن ذلك بالفعل خروج القوات الفلسطينية من لبنان بعد حصار بيروت الغربية.

من خلال هذا الواقع يتأكد لنا بأن الأساليب السوفياتية السالفة الذكر لم تثبت فعاليتها ولم تكن لوحدها في مستوى الهدف المنتظر ضد و.م.أ وحلفائها في لبنان مما إستلزم الإستمرار في الإعتماد على بدائل أخرى

---

(1) نقلا عن: المركز العربي للمعلومات، مرجع سابق، ص 393.
(2) سعد الدين الشاذلي، "الخيار العسكري العربي 1984-1993"، مرجع سابق، ص 199.
(3) أنظر: صلاح نصر، مرجع سابق، ص 27-28.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكثر تأثيراً ووقعاً على الخصم المستهدف، وهو ما يتجلى في سعيه المتزايد لكسب ثقة الدول العربية ودعم حلفائه الداخليين والمتدخلين في لبنان، فإذا ما أضيف هذا إلى العناصر السابقة الذكر وبرز ذلك في شكل سياسة تكاملية منسجمة فإن مردودية المعارضة والرغبة في إفشال السياسة المضادة ستكون نتائجها أكبر وأنجع.

إن دعم الإتحاد السوفييتي لحلفائه في لبنان يشكل لدينا المستوى الثاني لتعامله مع الحرب اللبنانية حيث إقتضت منه الضرورة تقديم العون والدعم الكافيين لحلفائه في ظل إزدياد الأخطار الخارجية والحصار الداخلي على إثر التدخلات الإسرائيلية المتكررة وصلت ذروتها في صيف 1982 بالتنسيق مع الكتائب اللبنانية وما لذلك من إنعكاسات تحدث في تأثيرها الساحة اللبنانية.

كبديل عن التدخل المباشر في لبنان – للأسباب التي أشرنا إليها سابقاً – إعتمد الإتحاد السوفييتي على حلفائه اللبنانيين في مقدمتهم القوى التقدمية والوطنية وكذا المتدخلين الذين لهم دور مؤثر في الساحة اللبنانية الممثلين خاصة في سوريا و م.ت.ف مع محاولة الإستفادة من الرفض العربي لإتفاقية كامب ديفيد وكذا للتدخلات الإسرائيلية في لبنان وتوظيف ذلك في الحرب اللبنانية بما يتلاءم وتطلعاته لإبقاء موازين القوى لصالح حلفائه في ظل الخطر المتربص بهم داخلياً وخارجياً.

يتضح من ذلك أن الإتحاد السوفييتي إزدادت لديه أولوية خوض الحروب بالنيابة على حد إعتقاد صائب سلام ((إن السوفييات لا يحاربون مباشرة في هذه المناطق، فهم يريدون تحقيق إنتصارات عن طريق حروب الآخرين... السوفييات اليوم يمدون حلفائهم في معركة لبنان بكل الدعم السياسي والعسكري عبر ما يقدمونه لهم من مساعدات عسكرية كبيرة متنوعة))[1].

تمثل التعبير الحقيقي للسياسة السوفياتية في لبنان بعد إتفاقيات كامب ديفيد، سواء من خلال تحول الموقف السوري في هذا البلد – حيث أصبح ضد الكتائب المسيحية والتدخلات الإسرائيلية مما يعني وقوفها بجانب

---

(1) نقلاً عن: غسان بيرم، "لبنان والشرق الأوسط من عام الإنتظار إلى عام القرار"، (المستقبل)، العدد 202، جانفي 1981، ص 23.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية - أو من خلال إزدياد النشاط الفلسطيني سواء في الداخل أو ضد إسرائيل مما مهد في مجمله إلى قلب موازين القوى اللبنانية الداخلية لصالح حلفائه ، أي الإتحاد السوفييتي .

ففي ما يتعلق بالثورة الفلسطينية فقد كانت لها إيجابيات من خلال عملياتها العسكرية المنطلقة من الأراضي اللبنانية - المستهدفة خاصة المستوطنات الإسرائيلية الشمالية - حيث كان وقعها شديدا في صيف 1981 الشيء الذي أدى بإسرائيل إلى الإلتزام بوقف القتال مع م.ت.ف بعد فشلها في التصدي لها وكذا لعدم تمكنها من إنزال قواتها في لبنان.(1)

المهم في ذلك هو تمكن م.ت.ف من خلال الإهتمام السوفييتي المتزايد بالحرب اللبنانية إلى تخطي الأحداث الداخلية البحتة بفضل التنسيق مع سوريا والتلاحم الذي حققته مع القوى التقدمية ، وبالتالي فإن عملها ضد إسرائيل يعبر على أن الأخطار اللبنانية الداخلية ضدها إن ظلت مستمرة فإنها ضعفت ، أي عكس المراحل اللاحقة خاصة في ظل الغزو الإسرائيلي للبنان أين إقتصرت تحركاتها في الداخل فقط آخذة الشكل الدفاعي بالدرجة الأولى ، مثل مرحلة حصار بيروت الغربية في صيف 1982 .

هذا فيما يتعلق بالدور الفلسطيني أما سوريا التي كانت تتحاشى الصدام مع إسرائيل قبل مبادرة السادات - وبالتالي تخدم الكتائب المسيحية - فقد تغيرت هي الأخرى ، ولعل ما شجعها على الإستمرار في الموقف الجديد هو إرتباطها بإتفاقية التعاون والصداقة مع الإتحاد السوفييتي منذ 1980 ، وبذلك شكلت غطاء ردعيا ورفعت من معنويات القوات المشتركة اللبنانية - الفلسطينية التي أصبحت في وضع أحسن.

ما يعبر عن التنسيق السوفييتي - السوري للتأثير في الساحة اللبنانية هو إقدام سوريا على إدخال صواريخ سام السوفييتية الصنع إلى منطقة البقاع اللبنانية ، وكما أن ذلك تم عبر قناة معقدة من التشاور والإحتمالات السورية كما يفترض في أي قرار عسكري ، فإننا نعتقد بأن

---

(1) المركز العربي للمعلومات ، مرجع سابق ، ص 12

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للإتحاد السوفييتي دورا في ذلك سواء للمعاهدة التي تربطه مع سوريا أو لكون السلاح المعتمد عليه من صنعه الخاص مما يؤهله بالتحكم ولو بصفة جزئية بإدخاله أو بعدم إدخاله إلى لبنان.

فإذا كانت سوريا قد أقدمت على ذلك من واقع الحرب الأهلية اللبنانية ولردع التدخلات الإسرائيلية فإن وثيقة دراسية صادرة عن مصلحة أبحاث الكونغرس الأمريكي تربط ذلك بالصعوبات الدولية والمحلية التي يمر بها الإتحاد السوفييتي، فعلى الصعيد الدولي هو في حاجة إلى صرف الأنظار العالمية عن ممارساته في أفغانستان وبولونيا كما سعى إلى إختبار حكومة رونالد ريغن، أما على الصعيد المحلي فإنه يهدف إلى تعكير المباحثات الجارية تحت إشراف و.م.أ بشأن الضفة الغربية وغزة، كما أنه يريد من وقوفه بجانب سوريا إلى إسترداد مكانته التي فقدها عند العرب بعد أن تخلى عن العراق في حربها مع إيران.(1)

بالإضافة إلى ذلك فإن الإتحاد السوفييتي تهمه الوضعية الداخلية للبنان، فنصب الصواريخ السورية في لبنان إنما كان للتأثير في موازين القوى الداخلية لهذا البلد ضد أعدائه - الكتائب - ولصالح حلفائه مثل سوريا التي يجب أن تتلقى ضمانات فيما يتعلق بنصب صواريخها في البقاع اللبناني.

المهم من ذلك أن الوقوف السوفييتي بجانب سوريا كان له أثر كبير على الساحة اللبنانية، فالصراع الإسرائيلي - السوري وإهتمام و.م.أ به صرف الأنظار نسبيا عن الصراع اللبناني الداخلي ومن ثم إستطاعت القوات المشتركة اللبنانية - الفلسطينية من إحتلال مواقع جديدة أقلقتها الإنعزاليين من وضعيتها العسكرية والسياسية داخليا، وعليه فقد إعتبر الإتحاد السوفييتي أنه قام بما يجب القيام به تجاه أصدقائه في لبنان لتهيئة ظروف إنتصارهم أو على الأقل صمودهم عبر تأثيره السياسي ودعمه العسكري لهم، وبالتالي فإن أي سلبية تظهر لا يتحمل

---

(1) بدون كاتب، "السيناريو الأمريكي لمواجهة الصواريخ السورية"، (الوطن العربي)، عدد سابق، ص 42.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسؤوليتها بل هي أساسا تعود إلى الإستخدام السيء من قبل حلفائه للإمكانيات التي وضعها بين أيديهم.

بناء على ذلك فإن الخسائر السورية والحصار الذي فرض على القوات المشتركة اللبنانية - الفلسطينية من طرف إسرائيل لايعود إلى ضعف السلاح السوفيتي المقدم لهم بقدر ما يعود إلى الضعف الحاصل في التصدي السوري وكذلك للتنسيق الضعيف بينها وبين الفلسطينيين واللبنانيين، كما أكد ذلك أندري غروميكو لدى إستقباله للوفد العربي المنبثق عن قمة فاس العربية.(1)

من خلال تتبعنا لدور وموقف الإتحاد السوفيتي في الحرب اللبنانية يمكن أن نستنتج موقفه الحقيقي من هذه الحرب ومن ثم تجاه الأطراف المتصارعة، ولعل ماساعدفي توضيح ذلك نسبيا هو سياسة و.م.أ المضادة والتدخل الإسرائيلي، هذا الأخير الذي كشف عن حقيقة المدى الذي يمكن أن يذهب إليه الإتحاد السوفيتي في مساعدته لحلفائه.

من منطلق إدراكه بتدهور مكانته في الشرق الأوسط أراد الإتحاد السوفيتي من خلال الحرب اللبنانية أن يؤثر في موازين القوى العامة في المنطقة، وعليه ساهم بقدر كبير في حث حلفائه في لبنان لتصعيد الموقف ضد أعدائهم في شكل جبهة موحدة، وهو إذ يتوقع الرد من الخصم بنفس المقدار أو أكثر فإنما يريد وضع أصدقائه في مأزق إلى الدرجة التي تمكنه من إختبار الموقف العربي في ظروف سياسية تختلف كلية عن السابق.

من خلال ذلك فإذا كان يهمه إنتصار حلفائه في لبنان فإن مايهمه أكثر هو تحقيق إجماع عربي يكون في مواجهة الممارسات الإسرائيلية و عزل و.م.أ على حد قول أندري غروميكو:((من المفيد لو أن العرب أكدوا على ضرورة عقد المؤتمر الدولي لتبقى الولايات المتحدة معزولة إذا لم تستجب لنداء عقد المؤتمر الدولي)).(2) وهو ما يعبر بوضوح بأن الإتحاد

---

(1) أنظر: المركز العربي للمعلومات،"لبنان 1982، يوميات الغزو الإسرائيلي: وثائق وصور"، مرجع سابق، ص 450-451.

(2) نقلا عن: نفس المرجع، ص 450.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السوفيتي لايمكن أن يكون عربيا أكثر من العرب أنفسهم.

بتعبير آخر فإن الإتحاد السوفيتي لم ينزل بثقله الكافي لمنع أو للحد من التدخل الإسرائيلي نتيجة رغبته لإختبار الموقف العربي بعد المستجدات التي فرضتها و.م.أ في المنطقة ، وهل أن ذلك وصل إلى درجة منع العرب من تحقيق الإجماع في ظل الخطر المشترك عليهم أم أن الإجماع يمكن أن يتحقق بصورة عفوية مثل ما كان يجري في السابق على طول فترة الصراع العربي - الإسرائيلي.

إن إستخلاص النتائج من أرض الواقع كانت تهم الإتحاد السوفيتي بدرجة كبيرة وخاصة في هذه الفترة لأنه في حاجة إلى إعادة صياغة سياسته في المنطقة ، ومن هنا كانت خيبة أمله كبيرة في ظل الصمت العربي تجاه الغزو الإسرائيلي للبنان كما عبر عن ذلك أندري غروميكو :((كنا على إعتقاد بأن هذا العدوان يجب أن يأتي برد فعل عربي قوي ...إذا كانت المصيبة لم توحد العرب فما الذي سيوحدهم؟))[1].

من خلال ما سبق يتبين بأن الإتحاد السوفيتي لم يتعامل مع الحرب اللبنانية لذاتها وإنما في إطار سياسته العامة في الشرق الأوسط، الشيء الذي لم يمكننا من تحديد سياسة سوفياتية متكاملة خاصة بلبنان، وبالتالي إنعدام مبادراته الخاصة لإنهاء حربه الأهلية ، بل جاءت في الإطار العام لحل مشكلة الشرق الأوسط ككل كما هي مبادرة بريجنيف المعلنة في 1982.

لقد أضفى ذلك على الإتحاد السوفيتي صفة الإعتدال تجاه الحرب الأهلية اللبنانية دون أن يعني ذلك بأن السوفييات أسقطوا منطقة الشرق الأوسط من حساباتهم وإذ لما وجدنا تبريرا لهذا الإنقسام في المنطقة حول التوجه للغرب والشرق بين الأطراف المتنازعة ، وهو ما يصدق على الإنقسامات اللبنانية التي أضحت تبين بإختصار وبصورة دقيقة التناقضات والإنقسامات التي يمر بها العالم العربي[2].

---

(1) نقلا عن: نفس المرجع، ص 450.

(2) DJERAD(Abdelaziz),"dualité du monde arabe",op.cit,P154.
نقلا عن DAAD (Bowmalhab Atallah),"La question du Liban:Problème: socio-Politique ou géopolitique",A.F.D.I.1984,PP.151-159.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنطلقت هذه الدراسة من فرضية رئيسية وهي أن الحرب الأهلية اللبنانية كانت بفعل التناقضات اللبنانية الداخلية ، لكن ماكانت لتصل إلى الحد الذي وصلت إليه — من ناحية العنف والمدة الزمنية — لولا المؤشرات الخارجية في شكل تدخلات مباشرة أو غير مباشرة ، ولما كان إستعراض كل القوى الأجنبية متعذر فقد وقع إختيارنا على المجاورة منها للبنان ، وفيما يلي نتائج الدراسة تطبيقها على إسرائيل وسوريا وم.ت.ف وأيهما كان أكثر تأثيرا في الحرب اللبنانية والعوامل المساعدة لذلك ثم موقف الدولتين العظميين؛ وهذا في صيغة الإجابة على تساؤلات فرعية هي حصيلة الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة .

أولا : فيما يتعلق بالأوضاع اللبنانية ، يؤكد لنا تاريخ لبنان بأن الأحداث البارزة والحاسمة لهذا البلد كانت دائما تصنع بفعل المؤشرات الخارجية وتدخل الدول الأجنبية بشكل أو بآخر، ومرد ذلك إلى هشاشة تركيبته الطائفية وإنعدام الثقة الثقافية في المجتمع مما جعل كل طائفة باستمرار تنظر إلى قوة خارجية معينة - سواء في العالم العربي أو الغربي- بعين المساعد المدافع عنها عند الخطر أو التهديد الواقع عليها أو المحتمل الوقوع من الداخل أو الخارج ، ومن هنا فالغالبية المسيحية تضمر العداء للإمبراطورية العثمانية الإسلامية بينما كان المسلمون يضمرون العداء للإنتداب الفرنسي لما يمثله من سيطرة مسيحية وإستعمار .

في هذه الظروف إستحال قيام دولة لبنانية موحدة ومستقلة ، ولرغبة اللبنانيين في عدم التقسيم وطنهم لتظهر هناك دولة مسلمة وأخرى مسيحية فقد حدث هناك إتفاق أشبه ما يكون (بالعقد الإجتماعي بين أقطاب البرجوازية) ، وذلك على عدم التبعية للخارج سواء للغرب أو للعرب ، والإلتزام بمصلحة الوطن مثل ما عبرت عن ذلك وثيقة الإستقلال التي أصدرتها الحكومة الأولى بقيادة بشارة الخوري ورياض الصلح .

وهكذا بنيت هذه الوثيقة على معادلة ذات شقين ، يقضي الأول بإلتزام المسيحيين بعدم التبعية للغرب بسياسته الإستعمارية والإستغلالية وهو إلتزام في محله لأنه في مصلحة اللبنانيين ، بينما يقضي الشق الثاني بإلتزام المسلمين بالإبتعاد عن المحيط العربي وعدم تبني قضاياه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ذلك يكمن خلل المعادلة لأسباب عديدة ، أهمها الإنتماء الطبيعي للبنان للعالم العربي ومعاناته الطويلة من الإستعمار وكذا المصير المشترك في ظل التحديات الخارجية وخاصة بعد تقسيم فلسطين وقيام إسرائيل، مما تطلب منه القيام بواجبه كباقي الأقطار العربية وإلا أصبح دولة من نوع خاص تتواجد في قلب العالم العربي ولكنها لاتنتمي إليه ؛ أي شبه إسرائيل.

بناء على ذلك فإن إستقلال لبنان مبني على معادلة بعيدة عن واقعه الخارجي والداخلي، حيث كان متوقعا أن الإستقلال سيكون لصالح عموم الشعب اللبناني بينما كرس الإنقسامات الإجتماعية بنصوص دستورية بإعتماده على التوازن الطائفي في نظامه السياسي والفوارق الطبقية في نظامه الإقتصادي، فإنعدام الثقة في الحياة الداخلية أعطت الفرصة للقوى الأجنبية من جديد كي تتدخل بوسائل عديدة وعلى مراحل مختلفة في رسم سياسته الداخلية والخارجية ، كان أهمها التدخل العسكري الأمريكي في 1958 لإنقاذ البرجوازية اللبنانية - المارونية منها خاصة - بزعامة الرئيس كميل شمعون آنذاك.

لقد إستمر الوضع على ذلك إلى أن إستفحل الصراع العربي - الإسرائيلي حيث فرض هذا الوضع على لبنان تحمل مسؤولية إنتمائه للعالم العربي، ليتجلى ذلك بالخصوص في إحتضانه للثورة الفلسطينية كما تمت إتفاقية القاهرة لسنة 1969 ، الأمر الذي رحبت به القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية بينما عارضه الفريق المسيحي بقيادة حزب الكتائب الداعي إلى عزل لبنان عن العالم العربي وعن الصراع العربي - الإسرائيلي؛ بمعنى أن أهدافه تتماشى والطموحات الإسرائيلية حتى وإن لم يكن يريد خدمة إسرائيل.

في غمرة الإختلافات السياسية والتناقضات الإجتماعية اللبنانية نتيجة تضارب الأهداف والتي لم تحسم بالوسيلة السياسية ، برزت الوسيلة العسكرية من منطلق أن الطرفين إستخدمها كأداة للدفاع عن النفس ضد الخطر المقابل، فأصبح بذلك إمتلاك السلاح في لبنان شيء ضروري للبقاء يحضى بالأولوية على حساب الإستقلال اليومي، وبدأت بذلك الحرب الأهلية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لما وصل السلاح للبنانيين ولولاها لما إستطاعوا الإستمرار في الحرب لمدة طويلة ولولاها لما تصلبت المواقف التفاوضية إلى الشكل الذي توصلت إليه من صلابة .

ثانيا : فيما يتعلق بالدور الإسرائيلي فإننا نستنتج بأن لبنان يحظى بإهتمام كبير لدى إسرائيل ، فمما لاشك فيه أن السياسة العدوانية الإسرائيلية تنظر إلى جنوب لبنان بعين توسعية ، إلا أنه من ناحية أخرى بقي البلد العربي الوحيد المعادي له الذي لم تحتل أراضيه سنة 1967 ، وفي ذلك دلالة كبيرة في السياسة الإسرائيلية ليس نتيجة العجز للقيام بذلك ولكن (كرد للجميل) لعدم مشاركة لبنان إلى جانب القوات العربية ، وللظهور بمظهر الإلتزام والإحترام لمن لا يهدد أمنها ، وفوق كل ذلك يبقى لبنان كمثال للبلدان العربية كي تحذو حذوه إذا ما أرادت الأمن في المنطقة ، فلبنان بسياسته هذه لم يصبه أي مكروه في مستوى الدول العربية الأخرى التي إحتلت أراضيها (قبل 1975) .

إن هذا التكتيك لم يبلغ الإستراتيجية الإسرائيلية التي كانت تريد إنساء العرب والرأي العام الدولي في عدوان 1967 ، ومع إستفحال العمل الفدائي الفلسطيني إنطلاقا من لبنان وجدت إسرائيل المبرر الكافي لشن إعتداءات متلاحقة على لبنان تحت مبرر حماية أمنها القومي ، إذ أعطت لقواتها الحق لمتابعة الثورة الفلسطينية ، فكانت نتيجة ذلك أن زاد الموقف الإنعزالي اللبناني من عدائه للثورة الفلسطينية بإعتبارها السبب في الإعتداءات الإسرائيلية ناسية في ذلك الطبيعة التوسعية والعدوانية لإسرائيل ، وبذلك حدث إلتقاء إسرائيل بالفريق الإنعزالي فيما يتعلق بتصفية الثورة الفلسطينية من لبنان .

ومع إندلاع الحرب الأهلية اللبنانية كانت إسرائيل قد إستكملت الجزء الأول من سياستها لتصفية الثورة الفلسطينية ، وذلك بإحتلالها للجبهات العربية الأخرى ، حيث كان من الصعب القضاء عليها في ظل تعدد مراكز الإنطلاق ، وعليه تمكنت من تركيزها في لبنان ممهدة لها الجو للتدخل في الأحداث اللبنانية الداخلية والدخول في تناقضات ليس مع اللبنانيين فحسب بل جميع الدول العربية ، الشيء الذي يكرس الإنقسامات العربية ويحيل دون تكرار تجربة أكتوبر 1973 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بفعل هذه الظروف التي سعت إسرائيل إلى إحداثها لم تتدخل في الحرب الأهلية اللبنانية بالسرعة التي توقعها كثير من الملاحظين، وإذا كان هذا التباطؤ في التدخل يعود بقدر معين إلى موقف و.م.أ فإن الجانب الكبير منه يعود إلى القرار الإسرائيلي البحت بحيث أن ما يجري في لبنان لايدفعها إلى التدخل إطلاقا، وذلك من ناحية رغبتها في إقناع الرأي العام بأن مأساة لبنان هي بسبب الثورة الفلسطينية المتمسكة بالخيار العسكري، ومن ناحية أخرى وهي الأهم هو التناقض العربي، فالإنغماس الزائد للثورة الفلسطينية ضد فريق لبناني معين من شأنه أن يقوي من عداء هذا الفريق للقضية الفلسطينية ولمن يقف وراءها كما يحمل الدول الغربية على التدخل لمناصرة المسيحيين، وإذا لم يحدث ذلك فإن هذا الفريق الأخير سيلجأ إلى طلب المساعدة الإسرائيلية، وحتما يكون التدخل مبررا شأنه في ذلك شأن التدخل السوري الذي كان بطلب من لبنان.

هذا على الصعيد الإفتراضي أما على الصعيد الواقعي فإن الأحداث هي الأخرى لم تشجع إسرائيل على التدخل في البداية، إذ يأتي في مقدمتها التناقض البارز بين م.ت.ف وسوريا، فإذا كانت هذه الأخيرة تقاتل الفلسطينيين المتحالفين مع الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وتناصر الفريق المسيحي فإن المنطق الإسرائيلي يقضي بتركه هذا التناقض بل ودفعه إلى أعلى درجات التصعيد، ولذلك بمجرد أن تحول الموقف السوري التكتيكي ليصبح ضد الفريق المسيحي مع إعلان السادات عن إستعداده لزيارة القدس والتحولات التي حصلت في المنطقة، بعد ذلك مباشرة تغيرت السياسة الإسرائيلية تجاه الحرب اللبنانية.

من بين معالم التحول في الموقف الجذري الإسرائيلي هو الإستناد إلى ضرورة حماية المسيحيين اللبنانيين الذين تخلت عنهم حسب إعتقادها الدول الغربي المسيحية، وكأنها بذلك تقوم بعمل إنساني، وهو ما كان متوازيا مع مبررها في حفظ أمنها المهدد من الشمال بفعل النشاط الفلسطيني وكذا التواجد العسكري السوري ودوره النشيط في لبنان.

لقد أدت هذه المبررات إلى إنفتاح المجال أمام وصول المساعدات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العسكرية الإسرائيلية إلى القوى المسيحية بشكل علني وبداية الإعتداءات على جنوب لبنان توجت بعدوان شامل في مارس 1978 ، أين إحتلت الجنوب وأقامت فيه دويلة مسيحية موالية لها ، ومن أهداف ذلك قطع الطريق أمام المقاومة الفلسطينية ودفعها إلى الشمال ، ففي عندما تتمركز بعيدا عن الجنوب فإن مبرر وجودها يصبح بدون معنى ، كما تزداد تناقضاتها مع اللبنانيين في الوسط والشمال ، بمعنى السعي لتحريف هدفها الإستراتيجي وإبطاله تمهيدا لمرحلة قادمة للقضاء عليها في رقعة ضيقة في ظل الحصار الذي تعاني منه من قبل قوى لبنانية عديدة .

من خلال هذا العدوان فإن إسرائيل هدف تجاه سوريا كذلك والوجود العربي في لبنان عموما ، بحيث أن الأرضية اللبنانية لم تعد حكرا على قوات الردع العربية فحسب بل وكذلك لإسرائيل بحكم أن لها حلفاء هناك ولأن أمنها القومي يتأثر بشكل أو بآخر بما يجري في هذا البلد المجاور ، ومن هنا أضحت إسرائيل تلعب دورا كبيرا في الحرب الأهلية اللبنانية معتبرة بأنها في مكانة واحدة مع الوجود السوري ، بحيث أن خروج قواتها من لبنان مرتبط بخروج القوات السورية حتى وإن وصل الأمر إلى إندلاع مواجهات عسكرية معها كما هو الشأن في سنة 1981 .

في سياق ذلك كانت الحرب الأهلية اللبنانية تزداد إتساعا وضراوة وأصبح الفريق المسيحي بقيادة حزب الكتائب يعمل تحت غطاء القوات الإسرائيلية لتتجلى أعلى صور تنسيقهما في الغزو الممتد في صيف 1982 وما نتج عنه من حصار لبيروت الغربية وتنفيذ مجازر صبرا وشاتيلا بعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان لتتوزع قواتها على عدد كبير من الدول العربية .

وبالتالي فإن الغزو الإسرائيلي للبنان في 1982 لم يكن وليد ظروف تلك المرحلة بل أرادت إسرائيل أن تجعل منه خاتمة لإستراتيجية رسمتها منذ مدة لتنفذها على أرض لبنان ، وهي إستراتيجية متشعبة من ناحية تشكيلاتها ، أي تجاه سوريا و م.ت.ف ولبنان ولكن متحدة في هدفها العام وتفرض الإستسلام على العالم العربي .

على ذلك فإن إسرائيل حققت هدفها في إخراج م.ت.ف من لبنان كما واجهت القوات السورية وإستطاعت أن تمنعها من التدخل في فترة حصار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيروت وبرهنت على تفوقها العسكري والعجز العربي وبقي لها أن تجر لبنان إلى إتفاقية سلام على غرار مصر، فعملت لذلك من خلال إيصال بشير الجميل إلى الرئاسة، وبالرغم من إغتيال هذا الأخير فإنها ظلت تضغط بكل الوسائل إلى أن تحقق لها ذلك في سنة 1983؛ وإذا كان هذا الإتفاق قد فشل بعد ذلك فإنه يظل يعبر دائما أن التدخل في لبنان في فترة معينة كان له دور كبير وطالما أن إسرائيل باقية في المنطقة بسياستها العدوانية التوسعية فلن يتمكن لبنان من إسترجاع عافيته في ظل إنقساماته الداخلية وضعفه العسكري، وليس أدل على ذلك من كون وحدته وسيادته في تدهور مستمر.

بناء على ذلك فإن إسرائيل على إستعداد دائم بما أوتيت من إمكانيات لإبقاء لبنان في أزمة إذا ما قدر أن يكون حل هذه الأزمة على حسابها؛ أي دون أن تستفيد هي الأخرى من الحل المطروح في النهاية، فهي عبر إحتلالها للجنوب مازالت تمتلك ورقة قوية تؤهلها إلى لعب أدوار رئيسية في مستقبل لبنان، وعليه فإن مشكلة الجنوب ستبقى بفعل إسرائيل من أهم الأوراق التي تعكر صفو السلام في لبنان وتدفع حربه إلى الإستمرار ومن ثم تكرس إختلاف اللبنانيين وتناحرهم وتجعل مستقبل بلدهم مفتوحا على المجهول.

ثالثا: أما فيما يتعلق بالدور السوري فإنه يختلف عن الإسرائيلي لإعتبارات عديدة... فلبنان وسوريا بلدان عربيان جمعهما ماضي مشترك ويجمع شعبيهما روابط إجتماعية وإقتصادية وثقافية؛ ومن خلال ذلك يحظى لبنان منذ نشأته بإهتمام كبير من قبل سوريا ليزداد هذا الإهتمام مع بداية الصراع العربي-الإسرائيلي وحاجة الدول العربية إلى جمع قواها وتوحيد صفوفها وتجنيد كل إمكانياتها المادية والبشرية.

بالرغم من ذلك فقد سبب لبنان بنظامه السياسي الطائفي وتركيبته الفسيفسائية ونظامه الإقتصادي الحر المبني أساسا على قطاع الخدمات، سبب ذلك تهديدا لسوريا لأن وضعه هذا يمنح الفرصة للقوى الأجنبية للتواجد فيه بشكل أو بآخر بما فيها العدو الإسرائيلي وإمكانية إستغلال ذلك ليس في التجسس عليها فحسب بل وتهديدها بإستمرار من الجبهة اللبنانية بعد ما تم الإستيلاء على الجولان؛ بمعنى أن الأوضاع اللبنانية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ذكرناها تشكل تهديدا مباشرا للأمن القومي السوري في ظل العداء الدائم لإسرائيل والذي ينذر بإندلاع حرب في أي وقت.

هذا في حالة الإستقرار الداخلي للبنان، أما وأن هذا البلد يمر بحرب أهلية فمعنى ذلك أن الخطر أكبر، ففي ظل الفوضى تصبح إمكانية التحركات الخارجية أسهل، ولذلك إهتمت سوريا بالحرب اللبنانية منذ الوهلة الأولى ساعية للتحكم فيها لتفويت الفرصة أمام التدخلات الخارجية ولتفرض حضورها والإنتقال بلبنان من حالته القديمة المهددة لأمنها إلى حالة جديدة يكون فيها متحالفا معها أو على الأقل لايشكل خطرا عليها، وذلك كله تحت مبرر الماضي والمصير المشترك معه، فإهتمامها بلبنان لهذه الدرجة يجعلها في وضع يختلف عن كل البلدان بما فيها الدول العربية.

فمن منطلق هذه النظرة كانت سوريا السباقة للقيام بمساعي حميدة بين القوى اللبنانية المتصارعة حيث شكل في إعتقادها إنتصار القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية على القوى الإنعزالية في بداية الأحداث وضعا من شأنه أن يدفع إسرائيل أو بعض الدول الغربية للتدخل لمناصرة المسيحيين، ومن هنا أسرعت إلى التدخل العسكري لتصحيح الخلل الحاصل ووقفت بذلك ضد من يفترض أن يكونوا حلفائها على الصعيد الإستراتيجي ضد العدو الإسرائيلي، وإذا كانت سياستها هذه قوبلت بالترحيب من قبل إسرائيل و و.م.أ فإنها تعرضت إلى إنتقاد شديد من بعض الدول العربية وهو الضغط الذي إنتزع منها مبادرتها الخاصة ليصبح وجودها العسكري بعد ذلك ضمن قوات الردع العربية.

وبفضل التحولات الحاصلة في المنطقة وأهمها زيارة السادات للقدس وبروز جبهة الصمود والتصدي، وجدت سوريا بأنها مرغمة على تغيير سياستها في لبنان لتتغير بذلك موازين القوى الداخلية في الحرب اللبنانية، حيث أصبحت معها سوريا أكثر تنسيقا مع التحالف الفلسطيني- اللبناني وإن كان بحذر شديد لأن رغبتها في التحكم في تحركاتهما ظلت هدفها المنشود محققا.

في المقابل لذلك بدأ التعامل العلني الإسرائيلي مع القوى الإنعزالية اللبنانية، وعليه حدث ماكانت سوريا تتحاشاه لأن هذا الوضع له إحتمالات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عديدة في جميعها ضدها، من أهمها إمكانية تقسيم لبنان ومواجهتها العسكرية مع إسرائيل على الأرض اللبنانية وهي غير مستعدة لذلك بمفردها، بمعنى أن كل المؤشرات ضد أمنها القومي في سياق الإنقسام العربي.

أمام هذا الوضع كان على سوريا أن ترفع من قدتها القتالية الذاتية وتوجيه الحرب الأهلية اللبنانية إلى ما يدعم توجهها، فأيدت الشرعية اللبنانية لتحتفظ لوجودها بالشرعية، كما تعاملت مع القوى اللبنانية وم.ت.ف بحذر شديد، فهي من ناحية تريد كسب كل الأطراف ومن ناحية أخرى مضطرة لإتخاذ موقف معين لصالح طرف ضد طرف آخر؛ بمعنى أنها تصبح طرفا في الحرب وهو ما تتحاشاه، على أن العلاقات الإسرائيلية بالفريق المسيحي وخاصة بعد 1981 جعلها تقتنع بالدخول في مواجهة عسكرية، وإستعدادها واضح من خلال إدخال صواريخ سام إلى لبنان بعد أن إسترجعت ثقة الإتحاد السوفيتي التي تعرضت للإهتزاز في السنة الثانية من الحرب.

إذا كان ذلك يؤكد بأن سوريا يمكن أن تذهب بعيدا عندما يتعلق الأمر بلبنان وما يمس أمنها القومي فإن تعقيدات الحرب اللبنانية كثيرا ما وضعتها في مواقف حرجة، فالعمل مع الشرعية اللبنانية يبقى على الصعيد النظري فقط لأن الحكومة اللبنانية عاجزة بل ومنقسمة على نفسها، كما أنها لم تتمكن من كسب كل الأطراف اللبنانية المتصارعة، وبذلك إستمرت عليها التهديدات الخارجية الآتية من إسرائيل خاصة وكذا التهديدات الداخلية وذلك كله صعب من مهمتها ومن ثم في تحقيق أهدافها الذاتية.

فيما يتعلق بهدفها تجاه لبنان إستطاعت سوريا أن تفرض وجودها من منطلق العامل التاريخي والقومي ولكن ذلك لم يحظى بقبول كل اللبنانيين كما كان محل رفض الأطراف الخارجية بما فيها العربية، بل إن دخولها في هذه الحرب وإتسام دورها بالذبذبة - تقف لصالح طرف ثم تعود لتصبح ضده - أفقدها مصداقيتها، ليصبح وجودها في النهاية مشكوك فيه بل محل رفض، فكما طالبت القوى الوطنية والتقدمية بإنسحابها من لبنان في فترة معينة فكذلك طالبت القوى المسيحية بذلك معتبرا وجودها غير شرعي وبأنه إحتلال لبلدهم يجب أن ينتهي مع إنتهاء الغزو الإسرائيلي.

من خلال ذلك فإن سوريا لم تستطع لا جر لبنان إلى تحالف ضد إسرائيل ولا إستطاعت أن تجعل منه قاعدة آمنة لأمنها القومي، بل إزدادت الأمور تعقيدا وأصبح يشكل ممرا محتملا للعدوان الإسرائيلي عليها، مما شكل لديها مبررا للتمسك بوجودها في هذا البلد لاتريد الخروج منه إطلاقا حتى وإن كلفها ذلك خسارة كبيرة، مما يعطي لها إمكانية لعب أدوار أساسية في مستقبل هذا البلد قد تكون أكثر مما قامت به في السابق.

أما فيما يتعلق بهدفها مع الثورة الفلسطينية فإن الدور السوري في لبنان إستهدف التحكم في الخيار العسكري الفلسطيني لضرورة توحيد القرار وتجنب السقوط في بعض التصرفات الإرتجالية التي يمكن أن تكون لها إنعكاسات سلبية، من واقع أن العدو سيستغلها كما أنها تستفز اللبنانيين المعادين لها؛ بمعنى منع م.ت.ف من أن تصبح طرفا في الحرب اللبنانية، وهي إعتقادات صحيحة من الوجهة النظرية إلا أنها لا تستند إلى الواقع بحكم أن الثورة الفلسطينية قائمة أساسا على إستقلال قرارها السياسي والعسكري وأن م.ت.ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وأن وجودها في لبنان تحكمه إتفاقية مع الحكومة اللبنانية بما يحقق ويضمن لها الإنطلاق من هذا البلد ضد العدو الإسرائيلي.

إن كل ذلك يؤكد بأن الثورة الفلسطينية كانت تحظى بوضع خاص في لبنان قبل إندلاع الحرب الأهلية وكانت مع ذلك تعاني من حصار داخلي يمتد إلى سنوات قبل هذه الحرب، ليتضح مع ذلك كله بأن سوريا تريد أن تضع حدا للوجود الفلسطيني في لبنان، حيث توصل بها الحد إلى إستخدام الأداة العسكرية ضدها ومساعدة أعدائها في الداخل، فكانت النتيجة هي مساهمتها لإدخال م.ت.ف في الحرب الأهلية اللبنانية أكثر من السابق ومن ثم إرغامها على الإنحراف عن هدفها الرئيسي كما زادت من توسيع دائرة أعدائها داخل لبنان وخارجه، وبذلك هيئت الظروف لإسرائيل للإنقضاض عليها في النهاية وإخراجها من بيروت في 1982 بعد حصار طويل وعلى مقربة من القوات السورية، كما تجلى الدور السوري من خلال تمكنه من إحداث شرخ عميق في صفوف الثورة الفلسطينية مازالت تعاني منه على إثر تأييدها لما أعتبر بالمنشقين عن ياسر عرفات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النتيجة النهائية هي أن سوريا تريد لبنان بدون الفلسطينيين السوريين، وإذا ما تواجد هؤلاء فلابد أن يكونوا تحت أمرتها، لأن القرار الفلسطيني المستقل على أرض لبنان يعني إلتفاف كثير من اللبنانيين حوله كما يعني معارضة كثير من اللبنانيين له مما يكرس الإنقسام الداخلي، وفي ظل هذا الإنقسام لاتستطيع سوريا أن تتحكم في لبنان لأنه غير موحد بل تضطر بإستمرار إلى مساندة فريق ضد آخر، وهي مع ذلك إن كان لها أصدقاء بإستمرار فلها أعداء بإستمرار، وهو الوضع الذي لا يسمح لها بكسب لبنان حكومة وشعبا، وعليه تبقى سوريا في تقديرنا أكثر تأثيرا في لبنان من أي جهة كانت.

رابعا : الدور الفلسطيني في الحرب الأهلية اللبنانية يغاير دور كل من إسرائيل وسوريا نظرا لطبيعة م.ت.ف كحركة تحررية وما يميزها عن الدول المستقلة، فمعاناة الشعب الفلسطيني منذ البداية أدت به في مرحلة معينة إلى تبني الكفاح المسلح كإستراتيجية لابديل عنها لإسترجاع حقوقه المغتصبة، ومنذ ذلك وهو يعاني من صعوبات عديدة بما فيها إفتقاره إلى الميدان المستقر والثابت إلى أن إستقر بشكل رئيسي في لبنان وحظي وجوده بالشرعية من خلال إتفاقية القاهرة لسنة 1969 بعد دفعات عديدة من الهجرة إلى هذا البلد.

إذا بعد غلق الجبهات العربية أمام الكفاح الفلسطيني خاصة بعد 1967 شكل لبنان الجبهة الوحيدة للعمل العسكري بل والسياسي الفلسطيني، ومثل ما كسب مؤيدون في هذا البلد فقد عانى من حصار الرافضين الذين أرادوا أن يبقى لبنان بعيدا عن المواجهة مع إسرائيل، فمع بداية المشكلة الفلسطينية تأثر بها لبنان بشكل أوبآخر مثل ما تأثر بالمد القومي العربي، على أن هذا التأثير كان يزداد حدة مع زيادة توسع إسرائيل التي إتخذت مبرر إنطلاق المقاومة الفلسطينية من لبنان لتنفذ إعتداءاتها على هذا الأخير، وإعتقدت كثير من القوى اللبنانية وغيرها بأن الثورة الفلسطينية أفقدت لبنان أمنه ووحدته ولن تنتهي الإعتداءات الإسرائيلية إلا بإنتهاء الوجود العسكري الفلسطيني منه، ومن أجل ذلك تشكلت المليشيات الإنعزالية تحت شعار الدفاع عن لبنان في ظل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عجز الحكومة عن القيام بهذه المسؤولية .

في هذه الظروف إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية لتجد م.ت.ف بأنها تدافع عن شرعية وجودها وبما يحقق لها الإستمرار في العمل العسكري ضد إسرائيل بهدف العودة إلى الوطن الأم وليس الإستيطان في لبنان، فكان عليها أن تجابه التحديات اللبنانية الداخلية والعمل بما يفيدها مع الأطراف العربية وخاصة سوريا بما يحفظ قرارها المستقل والتصدي للتدخلات الإسرائيلية وذلك كله بالتعاون مع الحركة الوطنية والتقدمية .

وعليه فقد إنطلق تعامل الثورة الفلسطينية مع الحرب الأهلية اللبنانية من أنها قضية داخلية بين اللبنانيين بينما هي لها هدف آخر، على أن مجرى الأحداث والإستفزازات القائمة ضدها سواء لمنعها من الوصول إلى الجنوب أو حصار مخيماتها فرض عليها مواجهة الخصم اللبناني في حدود مايحقق لها العمل الكفاحي، فحدث أن واجهتها صعوبات للقيام بعمل مزدوج ولذلك رأت في الحركة الوطنية والتقدمية خير سند لها على الأقل في مساعدتها للتخفيف من التحديات الداخلية لكي تتفرغ هي إلى الجبهة الخارجية ضد إسرائيل .

ومع ذلك فقد إرتفعت درجة التنسيق بين م.ت.ف والحركة الوطنية والتقدمية ، وهو ما فسر من طرف الفريق المسيحي بأنه تدخل في الشؤون الداخلية للبنان، فمع وضوح إيجابيات هذا التنسيق على صعيد العمليات العسكرية الداخلية إرتفعت إحمالات التدخلات الخارجية لتصحيح موازين القوى، فكانت سوريا السباقة لذلك، وإذا كانت قد توصلت إلى إصدار الوثيقة الدستورية التي تلاها الرئيس سليمان فرنجية في بداية 1976 فإن هذه الوثيقة بتكريسها للنظام السياسي الطائفي خطيا قد فتحت المجال أمام إختلاف اللبنانيين أكثر، وبالتالي دفع الحركة الوطنية والتقدمية إلى تنسيق عملها أكثر من السابق مع الثورة الفلسطينية .

من خلال ذلك يمكن القول أن تطور الحرب الأهلية اللبنانية كان بإستمرار يدفع الثورة الفلسطينية للإنغماس فيها أكثر، فضلا على ضرورة دفاعها عن مخيماتها فمن الصعب عليها أن تتخلى عن حلفائها في وقت الشدة وهم يشكلون الأرضية في مساندة وجودها وشرعيتها في هذا البلد، فإذا كان سعيها على المديين المتوسط والطويل أن يتحول لبنان إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد مواجهة ضد إسرائيل فإن هدفها الآني هو ضمان وجودها وحرية تحركها ضد العدو.

لذلك رفضت م.ت.ف التدخل السوري من واقع أنه لايشجع هذا التوجه بل يقتصر على معالجة الحرب الأهلية اللبنانية حتى وإن كان ذلك على حساب الإستراتيجية الفلسطينية، ليبرز في نظر هذه الأخيرة بأن سوريا منحرفة عن خط الحركة التحررية العربية التي تستلزم تعبئة كل الطاقات العربية تجاه العدو المشترك ومن يسانده بطريق مباشر أو غير مباشر في الداخل والخارج.

إن القول بإنغماس الثورة الفلسطينية في الحرب اللبنانية لا يعني تخليها عن إستراتيجيتها، فإذا كانت هذه الحرب قلصت من عملها ضد إسرائيل إنطلاقا من لبنان فقد شكلت مواجهتها للتدخلات الإسرائيلية في هذا البلد أعنف صور الصمود والتصدي، فهي بذلك وإن كانت تدافع عن مراكزها إلا أن تلاحمها مع الحركة الوطنية والتقدمية جعل منها طرفا مدافعا عن لبنان ووحدته إلى أن حوصرت في بيروت الغربية وبرهنت بالفعل على تحملها لتخرج قواتها بعد ذلك أمام العالم أجمع، هذا الخروج الذي منح الفرصة لإسرائيل كي تضغط على لبنان وتوصلت معه إلى عقد إتفاقية سلام، وإذا كانت لم تنفذ إلا أنها تبقى كدليل حي على الفراغ الذي تركه خروج م.ت.ف من لبنان، فمع ذلك وضعت نهاية حقيقة للخيار العسكري العربي ضد إسرائيل وبدأ البحث عن الكيفية التي تحقق السلام بالطرق السلمية كما تجسدت في قمة فاس العربية سنة 1982، مما يعني أن مجرى العلاقات في المنطقة بدأ يتغير بشكل جذري وبالتالي فإن جاز القول بأن الثورة الفلسطينية عاملا مساعدا لإبراز التناقضات اللبنانية ومن ثم إندلاع الحرب الأهلية في هذا البلد وتطورها فإنه لا يجوز القول بأنها السبب في ذلك وإلا لماذا لم تنته هذه الحرب بعد خروجها من لبنان على التوالي سنة 1982 و 1983، بل ولماذا الأزمة أخذت طابعا أكثر خطورة على مصير لبنان ووجوده ؟

خامسا: فيمايخص موقف الدولتين العظميين تجاه الحرب الأهلية اللبنانية

فقد إرتبط منذ البداية بمكانتهما في المنطقة في هذه الفترة، إذ أن و.م.أ كانت تحظى بمكانة متقدمة على الإتحاد السوفييتي، ليتعزز ذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال إتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، وهذا كله في سياق تنافسهما على كسب ثقة البلدان المحلية والحد من نفوذ الخصم، ولذلك تعد الحرب اللبنانية فرصة أمامهما لضمان النجاح الحاصل ومحاصرة الطرف المضاد للمزيد من النفوذ والتوسع.

وفي سياق صعوبة التدخل المباشر للدولتين العظميين في الحرب الأهلية اللبنانية فقد إتسمت مواقفهما بالحذر والترقب وخاصة في بداية الأمر، فمع مرور الوقت وتدخل القوى المحلية أصبحت لديهما إمكانية العمل عن طريق هذه القوى فا و.م.أ لصالحها إسرائيل وكذا القوى الإنعزالية اللبنانية، بينما الإتحاد السوفيتي لصالحه سوريا وكذا م.ت.ف المتحالفة مع القوى الوطنية والتقدمية، مع الإشارة إلى أن هناك خلل في التحالفين بحيث أن حلفاء الإتحاد السوفيتي أقل ولاء له نظرا لأسباب عديدة من بينها الإختلافات الأيديولوجية، فهم في أحسن الأحوال لاينتظرون منه سوى المساعدات العسكرية، مما جعله يتعامل معهم بحذر نتيجة تجربته الطويلة التي خيبت آماله وليس أدل على ذلك من التحول المصري ضده، بينما العكس لدى و.م.أ وحلفائها حيث التطابق يكاد يكون تاما في أغلب الأوقات وفي كل القضايا وخاصة إسرائيل.

لقد منح ذلك ل و.م.أ الفرصة أكثر للتأثير في الحرب اللبنانية، وعليه إتسم موقفها في البداية بالمطالبة بإحترام سيادة لبنان وعدم التدخل في أحداثه، ولما تدخلت سوريا عسكريا بجانب الفريق المسيحي باركت هذا التدخل وحثت إسرائيل بعدم التدخل وذلك لايعني مساندتها لسوريا بقدرما تهدف إلى كسبها وإبعادها تدريجيا عن الإتحاد السوفيتي، ولذلك بمجرد أن بدأت سوريا تقلل من علاقاتها بالمسيحيين بدأت الإعتداءات الإسرائيلية والتي تمت بعلم و.م.أ مستخدمة في ذلك حق النقض ضد أي قرار يدين الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان، بحجة أن ما يجري في هذا البلد يهدد الأمن القومي الإسرائيلي، ومن هنا لم تتدخل لمنع الغزو الإسرائيلي سنة 1982، بل ضغطت لإخراج قوات م.ت.ف من لبنان لأن ذلك من أهدافهما المشتركة.

من خلال ذلك فالحكم على موقف و.م.أ من الحرب اللبنانية يتمثل في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يحققه إستمرار أو توقف هذه الحرب من مساندة لها ولإسرائيل، فلبنان بلد رأسمالي يجب أن يبقى كذلك بتركيبته الطائفية التي لايمكن أن تجعل منه بلد مواجهة ضد إسرائيل ولا يمكن أن يقدم بهذا الشكل أي دعم للطرف العربي وخاصة للثورة الفلسطينية التي توجب عليها أن تخرج منه ، أما بخصوص التدخلات الإقليمية فيجب بدورها أن تحافظ على هذا الواقع فلا تقدم فرصة لتوسيع النفوذ السوفييتي في المنطقة ولا تساهم في إحداث تحولات سياسية وإقتصادية في لبنان من شأنها أن تغير وضعه المعروف به والذي يعطي الفرصة للقوى الغربية للتواجد فيه لحراسة مصالحها وإبقائه بعيدا عن الصراع العربي الإسرائيلي؛ أي بحسب التوجه الإنعزالي.

أما بخصوص موقف الإتحاد السوفييتي، فمع تقلص نفوذه بنسبة كبيرة في المنطقة بعد تدهور علاقاته مع مصر كأكبر دولة عربية ، أصبح ينظر إلى الحرب اللبنانية على أنها نتاج للسياسة الأمريكية ، ولذلك دعا إلى معالجتها ضمن السياق العام لمشكلة الشرق الأوسط، بحيث لانجد له موقفا محددا من الحرب الأهلية اللبنانية بحد ذاتها ، وهذا لايعني أنه لم يحاول التأثير فيها ، ففي لبنان قوى يسارية موالية له ولابد عليه أن يساعدها بشكل أو بآخر، إلا أن حساباته وقلة مايجنيه جعلته لايغامر عادنية ، فعلاقاته بسوريا تعرضت للإهتزاز و م.ت.ف تتعرض لحصار داخلي وخارجي؛ بمعنى أنها أطراف لايمكن الإعتماد عليها ولا يمكن أن تشكل نقاط ضغط حقيقية على و.م.أ، الشيء الذي يدفع إلى المطالبة بحل المشكلة اللبنانية ضمن سياق الحل الشامل، فعلى إفتراض أن الوجود الفلسطيني في لبنان هو سبب هذه الحرب فلابد إذا من حل المشكلة الفلسطينية كي لا يبقى هناك مبرر لإستمرار الحرب اللبنانية .

هذا فضلا على أن هذه الفترة شهدت بداية لتحولات كبيرة في المعسكر الإشتراكي جعلت الإتحاد السوفييتي يعطي لها الأهمية الكبرى، لأنها ضمن إهتماماته الأولى إذا ما قورنت بالأزمة اللبنانية بل وبالصراع العربي الإسرائيلي.

بمقارنة بسيطة للموقفين نجد أن و.م.أ كانت أكثر فاعلية لأنها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكثر قبولا في لبنان وفي المنطقة في هذه الفترة ، فهي تعاملت بشكل أو بآخر مع كل الأطراف، بينما الإتحاد السوفييتي كان حذرا بسبب طبيعة الحرب اللبنانية - طائفية دينية - بينما هو يفضل أن تكون الصراعات الداخلية ذات أسس طبقية بحتة ، زد على ذلك أن الأطراف اللبنانية أو المتدخلة لم ترحب به على غرار ما فعلته مع و.م.أ.

من كل ماسبق نستخلص بأن الحرب الأهلية اللبنانية بين 1975-1982 عبرت عن طبيعتها الشاذة على الصعيدين الداخلي والخارجي:

فعلى الصعيد الداخلي تمثل حربا أهلية لم تحدث لأول مرة بل حدثت في فترات سابقة مما يعبر عن طبيعتها المزمنة ، فهي في السابق لم تتوقف لتنتهي بحلول موضوعية تعالج حقيقة ولب الأزمة بقدر ما كانت تعالج بمسكنات ومهدئات تحت شعار (لاغالب ولا مغلوب) ، نظرا لثقل المتدخلين أو لتعب وإرهاق المتحاربين أولعدم توفر الإمكانيات، لتظل مع ذلك الأحقاد والذكريات المريرة حبيسة الصدور إلى حين مجيء فرصة جديدة مع جيل جديد وإمكانيات حديثة وقوى خارجية بنفس وطموح آخر.

من خلال ذلك فإن أي توقف للحرب الأهلية اللبنانية على قاعدة لاغالب ولامغلوب، يبقى حلا مشكوكا فيه لأنه لايجيب بصدق عن تساؤل يظل يراود كل اللبنانيين بالخصوص وهو: لماذا إذا هذه الحرب المدمرة طول هذه المدة؟ إن العنف والموت يراد منه التغيير، وإذا لم يتحقق التغيير فمعنى ذلك أن الهدف لم يتحقق، وإذا لم يتحقق الهدف فإن العنف سيستمر، وإن لم يستمر في حينه لسبب من الأسباب فإنه سيعود ليندلع من جديد في ظروف ومعطيات جديدة ؛ القاسم المشترك بين كل الفترات هو أن فريق يريد تغيير الأوضاع وآخر يريد الإبقاء على الأوضاع الموجودة ، وبين هذا وذاك يبقى إستخدام كل الإمكانيات ممكن في سبيل تحقيق الهدف وفي مقدمتها الإرتماء في أحضان القوى الخارجية مهما كان توجهها.

أما على الصعيد الخارجي فقد عبرت الحرب الأهلية اللبنانية بشكل واضح عن تبعيتها للخارج ، بل وتحكم قوى خارجية فيها بدرجة كبيرة ، فإن شاءت توسعها وترفع من حدتها وإن شاءت قلصتها إلى درجة يعتقد بأنها تقترب من النهاية ، وبذلك فإن اللبنانيين لايستطيعون أن يقرروا مصير وطنهم، فهم إذ يدركون ويعلمون أنهم السبب في إعطاء الفرصة للقوى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأجنبية للتحكم في مصيرهم إذ أنهم لا يستطيعون التخلص من هذه التبعية لعدم ثقتهم في المستقبل وفي بعضهم البعض، فصعوبة اعتماد كل فريق على إمكانياته الذاتية في مرحلة الشدة تجعله باستمرار يتمسك بعلاقات مميزة مع دولة أو دول معينة كعامل ردعي للقوى المضادة في حالة السلم المؤقت ويكونون بشكل أو بآخر في حالة الحرب.

بهذه الطريقة وجدت القوى الأجنبية مكانة لها في لبنان حتى في مرحلة ماقبل الحرب، فكيف لاتجدها في فترة الحرب الأهلية؟ وإذا عرفنا بطبيعة التركيبة الفسيفسائية الطائفية للبنان وتعددها أمكننا معرفة ما يمكن أن تقوم به القوى الأجنبية من دور في أحداث هذا البلد.

فنظرا لارتباطات الحرب اللبنانية بالساحة الخارجية عبر القوى المهتمة بها بشكل أو بآخر، ومن ثم ارتباطها بالنزاع العربي الإسرائيلي، فقد شركت بمساتها في مجرى العلاقات الدولية كماتأثرت بها، فكان لها بذلك تأثير بليغ على النزاع العربي - الإسرائيلي لوجود إسرائيل من جانب وسوريا و م.ت.ف من جانب آخر، كما أثرت في العلاقات العربية - العربية ليس عبر سوريا و م.ت.ف فحسب بل والدول العربية المهتمة بما يجري في لبنان كالعراق ومصر والسعودية ... الخ، كما أثرت في علاقات الدول العربية بالدول العظمى وكذا في العلاقات السوفياتية الأمريكية بالرغم من موقفيهما السلبي مقارنة بوزنهما و مكانتهما على الصعيد الدولي؛ (وهي مواضيع تبقى مفتوحة للبحث والتحليل).

مع ذلك فإن الأزمة اللبنانية تشكل بؤرة خطيرة على السلام في المنطقة يتوجب معها السعي التعاون الجدي لإيجاد حل جذري لها ولنهاية وإلاكان مآل لبنان التقسيم؛ ففي لبنان كانت اللعبة قومية وإسلامية ومسيحية وشيوعية ورأسمالية ؛ وفي داخل كل إطار كان الصراع ... وإذ نقول بأن الحرب الأهلية اللبنانية وتطورها كان لدرجة كبيرة بتأثير من القوى الأجنبية وخاصة إسرائيل وسوريا و م.ت.ف وكذا للموقف السلبي ل و.م.أ والإتحاد السوفييتي(عناصر الدراسة) ، فإنه من الطبيعي أن حل وإنهاء هذه الحرب يرجع إلى إرادة هذه القوى بنسبة كبيرة ؛ على أن مساهمة هذه القوى وغيرها وطريقة تحقيق ذلك يبقى من المجالات المفتوحة للبحث مستقبلا للكشف عن حقائق جديدة يمكن بها تحقيق الهدف بسرعة ويسر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراجع ومصادر البحث

أولا : المراجع باللغة العربية :ـ

1 الكتب :ـ

1- إبراهيم العابد : مدخل إلى الإستراتيجية الإسرائيلية ، مركز الابحاث م.ت.ف، بيروت، 1971.

2- أحمد بعلبكي، فرج الله محفوظ: القطاع الزراعي في لبنان: أبرز التغييرات خلال الحرب الأهلية ، دار الفارابي، بيروت، 1985.

3- أحمد حجاج : سكان إسرائيل: تحليل وتنبؤات، مركز الابحاث، م.ت.ف، بيروت، 1968.

4- أحمد الزعتر: تل الزعتر الرمز والأسطورة ، اللجنة السياسية ، والإعلامية المركزية ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،

5- أحمد عطية الله : القاموس السياسي، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1968.

6- أحمد يوسف أحمد: تأثير الثروة النفطية على العلاقات السياسية العربية ، دار المستقبل العربي، القاهرة ، 1985.

7- أدونيس العكرة : من الدبلماسية إلى الإستراتيجية : أمثولات من الحرب الباردة ، الطبعة الأولى، دار الطليعة ، بيروت، 1981.

8- أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الإسرائيلي، الطبعة الثانية ، مركز الأبحاث، م.ت.ف المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

9- أسعد عبد الرحمن وآخرون : الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة :وقائع وتفاعلات مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1974.

10- إسماعيل صبري مقلد : العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الأصول والنظريات، الطبعة الرابعة ، دار السلاسل، الكويت، 1985.

11- أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفيتي: الصهيونية الدولية -تاريخها وسياستها ،(مجموعة مقالات)، ترجمة محمد الجندي، دار إبن رشد ودار الفارابي، بيروت، 1979.

12- إلياس سعد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث، م.ت.ف، 1969.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13- إلياس شوفاني وآخرون : عملية الليطاني: رواية العدو الصهيوني عن حرب الجنوب، مارس 1978، (المادة جمعت وترجمت عن الصحف العبرية، دار العودة، بيروت، 1978.

14- أنطوان خوري : الحرب في لبنان 1975 – 1976، الجزء الأول، المطبعة البولسية، جونية، لبنان.

15- إنعام رعد : حرب وجود لا حرب حدود، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، 1982.

16- أمنون كابليوك: صبرا وشاتيلا: تحقيق حول مجزرة، ترجمة: المكتب العربي للترجمة، دار طلاس، دمشق، 1983.

17- أمين هويدي : أحاديث في الأمن العربي، دار الوحدة، بيروت، 1980.

18- بدر عبد الحق، غازي السعدي : حرب الجليل: الحرب الفلسطينية - الإسرائيلية الخامسة - تموز 1981، الطبعة الأولى، دار الجليل للنشر، عمان، 1981.

19- برنار برودي : الحرب والسياسة: محاكمة أمريكية لحروب أمريكا في العالم، ترجمة: علي حداد، دار المروج للطباعة والتوزيع، بيروت، 1985.

20- بروس بالمير وآخرون : الإستراتيجية الأمريكية العليا في الثمانينات، الطبعة العربية الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981.

21- بيتر مانغولد : تدخل الدول العظمى في الشرق الأوسط، ترجمة: أديب يوسف شيش، دار طلاس، دمشق، 1985.

22- تقي الدين الصلح : في السياسة والحكم، دار العودة، بيروت، 1972.

23- توماس. أ. بريسون: العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من 1784 إلى 1975 م، الطبعة الأولى، ترجمة: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1985.

24- تيسير النابلسي: الإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية: دراسة لواقع الإحتلال الإسرائيلي في ضوء القانون الدولي العام الطبعة الثانية، مركز الأبحاث، م.ت.ف، 1981.

25- جلال السيد : الحزب أو مشكلة الأمة العربية وعلاجها، دار اليقظة العربية، بيروت، 1973.

26- ج.ك. غالبرث : سلام غير مرغوب فيه، ترجمة: محمد سميح السيد، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، 1984.

27- جودة عبد الخالق: من يساعد إسرائيل: التمويل الخارجي لإسرائيل منذ إنشائها وأثره في دعم إمكانياتها، الطبعة الأولى دار المستقبل، القاهرة، 1985.

28- جوزيف مغيزل : لبنان والقضية العربية، منشورات عويدات،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

29- جوناثان راندال : حرب الألف عام في لبنان، أمراء الحرب المسيحيون المغامرون الإسرائيليون، ترجمة : فندي الشعار، دار المروج، بيروت، 1984.

30- حزب البعث العربي الإشتراكي: نضال حزب البعث العربي الإشتراكي 1943-1975: دراسة تحليلية موجزة، مطبعة القيادة القومية، دمشق، 1978.

31- حسن الحسن : الأنظمة السياسية والدستورية في لبنان وسائر البلدان العربية، الطبعة الثالثة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

32- حسين آغا وآخرون : أزمة الصواريخ السورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.

33- حسين عويضة : ميزان القوى العربي - الإسرائيلي 1974 - 1975، مركز الابحاث، م.ت.ف، بيروت، 1975.

34- خالد قباني : اللامركزية ومسألة تطبيقها في لبنان، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، 1981.

35- خليل أحمد خليل : العرب والقيادة : بحث إجتماعي في معنى السلطة ودور القائد، الطبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، 1985.

36- دافيد أستور، فاليري يورك : السلام في الشرق الأوسط، ترجمة : أحمد الشعابي، منشورات الطلائع، دمشق، 1979.

37- دافيد غليمور : دروب الإنهيار : تاريخ سياسي للأزمة اللبنانية 1975-1985، ترجمة : حسان يوسف، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985.

38- روجي جارودي : ملف إسرائيل : دراسة للصهيونية السياسية، ترجمة مصطفى كامل فودة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

39- ريتشارد بي ستيفن : وايزمن وسموتس: دراسة حول التعاون الصهيوني والجنوب افريقي، ترجمة : رفيق إبراهيم جبور، منشورات الطلائع، دمشق، 1977.

40- زئيف شيف، أهود يعاري : الحرب المضللة : حرب إسرائيل في لبنان، ترجمة : حسان يوسف، دار المروج، بيروت، 1985.

41- زهير محسن : موقفنا في الأزمة اللبنانية، الطبعة الأولى، منشورات الطلائع، دمشق، 1977.

42- سامي ذبيان : الحركة الوطنية اللبنانية : الماضي والحاضر والمستقبل من منظور إستراتيجي، دار المسيرة، بيروت، 1977.

43- سابيروس فانس : خيارات صعبة، ترجمة : المركز العربي للمعلومات، بيروت، 1983.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

44- سعد الدين الشاذلي : الخيار العسكري العربي 1984-1993، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

45- ــــــ ــــــ : مذكرات حرب اكتوبر، الجزء الأول، 68-1973، الطبعة الثالثة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

46- سليمان تقي الدين : التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية 1920-1970: مقدمات الحرب الأهلية ، الطبعة الأولى، دار إبن خلدون، بيروت، 1977.

47- سليم حداد : أبعاد الإتفاق اللبناني-الإسرائيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

48- شيمون شيفر : أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان-عملية كرة الثلج، ترجمة : حسان يوسف، الطبعة الأولى، دار المروج، بيروت، 1985.

49- صابر فلحوط : المسألة الفلسطينية والموقف العربي السوري، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1977.

50- صبري جريس : تاريخ الصهيونية 1862-1917، الجزء الأول، الطبعة الثانية ، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1981.

51- صلاح نصر : الحرب الثورية الشيوعية - الغزو الشيوعي، الطبعة الثانية ، دار الوطن العربي، 1985.

52- طاهر عبد الحكيم : حول حرب تشرين والتسوية الأمريكية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1976.

53- عادل زعبوب : الميثاق العربي، دار المسيرة ، بيروت، 1979.

54- عادل محمود رياض : الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ، 1977.

55- عايزر وايزمن، موشي ديان : ماذا نأخذ بالمفاوضات؟ ترجمة : ناهض منير الريس دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية .

56- عباس محمود العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين، تحرير: العساني حسن، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت.

57- عبد الرحمن أبو عرفة : الإستيطان: التطبيق العملي للصهيونية ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، دار الجليل للنشر، عمان، 1981.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

58- عبد العزيز جـراد : العالم العربي بين ثقل الخطاب السياسي وصدمة الواقع، ترجمة : صالح بالحاج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.

59- عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.

60- ——— ——— : موسوعة السياسة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.

61- ——— ——— : موسوعة السياسة، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.

62- عفيف فـراج : كمال جنبلاط: جدلية المثالي والواقعي، دار ابن خلدون، بيروت 1977.

63- علي الـزين : فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1979.

64- عمر رشدي : الصهيونية وربيبتها إسرائيل، الطبعة الثالثة، دار العلم، الكويت، 1976.

65- عيادي العبد العيادي : المسيحية والقومية العربية، مطابع الناشر العربي، القاهرة، 1958.

66- غالي شكري : عرس الدم في لبنان، الطبعة الأولى، دار الطليعة بيروت، 1976.

67- فائق المحمد : البنية التاريخية للحركة التحررية العربية، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1980.

68- فتحي محمد أبو عيانة : جغرافية السكان: أساسها الديموغرافية العامة، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1977.

69- فرجينيا بروديني، مارك سلدن : السر المعروف: مبدأ نيكسون وكسينجر في آسيا، ترجمة : أحمد طربين و نصري عروري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974.

70- فرع المراسلين في رابطة صحفي تل أبيب وآخرون: المظاهر العسكرية للصراع العربي - الإسرائيلي: ندوة حول حرب تشرين عقدت في القدس في الفترة بين 12 و17 تشرين الأول 1975، ترجمة : جبرائيل بيطار، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

71- فيصل أمين إبراهيم عباس : حافظ الأسد ودوره القومي في لبنان، الطبعة الثانية، دار المشرق العربي، بيروت، 1983.

72- فيليب روندو : الشرق الأوسط في سعيه إلى السلام، ترجمة : كمال الخولي، المنشورات العربية س.م.ل، بيروت، 1983.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

73- قاسم محمد جعفر : ميزان القوى العسكري في منطقة الشرق الأوسط 1984-1985، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.

74- كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، 1967.

75- اري غابييان، زئيف شيف : إسرائيليون يتكلمون: حوار بين إسرائيليين حول القضية الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي، ترجمة : ولسون ب. بشاي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1977.

76- ماثير زامير : الكيان المسيحي اللبناني: وجهة نظر صهيونية في نشوء لبنان الحديث، ترجمة : سليم فارس، دار المروج، بيروت، 1986.

77- المجلس الوطني الفلسطيني : العدوان الصهيوني الإسرائيلي: الايديولوجية والسياسة والممارسة، مركز الابحاث، م.ت.ف، 1975.

78- مجموعة من الباحثين : الابعاد الإقليمية والدولية للقضية الفلسطينية في الوقت الراهن، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983.

79- ——— ——— : السياسة الأمريكية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982.

80- ——— ——— : العملية الإنتخابية والديموقراطية في لبنان: ندوة الدراسات الإنمائية مارس 1972، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1978.

81- ——— ——— : الغزو الإسرائيلي للبنان، دار طلاس، دمشق، 1985.

82- مجموعة من المحاضرين : محاضرات الندوة الدبلماسية الحادية عشر لعام 1043هـ -1983 م، قسم الدراسات بوزارة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة، 1983.

83- محمد حسن : مصر في المشروع الإسرائيلي للسلام، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1980.

84- محمد حسين دكروب : السلطة والقرابة والطائفة عند موارنة لبنان إستنادا إلى دراسة انثروبولوجية للنموذج الماروني الشمالي في بلدة "تنورين"، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.

85- محمد رياض : الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

86- محمد عبد الرحمن برج : تحالف الصهيونية والإستعمار: مقدماته ونتائجه، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964.

87- محمد كشلي : الأزمة اللبنانية والوجود الفلسطيني، دار إبن خلدون، بيروت، 1975.

88- محمد كمال عبد الحميد : الشرق الأوسط في الميزان الإستراتيجي، الطبعة الثانية، دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1959.

89- محمد مجذوب : مصير لبنان في مشاريع، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1978.

90- ــــــ ــــــ : الوحدة والديموقراطية في الوطن العربي، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، 1980.

91- محمد نصر مهنا : صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1981.

92- مسعود ضاهر : الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية 1697-1861، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981.

93- ــــــ ــــــ : لبنان- الإستقلال- الميثاق والصيغة، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1977.

94- مصطفى طلاس : آفاق الإستراتيجية الصهيونية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1985.

95- مصطفى عبد العزيز : الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1968.

96- معين أحمد محمود : الجديد في العسكرية الإسرائيلية، منشورات عويدات، بيروت، 1972.

97- ملحم قربان : تاريخ لبنان السياسي الحديث، الجزء الأول، الإستقلال السياسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.

98- ــــــ ــــــ : تاريخ لبنان السياسي الحديث، الجزء الثاني، بناء دولة الإستقلال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1980.

99- ــــــ ــــــ : تاريخ لبنان السياسي الحديث، الجزء الثالث، القرار، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1979.

100- منير تقي الدين : لبنان! ماذا دهاك؟، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

101- منير الحوري، طارق الموسي : مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1982، دار الجليل للنشر، عمان، 1983.

102- مهدي عامل : القضية الفلسطينية في أيديولوجية البرجوازية اللبنانية : مدخل إلى نقض الفكر الطائفي، الطبعة الأولى، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1980.

103- ـــــــ ـــــــ : النظرية في الممارسة السياسية : بحث في أسباب الحرب الأهلية في لبنان، (القسم الأول)، دار الفارابي، بيروت، 1979.

104- ناجي علوش : حول الخط الإستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، 1974.

105- ناصيف نصار : نحو مجتمع جديد : مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت، 1977.

106- نبيل هادي : أمراء الإرهاب في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، 1985.

107- ـــــــ ـــــــ : كمال جنبلاط- التحدي الكبير، الطبعة الثانية، دار الفارابي، بيروت.

108- نخبة من رجال الفكر : النظام السياسي الأفضل للإنماء في العالم الثالث (لبنان والدول العربية) — ندوة الدراسات الإنمائية، الطبعة الأولى، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، 1971.

109- نصار علمية : سيطرة إسرائيل على الوديان المتحدة الأمريكية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.

110- هارفي أكونور : إمبراطورية البترول، ترجمة : نجدة هاجر وسعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1959.

111- هنري باريس : الإستراتيجيتان السوفياتية والأمريكية، ترجمة : أحمد عبد الكريم، دار طلاس، دمشق.

112- هنري فورد : اليهودي العالمي- المشكلة الأولى التي تواجه العالم، ترجمة : خيري حماد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

113- الهيثم الأيوبي: إتفاق فصل القوات الثاني في سيناء 1975: دراسة تحليلية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1975.

114- هيلين كارير دانكوس : السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط 1955-1975، ترجمة : عبد الله إسكندر، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1981.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

115- وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . : المخابرات الإسرائيلية ، ترجمة : مجدي نصيف، الطبعة الثانية ، دار الوطن العربي، بيروت، 1985.

116- ي.ب. بلشنكو، كودريا فيشيف: العدوان الإسرائيلي والقانون الدولي العام، ترجمة : حكمت شبر، مطبعة الشعب، بغداد، 1972.

117- يسري الجوهري: جغرافية السكان، الطبعة الثانية ، دار المعارف، الإسكندرية ، 1976.

118- يفغيني بريماكوف : الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي-الإسرائيلي، ترجمة : علي هور، الطبعة الثانية ، دار الفرابي، بيروت، 1980.

119- يوسف خطار الحلو : قصة النصر الكبير، الطبعة الأولى، دار الفرابي، بيروت، 1985.

120- يوسف سلمان : الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي-الإسرائيلي، الطبعة الأولى، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

121- يوسف عبد الله صايغ : إقتصادات العالم العربي: التنمية منذ العام 1945، الجزء الأول، البلدان العربية الآسيوية ، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.

3 الوثائق والمنشورات الرسمية :-

1- لجنة كاهان : تقرير لجنة كاهان حول مجازر صبرا وشاتيلا، المركز العربي للمعلومات، بيروت، 1983.

2- مركز الأبحاث والدراسات والمحفوظات في دار الصياد : وثيقة حرب لبنان، الجزء الأول، دار الصياد، بيروت، 1977.

3- المركز العربي للأبحاث والتوثيق: وثائق الحرب اللبنانية 1982-1983، بيروت،1984.

4- المركز العربي للمعلومات : لبنان 1982- يوميات الغزو الإسرائيلي: وثائق وصور، العربية الدولية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

5- ——— ——— : لبنان 1949-1985، الإعتداءات الإسرائيلية، يوميات-وثائق-مواقف، الطبعة الأولى، بيروت،1986.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 الدوريات العربية :ـ

1- الإتحـــاد : يومية سياسية تصدر عن: مؤسسة الإتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ، عدد خاص حول أبرز أحداث سنة 1983 .

2- آفـاق عربية : مجلة فصلية تصدر عن آفاق عربية للصحافة والنشر بغداد، العدد 3 ، سبتمبر 1985 .

3- الجمهور : مجلة تصدر عن مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر والعلاقات العامة ، بيروت .
الأعداد : 1334، ديسمبر 1978 — جانفي 1979 .
1235، جانفي 1979 .

4- الحـوادث : مجلة أسبوعية سياسية إخبارية تصدرعن شركة الحودث ش.م.م، لندن، العدد: 1365، ديسمبر 1982 .

5- دراسات عربية : مجلة شهرية فكرية إقتصادية إجتماعية ، تصدر عن دار الطليعة ، بيروت،
العددان: 1 و 2، ديسمبر 1984 .

6- السياسة الدولية : مجلة دورية تصدر عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة .
الأعداد : 43، جانفي 1976 .
45، جويلية 1976 .
46، أكتوبر 1976 .
47، جانفي 1977 .
48، أفريل 1977 .
49، جويلية 1977 .
70، أكتوبر 1982 .

7- الشـراع : مجلة أسبوعية سياسية إخبارية ، العدد96، الصادر بتاريخ 16-1-1984 .

8- الشعب : جريدة يومية ، تصدر عن الشركة الوطنية (الشعب الصحافة)، العدد: 5967، بتاريخ 3-1-1982 .

9- شؤون فلسطينية : مجلة شهرية فكرية تصدر عن مركز الابحاث ل م.ت.ف
الأعداد : 62، جانفي 1977 .
150-151، سبتمبر-أكتوبر 1985 .
190، جانفي 1989 .

10- صـامد : مجلة شهرية إقتصادية إجتماعية عمالية ، تصدر عن مؤسسة صامد، جمعية عمال أبناء شهداء فلسطين .
العدد: 52، نوفمبر-ديسمبر 1984 .

11- فلسطين الثورة : الصحيفة المركزية ل م.ت.ف .
الأعداد : عدد خاص بسنة 1978 .
عدد خاص بسنة 1979 .

12- القبس : جريدة يومية ، لندن-باريس، العدد:1337، بتاريخ 3-6-1989 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13- المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية : تصدر عن معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، الجزائر، العدد 0، 1984.

14- المستقبل : مجلة سياسية أسبوعية ، تصدر عن دار الصحافة ش.م.م. بيروت - باريس.
الأعداد : 157، فيفري 1980.
202، جانفي 1981.
253، ديسمبر 1981.
335، جويليا 1983.
433، جوان 1985.
455، نوفمبر 1985.
603، سبتمبر 1988.

15- المعرفة : مجلة أسبوعية إخبارية ، العدد: 88، جوان 1969.

16- الهدف : مجلة سياسية تصدرها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
الأعداد : 752، ديسمبر 1984.
798، ديسمبر 1985.
939، ديسمبر 1988.
959، ماي 1989.

17- الوحدة : اللسان المركزي للإتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية ، العدد : 127، سبتمبر 1982.

18- الوطن العربي : مجلة أسبوعية سياسية إخبارية ، باريس.
الأعداد : 321، أفريل 1983.
334، جويليا 1983.
354، نوفمبر-ديسمبر 1983.
357، ديسمبر 1983.
432، ماي 1985.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية .

1- الكتب :

1-A.I.J.D,
Union des juristes Palestiniens: livre blanc sur l agression Israilienne au Liban,éditions publisud,Paris,1983.

2-BENDELAC(Jacques):les fonts exterieurs dIsrael-la fin de lIsrael-connection,ed.économica,Paris,1982.

3-BOURGIT(Albert),
WEISS (Pierre) :les complots libannais : guerre ou paix au proche-orient?inprimerie chastrusse,Paris, 1978.

4- ——— ——— :LIBAN:la cinquième guerre du proche-orien éditions publisud,Paris,1983.

5-CARTER (Jimmy) :the blood of abraham insights-into the middle east,houghton mifflin company, Boston , 1986.

6-DJERAD(Abdelaziz):dualité du monde arabe, enap, enal, o.p.u. Alger,1987.

7-ESSIVA (Paul) :chroniques du tierre monde, Rwanda, Jerusalem,Gaza,Liban,Jourdanie,éditions universitaires fribourg,suisse,1981.

8-FAUVEL (Jean jacques) :LIBAN:(les guides bleus), imprimé en France par berger levrault,Nancy,1975.

9-LANNOIS(Philippe):le moyen-orient au xx *siècle:lorient désorienté,office des publications universitaires,Alger,1980.

10-MERLE (Marcel) :sociologie des relations internationales, ed.dalloz,Paris,1974.

11-MICHAEL(P. sullivan):international relation:théories and evidance, prentice-hall inc, engle wood cliffs, New-jersey,1976.

12-SCRUTON (Roger) :A dictionary of political thougth, hill and wang,New-york,1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2- الدوريات الأجنبية :-

1-le monde : N° 11694, 3-9-1982.

2-le monde diplomatique: N° 291 juin 1978.
N °298 janvier 1979.
N °337 avril 1982.
N °340 juillet 1982.
N °341 aout 1982.
N °du 12-3- 1983.

3-Note et étude documentaire,N° 4694-4695, 20-12-1982.

4-Revue algerien des scionces politiques et des relations internationales,N°0,1984.

5-Third world quarterly,N° 3,july 1985.

....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم1: إتفاق القاهرة بين لبنان و م.ت.ف في نوفمبر 1969.

إتفاق القاهرة سري للغاية

في يوم الإثنين 3 نوفمبر (تشرين الثاني) 1969 إجتمع في القاهرة الوفد اللبناني برئاسة عماد الجيش اميل البستاني ووفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات رئيس المنظمة وحضر من الجمهورية العربية المتحدة السيد محمود رياض وزير الخارجية والسيد الفريق الأول محمد فوزي وزير الحربية.

إنطلاقا من روابط الأخوة والمصير المشترك فإن علاقات لبنان والثورة الفلسطينية لابد وأن تتسم دوما بالثقة والصراحة والتعاون الإيجابي لما فيه مصلحة لبنان والثورة الفلسطينية وذلك ضمن سيادة لبنان وسلامته، واتفق الوفدان على المبادئ والإجراءات التالية:

الوجود الفلسطيني

تم الإتفاق على إعادة تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان على أساس:

1- حق العمل والإقامة والتنقل للفلسطينيين المقيمين حاليا في لبنان.
2- إنشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية وضمن نطاق السيادة اللبنانية.
3- وجود نقاط للكفاح المسلح داخل المخيمات تتعاون مع اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقة مع السلطة وتتولى هذه النقاط موضوع وجود الاسلحة وتحديدها في المخيمات وذلك ضمن نطاق الأمن اللبناني ومصلحة الثورة الفلسطينية.
4- السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح ضمن مبادئ سيادة لبنان وسلامته.

العمل الفدائي

تم الإتفاق على العمل الفدائي وذلك عن طريق:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- تسهيل المرور للفدائيين وتحديد نقاط مرور واستطلاع في مناطق الحدود.

2- تأمين الطريق إلى منطقة العرقوب.

3- تقوم قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات كافة أفراد منظماتها وعدم تدخلهم في الشؤون اللبنانية.

4- إيجاد إنضباط مشترك بين الكفاح المسلح والجيش اللبناني.

5- إيقاف الحملات الإعلامية من الجانبين.

6- القيام بإحصاء عدد عناصر الكفاح المسلح الموجودة في لبنان بواسطة قيادتها.

7- تعيين ممثلين عن الكفاح المسلح في الأركان اللبنانية يشتركون بحل جميع الأمور الطارئة.

8- دراسة توزيع أماكن التمركز المناسبة في مناطق الحدود والتي يتم الإتفاق عليها مع الأركان اللبنانية.

9- تنظيم الدخول والخروج والتجول لعناصر الكفاح المسلح.

10- إلغاء قاعدة جيرون.

11- يسهل الجيش اللبناني أعمال مراكز الطبابة والإخلاء والتموين للعمل الفدائي.

12- الإفراج عن المعتقلين والأسلحة المصادرة.

13- ومن المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف.

14- يؤكد الوفدان أن الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعهم.

15- يبقى هذا الإتفاق سريا للغاية ولايجوز الإطلاع عليه إلا من قبل القيادات فقط.

رئيس الوفد اللبناني

أميل بستاني

رئيس الوفد الفلسطيني

ياسر عرفات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم 2 : أهم ماجاء في الوثيقة الدستورية المعلنة سنة 1976 .

... نقاط الإتفاق:

بهذه الروح كان لقاؤنا في دمشق، ثم إنسجاما مع ما بدا من تفكيرنا في خطاب فخر الدين هذا، جرى بحث النقاط التالية :

* التأكيد على العرف القائم بتوزيع الرئاسات الثلاث فيكون رئيس الجمهورية مارونيا ورئيس المجلس النيابي مسلما شيعيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا، وإعتبار كل من الرؤساء الثلاثة ممثلا لكل اللبنانيين.

* توزيع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسلمين والمسيحيين،ونسبيا ضمن كل طائفة ، وتعديل قانون الإنتخاب في ضوء ذلك وبمايضمن تمثيلا أفضل للمواطنين.

* إنتخاب رئيس الوزراء من قبل المجلس النيابي بالأكثرية النسبية ، ثم يقوم رئيس الوزراء بإجراء المشاورات البرلمانية لتشكيل الوزارة ويتم وضع اللائحة بأسماء الوزراء بالإتفاق مع رئيس الجمهورية ، وبعدها تصدر المراسيم.

* إعتماد أكثرية الثلثين بمجلس النواب في إقرار القضايا المصيرية والأكثرية 55 بالمئة لإنتخاب رئيس الجمهورية في الدورة التي تلي الدورة الأولى.

* وضع نص يجعل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء مسؤولين وإنشاء المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء.

* قيام رئيس الوزراء والوزراء بقسم يمين دستورية أمام رئيس الجمهورية .

* إصدار جميع المراسيم ومشاريع القوانين بالإتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وتحمل توقيعهما ما عدا مرسومي تعيين رئيس الوزراء بجميع الصلاحيات التي يمارسها عرفا.

* وضع نص يضمن الإسراع في إصدار المراسيم والقرارات.

* تعزيز إستقلال القضاء وإنشاء محكمة دستورية عليا للنظر في دستورية القوانين والمراسيم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* تعزيز اللامركزية في العمل الإداري.
* إزالة الطائفية في الوظائف واعتماد مبدإ الكفاءة مع المحافظة على المساواة في وظائف الفئة الأولى.
* إنشاء مجلس أعلى للتخطيط والإنماء، من مهامه وضع برامج الخطط الإنمائية.
* العمل على تحقيق عدالة إجتماعية شاملة، من خلال الإصلاح المالي والإقتصادي والإجتماعي.
* تعزيز التعليم العالي بما يؤدي إلى تعميم التعليم المجاني وتطوير البرامج التربوية بما يرسخ الوحدة الوطنية.
* وضع سياسة دفاعية وتعزيز الجيش.
* تكريس حرية مسؤولة للصحافة تضمن إنسجاما مع سياسة المجتمع في تحقيق الوحدة الوطنية وتوطيد علاقات لبنان العربية والدولية.
* تعديل قانون الجنسية.

هذه القواعد التي تطرح اليوم عليكم والتي يصير العمل بها تبعا لتنفيذ إتفاقية القاهرة، ما هي ؟

إنها إعلان نهج للعمل الوطني جرى تدوينه في وثيقة وافق عليها مجلس الوزراء وسيعرض مضمونها على مجلس النواب، وتكون إلى جانب الميثاق الوطني غير المكتوب، ركيزة جديدة تضاف إلى ركائز الحياة الوطنية في لبنان، وتستمد قوتها من الولاء للبنان ومن الإخلاص في خدمته.

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم3 :- قراري الحكومة الإسرائيلية بالتدخل في لبنان واجتياح بيروت الغربية سنة 1982 :

نص قرار مجلس الوزراء الإسرائيلي بتاريخ 6-6-1982 (عملية السلام للجليل) .

((أولا :- إن حكومة إسرائيل قررت تكليف جيش الدفاع الإسرائيلي بمهمة إخراج جميع قرى ومدن الجليل من مرمى إطلاق النار للمخربين المتمركزين هم وقياداتهم وقواعدهم في لبنان .

ثانيا :- إسم هذه العملية ((السلام للجليل)) .

ثالثا :- أثناء تنفيذ هذا لا يستوجب مهاجمة الجيش السوري إلا إذا قام بمهاجمة قواتنا .

رابعا :- دولة إسرائيل مستمرة بالتطلع إلى توقيع معاهدة سلام مع لبنان المستقل مع حفظ سلامته الإقليمية)) .

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

نص قرار مجلس الوزراء الإسرائيلي باجتياح بيروت الغربية في 16-9-1982 :

أذاع الناطق بإسم مجلس الوزراء أن مدير مكتب الوزراء دان مريدور البيان الآتي :-

((إن مجلس الوزراء قرر أنه بعد إغتيال الشيخ بشير الجميل إحتل الجيش الإسرائيلي مواقع في بيروت الغربية لمنع خطر قيام أعمال عنف وسفك دماء وفوضى في المدينة ، مع وجود الفين من المخربين المسلحين الذين بقوا في بيروت خلافا لإتفاق ترحيل المخربين .

إن هذا الخطر منع وإن حكومة إسرائيل ستوعز إلى جيش الدفاع الإسرائيلي بإخلاء المواقع التي إحتلها عندما يكون الجيش اللبناني مستعدا لتولي الإشراف على هذه المواقع بالتنسيق مع الجيش الإسرائيلي)) .

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم4 :- قراري مجلس الأمن رقم 509 و 515 :

نص قرار مجلس الأمن رقم 509 الصادر في 7-6-1982 :-

((إن مجلس الأمن، إذ يذكر بقراريه رقم 425(1978) بتاريخ 19 آذار 1978 و508 (1982) بتاريخ 5 حزيران 1982، وإذ يشعر بالقلق الشديد إزاء الوضع كما وصفه الأمين العام في تقريره الذي قدمه إلى المجلس.

وإذ يؤكد مجدداً على الحاجة إلى الإحترام الصارم لوحدة أراضي وسيادة لبنان وإستقلاله السياسي داخل حدوده المعترف بها دولياً.

1- يطلب من إسرائيل سحب كل قواتها العسكرية فوراً وبدون شروط إلى الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً.

2- يطلب من كل الأطراف التقيد تقيداً تاماً بشروط الفقرة الأولى من القرار رقم 508(1982) التي دعتهم إلى الوقف الفوري وفي آن واحد لكل النشاطات العسكرية داخل لبنان وعبر الحدود الإسرائيلية - اللبنانية .

3- يدعو كافة الأطراف إلى إبلاغ الأمين العام قبولها للقرار الحالي خلال 24 ساعة .

4 - يقرر الإستمرار في وضع يده على الموضوع)).

''''''''''''''''''''''''''''''

نص قرار مجلس الأمن رقم 515 الصادر في 29-7-1982.

((إن مجلس الأمن، إذ يبدي قلقه العميق من وضع السكان المدنيين في بيروت، وإذ يشير إلى المبادئ الإنسانية لمعاهدة فيينا للعام 1949 وللموجبات المترتبة على الأنظمة الملحقة بمعاهدة لاهاي للعام1907 وإذ يذكر بقراريه الرقم 512 - 513:

1- يطلب من حكومة إسرائيل أن ترفع فوراً الحصار عن مدينة بيروت بغية السماح بإرسال المؤن وسد الحاجات الملحة للسكان المدنيين والسماح بتوزيع المساعدات الواردة من وكالات الأمم المتحدة والوكالات غير الحكومية خصوصاً اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

2- يطلب من الأمين العام إرسال نص هذا القرار إلى حكومة إسرائيل وبقاء المجلس مطلعاً على تنفيذه)).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم5 :- مشروع المبعوث الأمريكي فليب حبيب لخروج مقاتلي م.ت.ف من بيروت سنة 1982 :

1- وقف النار وقفا شاملا .

2- مغادرة بيروت بطريقة سلمية وفق برنامج زمني.

3- فريق القوات المتعددة الجنسيات يرافق سير العملية .

4- الفلسطينيون غير المقاتلين والذين سيبقون في لبنان يخضعون للقوانين والأنظمة اللبنانية .

5- يوم المغادرة ستنتشر القوات المتعددة الجنسيات لتأمين سلامة الفلسطينيين واللبنانيين في المنطقة الغربية من بيروت ومساندة الدولة في بسط سلطتها ، وستتألف هذه القوات من 800 عنصر أمريكي و800 عنصر فرنسي و400 إيطالي، و3000 عنصر من الجيش اللبناني وفقا لمتطلبات المحافظة على الأمن.

6- إذا تعذر تنفيذ أحد البنود تعتبر مهمة القوات متعددة الجنسيات منتهية .

7- عمل القوات المتعددة الجنسيات لمدة شهر واحد ، ويحق للدولة اللبنانية تمديد مهمتها إذا رأت ضرورة لذلك.

8- يشارك الصليب الأحمر في المساعدة على المغادرة .

9- المغادرة تكون بحرا من مرفأ بيروت وجوا إلى قبرص وبرا عن طريق بيروت ـ دمشق على أن يبتعد الجيش الإسرائيلي عن الطريق الدولية لتأمين سلامة الإنسحاب، فيما يتولى الجيش اللبناني التنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية .

10- المدة المحددة لإتمام الإنسحاب هي 15 يوما ، ويتم في وضح النهار وينقل المقاتلون معهم أسلحتهم الخفيفة (مسدس أو بندقية) .

11- تسلم الأسلحة الثقيلة إلى الجيش اللبناني.

12- قيادة المقاومة تغادر لبنان علنا ويتم إعلان ذلك على نحو واضح ومكشوف.

13- تسليم الطيار الإسرائيلي الأسير لدى المقاومة قبل التنفيذ .

14- تغادر ألوية جيش التحرير الفلسطيني برا ، أما القوات السورية الموجودة في بيروت فتخرج إلى البقاع أو الشمال حيث توجد القوات السورية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم 6 :- نص البيان الختامي لقمة فاس الصادر في 10-9-1982 .

... ثانيا : العدوان الإسرائيلي على لبنان :

1- يعلن المؤتمر إدانته الشديدة للعدوان الإسرائيلي على شعب لبنان وأرضه وعلى الشعب الفلسطيني، ولفت الرأي العام الدولي إلى خطورة هذا العدوان ونتائجه على الإستقرار والأمن في المنطقة .

2- قرر المؤتمر دعم لبنان في كل ما يؤول إلى تنفيذ قرارات مجلس الأمن وبخاصة القرارين الرقم 508 و509 القاضيين بإنسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية حتى الحدود الدولية المعترف بها .

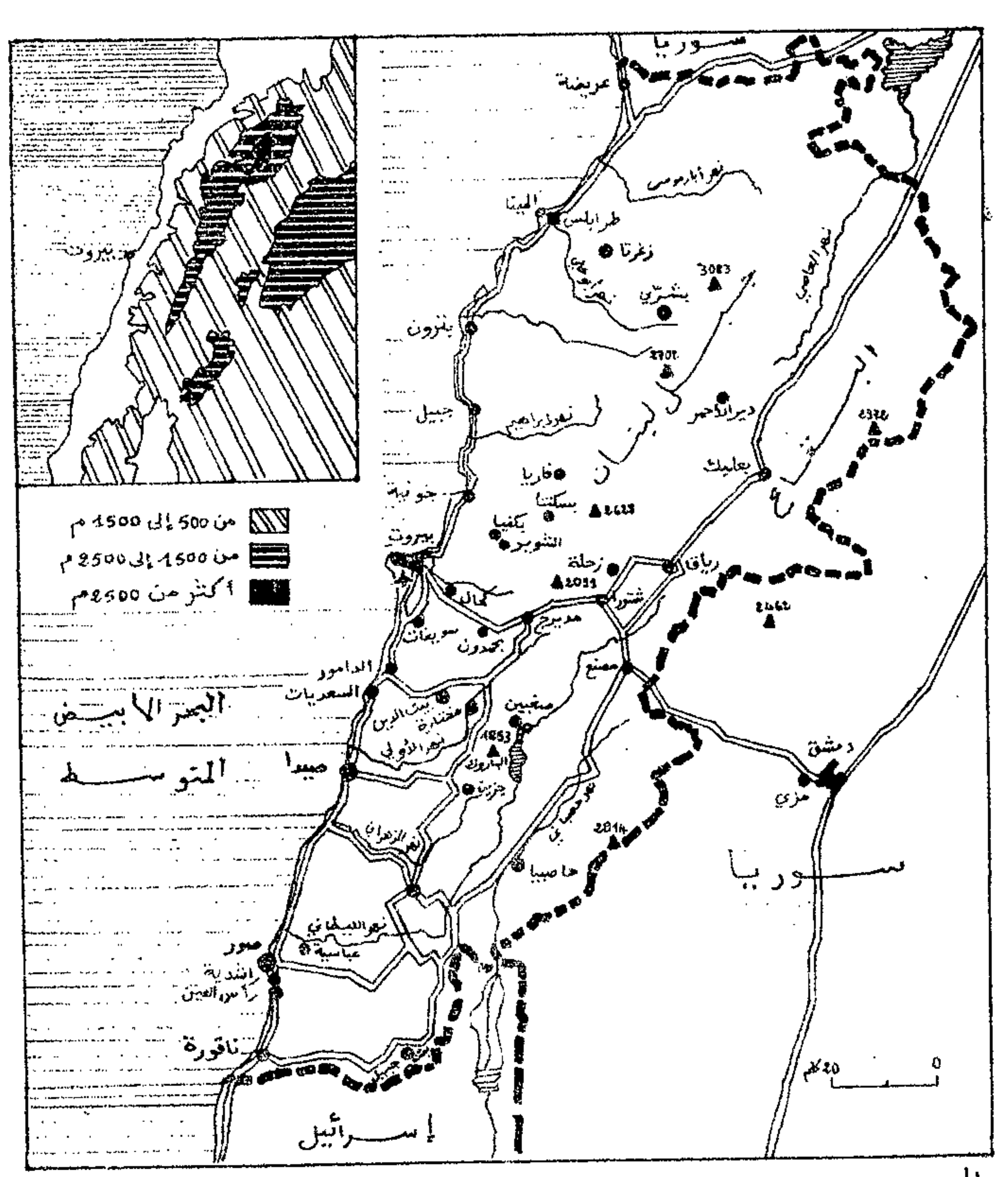
3- يؤكد المؤتمر تضامن الدول العربية مع لبنان في مأساته وإستعداده لتقديم أي مساعدة يطلبها في سبيل معالجة هذه المأساة ووضع حد لها ، ولقد أحيط المؤتمر علما بقرار الحكومة اللبنانية إنهاء مهمات قوات الردع العربية في لبنان على أن يجري التفاوض بين الحكومتين اللبنانية والسورية لوضع الترتيبات في ضوء الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان .

؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم 7 :- الخرائط .

خريطة "م" لبنان من الناحية الطبيعية .

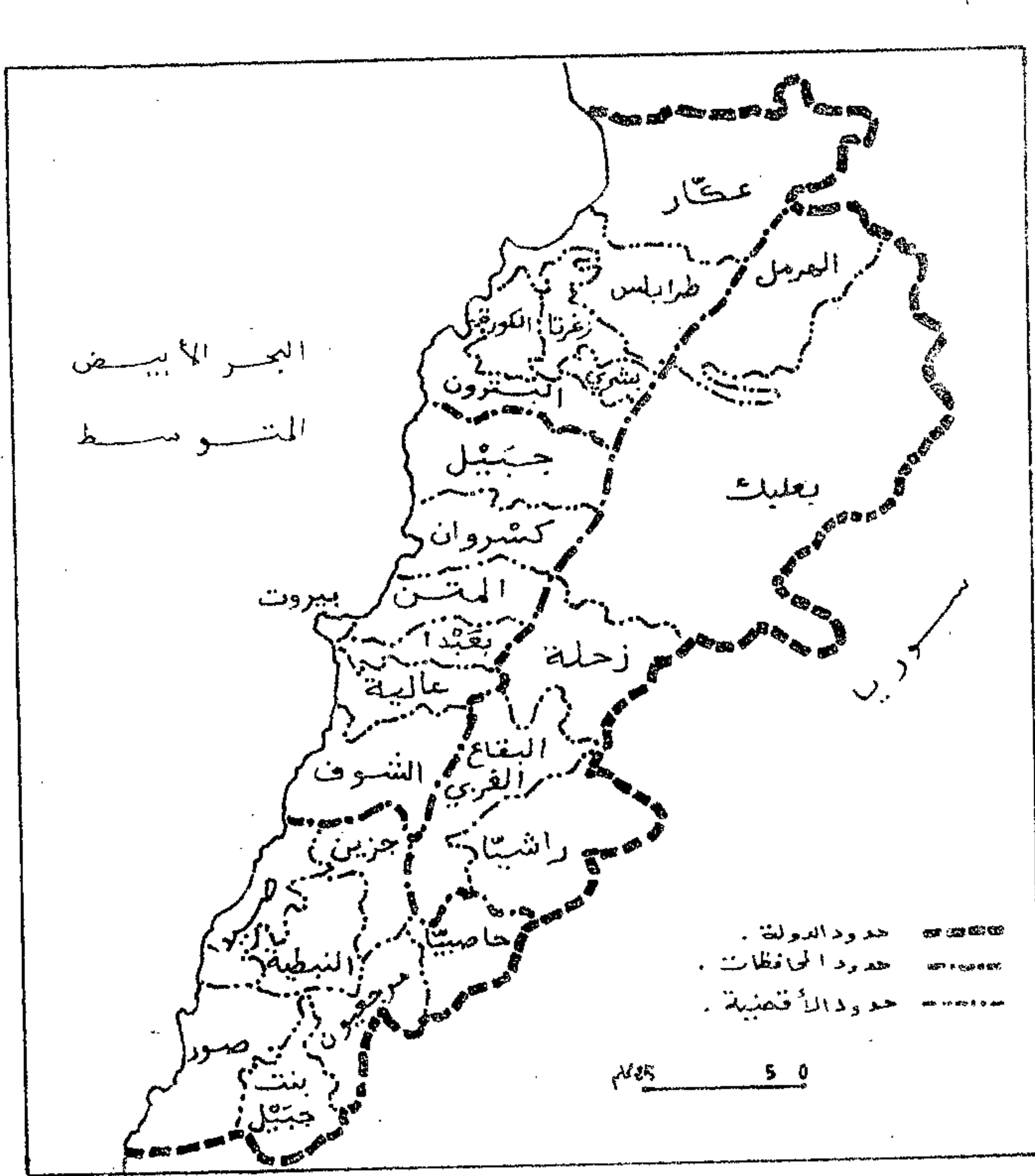


المصدر :

Maghreb - Machrek, N° 97, Juillet - septembre 1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة "ب" - ١ للتقسيم الإداري للبنان .

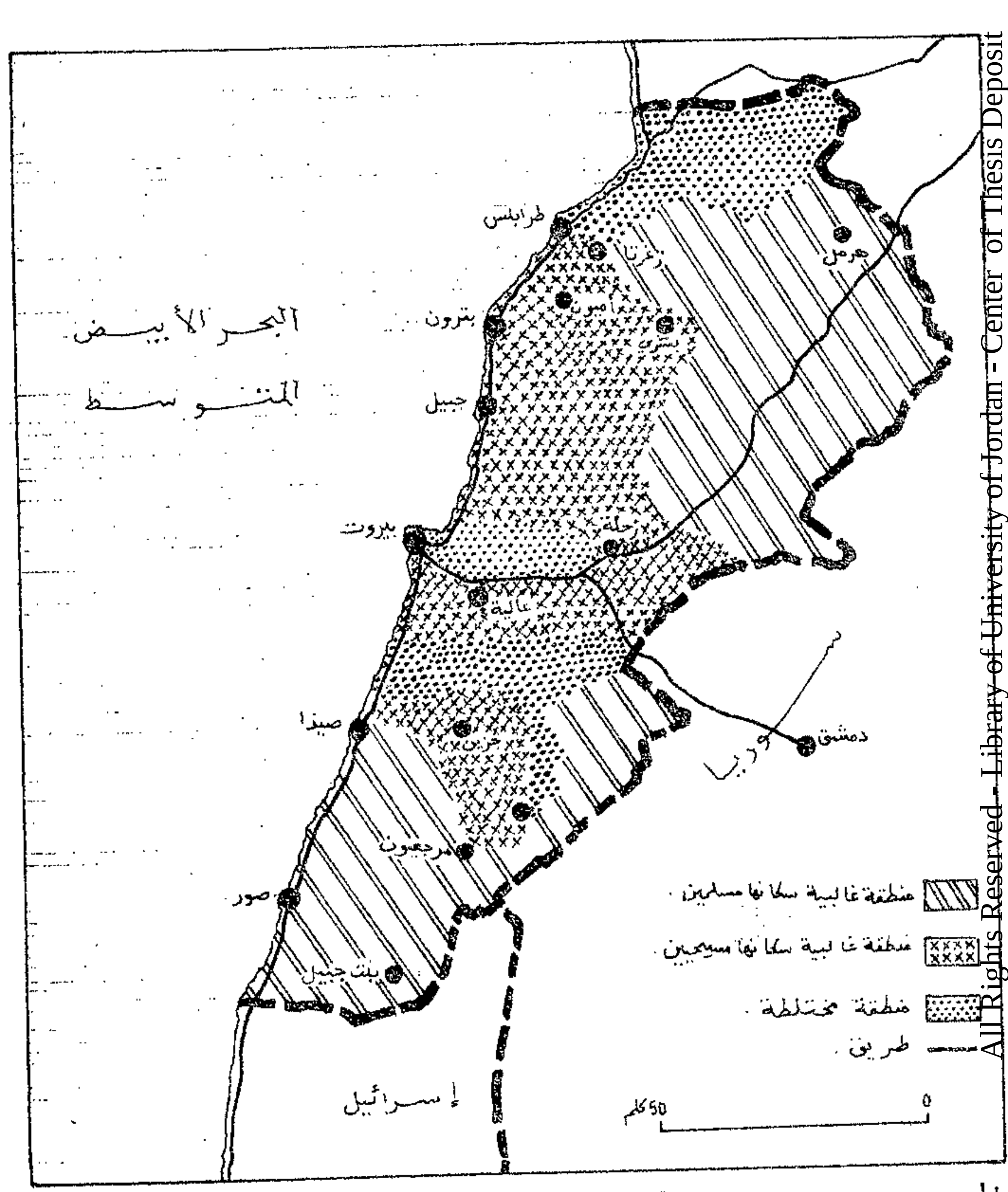


المصدر: Institut Français de polémologie, op.cit, P. 17.

نقلاً عن: Daad-bou-Malhab Atallah, "Le Liban, guerre ou conflit international, éd. El-Hurriyat, Beyrouth, 1980.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة "جـ" - التوزيع الجغرافي التقريبي للطوائف اللبنانية (جانفي 1976):-

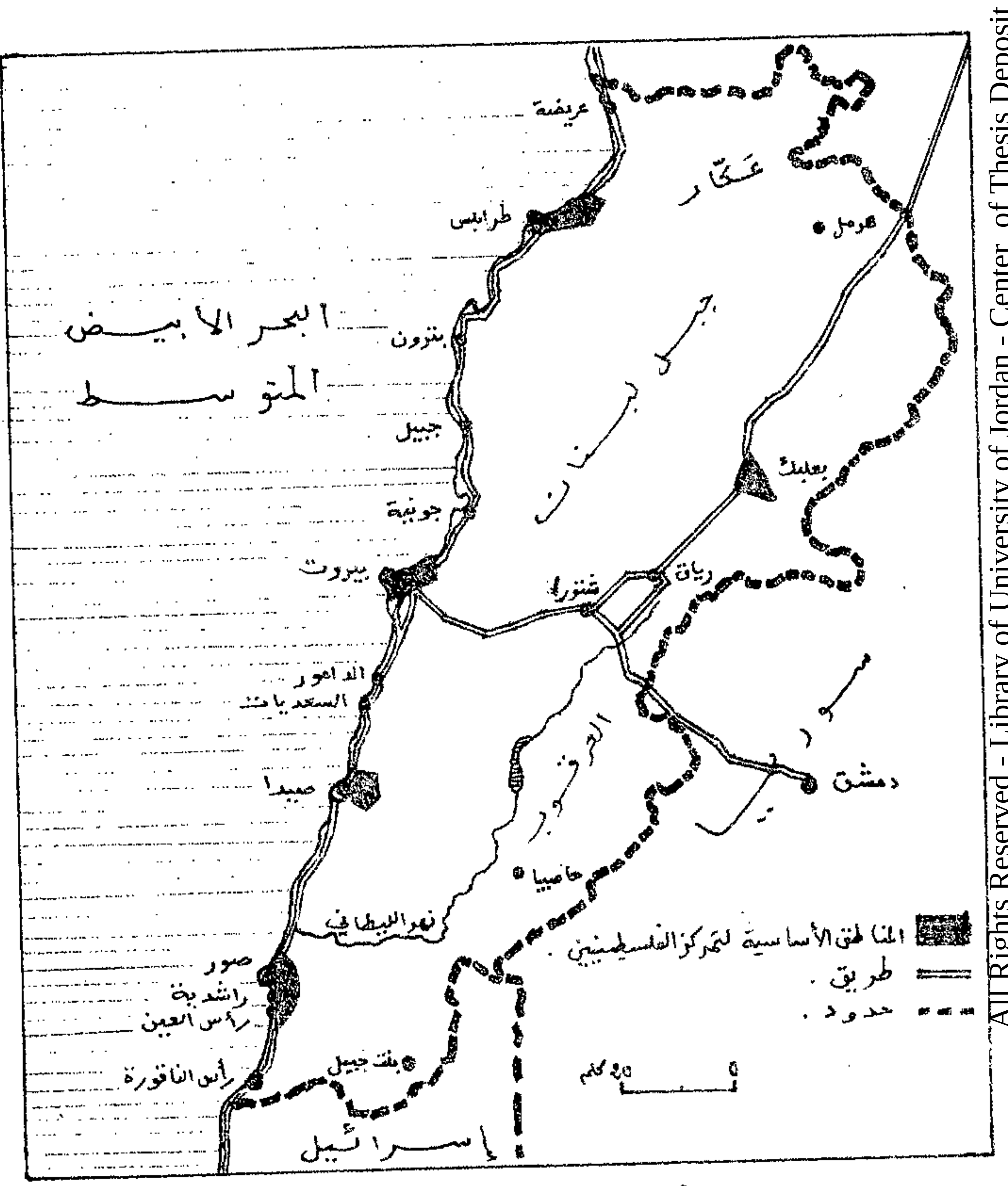


المصدر: Institut Français de polémologie, op.cit, P. 19.

نقلاً عن: "Guerre civil au liban", Problème politiques et sociaux, N° 291, La Documentation Française, Paris, 20 Aout 1976

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

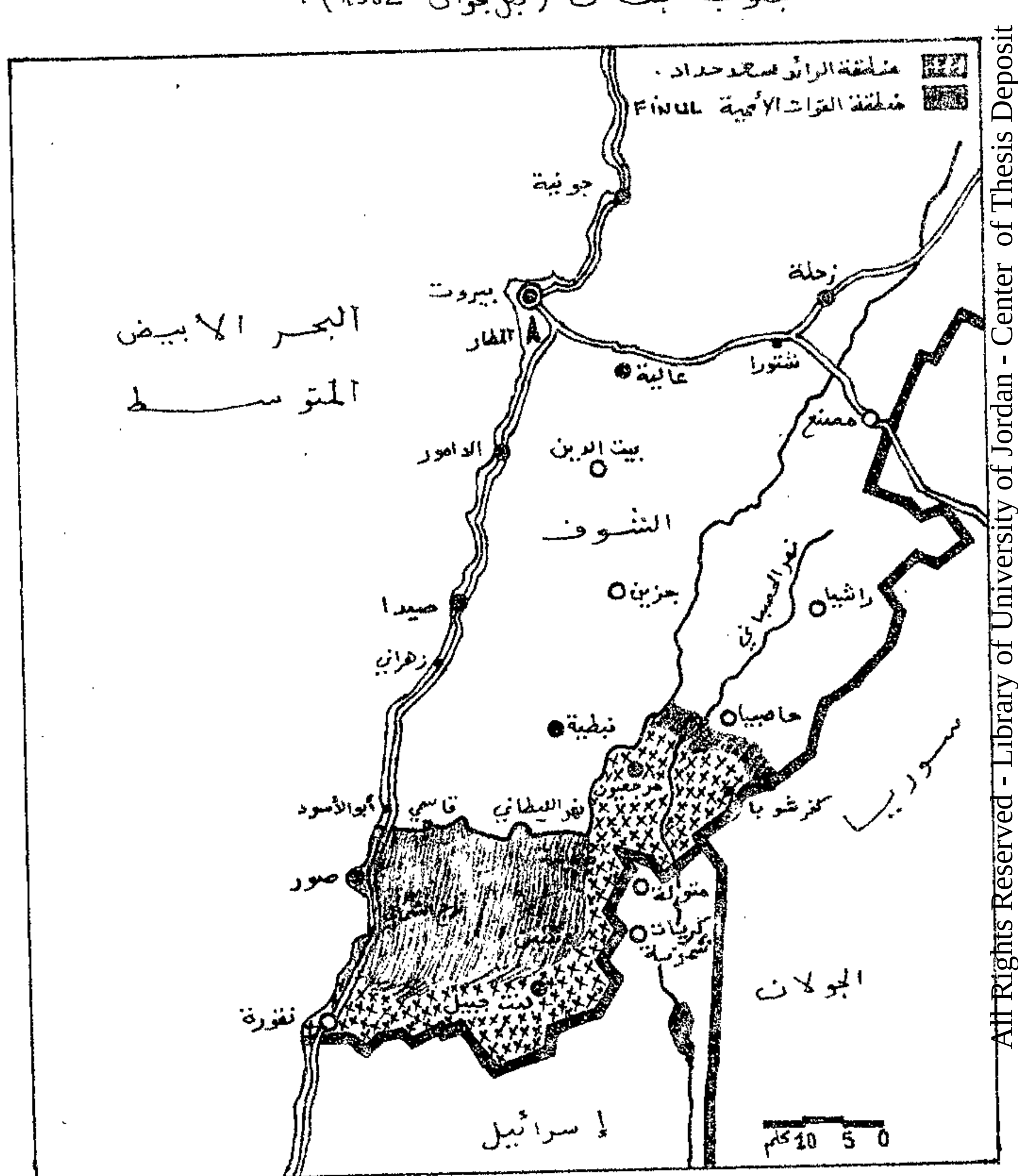
خريطة "د": أهم مناطق تمركز الفلسطينيين في لبنان.



المصدر: Institut Français de polémologie, op. cit, P. 22.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة "١٥": مناطق تمركز كل من القوات الأممية وملشيات سعد حداد في جنوب لبنان (قبل حزيران 1982).

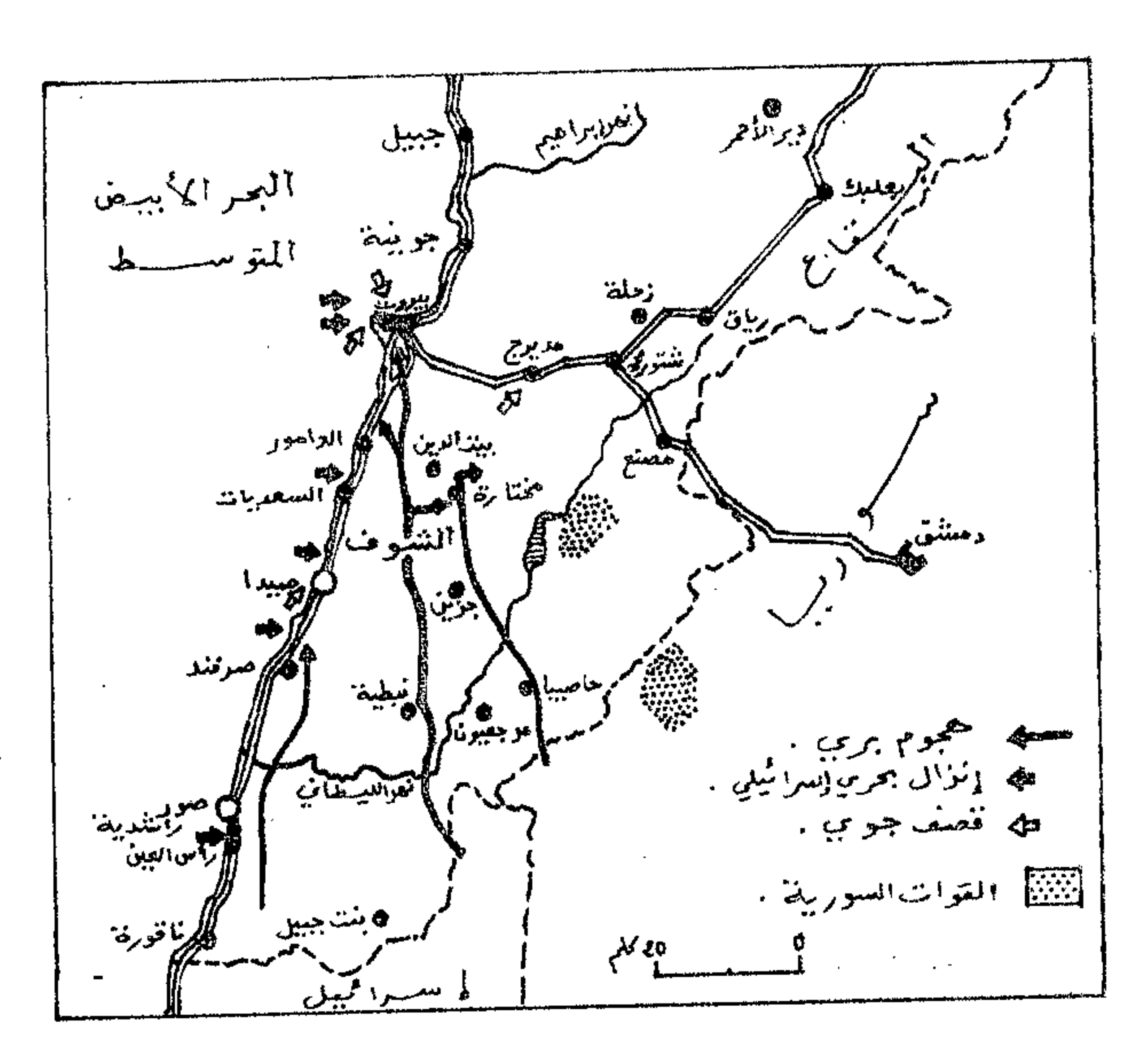


المصدر:- Institut Français de polémologie, op.cit, P. 81.

نقلاً عن: Revue d'études palestiniennes, N° 5 automne 1982.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خريطة "و" . محاور الغزو الاسرائيلي لبنان في 6 جوان 1982 .



المصدر: Institut Français de polémologie, op.cit, P.84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم8 :- تسلسل زمني لأهم الأحداث (1975-1982).

— 1975 —

جانفي:

غارات إسرائيلية على جنوب لبنان تتسبب في هجرة عدد كبير من السكان لبيوتهم تعقبها مظاهرات في النبطية ومرجعيون.

فيفري:

20- بيار الجميل زعيم حزب الكتائب يطالب بإجراء إستفتاء حول الوجود الفلسطيني في لبنان، بعد أن أكد في السابق أن وجود الفدائيين الفلسطينيين يتعارض والسيادة اللبنانية .

26- إندلاع النزاع بين صيادي الأسماك وشركة الصيد الصناعية بروتيين في صيدا، وتدخل الجيش اللبناني ضد المتظاهرين يسفر عن إصابة نائب صيدا السابق معروف سعد مما أدى إلى وفاته في 6 مارس ليفتح المجال أمام إندلاع الحرب الأهلية.

أفريل:

13- حادثة عين الرمانة ومقتل 30 مناضلا فلسطينيا على يد مليشيات حزب الكتائب، لتتوسع المواجهات بين الفريقين حيث قدرت الخسائر في نهاية الشهر بحوالي 300 قتيل و 1000 جريح.

ماي:

7- إستقالة وزراء حزبي الكتائب والوطنيين الأحرار من حكومة رشيد الصلح كرد فعل على نشاط المقاومة الفلسطينية في لبنان.

24-26- أول مهمة وساطة يقوم بها وزير خارجية سوريا في لبنان .

28- على إثر إستقالة الحكومة العسكرية التي لقيت معارضة شديدة، رشيد كرامي يكلف بتشكيل حكومة جديدة شغل فيها كميل شمعون منصب وزير الداخلية .

جوان:

23- لقاء بين الرئيس اللبناني سليمان فرنجية وياسر عرفات.

جويلية:

4- عملية فدائية تخلف 14 قتيلا في القدس تليها غارات إسرائيلية على صور وصيدا ليستمر ذلك على جنوب لبنان إلى غاية سبتمبر.

سبتمبر:

1- التوقيع على إتفاق سيناء بين إسرائيل ومصر ينص على ((أن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النزاع بين الدولتين وفي الشرق الأوسط لايتم حله بالقوة المسلحة وإنما بالوسائل السلمية)) وهي الإتفاقية التي قوبلت بمعارضة من طرف الإتحاد السوفيتي وبعض البلدان العربية.

16- إتفاق وقف إطلاق النار بين كميل شمعون وياسر عرفات، غير أن القتال ظل مستمرا بين الكتائب والقوى التقدمية اللبنانية في الشياح وعين الرمانة بضواحي بيروت.

أكتوبر:

15- الوزير الأول الإسرائيلي إسحق رابين يحذر من أي تدخل أجنبي في لبنان.

15-16- مجلس الجامعة العربية يعقد إجتماعا في الكويت، حيث وجه نداء إلى أطراف النزاع في لبنان بضرورة إلتزام الهدوء والتعقل.

31- م.ت.ف. يسمح لها بفتح مكتب في باريس.

نوفمبر:

10- الجمعية العامة للأمم المتحدة تعتبر الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية.

13- البعثة الفرنسية إلى لبنان المقترحة من الرئيس الفرنسي في 6 نوفمبر تستقبل من طرف الرئيس السوري حافظ الاسدفي دمشق.

ديسمبر:

2- في سياق الهدوء النسبي في الساحة اللبنانية، الطيران الإسرائيل يقوم بقصف المخيمات الفلسطينية بناحية صور بجنوب لبنان وفي طرابلس بالشمال مخلفا أكثر من 100 قتيل.

6- (السبت الأسود) في بيروت،مليشيات الكتائب تغتال 150 مسلما على أساس هويتهم مما فسح المجال لمضاعفة القتل على الهوية في البلاد.

28- مبادرات عربية عديدة من قبل (سوريا، مصر،السعودية، العراق، الكويت، الجزائر) إلى غاية 5جانفي 1976، وهذا من أجل إيجاد حل مناسب للأزمة اللبنانية.

— 1976 —

جانفي:

5- مليشيات الكتائب تحاصر المخيمات الفلسطينية (تل الزعتر، جسر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباشا، ضبيا) مساهمان سببا في توسيع العمليات القتالية.

7-8- في أعقاب تصريح عبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا بإحتمال تدخل بلاده في حالة تقسيم لبنان مما أثار غضب إسرائيل، فإن و.م.أ وجهت تحذيرها ضد أي تدخل منهما في لبنان.

16- الطيران اللبناني يتدخل ضد القوات التقدمية اللبنانية والفلسطينية المتواجدة في الدامور.

20- شاركة كتائب تابعة لجيش تحرير فلسطين تدخل الأراضي اللبنانية.

21- وساطة سورية جديدة تسفر عن تشكيل لجنة عسكرية عليا لبنانية - سوريا - فلسطينية، وهذا من أجل مراقبة ومتابعة وقف إطلاق النار.

27- م.ت.ف تعلن إلتزامها بإحترام سيادة الدولة اللبنانية على كامل التراب اللبناني بدون إستثناء.

29- ناطق رسمي للحكومة الأمريكية يعلن بأن بلاده تعترف بالدور البناء الذي تقوم به سوريا في لبنان.

31- السياسيين المسيحي يعلن عن ميلاد جبهة الحرية والإنسان.

فيفري:

تسعة أشهر من الحرب الأهلية خلفت 12000 قتيل و 20000 جريحا وعشرة ملايير دولار كخسائر مادية.

14- الرئيس اللبناني يعلن عن الوثيقة الدستورية.

15- مفاوضات سورية - فلسطينية حول تطبيق إتفاقية القاهرة الموقعة بين الحكومة اللبنانية و م.ت.ف سنة 1969.

18- جيش تحرير فلسطين يحاصر مدينة طرابلس شمال لبنان.

24- أحمد الخطيب قائد جيش لبنان العربي المنشق عن الجيش النظامي اللبناني يربط إنهاء تمرده بإلغاء النظام الطائفي في لبنان.

مارس:

11- عزيز الأحدب قائد منطقة بيروت يعلن عن محاولته الإنقلابية ويدع سليمان فرنجية إلى الإستقالة خلال 24 ساعة، وهو الطلب الذي وافق عليه البرلمان في 13 من الشهر.

15- جيش تحرير فلسطين وقوات الصاعقة (الموالين لسوريا) إستطاعا التصدي لجيش لبنان العربي الزاحف للإستيلاء على قصر بعبدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

38 - كمال جنبلاط يعلن بأن سوريا توقف وتحتجز السلاح المتوجه عن طريقها إلى الجبهة الفلسطينية والوطنية اللبنانية ،ليشكل ذلك بداية المقاطعة بين سوريا من جهة والتحالف الفلسطيني اللبناني من جهة أخرى.

- تدخل و.م.أ في الازمة اللبنانية عبر سفيرها السابق في عمان دين براون حيث كلف بمهمة وساطة في بيروت.

أفريل :

3-12 - بداية التدخل السوري المباشر، يقلق كثيرا من القتلى في المناطق التي تستولي عليها القوات المشتركة الفلسطينية اللبنانية .

16 - بعثة م.ت.ف إلى دمشق تسفرعن توقيع إتفاق بين الرئيس السوري حافظ الأسد وياسر عرفات، أين تم التأكيد على إبعاد أي تدخل أجنبي فيمايتعلق بتسوية النزاع القائم في لبنان، وهومايعارض النوايا الفرنسية بالمشاركة في إقرارومراقبة الأمن في هذا البلد .

ماي :

4-6 - محادثات في دمشق بين سورياوالكتائب، وفي الأسبوع الموالي الإمام موسى الصدر يقوم بمهمة وساطة بين سوريا والقوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية .

- إنتخاب إلياس سركيس رئيسا للبنان، حيث قاطع اليسار اللبناني الإنتخابات ليتعكس ذلك في صدامات بين القوات التقدمية وتنظيم الصاعقة الموالي لسوريا .

12 - سوريا تعزز تدخلها في لبنان بوحدات جديدة ، وتحظى بمساندة حزب الكتائب اللبناني من أجل وضع نهاية للحرب الأهلية .

- ميلاد قيادة موحدة بين الجيش اللبناني العربي بقيادة أحمد الخطيب والتنظيمات التقدمية الأخرى وتنسيق مواقفهماوعملياتهما مع م.ت.ف.

19 - دين براون يمنح الضوء الأخضر للتدخل السوري في لبنان، وهذا في ندوة صحفية عقدها في واشنطن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

31- سوريا تتدخل ب 14000 جندي و260 دبابة من الناحية الشرقية للبنان.

جوان:

- و.م.أ تقلل من خطورة التدخل السوري، وصحيفة نيويورك تايمز تعتقد بأن سوريا نجحت في كسب تأييد و.م.أ.
- إسرائيل توضح بأنها لاتقوم بعمل مضاد للتدخل السوري في لبنان، والأردن يعلن في 16 جوان عن تأييده للتدخل السوري.
- معارضة التدخل السوري جاءت خاصة من قبل الإتحاد السوفييتي ومصر والعراق.
- كمال جنبلاط يوجه نداء لحلفائه السياسيين والدبلوماسيين يفضح فيه سياسة و.م.أ ويقف ضد التدخل السوري، بينما هذا التدخل يحظى بتأييد ومساندة القوى المسيحية اللبنانية.

2-20- سوريا تنفذ هجوما شاملا في إتجاه مرجعيون وصيدا ضد مواقع تمركز القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية.

5- قوات الصاعقة الفلسطينية تفصل من م.ت.ف نظرا لإنحيازها الكلي لسوريا.

10- وزراء خارجية دول الجامعة العربية يجتمعون منذ يومين في القاهرة يطلب من م.ت.ف من أجل إقرار وقف إطلاق النار وإرسال قوات سلام إلى لبنان تشترك فيها الجزائر، السعودية، ليبيا، سوريا وقوات فلسطينية، وهو ما قوبل بالرفض من قبل القوى المسيحية اللبنانية المؤيدة للتدخل السوري.

11- ياسر عرفات في مهمة لبعض العواصم العربية (طرابلس، القاهرة، الرياض، بغداد، أبوظبي).

15- سوريا توجه إنذارها إلى العراق في أعقاب تحرك القوات العراقية بقرب حدودها مع سوريا والأردن.

16- القوى المسيحية توافق على المقترحات العشرة المقدمة من قبل الجامعة العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

30 - سقوط مخيم جسر الباشا بعد حصار من طرف القوات الكتائبية .

جويلية :

11 - سوريا تصعد من هجوماتها ضد مواقع القوات المشتركة الفلسطينية اللبنانية في صيدا وطرابلس وبعلبك، بينما كمال جنبلاط وياسر عرفات يطلبان تدخل البلدان العربية .

12 - وزراء خارجية دول الجامعة العربية يجتمعون في القاهرة ، وينتهون إلى توصية من أجل تعزيز قوة السلام العربية ، كما تشكلت بعثة رباعية (البحرين، تونس، قطر، الجامعة العربية) أرسلت إلى لبنان .

22 - إسرائيل تفتح حدودها مع لبنان للإتصال بمنطقة القائد اللبناني المنشق سعد حداد .

29 - إتفاق سوري - فلسطيني في دمشق، يقضي بوقف المعارك وتشكيل لجنة لبنانية - سورية - فلسطينية والسهر على تطبيق إتفاقية القاهرة لسنة 1969 وإرساء حوار وطني مستمد من الوثيقة الدستورية المعلنة في 14 فيفري، وكذا المحافظة على الوحدة الترابية للبنان.

أوت :

12 - مخيم تل الزعتر يسقط في يد مليشيات حزب الكتائب بعد 25 يوم من الحصار .

28 - بعد توسيع المعارك وإزدياد حدتها في بيروت وضواحيها، م.ت.ف تحت البالغين من العمر 18 إلى 30 سنة ، للتجنيد .

سبتمبر :

8 - التدخل السوري في لبنان يتعرض إلى إنتقاد من قبل صحيفة البرافدا السوفياتية .

23 - الرئيس إلياس سركيس يبدأ مهمته خلفا لسليمان فرنجية .

28 - هجوم سوري - كتائبي في جبل لبنان ضد مواقع القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية التي تراجعت إلى الخلف.

أكتوبر :

4 - الرئيس الفرنسي جيسكارديستان كرر إقتراحه بشأن إمكانية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشاركة بلاده في حل الأزمة اللبنانية ، وهذا في رسالة وجهها إلى الرؤساء حافظ الأسد وأنور السادات وإلياس سركيس.

9- إجتماع شتورا بين ممثلي سوريا ولبنان و م.ت.ف والجامعة العربية حيث إقترح لبنان توقيف العمليات العسكرية وتشكيل قوات أمن وتنفيذ مقررات إتفاقية القاهرة لسنة 1969، وهو ما حظي بقبول مبدئي من قبل مختلف القوى.

17-18 - قمة الرياض بحضور رؤساء كل من لبنان، العربية السعودية، الكويت، مصر، سوريا وكذا ياسر عرفات، حيث أقرت السعودية شرعية التدخل السوري في لبنان. كما أعادت سوريا علاقاتها الدبلوماسية مع مصر.

18-26 - الكتائب تهاجم مواقع القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية في جنوب لبنان، وتتلقى مساندة عسكرية من إسرائيل.

25-26 - القمة العربية في القاهرة، تقبل بما أقرته قمة الرياض في 17 و 18 أكتوبر.

26- اليمين المسيحي اللبناني يؤسس جيشا للدفاع عن جنوب لبنان.

نوفمبر:

9- قوات الردع العربية تأخذ أماكن لها في لبنان وهي في أغلبها سورية.

10- إسرائيل تدعم مواقعها في الجنوب بالتنسيق مع قوات سعد حداد.

19- لقاء سوفيتي - كتائبي في بيروت.

25- إسرائيل تعرب عن معارضتها لأي وجود سوري في جنوب لبنان.

26- صحيفة البعث السورية تطلب إقصاء ممثلي م.ت.ف من المجلس الوطني الفلسطيني.

27- م.ت.ف تنشر بيانا تندد فيه بسياسة العنف التي تنتهجها سوريا.

- النزاع السوري - الفلسطيني تمحور حول نقطتين: عودة تنظيم الصاعقة إلى م.ت.ف وإخضاع هذه الأخيرة إلى رقابة قوات الردع العربية.

29- ليبيا تسحب وحداتها العاملة في لبنان ضمن قوات الردع العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديسمبر :

2- وصول وحدات عسكرية من الإمارات العربية والسودان للعمل ضمن قوات الردع العربية في لبنان.

15- قوات موالية لسوريا تستولي على ثلاث مقرات صحف موالية للعراق في لبنان وهي: بيروت، المحرر، الدستور.

-1977-

جانفي:

9- القوات السورية تأخذ مواقع لها في منطقة الشوف، وإعتقالات واسعة في صفوف المؤيدين لـ كمال جنبلاط.

23- وحدة من القوات السورية تتوغل في جنوب لبنان شمال النبطية وإسرائيل تهدد بالرد عبر القوات المسيحية في الجنوب.

25- وحدة تابعة لقوات الردع العربية تدخل جنوب لبنان على بعد 15 كلم من الحدود الإسرائيلية - اللبنانية.

31- وزير خارجية إسرائيل إيغال آلون يصرح بأن جنوب لبنان يعد منطقة حيوية بالنسبة لأمن إسرائيل.

فيفري:

15-20- عودة كاتب الدولة الأمريكي سايروس فانس إلى الشرق الأوسط، حيث زار كل من إسرائيل ومصر ولبنان والأردن وسوريا.

18-26- مواجهات عسكرية في جنوب لبنان بين مليشيات الكتائب والقوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية تتسبب في هجرة 120000 ساكن.

مارس:

16- إغتيال كمال جنبلاط، تتبعه أعمال إنتقامية ضد المسيحيين.

- ريمون أدة يصرح بأن إغتيال كمال جنبلاط تم على مقربة من نقطة تمركز وحدة تابعة للقوات السورية، مضيفا بأن المسؤولين السوريين أعلنوا أكثر من مرة عن ضرورة تصفية كمال جنبلاط وهذا ما وقع بالفعل.

أفريل:

4- سوريا تتهم بعض القوى اليمينية المسيحية بأنها تتلقى الدعم والحماية من طرف إسرائيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

12- وزير خارجية إسرائيل إيغال الون لوح بإمكانية تدخل بلاده بشكل مباشر في لبنان.

22- نهاية الزيارة الرسمية للرئيس السوري حافظ الأسد إلى الإتحاد السوفيتي، وهذا الوضع العلاقات الثنائية في إطارها الطبيعي، كما عبر الطرفان على إهتمامهما المشترك لحماية سيادة ووحدة لبنان.

ماي:

17- تكتل الليكود يفوز بالإنتخابات في إسرائيل، ليصبح مناحيم بيغن رئيسا للوزراء، مما يعني غياب حزب العمل الذي حكم إسرائيل منذ بروزها.

جويلية:

22- في أعقاب الإجتماع الأول للجنة الثلاثية اللبنانية – الفلسطينية السورية، م.ت.ف تعلن عن إلتزامها بوقف إطلاق النار في جنوب لبنان.

25- إتفاق شتورا (فلسطيني – لبناني) لتنظيم نشاط م.ت.ف في المخيمات وفي المنطقة الحدودية مع إسرائيل، وهذا كترجمة لإتفاق القاهرة لسنة 1969، لهذا فالحكومة اللبنانية أصرت خاصة على تطبيق ما يتعلق بعدد القوات الفلسطينية في المخيمات حيث أن إتفاقية القاهرة حددتها بسبعة أشخاص مسلحين فقط من أجل ألف ساكن.

أوت:

8- رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن يعترف صراحة بأن بلاده تقدم مساعدات في أشكال مختلفة وخاصة العسكرية إلى الملشيات المسيحية المتواجدة في جنوب لبنان.

27- في البيان الختامي لإجتماع قيادات اليمين المسيحي اللبناني المشكلة للجبهة اللبنانية، تمت الدعوة إلى توزيع الفلسطينيين القاطنين في لبنان على الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية إضافة إلى ضرورة إنسحاب القوات الفلسطينية من جنوب لبنان.

سبتمبر:

12- ياسر عرفات يصرح بأن القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية

لا يمكن أن تنسحب من الشريط الحدودي.

12-13 - إسرائيل تتدخل بحرا وجوا لصالح الملشيات المسيحية في الجنوب ضد القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية وهذا لمنع وصول الإمدادات العسكرية لها، وهو التدخل الذي قوبل بتنديد من قبل البلدان العربية والإتحاد السوفييتي.

20 - إسرائيل توجه إنذارا إلى سوريا مؤكدة بأنها لاتقبل بأي تحرك لقواتها في جنوب لبنان، وبالتوازي مع ذلك الجيش الإسرائيلي يدخل الأراضي اللبنانية في إتجاه مواقع القوات التقدمية.

23 - قذائف تسقط على المستوطنة الإسرائيلية كريات شمونة على مقربة من الحدود اللبنانية.

26 - و.م.أ تتمكن من حمل إسرائيل الإعلان عن وقف القتال متبوعا بإنسحاب الجيش الإسرائيلي شريطة إنسحاب القوات المشتركة الفلسطينية - اللبنانية إلى مسافة 15 كلم شمال الشريط الحدودي، وهو ماراحت فيه الحكومة اللبنانية مناسبة لإستكمال تطبيق إتفاق شتورا القاضي بإنسحاب القوات الفلسطينية وتعويضها بالجيش اللبناني على طول الشريط الحدودي.

أكتوبر:

1 - صدور تصريح مشترك أمريكي - سوفياتي تضمن الإعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني.

19-21 - زيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى إسرائيل وإلقائه خطابا أمام الكنيست، مما أدى إلى تقارب سوري - فلسطيني أكثر وأعطى لهذه الأخيرة فرصة التحرك في جنوب لبنان أكثر من السابق.

نوفمبر:

8-9 - الطيران الإسرائيلي ينفذ غارات ضد مواقع عديدة في جنوب لبنان كرد على القصف المنفذ ضد مستوطنة نهاريا.

ديسمبر:

21 - مناحيم بيغن يؤكد رفضه لقيام الدولة الفلسطينية المستقلة، وهو ما أكده الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في 28 من الشهر.

31 - الرئيس الأمريكي يقوم بجولة في الشرق الأوسط حيث طغت التطورات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجديدة (السلام المصري - الإسرائيلي) على ظل أحداث المنطقة.

- 1978 -

فبراير:

7-10- أول مواجهة عنيفة بين القوات السورية من ناحية والمليشيات المسيحية المدعمة من قبل إسرائيل من ناحية أخرى في بيروت تخلف أكثر من 150 قتيلا و 200 جريحا، أعقبها تصويت البرلمان اللبناني على تشكيل محكمة مشتركة لبنانية - سورية مكلفة بالتحقيق في الحوادث التي تتسبب فيها قوات الردع العربية.

مارس:

11- عملية فلسطينية نفذها مقاتلوا فتح عبر مسافة ثمانين كيلومتر على طريق حيفا - تل أبيب تخلف عشرات القتلى والجرحى في صفوف الإسرائيليين، بينما إستشهد الفدائيين وعددهم 13 كانوا قد إنطلقوا من لبنان بحرا.

14- إسرائيل تنفذ غزوها للبنان ليلا بإستخدام قوات برية وبحرية وجوية بحجة وضع حزام أمني لحدودها، وتمكنت بعد معارك ضارية ما يزيد عن أسبوع من الوصول إلى مصب نهر القاسمية.

15- سوريا تعلن عن وضعها لصواريخ أرض جو تحت تصرف قوات الردع العربية من أجل حماية المجال الجوي اللبناني شمال الليطاني.

19- الجيش الإسرائيلي يكمل سيطرته على المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني ليعلن في 21 من الشهر عن وقف القتال.

- مجلس الأمن يصدر القرار رقم: 425 الداعي إلى الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان وإحلال محلها قوات الطوارئ الدولية في جنوب لبنان لمساعدة الحكومة اللبنانية على فرض سيادتها على المنطقة.

27- وزير الدفاع الإسرائيلي يوجه إنذارا إلى الأمم المتحدة وسوريا والقوات الفلسطينية، يهدد فيه بالقيام بهجوم على جنوب لبنان إذا لم تتمكن قوات الأمم المتحدة من الإنتشار في الجنوب خلال 48 ساعة القادمة.

- الأمين العام للأمم المتحدة يعلن بيان م.ت.ف قبلت بوقف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القتال في جنوب لبنان.

- سعد حداد يعلن عن إنشاء جيش جنوب لبنان.

أفريل :

- الإنسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان على مراحل في 11 و14 و30.

ماي :

20- إسرائيل تعلن بأنها ستنسحب كلية من جنوب لبنان في 13 جوان المقبل بشرط عدم عودة الفدائيين الفلسطينيين إلى المناطق المنسحب منها، وهو ما قبله ياسر عرفات في 24 ماي.

جوان :

13- بعد الإنسحاب من لبنان عمدت إسرائيل إلى تكليف ملشيات سعد حداد بمراقبة الشريط الحدودي بعرض يتراوح من 5 إلى 10 كلم موازاة للحدود من الساحل إلى مرجعيون.

جويلية :

7- مواجهات بين قوات الأمم المتحدة وفدائيي جبهة الرفض في الجنوب

13- فدائيون فلسطينيون يطوقون مجموعة من قوات الأمم المتحدة في ضواحي صور، لينطلق سراحهم من قبل أفراد تابعين ل فتح مما فسح المجال أمام صدامات بين الفلسطينيين.

أكتوبر :

2-9- الجيش السوري يقصف الأحياء المسيحية في بيروت.

— 1979 —

جانفي - مارس :

الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان الأكثر حدة منذ غزو مارس 1978 وذلك بالتنسيق مع الملشيات المسيحية ضد مواقع القوات المشتركة الفلسطينية — اللبنانية وضد المخيمات الفلسطينية.

أفريل :

18-22- سعد حداد يعلن عن إنشاء دولة لبنان الحر، وهو ما إعتبرته الحكومة اللبنانية بالخيانة العظمى، بينما عمدت إسرائيل إلى تهيئة الأرضية لإجتياحها بما في ذلك الحيلولة دون التهديد لبقاء القوات الأممية في الجنوب.

جوان :

27- معركة جوية سورية — إسرائيلية جنوب الدامور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جويلية - أوت:
- إعتداءات إسرائيلية على جنوب لبنان بمساعدة الملشيات المسيحية الموالية لها، وهو ما حمل و.م.أ على إظهار تخوفها موجهة في 23 أوت إنذارها إلى إسرائيل، فكانت النتيجة أن توقف القتال في 26 أوت بجنوب لبنان.

أكتوبر:
9-30- مساويات توفيقية من دول غربية من أجل إقرار هدنة ثابتة ودائمة وإحلال السلام في جنوب لبنان، حيث طرحت و.م.أ مشروعا على الأمم المتحدة يقضي بفتح مفاوضات يشارك فيها لبنان م.ت.ف، سوريا، قوات الأمم المتحدة في الجنوب، إسرائيل وكذا و.م.أ والملشيات المسيحية في الجنوب، وهو ما تزامن وبداية جولة المبعوث الأمريكي فليب حبيب إلى لبنان والأردن وسوريا وإسرائيل في نهاية الشهر.

ديسمبر:
4-27- الجمهورية الإسلامية الإيرانية تقترح إرسال مقاتلين متطوعين فلسطينيين وتقدميين إلى جنوب لبنان، بينما التنظيم الشوري الجماهيري يعلن عن إنطلاق 1000 متطوع في إتجاه لبنان، هذا الأخير الذي إتخذ إحتياطاته لمنع دخول هؤلاء المتطوعين.

— 1980 —

أفريل:
7-24- في منطقة وسط جنوب لبنان صدامات بين ملشيات سعد حداد والوحدة الإيرلندية التابعة لقوات الأمم المتحدة، وهو ما شجبه مجلس الأمن داعيا إلى ضرورة السماح للقوات الأممية بمراقبة كل المنطقة.

ماي:
2- إجتماع دبلن، عقده وزراء الدفاع للبلدان المشاركة في القوات الأممية العاملة في جنوب لبنان، حيث هددت بسحب قواتها في حالة ما إذا لم يحترم قرار مجلس الأمن الصادر في 24 أفريل.

جوان:
30- عدوان إسرائيلي شمال نهر الليطاني.

سبتمبر:
1- على إثر الإعتداءات الإسرائيلية المتكررة، ياسر عرفات يعلن عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعبئة العامة للقوات الفلسطينية المتواجدة في لبنان، تبعتها بين 17-26 تصعيد من قبل إسرائيل والقوات المسيحية الموالية لها في جنوب لبنان مما تسبب في هجرة عدد كبير من المدنيين.

8- الإتحاد السوفيتي يعقد إتفاقية صداقة وتعاون مع سوريا.

نوفمبر

25-27- القمة العربية في عمان يتغيب عنها كل من م.ت.ف، الجزائر، لبنان، سوريا، اليمن الجنوبية.

ديسمبر

18-21- عملية إسرائيلية في منطقة جسر الخردلي على نهر الليطاني تؤدي إلى مقتل ثلاثة جنود سوريين.

20-26- القوات السورية العاملة في إطار قوات الردع العربية تحاصر زحلة وتدخل في صدامات عنيفة مع الملشيات المسيحية اللبنانية.

22-23- قائد القوات اللبنانية المسيحية بشير الجميل يقدم شكواه إلى الأمم المتحدة من أجل وضع حد للتدخل السوري وتعويض ذلك بمراقبين دوليين.

31- مواجهة جوية سورية - إسرائيلية في جنوب لبنان.

—1981—

جانفي:

10-19- أربعة قتلى في صفوف القوات الأممية في الجنوب عقب صدامها مع المقاتلين الفلسطينيين.

مارس:

20- مجلس الأمن يندد بالإجماع ضد الأعمال الصادرة من أي طرف كان، والتي تسببت في مقتل أعضاء من القوات الأممية في الجنوب، ويطلب من كل العاملين في جنوب لبنان بوقف القتال وتقديم المساعدة اللازمة للقوات الأممية لأداء مهامها حسب قرار مجلس الأمن رقم 425.

أفريل:

3- القوات السورية العاملة في إطار قوات الردع العربية تقصف زحلة وبيروت الشرقية في حين نداءات لوقف القتال آتية من الأمم المتحدة و و.م.أ وفرنسا والفاتيكان.

6- في زيارة لإسرائيل كاتب الدولة الأمريكي الكسندر هيج يصف التدخل السوري ضد المسيحيين بالتصرف الوحشي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

27- إسرائيل توجه إنذارا إلى سوريا عقب تصعيدها العسكري ضد المليشيات المسيحية في لبنان، وفي اليوم الموالي قصف إسرائيلي لمواقع قوات الردع العربية في البقاع يسفر عن سقوط طائرتين مروحيتين سوريتين.

29- سوريا تقدم على تنصيب ثلاث بطاريات صواريخ سام/6 وسام/2 في منطقة البقاع اللبنانية من أجل التصدي للغارات الإسرائيلية.

ماي:

4- الرئيس الأمريكي رونالد ريغن، يقترح على مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل تسوية دبلماسية لأزمة الصواريخ السورية، وفي 7 من الشهر نداء أمريكي إلى الإتحاد السوفيتي لنفس الغرض.

7-27- المرحلة الأولى لوساطة المبعوث الأمريكي فليب حبيب إلى المنطقة من أجل تسوية الخلاف الإسرائيلي – السوري حول إدخال هذه الأخيرة لصواريخ سام إلى لبنان.

10- مناحيم بيغن يوجه إنذارا إلى سوريا، ففي حالة ما إذا لم تسحب صواريخها من لبنان بعد المساعي الدبلماسية الأمريكية فإن القوات الجوية الإسرائيلية ستتدخل لتدمير هذه الصواريخ.

جوان:

7- الطيران الإسرائيلي يقصف المفاعل النووي (تموز) العراقي.

جويليا:

4-5- الإجتماع الثاني للجنة المتابعة الرباعية العربية، حيث تمركزت المحادثات حول علاقة القوات اللبنانية المسيحية بإسرائيل وكذا ضرورة وقف إطلاق النار.

15- المقاومة الفلسطينية إنطلاقا من جنوب لبنان تقصف كريات شمونة ومستوطنة نهاريا، يعقبهافي اليوم الموالي هجوم إسرائيلي جوا وبرا وبحرا على جنوب لبنان يتسبب في تدميرخمسة جسور إستراتيجية وقاعدة لقيادة العمليات الفلسطينية ،ليعلن الجنرال الإسرائيلي رفول إيتان بأن إسرائيل تبنت سياسة جديدة ضد الفلسطينيين في لبنان تقضي بتدمير بنيتهم التحتية وشل حركتهم.

21- مجلس الأمن يصدر قرارا يطالب فيه بوقف القتال في لبنان في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظرف 48 ساعة ، بينما الرئيس الأمريكي يدع إسرائيل للقبول بذلك وياسر عرفات يرد على طلب الأمين العام للأمم المتحدة بالقبول.

24- إسرائيل تقبل بمقترحات المبعوث الأمريكي فيليب حبيب بوقف القتال وهو ما قبلت به م.ت.ف شريطة إحترام إسرائيل لذلك، ليعلن فيليب حبيب عن وقف كل العمليات العسكرية في الجنوب.

آب:

4- مناحيم بيغن يؤلف حكومته معينا إيريل شارون وزيرا للدفاع.

11- رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان يعلن بأن لبنان أعطى موافقته المبدئية بقبول المساعدة الليبية وذلك بتزويد سلاح الجو اللبناني بنظام دفاعي ضد الخطر الجوي.

14- إسرائيل تعلن بأن إقامة صواريخ أرض جو الليبية في لبنان سيخلق وضعية لا تطاق.

أكتوبر:

23- و.م.أ تحذر إسرائيل من مغبة مخالفتها لإتفاقية 1952، التي تمنع إسرائيل من إستخدام السلاح الأمريكي خارج التراب الإسرائيلي.

نوفمبر:

30- توقيع بروتوكول التعاون الإستراتيجي بين و.م.أ وإسرائيل.

— 1982 —

فيفري:

25- مجلس الأمن يقرر دعم القوات الأممية في الجنوب بوحدات جديدة.

أفريل:

4- مقتل الدبلوماسي الإسرائيلي ياكوف برسيمانتوف في باريس يرفع من إحتمال قيام إسرائيل بعدوان جديد ضد لبنان.

ماي:

9- لأول مرة منذ وقف القتال في 24 جويلية 1981 ، المستوطنات الإسرائيلية تتلقى ضربات المدفعية الفلسطينية إنطلاقا من لبنان.

11- الحكومة الإسرائيلية تعقد إجتماعا في شكل مجلس حرب لدراسة نتائج غارات أمس الأول وما أعقبها من قصف فلسطيني للمستوطنات الإسرائيلية ، حيث سبق ذلك حشد قوات عديدة على الحدود اللبنانية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إستعدادا للتدخل في لبنان.

جوان:

3- محاولة إغتيال السفير الإسرائيلي في لندن.

5- مجلس الامن يتخذ قرارا بالإجماع تحت رقم: 508، يدعو فيه كل الأطراف إلى وقف القتال في لبنان بعدما أبدى قلقه العميق إزاء تدهور الأوضاع الأمنية وخرق سلامة لبنان وإستقلاله ووحدته.

6- بداية الغزو الإسرائيلي للبنان تحت شعار (السلام للجليل) وذلك على محاور ثلاث بإستخدام سلاح البر والبحر والجو، وبحسب بيان مجلس الوزراء الإسرائيلي فإن هدف العملية هو (وضع السكان المدنيين في الجليل في مأمن من الهجومات التي يقوم بها (الإرهابيون) مما يتطلب دفع القوات الفلسطينية إلى الوراء على مسافة 40 كلم من الحدود الشمالية لإسرائيل.

- مجلس الأمن يصدر القرار رقم: 509 الذي تقدمت به ايرلندا، وهو يطالب إسرائيل بالإنسحاب الفوري وغير المشروط إلى الحدود الدولية المعترف بها مع لبنان.

7- وصول المبعوث الأمريكي فليب حبيب إلى المنطقة من أجل القيام بمهمة وساطة جديدة.

- صرح الجنرال الكسندر هيج وزير الخارجية الأمريكي أن الرئيس رونالد ريقن (مايزال يدرس الغزو الإسرائيلي للبنان لتحديد ما إذا كان دفاعا مشروعا عن النفس)، في اليوم الموالي مباشرة و.م.أ تستخدم حق النقض ضد قرار يطالب إسرائيل بالإنسحاب الفوري وغير المشروط من لبنان.

10- قصف إسرائيلي لجنوب بيروت، يعقبه إلقاء الطائرات الإسرائيلية لمناشير على العاصمة اللبنانية تحذر من أن قواتها (سوف تسيطر على بيروت مهما كان الثمن).

11- بعد أن أسقطت إسرائيل 18 طائرة سورية من طراز (ميغ) إقترحت على سوريا وقف إطلاق النار وهو ما قبلته هذه الأخيرة، على أن ذلك لم يمنع إسرائيل من مواصلة تقدمها في الأراضي اللبنانية.

12- غادرت إيران مجموعة أولى من المتطوعين تضم 500 رجل من حراس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثورة وجنود نظاميين ، للقتال في لبنان .

- بعد مشاورات سوفياتية - أمريكية ، أعلنت إسرائيل عن وقف القتال مع م.ت.ف في بيروت ، مؤكدة على أن ذلك لا يعني إجراء مفاوضات معها ، أي مع م.ت.ف.

14- الإتحاد السوفيتي يوجه إنذارا إلى إسرائيل ، ويؤكد بأن تضامنه مع العرب سوف يترجم منذ الآن بالأفعال ، لينعكس ذلك في إدخاله لقطع بحرية إلى البحر الأبيض المتوسط في الأيام المتوالية .

16- بعد 12 يوم من الغزو الإسرائيلي نصف مساحة لبنان أصبحت محتلة بواسطة قوات قدرت بـ 80000 جندي إسرائيلي.

17- توالت الطائرات الليبية والسوفياتية على مطار دمشق منذ بداية الأسبوع لتسليم معدات عسكرية تعويضا عن صواريخ سام التي دمرتها إسرائيل في البقاع اللبناني.

18- تحدث الرئيس الجزائري لأول مرة منذ بدء الغزو الإسرائيلي للبنان عن (إجراءات ملموسة إتخذتها الجزائر لمساعدة المقاومة الفلسطينية التي تواجه الغزو) .

21- في واشنطن إستقبل الرئيس الأمريكي رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن ليصرحا في النهاية أنهما متوافقان في أغلب النقاط بما فيها أن إسرائيل (ينبغي أن لا تكون عرضة للعنف من الشمال) .

22- تواصلت مساعي فيليب حبيب في الشرق الأوسط لدراسة إمكانية إستقبال المقاتلين الفلسطينيين الذين سيخرجون من لبنان ، في حين إستمرت القوات الإسرائيلية والكتائب اللبنانية في قصف بيروت الغربية .

23- دعت م.ت.ف الإتحاد السوفيتي إلى إلتقاط الفرصة التاريخية التي يشكلها الغزو الإسرائيلي للبنان للوقوف في صف المقاتلين الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين.

28- الرئيس المصري حسني مبارك يتهم سوريا بإبرام إتفاق ودي مع إسرائيل لكي يصبح الأردن وطن الفلسطينيين مقابل حصول سوريا على وادي البقاع تعويضا عن مرتفعات الجولان المفقودة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المبعوث الأمريكي فليب حبيب يتسلم مقترحات فلسطينية تتضمن إنسحاب القوات الفلسطينية من بيروت مع إبقاء وجود عسكري رمزي وتسليم الأسلحة إلى الجيش اللبناني.

جويليا :

1- أبرق الرئيس الليبي إلى رؤساء الدول العربية مقترحا إرسال على جناح السرعة فصائل مقاتلة من كل البلدان العربية للمشاركة في معركة بيروت.

3- أحكمت القوات الإسرائيلية حصارها على بيروت الغربية ،بينما في تل أبيب نظمت مظاهرة سلمية شارك فيها أكثر من 80000 شخص طالبوا بوقف الحرب وبإستقالة مناحيم بيغن ووزير الدفاع شارون.

- دعت وكالة تاس السوفياتية الدول العربية إلى توحيد الصفوف والإلتجاء إلى المعونة التي يبذلها الإتحاد السوفيتي وكذا إستخدام سلاح النفط.

4- صرح كميل شمعون أن الوجود الرمزي للمقاومة الفلسطينية مرفوض في لبنان (منا ومن الإسرائيليين والأمريكيين) وأبدى أسفه لمناصرته إسرائيل واعدا بأن إتفاقية السلام ستوقع بين لبنان وإسرائيل.

6- أبدت و.م.أ إستعدادها لإرسال وحدات عسكرية إلى بيروت في إطار قوات متعددة الجنسيات.

8- وجه ليونيد بريجنيف تحذيرا إلى الرئيس الأمريكي فيما يتعلق بإرسال قوات أمريكية إلى لبنان، معربا عن أمله أن تفعل و.م.أ كل مامن شانه أن ينهي العدوان الإسرائيلي.

18- في مؤتمر صحفي صرح شيمون بيريز زعيم حزب العمل الإسرائيلي (أن دمشق ترغب في أن تشن إسرائيل هجوما على بيروت الغربية وستبذل كل ما تستطيع لكي يقع هجوما كهذا) وأشار إلى أن سوريا (لن تحزن إذا قضي على القيادة الحالية لـ م.ت.ف لأنها تنوي تشكيل قيادة بديلة).

- صرح وزير خارجية سوريا عبد الحليم خدام بأن بلاده على إستعداد لإستقبال قادة م.ت.ف ، إلا أنها ترفض إستقبال المقاتلين الفلسطينيين، ونفى أن تكون بلاده تحاول الحصول على مبلغ من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المال في مقابل قبولها للمقاتلين.

28- أعلن الرئيس ليونيد بريجنسيف عن إستنكاره من العدوان الإسرائيلي على لبنان والذي تم بفضل موقف و.م.أ، مجددا دعوته إلى عقد مؤتمر دولي خاص بالشرق الأوسط تحضره كافة أطراف النزاع إضافة إلى الدولتين العظميين.

29- بعد تصعيد الموقف العسكري من قبل إسرائيل، مجلس الأمن يتخذ القرار رقم 515، الداعي إلى ضرورة رفع الحصار عن بيروت والتي يعاني سكانها الجوع والعطش.

أوت:

1- الجيش الإسرائيلي يوسع من دائرة هجوماته ويستولي على مطار بيروت، في حين مجلس الأمن يصدر قراره رقم 516، يسمح فيه بنشر ملاحظين دوليين في بيروت وهو ما رفضته إسرائيل.

6- و.م.أ تستخدم حق النقض ضد مشروع سوفياتي، في الوقت الذي تنفذ فيه إسرائيل غارات وحشية على بيروت الغربية، بينما م.ت.ف تعطي موافقتها بخروج مقاتليها من بيروت.

10- الحكومة الإسرائيلية تمنح موافقتها المبدئية لمشروع فليب حبيب مع إصرارها على معرفة الدول المستقبلة للفلسطينيين وكذا قائمة الفدائيين الذين سيغادرون بيروت.

12- الرئيس الأمريكي هدد إسرائيل بإستدعاء المبعوث فليب حبيب وتوقيف مساعيه في حالة ما إذا إستمر الجيش الإسرائيلي في هجومه الذي خلف في ظرف ثلاثة أيام 500 قتيل وجريح.

21- وصول الوحدات الفرنسية إلى بيروت وبداية إنسحاب الفدائيين الفلسطينيين منها، لتصل الوحدات الأمريكية في 25 من الشهر ثم الإيطالية، وهذا في إطار قوات متعددة الجنسيات بطلب من لبنان.

23- بشير الجميل قائد الملشيات الكتائبية يصبح الرئيس السابع للبنان المستقل.

24- مناحيم بيغن يعلن بأن هدف النزاع ومصدره القوي آل إلى النهاية مع بداية خروج أفراد م.ت.ف من بيروت إلى الخارج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبتمبر :

1- الرئيس الأمريكي يعلن عن مشروعه لحل المشكلة الفلسطينية ؛ أي ما عرف بمشروع ريغن.

2- الجيش اللبناني وقوات الأمن تدخل بيروت الغربية من أجل نزع السلاح من قوات اليسار حيث إستولت على مستودعات الأسلحة وبدأت في مراقبة المخيمات.

6- وزير الدفاع الإسرائيلي يصر على إمضاء إتفاقية سلام مع لبنان ووضع نظام أساسي خاص يسير عليه جنوب لبنان.

6-9- إنعقاد القمة العربية في فاس بالمغرب.

14- إغتيال الرئيس اللبناني بشير الجميل المنتخب في 23 أوت، يعقبه دخول وحدات من الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية بحجة منع الأعمال الإنتقامية بعد إغتيال بشير الجميل.

16-18- مذابح صبرا وشاتيلا تخلف أكثر من 2000 قتيلا على يد المليشيات الكتائبية بالتنسيق مع الجيش الإسرائيلي.

19- مجلس الأمن يصدر القرار رقم 521 مستنكرا المذابح الوحشية طالبا إرسال ملاحظين أمميين إلى بيروت.

21- أمين الجميل رئيسا جديدا للبنان.

24- بداية وصول قوات متعددة الجنسيات إلى لبنان، متكونة من 3000 عسكري.

25- نظمت مظاهرة في تل أبيب شارك فيها 200000 شخص طالبوا بإستقالة كل من مناحيم بيغن وأريئيل شارون، وكذا تشكيل لجنة تحقيق في المذابح التي نفذت في صبرا وشاتيلا؛ وهو ما أدى بهما إلى الإستقالة في سنة 1983.

30- إعادة توحيد العاصمة بيروت المنقسمة إلى شطرين نتيجة الحرب.

أكتوبر :

21- بداية مفاوضات إطلاق سراح الأسرى بين ممثل إسرائيل و ممثل م.ت.ف بوساطة المستشار النمساوي السابق برونو كرايسكي.

ديسمبر :

28- إفتتاح المفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية بوساطة أمريكية، وذلك على طريقة المباحثات الإسرائيلية - المصرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملحق رقم 9: تسلسل زمني لأهم الأحداث بين 1983-1989.(1)

— 1983 —

أفريل:
- تفجير السفارة الأمريكية في بيروت.

17- لبنان يوقع إتفاقا مع إسرائيل بعد محادثات طويلة بوساطة أمريكية.

سبتمبر:
4-5- إسرائيل تنسحب من الشوف بجبل لبنان، مما فتح المجال لبداية ما عرف بحرب الجبل بين القوات الحكومية والكتائب من جهة والقوى الوطنية بقيادة الحزب التقدمي الإشتراكي من جهة أخرى.

8- أول تدخل عسكري مباشر للأسطول الأمريكي المرابط على الشواطئ اللبنانية وذلك بقصفه لمواقع المدفعية التقدمية في الجبل.

أكتوبر:
23- إثر عمليتين إنتحاريتين، تم تفجير مقر المارينز في بيروت، وكذا مقر وحدة المظليين الفرنسيين العاملة في لبنان، مما أدى إلى مقتل 239 أمريكيا و 58 فرنسيا.

نوفمبر:
1- إفتتاح مؤتمر لوزان في سويسرا بين الفرقاء اللبنانيين.

14- عملية إنتحارية تتسبب في نسف مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور.

15- إتفاق سوري — سعودي لإنهاء الإقتتال الفلسطيني في مخيمي نهر البارد و البداوي ومنع وقوع معركة في طرابلس المحاصرة.

ديسمبر:
20- خروج ياسر عرفات من طرابلس ومعه 4000 مقاتل على متن خمسة سفن تجارية يونانية تحمل علم الأمم المتحدة تحت حماية بحرية وجوية فرنسية وضمانة أمريكية في إتجاه قبرص واليمن الشمالي

---

(1) نظرا لإستمرار الأزمة اللبنانية إلى وقت كتابة هذه الأسطر وإرتباط الأحداث بعضها ببعض، إذ أننا إعتقدنا في نتيجة دراستنا بأن ما يجري من تطورات بعد 1982 يعود بنسبة كبيرة إلى إفرازات مرحلة 75-1982، سواء في لبنان أو في المنطقة ككل، فقد إرتأينا تسجيل الأحداث البارزة من 1982 إلى 1989، وهذا كربط بين الماضي والحاضر عبر مسلسل مبسط يعطي الفرصة أكثر لفهم ما دار ويدور في لبنان بشكل يسهل إستيعابه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واليمن الجنوبي وتونس والجزائر.

22- ياسر عرفات يزور القاهرة، حيث أعلن حسني مبارك بأن مصر كانت دائما على حق، بما يعني أن الدول العربية كانت على خطأ عندما عارضت السادات في مبادرته الإنفرادية.

— 1984 —

مارس:

5- مجلس الوزراء اللبناني يوافق على إلغاء إتفاق 17 ماي 1983 الموقع بين إسرائيل ولبنان بوساطة أمريكية.

— 1985 —

جوان:

- معاناة المخيمات الفلسطينية في لبنان تزداد حدة، نتيجة الحصار الذي فرضته حركة أمل بدعم من سوريا.

— 1987 —

فيفري:

12- حركة أمل تمنع دخول الأغذية إلى مخيم برج البراجنة الفلسطيني حيث طالب سكانه بفتوى دينية تبيح لهم أكل لحوم البشر.

22- الجميل يطعن بدستورية الإستعانة بالقوات سورية لفصل بين المتحاربين داخل الأراضي اللبنانية.

أفريل:

21- الدورة 18 للمجلس الوطني الفلسطيني تنعقد في الجزائر.

ماي:

5 - إستقالة مفاجئة لرئيس الحكومة اللبنانية السيد رشيد كرامي.

جوان:

2 - إغتيال السيد رشيد كرامي، رئيس الحكومة اللبنانية.

ديسمبر:

11- تندلع مظاهرات في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عشرين عاما، وبداية الإنتفاضة الشعبية الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

— 1988 —

سبتمبر:

23- نهاية فترة أمين الجميل الرئاسية، يعقبها فراغ في الرئاسة اللبنانية لصعوبة إيجاد مرشح مقبول لدى كل الأطراف ليبدأ عهد الحكومتين في لبنان، العسكرية بزعامة ميشال عون ومقرها بيروت الشرقية، والمدنية بزعامة سليم الحص ومقرها غرب بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغربية بمساندة سوريا .

ديسمبر :

13 - ياسر عرفات يلقي خطابا هاما في مقر الأمم المتحدة بجنيف، يعلن فيه إعترافه بقرار مجلس الأمن 242 ، ومن ثم بإسرائيل .

— 1989 —

مارس :

- بداية لأحداث دامية في لبنان، حيث القوات التابعة لميشال عون من ناحية وسوريا والحزب الإشتراكي التقدمي من ناحية أخرى وهذا لمدة ستة أشهر حيث توقف القتال بعد المساعي العربية .

ماي :

16 - إغتيال المفتي الشيخ حسن خالد في بيروت الغربية .

23 - بدعوة من الملك الحسن الثاني القمة العربية تنعقد في الدار البيضاء ؛ من أهم مقررات تشكيل لجنة ثلاثية (المغرب - الجزائر - السعودية) لمتابعة وإيجاد حل للأزمة اللبنانية في أقرب الآجال .

جويلية :

31 - اللجنة الثلاثية العربية للمتابعة تصدر بيانا تعلن فيه بأن مساعيها تجاه حل الأزمة اللبنانية وصلت إلى الباب المسدود بسبب تصلب الأطراف المعنية - داخل لبنان وخارجه - ، وبعد مدة وبطلب من جهات عديدة عادت إلى مهمتها من جديد .

سبتمبر :

30 - في أول جلسة خارج لبنان ، مجلس النواب اللبناني يجتمع في مدينة الطائف السعودية ، تحت إشراف اللجنة الثلاثية العربية .

أكتوبر :

24 - مجلس النواب اللبناني يختتم أشغاله بمدينة جدة السعودية بعد مصادقته على برنامج للإصلاح السياسي، أملا في إنتخاب رئيس للجمهورية خلال 15 يوم المقبلة في لبنان .

نوفمبر :

5 - مجلس النواب المجتمع في مطار القليعات شمال لبنان ينتخب النائب رنيه معوض رئيسا للبنان ويصادق على وثيقة الوفاق الوطني الصادرة عن إجتماعاته في الطائف، كما جدد إنتخابه ل حسين الحسيني كرئيس لمجلس النواب اللبناني؛ وهذا قابله لاقى معارضة شديدة من قبل ميشال عون رئيس الحكومة العسكرية الذي أعلن من قبل عن حله للبرلمان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13- الرئيس اللبناني المنتخب يكلف سليم الحص بتشكيل الحكومة ،
ميشال عون يصعد من تهديداته تجاه هذه الحكومة .

22- إغتيال الرئيس اللبناني رنييه معوض في بيروت الغربية على
إثر إنفجار سيارة ملغمة .

25- البرلمان اللبناني ينتخب النائب إلياس لهراوي رئيسا جديدا
للبنان، والذي أقدم على عزل ميشال عون من منصبه وتعيين
لحود قائدا جديدا للجيش.

29- وفد برلماني يميني فرنسي يزور بيروت الشرقية ليقابل ميشال
عون، وذلك تعبيرا عن مساندة فرنسا له أمام تهديدات الحكومة
اللبنانية والتخوف من التدخل السوري لإنهاء تمرده بالقوة .

ديسمبر :

4- الرئيس اللبناني يطلب من اللجنة الثلاثية العربية إستئناف
وساطتها، وهو ما بدأته في العاشر من الشهر في كل من دمشق
وبغداد وباريس وروما .

30- القتال بين الإخوة الأعداء في لبنان(حزب الله وحركة أمل) يخلف
أكثر من 50 قتيلا وعشرات الجرحى.

31- ... ويبقى مصير لبنان مفتوحا على المجهول وإمكانيات التدخلات
والتأثيرات الخارجية ما زالت مطروحة .

....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit